بسم الله الرحمن الرحيم

٢٧٢٤
٢٠٧٢٧



في شرح نهج البلاغة

العلّامة المحقق الحاج الشيخ محمّد تقي التُّستري قدّس سرّه

کتابخانه
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
شماره ثبت: ۰۰۲۴۲۷
تاریخ ثبت :

المجلّد الثّالث عشر



دار امير كبير للنشر
تهران: ۱۳۷۶



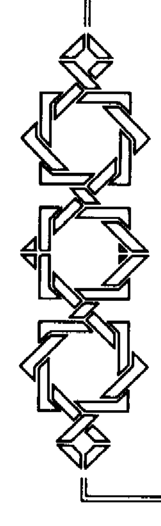
بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة (المجلد الثالث عشر)
المصنف : الشيخ محمدتقي التستري (قدس سره)
اعداد و ترتيب : مؤسسة نهج البلاغة
الناشر : دار اميركبير للنشر
الطبعة الاولى : (١٣٧٦ هـ ش) (١٤١٨ هـ ق) (١٩٩٧ م)
المطبعة : سبهر
عددالنسخ المطبوعة : ٢٠٠٠ نسخة
كافة الحقوق محفوظة للناشر

شابك ١ - ٠٢٦٣ - ٠٠ - ٩٦٤ ISBN 964-00-0263-1

الجمهورية الاسلامية في ايران - طهران - ص. ب ٤١٩١- ١١٣٦٥

الفصل الحادي والاربعون

في ما قاله عليه السلام في القرآن



١
في الخطبة (١)

وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الأنْبياءُ فِي أُمَمِها إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ؛ ولاَ عَلَمٍ قَائمٍ كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيِّناً حَلاَلَهُ وَحَرَامَهُ؛ وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ؛ ورُخَصَهُ وعَزَائِمَهُ؛ وخَاصَّهُ وعَامَّهُ؛ وعِبَرَهُ وأَمْثَالَهُ؛ وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ؛ ومُحْكَمَهُ ومُتَشَابِهَهُ؛ مُفَسِّرًا مجْمَلَهُ ومُبَيِّناً غَوامِضَهُ، بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِهِ؛ ومُوَسَّعٍ عَلَى ٱلْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ وبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي ٱلْكِتَابِ فَرْضُهُ، ومَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ؛ وَواجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ؛ ومُرَخَّصٍ فِي ٱلْكِتَابِ تَرْكُهُ؛ وبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ ومُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ؛ مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ؛ أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ؛ وبَينَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ؛ مُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ.

«وخلف» نبيّنا صلى الله عليه وآله .

«فيكم ما خلفت الأنبياء في أممها» ما يتم به الحجّة عليهم.

«إذ لم يتركوهم هملا» أي: سدى كدابة تركوها ترعى ليلاً ونهاراً بلا راع.

«بغير طريق واضح» ليسلكوه.

«ولا علم» أي: راية.

«قائم» ليَؤُمّوه فلم يخلفهم كباقي الأنبياء بغير علم لكن كثيراً منهم لم يتركوا غير وصي ونبينا ﷺ خلف في أُمته كتاباً وأوصياء.

روى مسلم في (صحيحه)، عن زيد بن أرقم قال: قام فينا النبي ﷺ خطيباً بماء تدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى ووعظ وذكر - ثم قال: أيها الناس انّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأُجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين أوّلهما كتاب الله فيه النور فخذوا به واستمسكوا به - فحث على كتاب الله ورغب فيه - ثم قال: وأهل بيتي اذكّركم الله في أهل بيتي، اذكّركم الله في أهل بيتي.

«كتاب ربكم فيكم مبينا» هكذا في (المصرية) والصواب: (كتاب ربكم مبيناً) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية) ولأن (كتاب) بدل من (ما) فلا معنى لكلمة (فيكم) قال تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين﴾[1] - ﴿... وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم ...﴾[2].

«حلاله وحرامه» ﴿قل انما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وان تقولوا

---

(١) النحل: ٨٩.

(٢) النحل: ٤٤.

على الله ما لا تعلمون﴾[١] ﴿... ويحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث...﴾[٢] ـ ﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ...﴾[٣].

«وفرائضه وفضائله» من الصلاة والصيام والخمس والزكاة والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها، والانفاق والتفضل والعفو وغيرها.

«وناسخه ومنسوخه» قال القمي في (تفسيره): كانت عدّة النساء في الجاهلية في الوفاة سنة فلمّا بعث النبي صلى الله عليه وآله تركهم على ذلك وانزل: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصيّة لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير اخراج...﴾[٤] فكانت العدّة حولاً فلمّا قوى الاسلام أنزل: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ...﴾[٥] فنسخت الأولى ـ ومثله ان المرأة كانت في الجاهلية إذا زنت تحبس في بيتها حتى تموت، والرجل يؤذى فأنزل تعالى في ذلك: ﴿واللائي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهنّ سبيلا﴾[٦] ـ وفي الرجل: ﴿واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توّاباً رحيما﴾[٧] فلمّا قوى الاسلام أنزل تعالى في ذلك:

---

(١) الاعراف: ٣٣.

(٢) الاعراف: ١٥٧.

(٣) الاعراف: ٣٢.

(٤) البقرة: ٢٤٠.

(٥) البقرة: ٢٣٤.

(٦) النساء: ١٥.

(٧) النساء: ١٦.

﴿الزانية والزاني فاجلدوا كلّ واحد منهما مائة جلدة ...﴾[١] فنسخت هذه تلك ومثله كثير ـ وآية نصفها منسوخة ونصفها متروكة على حالها وذلك ان المسلمين كانوا ينكحون نساء أهل الكتاب وينكحونهم فأنزل تعالى ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركةٍ ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشركٍ ولو أعجبكم ...﴾[٢] فنهى الله أن ينكح المسلم المشركة أو ينكح المشرك المسلمة ثم نسخ (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) بقوله في المائدة:

﴿... أحل لكم الطيبات وطعام الذين أُوتوا الكتاب حلٌّ لكم وطعامكم حلّ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أُتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن ...﴾[٣] وترك ﴿... ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا...﴾[٤] لم ينسخ لأنّه لا يحلّ للمسلمة أن تنكح المشرك ويحل للمسلم أن يتزوج المشركة من اليهود والنصارى.

«ورخصه وعزائمه» قسّم القمي في (تفسيره) الرخصية إلى رخصة بعد عزيمة ورخصة مخيّر صاحبها بين الفعل والترك، ورخصة باطنها خلاف ظاهرها ـ وقال في الأولى: ان الله تعالى فرض الوضوء والغسل بالماء فقال: ﴿... إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ... ـإلى ـ وان كنتم جنباً فاطّهروا...﴾[٥] ثم رخّص لمن لم يجد الماء التيمم بالتراب فقال: ﴿... وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا

(١) النور: ٢.

(٢) البقرة: ٢٢١.

(٣) المائدة: ٥.

(٤) البقرة: ٢٢١.

(٥) المائدة: ٦.

ماءً فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ...﴾[١] ومثله قوله: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾[٢] ثم رخّص فقال ﴿فأن خفتم فرجالاً أو رُكباناً ...﴾[٣] وقال: ﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم ...﴾[٤]فقال العالم عليه السلام الصحيح يصلّي قائماً، والمريض جالساً فمن لم يقدر فمضطجعاً وهذه رخصة بعد العزيمة ـ وقال في الثانية واما الرخصة التي صاحبها فيها بالخيار ان شاء أخذ وان شاء ترك فان الله تعالى رخّص أن يعاقب الرجل الرجل على فعله به فقال ﴿وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ...﴾[٥] فهذا بالخيار ان شاء عاقب وان شاء عفا ـ وقال في الثالثة واما الرخصة التي ظاهرها خلاف باطنها يعمل بظاهرها ولا يدان بباطنها فانّه تعالى نهى ان يتخذ المؤمن الكافر وليّاً فقال: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ...﴾[٦] ثم رخّص عند التقية ان يصلّي بصلاته ويصوم بصيامه ويعمل بعمله في ظاهر وان يدين الله في باطنه بخلاف ذلك فقال: ﴿... إلا ان تتقوا منهم تقاة ...﴾[٧] فهذا تفسير الرخصة، ومعنى قول الصادق عليه السلام ان الله تعالى يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه.

«وخاصه وعامه» قسّم القمي في (تفسيره) العام والخاص بما لفظه عام

---

(١) المائدة: ٦.

(٢) البقرة: ٢٣٨.

(٣) البقرة: ٢٣٩.

(٤) النساء: ١٠٣.

(٥) الشورى: ٤٠.

(٦) آل عمران: ٢٨.

(٧) آل عمران: ٢٨.

ومعناه خاص كقوله تعالى: ﴿يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين﴾[١] قال: انما فضلهم على عالمي زمانهم بأشياء خصصهم بها وبالعكس كقوله تعالى: ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انّه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ...﴾[٢] لفظه خاص في بني إسرائيل ومعناه عام في الناس كلّهم.

«وعبرة» قال (خو) كقوله تعالى: ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والاولى * ان في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾[٣] وكقوله تعالى: ﴿يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار﴾[٤] وكقوله تعالى ﴿وان لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم ممّا في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾[٥].

قلت وكقوله تعالى في آخر قصة يوسف: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ...﴾[٦] وكقوله تعالى: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انّهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾[٧] وكقوله تعالى: ﴿قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأُخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيّد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرةً

---

(١) البقرة: ٤٧.

(٢) المائدة: ٣٢.

(٣) النازعات: ٢٥ ـ ٢٦.

(٤) لنور: ٤٤.

(٥) النحل: ٦٦.

(٦) يوسف: ١١١.

(٧) الحشر: ٢.

لأولي الأبصار﴾[١].

«وأمثاله» قال الخوئي كقوله تعالى ﴿مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ...﴾[٢] ـ ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلة مائة حبة ...﴾[٣].

قلت وكقوله تعالى ﴿ولقد صرَّفنا للناس في هذا القرآن من كلّ مثل فأبى أكثر الناس إلّا كفورا﴾[٤] ـ وكقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء ممّا كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين﴾[٥].

﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنةٍ بربوة أصابها وابل فآتت أُكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير﴾[٦] ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كلّ الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاً فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبيّن الله لكم الآيات لعلّكم تتفكرون﴾[٧].

وكقوله تعالى مشيراً إلى المنافقين: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً

---

(١) آل عمران: ١٣.

(٢) الجمعة: ٥.

(٣) البقرة: ٢٦١.

(٤) الاسراء: ٨٩.

(٥) البقرة: ٢٦٤.

(٦) البقرة: ٢٦٥.

(٧) البقرة: ٢٦٦.

فلمّا أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾[١] ﴿صم بكم عميٌ فهم لا يرجعون﴾[٢] ﴿أو كصيب من السماء فيه ظلماتٌ ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين﴾[٣] ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم كلّما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ان الله على كلّ شيءٍ قديرٌ﴾[٤].

وكقوله تعالى: ﴿واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذّبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلّهم يتفكرون﴾[٥].

وكقوله تعالى: ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾[٦].

وكقوله تعالى ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلمّا كفر قال اني بريء منك اني أخاف الله ربّ العالمين * فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين﴾[٧].

وكقوله تعالى: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدعاً

---

(١) البقرة: ١٧.

(٢) البقرة: ١٨.

(٣) البقرة: ١٩.

(٤) البقرة: ٢٠.

(٥) الاعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٦) العنكبوت: ٤١.

(٧) الحشر: ١٦ ـ ١٧.

من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلّهم يتفكرون﴾[١] ـ ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾[٢].

وكقوله تعالى مشيراً إلى الكفّار ﴿مثل ما ينفقون في هذه الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾[٣].

وكقوله تعالى: ﴿اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيثٍ أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾[٤].

وكقوله تعالى: ﴿مثل الجنّة التي وُعِد المتقون فيها أنهار من ماءٍ غير آسنٍ وأنهارٌ من لبنٍ لم يتغيّر طعمه وأنهارٌ من خمرٍ لذّةٍ للشاربين وأنهارٌ من عسلٍ مصفىً ولهم فيها من كلّ الثمرات ومغفرةٌ من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماءً حميماً فقطّع أمعاءَهم﴾[٥].

﴿انما مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ممّا يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظنّ أهلها انّهم قادرون عليها اتاها ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كان لم تغن بالأمس

---

(١) الحشر: ٢١.

(٢) البقرة: ١٧١.

(٣) آل عمران: ١١٧.

(٤) الحديد: ٢٠.

(٥) محمد: ١٥.

كذلك نفصّل الآيات لقوم يتفكرون﴾[١].

﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كلّ شيء مقتدرا﴾[٢]، ـ ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى ...﴾[٣].

﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون﴾[٤] ـ ﴿يا أيها الناس ضُرب مثلٌ فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾[٥].

﴿الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنّها كوكبٌ دريّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكلّ شيءٍ عليم﴾[٦].

«ومرسله ومحدوده» المرسل كقوله تعالى: ﴿... وامهات نسائكم ...﴾[٧] والمحدود كقوله تعالى: ﴿... وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ...﴾[٨] وروى ان ابن مسعود أفتى بجواز نكاح أُم غير المدخولة

---

(١) يونس: ٢٤.

(٢) الكهف: ٤٥.

(٣) النحل: ٦٠.

(٤) هود: ٢٤.

(٥) الحج: ٧٣.

(٦) النور: ٣٥.

(٧) النساء: ٢٣.

(٨) النساء: ٢٣.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام من أين قلت ذلك؟ فقال: من قوله تعالى: ﴿وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ...﴾[١] فقال عليه السلام: ان هذه الآية مستثناة وآية ﴿... وامهات نسائكم ...﴾[٢] مرسلة.

ومن أمثلة المرسل قوله تعالى في كفّارة اليمين: ﴿... أو تحرير رقبةٍ...﴾[٣] وفي كفارة الظهار: ﴿... فتحرير رقبةٍ من قبل ان يتماسّا ...﴾[٤] - ومن أمثلة المحدود قوله تعالى في ديّة القتل الخطأ في مواضع ثلاثة: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة وديةٌ مسلَّمة إلى أهله إلا ان يصدقوا فان كان من قوم عدوّ لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فديّة مسلمة إلى أهْلِهِ وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ...﴾[٥].

«ومحكمه» مثل القمي له بآية الوضوء وآية تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وآية تحريم الامهات وباقي المحارم النسبية والصهرية والرضاعية وقال ومثله كثير ممّا استغنى بتنزيله عن تأويله.

«ومتشابهه» قال القمي: المتشابه ما لفظه واحد ومعناه مختلف، منه الفتنة التي ذكرها الله في القرآن فمنها عذاب وهو قوله: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾[٦] وقوله: ﴿... والفتنة أكبر من القتل ...﴾[٧] وهي الكفر ومنه الحبّ

(١) النساء: ٢٣.

(٢) النساء: ٢٣.

(٣) المائدة: ٨٩.

(٤) المجادله: ٣.

(٥) النساء: ٩٢.

(٦) الذاريات: ١٣.

كقوله تعالى: ﴿... انما أموالكم وأولادكم فتنة ...﴾[٨] ومنه اختبار وهو قوله تعالى: ﴿... الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾[٩] ـ ومنه الحق وهو على وجوه كثيرة ـ ومنه الضلال وهو على وجوه كثيرة فهذا من المتشابه الذي لفظه واحد ومعناه مختلف.

هذا، ولم يكن أحد عالماً بجميع ما في الكتاب ممّا عدّه عليه السلام من حلاله وحرامه، وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه، وخاصه وعامه، وعبره وأمثاله، ومرسله ومحدوده، ومحكمه ومتشابهه، غيره عليه السلام روى العياشي في (تفسيره) عن الأصبغ قال: قدم علي عليه السلام الكوفة فصلّى بهم أربعين صباحاً يقرأ بهم ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾[١٠] فقال المنافقون: لا والله ما يحسن ابن أبي طالب أن يقرأ القرآن ولو أحسن لقرأ بنا غير هذه السورة فبلغه ذلك، فقال: ويل لهم اني لأعرف ناسخه من منسوخه، ومحكمه من متشابهه، وفصله من وصله، وحروفه من معانيه، والله ما من حرف نزل على محمّد صلى الله عليه وآله إلّا واني أعرف في من نزل وفي أي موضع نزل!

وعن سليم بن قيس قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: ما نزلت آية على النبي صلى الله عليه وآله إلّا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطي وعلّمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وما ترك شيئاً علّمه الله من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهي كان أو يكون، من طاعة أو معصية إلّا علمنيه وحفظته[١١] ـ الخبر ـ.

---

(٧) البقرة: ٢١٧.

(٨) الانفال: ٢٨.

(٩) العنكبوت: ٢.

(١٠) الاعلى: ١.

(١١) تفسير العياشي، محمد بن مسعود ١: ١٤ باب علم الأئمة رقم (١ و ٢) المكتبة العلمية ـ قم.

«مفسراً» حال من (كتاب ربكم) كقوله (مبيناً حلاله وحرامه).

«مجمله» هكذا في (المصرية) والصواب: (جمله) كما في (ابن أبي الحديد والخطّية) فتكون جمع الجملة بمعنى المجمل بقرينة (غوامضه) بعد.

«ومبيّناً غوامضه» قال القمي: اما ما تأويله مع تنزيله فمثل قوله: ﴿...أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ...﴾[١] فلم يستغن الناس بتنزيل الآية حتى فسّر لهم النبي صلى الله عليه وآله من أولوا الأمر ـ ومثل قوله تعالى: ﴿...اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾[٢] فلم يستغن الذين سمعوا هذا من النبي صلى الله عليه وآله بتنزيل الآية حتى عرفهم النبي صلى الله عليه وآله من الصادقون ـ ومثل قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ...﴾[٣] فلم يستغن الناس الذين سمعوا هذا من النبيّ صلى الله عليه وآله حتى اخبرهم كم يصومون ـ وكقوله تعالى: ﴿واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ...﴾[٤] فلم يستغن الناس بهذا حتى اخبرهم النبيّ صلى الله عليه وآله كم يصلّون وكم يزكّون.

«بين ماخوذ ميثاق في علمه» هكذا في (المصرية) والصواب: (بين ماخوذ ميثاق علمه) كما في (ابن أبي الحديد والخطية و ابن ميثم).

﴿...ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب الّا يقولوا على الله الّا الحق...﴾[٥] ﴿وإذ اخذ الله ميثاق الّذين اوتوا الكتاب لتبيننّه للنّاس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون﴾[٦] ﴿وإذ اخذ الله ميثاق

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) التوبة: ١١٩.

(٣) البقرة: ١٨٣.

(٤) البقرة: ٤٣.

(٥) الاعراف: ١٦٩.

(٦) آل عمران: ١٨٧.

النبيّين لمّا آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدّق لمّا معكم لتؤمنن به ولتنصرنّه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلك اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين* فمن تولّى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون﴾[١].

«وموسع على العباد في جهله» أخذ جلّ وعزّ معرفته وجوده عليهم ووسّع عليهم جهلهم بكنه ذاته لقصورهم عن فهمه قال تعالى: ﴿وانّ إلى ربّك المنتهى﴾[٢] فسر في الخبر انّه إذا انتهى الكلام إليه تعالى يجب الامساك وانّ قوماً تكلتموا في ذاته تعالى فباهت عقولهم حتى كان الرّجل ينادي من بين يديه فيجيب من خلفه وينادى من خلفه فيجيب من بين يديه ـ ومثّل (ابن أبي الحديد) له بفواتح السّور و (الخوئي) بمتشابهات القرآن.

«وبين مثبت في الكتاب فرضه ومعلوم في السنة نسخه» قال ابن أبي الحديد نسخ السنّة في رجم الزّاني المحصن، الكتاب في قوله: ﴿...فامسكوهن في البيوت حتى يتوفّاهُنّ الموت﴾[٣] قد عرفت انّ آية ﴿...فامسكوهن...﴾[٤] نسخت بآية ﴿...الزّانية...﴾[٥] وانّما الرّجم غير مذكور في الكتاب بل في السنة وغاية ما يمكن ان يقال: انّ السنة نسخت عموم ﴿...فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة...﴾[٦] إذا لم نقل بان المحصن عليه الجلد أيضاً.

«وواجب في السنة اخذه ومرخص في الكتاب تركه» قال ابن أبي

(١) آل عمران: ٨١ ـ ٨٢.

(٢) النجم: ٤٢.

(٣) النساء: ١٥.

(٤) النساء: ١٥.

(٥) النور: ٢.

(٦) النور: ٢.

الحديد مثل صوم يوم عاشورا كان واجباً بالسنّة ثم نسخه صوم شهر رمضان الواجب بنص الكتاب.

وقال الخوئي كالتوجه في الصلاة اولا إلى بيت المقدس بالسنة المنسوخ بقوله تعالى: ﴿...فول وجهك شطر المسجد الحرام...﴾[1] وكحرمة مباشرة النساء في الليل على الصائمين المنسوخ بقوله تعالى: ﴿...فالان باشروهن...﴾[2].

قلت وكحرمة الاكل بعد صلاة العشاء إذا نام في ليل شهر رمضان في السنة، المنسوخة بقوله تعالى: ﴿...وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر...﴾[3].

«**وبين واجب بوقته**» وفي (ابن أبي الحديد) (لوقته).

«**وزائل في مستقبله**» كزكاة الفطرة تسقط إذا لم تؤدَّ في وقتها ـ واما صلاة الجمعة فبدل بعد وقتها بصلاة الظهر.

ثم الظاهر . ان في الكلام سقطاً لان المقام مقام التفضيل بين شيئين الا ان يقال ان الشق الاخر وهو الواجب في الوقت وخارجه كالصلوات اليومية لم يذكر لمعلوميته.

«**ومباين بين محارمه**» قال ابن أبي الحديد: يجب رفع (مباين) خبراً لمحذوف ولا يجوز جره بالعطف على ما قبله لانه ليس في القرآن مباين وغير مباين.

وقال ابن ميثم: عطف على المجرورات السابقة وفي معنى الكلام

---

(١) البقرة : ١٤٤ .

(٢) البقرة : ١٨٧ .

(٣) البقرة : ١٨٧ .

وتقديره لطف فان المحارم لمّا كانت هي محال الحكم المسمى بالحرمة صار المعنى (وبين حكم مباين بين محاله).

وقال الخوئي : انه مجرور لجواز اضافة بين إلى (شيء) يقوم مقام شيئين كقوله تعالى: ﴿...عوان بين ذلك...﴾[1] وكقول امريء القيس (بين الدخول فحومل) لكون الدخول اسم مواضع.

قلت اما ما قاله ابن ميثم: ففيه تكلف لا تلطف، واما ما قاله الخوئي فخبط، لان ما قاله صحح جواز اضافة (بين) إلى (محارمه) بدون عطف عليه واما (مباين) فيجب اما رفعه كما قال ابن أبي الحديد واما تقدير بين له حتىيصح جره كما قال ابن ميثم وحيث ما قاله ابن ميثم تكلف لا يناسب كلامه عليه السلام يتعين رفعه الا ان الظن انه وقع في الكلام تبديل، وان قوله (ومباين) ـالخ ـكان بعد قوله (وبين مقبول في ادناه) الخ كما لا يخفى.

«من كبير اوعد عليه نيرانه» روى (الكافي) في باب الكبائر عن الجواد عن ابيه عن ابيه عليهما السلام قال: دخل عمرو بن عبيد على أبي عبدالله عليه السلام فلمّا سلم وجلس تلا قوله ﴿الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش﴾[2] ثم امسك، فقال عليه السلام له: ما اسكتك؟ قال احب ان اعرف الكبائر من كتاب الله تعالى فقال: نعم يا عمرو اكبر الكبائر الشرك ﴿...من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة﴾[3] ثم اليأس من روح الله ﴿...لا ييأس من رَوح الله الا القوم الكافرون﴾[4] ثم الامن من مكر الله تعالى ﴿...فلا يأمن مكر الله الا القوم

---

(١) البقرة : ٦٨.

(٢) الشورى : ٣٧.

(٣) المائدة : ٧٢.

(٤) يوسف : ٨٧.

الخاسرون﴾[١] وعقوق الوالدين فجعل تعالى العاق ﴿جباراً شقيا﴾[٢] في حكايته عن عيسى عليه السلام ﴿وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيا﴾[٣] وقتل النفس بغير الحق ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها...﴾[٤] وقذف المحصَنات ﴿ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾[٥] واكل مال اليتيم ﴿ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً انما ياكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا﴾[٦] والفرار من الزحف ﴿ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾[٧] واكل الربا ﴿الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ﴾[٨] والسحر ﴿...ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الاخرة من خلاق...﴾[٩] والزنا ﴿...ومن يفعل ذلك يلق اثاما* يضاعف له العذاب ويخلد فيه مهانا* الامن تاب...﴾[١٠] واليمين الغموس ﴿ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لاخلاق لهم في الاخرة...﴾[١١] والغلول ﴿...ومن يغلل يات بما غل يوم

---

(١) الاعراف : ٩٩ .

(٢) مريم : ٣٢ .

(٣) مريم : ٣٢ .

(٤) النساء : ٩٣ .

(٥) النور : ٢٣٠ .

(٦) النساء : ١٠ .

(٧) الانفال : ١٦ .

(٨) البقرة : ٢٧٥ .

(٩) البقرة : ١٠٢ .

(١٠) الفرقان : ٦٨ ـ ٧٠ .

(١١) آل عمران : ٧٧ .

القيامة...﴾[١] ومنع الزكاة المفروضة ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم...﴾[٢] وشهادة الزور ﴿ومن يكتمها فانه آثم قلبه...﴾[٣] وشرب الخمر لانه تعالى عدل به عباده الاوثان - وترك الصلاة متعمدا أو شيئاً ممّا فرض الله تعالى لان النبيّ ﷺ قال: من ترك الصلاة متعمدا من غير علة فقد بريء من ذمة الله وذمة رسوله ونقض العهد وقطيعة الرحم لانه تعالى يقول: ﴿...أُولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ فخرج عمرو بن عبيد وله صرخة من بكائه، وهو يقول: هلك والله من قال برايه ونازعكم في الفضل والعلم.

«او صغير ارصد له غفرانه» ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما﴾[٤].

«وبين مقبول في ادناه موسع في اقصاه» كالصلوات الخمس تقبل في ادناها بالاقتصار على واجباتها، وموسع في اقصاها بالاتيان بها بآدابها ونوافلها، وقد ذكر (المقنع) و(المقنعة) و(النهاية) آداب الصّلوات الواحدة والخمسين ركعة.

٢
في الخطبة (١٢٩)

(ومنها):

وَكِتَابُ ٱللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، نَاطِقٌ لَا يَعْيَا لِسَانُهُ، وَبَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ.

(١) آل عمران : ١٦١.

(٢) التوبة : ٣٥.

(٣) البقرة : ٢٨٣.

(٤) النساء : ٣١.

«وكتاب الله بين أظهركم» قال الجزري: (اقاموا بين أظهرهم) أي: اقاموا بينهم على سبيل الاظهار والاستظهار والاستناد إليهم[١]، ثم كثر حتى استعمل في الاقامة بين القوم مطلقا.

«ناطق لا يَعيا» أي: لا يعجز.

«لسانه» بخلاف باقي الناطقين فيعيا لسانهم - وفي (السير): سمع الوليد بن المغيرة من النبيّ صلى الله عليه وآله قوله تعالى: ﴿ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر...﴾[٢] فقال: والله ان له لحلاوة، وان عليه لطلاوة، وان اعلاه لمثمر، وان اسفله لمغدق، وما يقول هذا بشر.

«وبيت لا تهدم اركانه» بخلاف باقي البيوت روى ابن بابويه ان رجلا سأل الصادق عليه السلام ما بال القرآن لا يزداد عند النشر والدرس الا غضاضة؟ فقال: ان الله تعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولالناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة.

«وعز» بالفتح أي: عزيز كما يفهم من المصباح.

«لا تهزم اعوانه» بخلاف باقي الاعزة وعن الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا...﴾[٣] عن أبي سعيد الخدري، قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: ايها الناس قد تركت فيكم الثقلين خليفتين، ان اخذتم بهما لن تضلوا بعدي احدهما اكبر من الاخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الارض، وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض[٤].

وعن عليّ عليه السلام: اعلموا ان القرآن هدى الليل والنهار، ونور الليل المظلم

---

(١) النهاية لابن الأثير ٣: ١٦٦، مادة (ظهر): اسماعيليان: قم.

(٢) النحل: ٩٠.

(٣) آل عمران: ١٠٣.

(٤) الطرائف لابن طاووس: ١٢٨، ونقله المجلسي في «بحار الأنوار» ٢٣: ١١٧ ح ٣٣.

على ما كان من جهد فإذا حضرت بلية فاجعلوا اموالكم دون انفسكم، وإذا نزلت نازلة فاجعلوا انفسكم دون دينكم، واعلمو ان الهالك من هلك دينه والحريب من حرب دينه، الاوانه لافقر بعد الجنة، وانه لا غنى بعد النار، لا يفك اسرها ولا يبرأ جريرها.

هذا، وفي (القاموس): العزيز الملك لغلبته على أهل مملكته ولقب من ملك مصر مع الإسكندرية.

هذا، وفي (الأغاني) عن بصري قال: نزلنا في ظل حصن من حصون الروم فإذا بقائل من فوق الحصن ينشد ابياتاً بالعربية، ويبكي فناديته ايها المنشد فاشرف فقلت من أنت؟ قال: من العرب نزلت مكانك هذا فأشرفتُ على جارية فعشقتها فقالت ان دخلت في ديني فغلب على الشيطان فقبلتُ، فقلت اكنت تقرأ القرآن؟ قال: أي والله لقد حفظته قلت فما تحفظ اليوم منه؟ قال: لا شيء الا قوله تعالى: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾[1] قلت: فهل لك ان تعطيهم فداء وتخرج؟ ففكر ساعة ثم قال انطلق صحبك الله.

٣
الخطبة (١٢٩)

أيضاً (ومنها):

وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمَلُّهُ إِلَّا ٱلْحَيَاةَ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ لَهُ فِي ٱلْمَوْتِ رَاحَةً. وَإِنَّمَا ذٰلِكَ بِمَنْزِلَةِ ٱلْحِكْمَةِ ٱلَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ ٱلْمَيِّتِ؛ وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ ٱلْعَمْيَاءِ، وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ ٱلصَّمَّاءِ؛ وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ؛ وَفِيهَا ٱلْغِنى كُلُّهُ وَٱلسَّلَامَةُ. كِتَابُ ٱللهِ تُبْصِرُونَ بِهِ؛ وَتَنْطِقُونَ بِهِ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ؛ وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ ببَعْض؛ وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى

(١) الحجر: ٢.

بَعْضٍ، وَلَا يَخْتَلِفُ فِي ٱللهِ، وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ ٱللهِ، قَدِ ٱصْطَلَحْتُمْ عَلَى ٱلْغِلِّ فِي مَا بَيْنَكُمْ، وَنَبَتَ ٱلْمَرْعَى عَلَى دِمَنِكُمْ، وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ ٱلْآمَالِ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ ٱلْأَمْوَالِ، لَقَدِ ٱسْتَهَامَ بِكُمُ ٱلْخَبِيثُ، وَتَاهَ بِكُمُ ٱلْغُرُورُ، وَٱللهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ.

أقول: قال ابن أبي الحديد هذا الفصل من فصول اربعة: الاولى من اوله إلى قوله (راحة) الثاني إلى قوله (والسلامة) والثالث من قوله (كتاب الله) إلى (عن الله) والرابع من (قد اصطلحتم) ـ الخ ـ التقطها الرضي على عادته في التقاط ما يستفصحه من كلامه عليه السلام.

قلت: قد عرفت في اول الكتاب ما في رايه في التقاط الرضي رحمه الله وقلنا ببطلان رايه وممّا يوضع بطلان نظره هذا العنوان فلو كان يلتقط ولا يتقيد بان يرتبط لم قال في هذا العنوان ـ أي ١٢٩ ـ أربع مرات (منها) (منها) منها هذا العنوان ومنها سابقه، وكيف يصح ما قال ولا يحصل فصاحة ولا بلاغة الا بربط المعنى، واما عدم ربط مواضع الفصل الاربعة فقد قال المصنف (ومنها) ولم ينقل سابق العنوان حتى نفسهم الربط ولعله في النسخة تصحيف او كانت نسخة ما نقل عن المصنف مصحفة وبعضهم تكلف للربط.

«واعلموا ان ليس من شيء الا ويكاد صاحبه ان يشبع منه ويمله الا الحياة»

وهو امر وجداني لا يحتاج إلى برهان، وقد قال تعالى ﴿قل ان الموت الذي تفرّون منه فانه ملاقيكم...﴾[1].

وحتى ان الانبياء كانوا محبين الحياة، فروى (الكافي) عن الصادق عليه السلام ان آدم لمّا عرض عليه ولده نظر إلى داود فاعجبه فزاده خمسين سنة من عمره فنزل عليه جبرئيل وميكائيل فكتب عليه ملك الموت صكا بالخمسين

---

(١) الجمعة : ٨.

سنة فلمّا حضرته الوفاة نزل عليه ملك الموت فقال آدم: قد بقي من عـمري خمسون سنة، فقال فاين الخمسون الّتي جعلتها لابنك داود فـاما ان يكـون نسيها او انكرها فنزل عليه جبرئيل وميكائيل وشهدا عليه فقبضه ملك الموت قال عليه السلام كان اول صك كتب في الدنيا.

وروى (الاكمال) و(الأمـالي) عـنه عليه السلام ان مـلك المـوت لمّـا جـاء إلى موسى عليه السلام لقبض روحه قال من اين تقبض روحي؟ قـال:مـن فـمك ، قـال: كيف؟ وقد كلّمت ربّي جلَّ جلاله ، قال: فمن يديك، قال : كيف؟ وقد حملت بهما التوراة قال: فمن رجليك، قال: كيف؟ وقد وطات بهما إلى طور سيناء قال: فمن عينيك قال: كيف؟ ولم تزل إلى ربي بالرجاء ممدودة قـال فـمن اذنـيك قـال: كيف؟ وقد سمعت بهما كلام ربي جلّ وعزّ فاوحى تعالى إليه لا تقبض روحه حتى يكون هو الذي يريد، فخرج ومكث موسى مـاشاء الله ان يـمكث ودعـا يوشعا فاوصى إليه وامره بكتمان امره وبان يـوصي بـعده إلى مـن يـقوم بالامر وغاب عن قومه فمر برجل وهو يحفر قبراً فقال له: ألا اعـينك؟ فـقال: بلىفاعانه حتى حفر وسوّى اللحد ثم اضطجع فيه موسى لينظر كـيف هـو فكشف له عن الغطا فرأي مكانه من الجنة فقال يا رب اقبضني إليك فـقبض وسوى عليه التراب وكان الذي يحفر القبر ملك في صورة آدمي وكان ذلك في التيه (فصاح صائح من السماء مات موسى كليم الله فاى نفس لا تموت) بـل ورد ان المؤمن أيضاً لا يكره على قبض روحه ولكن يرى درجته حتى يرغب هو.

واما قول لبيد وكان بلغ مائة واربعين سنة.

ولقد سئمت من الحياة وطولِها وسؤال هذا النـاس كـيفَ لبـيد

وقول اكثم بن صيفي وقالوا عاش مائة وتسعين سنة.

وان امرأً قد عاش تسعينَ حجة إلى مائة لم يسام العيش جاهل[١]

كما في (الاكمال) وقول المستوغر وكان بقي بقاء طويلاً.

ولقد سئمتُ من الحياة وطولها وعمرتُ من عدد السنينِ مانيا

مائة اتت من بَعدِها مائتان لي وازددتُ من عدد الشهور سنينا

هلْ ما بَقِي الا كَما قد فاتنا يومٌ يكرّ وليلةٌ تحدونا[٢]

وقول زهير بن جناب حين مضت له مأتان من عمره.

لقد عمرت حتى لا أُبالي احتفى في صباحي أم مسائي

وحق لمن اتت مأتان عاماً عليه ان يمل من الثواء[٣]

كما في (الغرر) فمرادهم السئامة من شدائد الشيخوخة لا اصل الحياة

قال النابغة الجعدي وكان عمر.

لَبستُ اناساً فافنيتهم وافنيتُ بعدَ أُناسٍ أُناساً[٤]

وقال هو كما في (الغرر) لأبي العتاهية كما قال ابن أبي الحديد.

المرء يهوى ان يعيش وطول عيش ما يضرّه

تفنى بشاشته ويبقى بعد حلوالعين مرة

وتتابع الأيام حتى ما يرى شيئاً يسرّه

كم شامت لي ان هلكت وقائل لله دره

وسمع زهير بن جناب بعض نسائه تتكلم بما لا ينبغي لامراة ان تتكلم عند زوجها فنهاها فقالت له: اسكت عني، والا ضربتك بهذا العمود فوالله ما كنت اراك تسمع شيئاً او تعقله فقال:

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ٥٦٥.

(٢) غرر الفوائد (الأمالي) للشريف المرتضى ١: ٢٣٤، تحقيق محمد أبوالفضل، طبع القاهرة.

(٣) المصدر نفسه ١: ٢٤١.

(٤) المصدر نفسه ١: ٢٦٤.

فللموت خيرٌ من حداج موطا مع الظعن لا يأتي المحلّ لحين

«فانه لا يجد له في الموت راحة» في (شعراء ابن قتيبة)، قال الحطيئة حين موته: احملوني على حمار لعلى انجو، فانه لم يمت عليه كريم ثم قال:

لكل جديد لذةٌ غيرَ أنّني وجدتُ جديدف الموتِ غيرَ لَذيد

له خبطةٌ في الحَلْقِ ليس بسكرّ ولا طعم راح يشتهى ونبيذ[1]

ومات مكانه.

«وانما ذلك بمنزلة الحكمة» في (المجمع) : الحكمة، هي العلم الذي يعمل عليه في ما يجتبى او يجتنب من امور الدين والدنيا[2].

«التي هي حياة للقلب الميت» قال تعالى: ﴿...استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لمّا يحييكم...﴾[3] ـ ﴿هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة...﴾[4].

«وبصر للعين العمياء» فيجعلها ذات قيمة.

«وسمع للاذن الصماء» فيجعلها مفيدة «وري للظمآن» فيبقى به حياته.

«وفيها الغِنى كله والسلامة» من بلاء الدنيا والاخرة.

في (تفسير القمي) في قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة...﴾[5] ﴿...ومن يؤتَ الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيرا﴾[6].

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ١٨١، طبع ليدن (١٩٠٢ م).

(٢) ذكر الطبرسي في «مجمع البيان»: الحكمة العلم الذي يمكن به، الأفعال المستقيمة ١: ٢٣٣، وذكر البحراني في «مجمع البحرين» الحكمة: العلم الذي يرفع الإنسان عن فصل القبيح ٦: ١٤٥، المكتبة المرتضوية.

(٣) الانفال : ٢٤.

(٤) الجمعة : ٢.

(٥) لقمان : ١٢.

(٦) البقرة : ٢٦٩.

عن الصادق عليه السلام كان لقمان رجلا قويا في امر الله، متورعا في الله ساكتا سكيتا عميق النظر، طويل الفكر، حديد النظر، مستغن بالعبر، لم ينم نهارا قط، ولم يره احد من الناس على بول ولا غائط ولا اغتسال لشدة تستره، ولم يضحك من شيء مخافة الاثم، ولم يغضب قط، ولم يمزح قط، ولم يفرح بشيء من الدنيا، ولا حزن منها على شيء، وقدم اكثر اولاده فرطا، فما بكى على موت احد، ولم يمر برجلين يختصمان او يقتتلان الا اصلح بينهما، ولم يسمع من احد قولا استحسنه الا سأله عن تفسيره وعمن اخذه، وكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء، وكان يغشى القضاة والملوك، فيرثي للقضاة بما ابتلوا به، ويرحم للملوك لغرتهم بالله، ويتعلم ما يغلب به نفسه ويجاهد هواه، ويحترز به من الشيطان، وكان لا يظعن الا في ما يعنيه، فبذلك اوتي الحكمة، ومنح العصمة، فان الله تعالى امر طوائف الملائكة حين انتصف النهار، وهدأت العيون بالقائلة فنادوا لقمان حيث يسمع ولا يراهم، فقالوا هل لك ان يجعلك الله خليفة في الارض تحكم بين الناس؟ فقال: ان امرني ربي بذلك فالسمع والطاعة وان فعل بي ذلك اعانني عليه وعلمني، وان هو خيرني قبلت العافية، فقالت الملائكة: لِمَ؟ قال لان الحكم بين الناس باشد المنازل من الدين واكثر فتنا وبلاء يخذل ويغشاه الظلمة من كل مكان وصاحبه فيه بين امرين ان اصاب فيه الحق فبالحرى ان يسلم وان اخطأ اخطأ طريق الجنة فتعجبت الملائكة من حكمته فلمّا اخذ مضجعه من الليل انزل الله عليه الحكمة فغشاه بها من قرنه إلى قدمه وهو نائم فغطاه بالحكمة فاستيقظ وهو احكم الناس في زمانه فلمّا أُوتي الحكمة ولم يقبل الخلافة امر الله الملائكة فنادت داود بالخلافة فقبلها ولم يشترط فيها كشرط لقمان فاعطاه الله الخلافة في الارض وابتلي فيها غير مرة ـ وكان داود يقول له: طوبى لك يا لقمان، أُوتيت الحكمة

وصرفت عنك البلية وما أُوتي لقمان الحكمة بحسب ومال ولا بسط جسم ولا جمال.

«كتاب الله تبصرون به» ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين».

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال خطب النبيّ صلى الله عليه وآله بمنى فقال: ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فانا قلته، ما جاءكم يخالف كتاب الله فلم اقله ان على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله: فدعوه وقال عليه السلام ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف.

«وتنطقون به» ﴿هذا بيان للناس وهدىً وموعظة للمتقين﴾[1].

وفي (الكافي) عن الباقر عليه السلام قال إذا حدثتكم بشيء فاسألوني أين هو من كتاب الله، ثم قال في بعض حديثه: ان النبيّ صلى الله عليه وآله نهى عن القيل والقال، وفساد المال وكثرة السؤال فقيل له اين هذا من كتاب الله؟ قال تعالى ﴿لا خير في كثير من نجواهم الامن أمر بصدقةٍ او معروفٍ او اصلاحٍ بين الناس...﴾[2] - وقال تعالى ﴿...ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما...﴾[3] - وقال تعالى: ﴿...لا تسألوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم...﴾[4].

«وتسمعون به» ﴿...كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير...﴾[5].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: انزل تعالى في القرآن تبيان كل شيء ما ترك شيئاً يحتاج إليه العباد الاوقد انزله فيه حتى لا يستطيع عبد يقول لو

---

(١) آل عمران: ١٣٨.

(٢) النساء: ١١٤.

(٣) النساء: ٥.

(٤) المائدة: ١٠١.

(٥) هود: ١.

كان هذا انزل في القرآن وما خلق الله حلالاً ولا حراماً ما إلا ولهُ حد كحد الدار، فما كان من الطريق فهو من الطريق وما كان من الدار فهو من الدار حتى ارش الخدش فما سواه والجلدة أونصف الجلدة.

هذا، وفيه عن الاصبغ عن امير المؤمنين عليه السلام والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق واكرم أهل بيته ما من شيء يطلبونه من حرق او غرق او سرق او فلاة دابة من صاحبها او ضالة او آبق الا هو في القرآن فمن اراد ان يسألني عنه فقام إليه رجل فقال: اخبرني عما يؤمن من الحرق والغرق فقال إقرأ: ﴿...الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين[1]﴾ ﴿وما قدروا الله حق قدره ... سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[2] فمن قرأها امن من الحرق والغرق فقرأها رجل واضطربت النار في بيوت جيرانه وبيته وسطحها فلم يصبه شيء ثم قام رجل آخر وقال: استصعبت على دابتي وانا منها على وجل فقال: إقرأ في اذنها اليمنى: ﴿...وله اسلم من في السماوات والارض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون﴾[3] فقرأها فذلت له دابته وقام إليه آخر، فقال: ان ارضي ارض مسبعة وان السباع تغشى منزلي ولا تجوز حتى تأخذ فريستها فقال إقرأ ﴿لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم* فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾[4] فقرأها فاحتشمه السباع ثم قام آخر فقال: ان في بطني ماء اصفر فهل من شفاء بلا درهم ولا دينار؟ فقال: نعم اكتب على بطنك آية الكرسي وتغسلها وتشربها وتجعلها ذخيرة في بطنك فتبرأ باذن الله تعالى،

---

(١) الاعراف : ١٩٦.

(٢) الانعام : ٩١.

(٣) آل عمران : ٨٣.

(٤) التوبة : ١٢٨ ـ ١٢٩.

ففعل الرجل فبرئ، ثم قام آخر فقال اخبرني عن الضالة قال: إقرأ (يس) في الركعتين وقل (يا هادي الضالة رد علي ضالتي) ففعل فردها الله عليه ثم قام آخر فقال: أخبرني عن الابق فقال اقرأ ﴿او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موجٌ ... ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾[١] فقالها الرجل فرجع إليه الابق، ثم قام آخر فقال اخبرني عن السرق فانه لا يزال يسرق لي الشيء بعد الشيء ليلاً فقال له: اقرأ إذا آويت إلى فراشك ﴿قل ادعوا الله اوادعوا الرحمن... وكبِّره تكبيرا﴾[٢].

ثم قال عليه السلام من بات بارض قفر فقرأ ﴿ان ربكم الله الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش ... تبارك الله رب العالمين﴾[٣] حرسته الملائكة وتباعدت عنه الشياطين، فمضى الرجل فإذا بقرية خراب فبات فيها ولم يذكر هذه الآية فتغشاه الشيطان فإذا هو آخذ بلحيته فقال له صاحبه انظره فاستيقظ الرجل فقرأ الآية فقال الشيطان لصاحبه ارغم الله انفك احرسه الان حتى يصبح، فلمّا اصبح الرجل رجع إليه عليه السلام فاخبره وقال: رايت في كلامك الشفاء والصدق، ومضى بعد طلوع الشمس فإذا هو باثر شعر الشيطان مجتمعا في الارض.

«وينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض» ﴿افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾[٤]. وهو المعيار لسليم الاخبار من سقيمها فما خالفة زخرف يضرب به الجدار كما مر في خطبة النبيّ صلى الله عليه وآله بمنى.

(١) النور : ٤٠.

(٢) الاسراء : ١١٠ ـ ١١١.

(٣) يونس : ٣ ـ ١٠.

(٤) النساء : ٨٢.

«ولا يختلف في الله ولا يخالف بصاحبه عن الله» ﴿وانه لتنزيل رب العالمين* نزل به الروح الامين* على قلبك لتكون من المنذرين﴾[١] ﴿وما تنزلت به الشياطين* وما ينبغي لهم وما يستطيعون* انهم عن السمع لمعزولون﴾[٢] ـ ﴿وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين* ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين﴾[٣] ﴿...ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شي وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾[٤].

«قد اصطلحتم على الغل» أي: الغش.

«في ما بينكم» قد عرفت ان ابن أبي الحديد حكم بان هذا الكلام فصل عما قبله لكن يمكن وصله بان المراد صلحهم على الغش بينهم في ترك القرآن واكبابهم على ما افتعلوا من الاحاديث وصولا إلى اغراضهم وترويجاً لمكاسدهم، روى الكشي عن الباقر عليه السلام ان سلمان كان يقول للناس هربتم من القرآن إلى الاحاديث وجدتم كتاباً دقيقاً حوسبتم فيه على النقير والقطمير والفتيل وحبة خردل فضاق عليكم ذلك وهربتم إلى الاحاديث التي اتسعت عليكم[٥].

«ونبت المرعي على دمنكم» قال المصنّف في (مجازاته) بعد قول النبيّ صلى الله عليه وآله «اياكم وخضراء الدمن» في تأويله قولان الاول نهى صلى الله عليه وآله عن نكاح

---

(١) الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٤.

(٢) الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢.

(٣) يونس: ٣٧ ـ ٣٨.

(٤) يوسف: ١١١.

(٥) رجال الكشي للطوسي: ١٨، حديث ـ قم ٤٢.

المرأة على ظاهر الحسن في المنبت السوء والبيت السوء، شبه المرأة الحسناء بالروضة الخضرة لجمال ظاهرها، وشبه منبتها السوء بالدمنة لقباحة باطنها والدمنة هي الابعار المجتمعة تركبها السوابي فإذا اصابها المطر انبتت نباتاً خضرا يروق منظره ويسوء مخبره والثاني ان النبيّ ﷺ نهى ان يتلقى اخاه بالظاهر الجميل وينطوي على الباطن الذميم قال الشاعر:

وقد ينبتُ المرعى على دمن الثَرى   وتَبقى حزازاتُ النفوس كماهيا

كأن الشاعر أراد إنّا وان لقيناكم بظاهر الطلاقة والبشر فانا نضمر لَكم على باطن الغش والغمر.

قلت: بل يتعين في قول النبيّ ﷺ التأويل الاول فان المعاني رواه وزاد قيل: يا رسول الله ما خضراء الدمن؟ قال: (المرأة الحسناء في منبت السوء) وانما كلامه عليه السلام هنا كبيت الشاعر بقرينة قبله وبعده.

«وتصافيتم على حب الامال وتعاديتم في كسب الاموال» كما هو حال أهل الدنيا من اتفاقهم على حب آمال الدنيا حتى يبغضون من كان لا يراها ويختلفون ويتعاركون في تحصيل اموالها ولذا كان الناس في جميع الادوار من بعد نبيهم ﷺ مع اختلاف مشاربها متفقين على عداوة أهل بيته ﷺ.

«لقد استهام بكم» أي: جعلكم هائمين ذاهبين في الارض.

«الخبيث» صفة الشيطان.

«وتاء بكم» أي: جعلكم تائهين متحيرين.

«الغَرور» بفتح الغين وهو أيضاً وصف الشيطان، قال تعالى: ﴿...ولا يغرنكم بالله الغَرُور﴾[1].

«والله المستعان على نفسي وانفسكم» حتى يعيننا والاصل فيه قوله

---

(١) لقمان: ٣٣.

تعالى: ﴿...والله المستعان على ما تصفون﴾[(١)].

٤
في الخطبة (١٤٨)

إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْاسْلَامِ وَٱسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ ٱسْمُ سَلاَمَةٍ وجِماعُ كَرَامَةٍ، ٱصْطَفَى ٱللهُ تَعَالَى مَنْهَجَهُ؛ وَبَيَّنَ حُجَجَهُ، مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ؛ وَبَاطِنِ حِكَمٍ؛ لَا تَفْنَى غَرَائِبُهُ؛ وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ؛ وَمَصَابِيحُ الظُّلَمِ؛ لَا تُفْتَحُ ٱلْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ؛ ولا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إلا بِمَصَابِيحِهِ، قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ؛ وَأَرْعَى مَرْعَاهُ؛ فِيهِ شِفَاءُ المستَشْتفِي وَكِفَايَةُ المُكْتَفِي.

«ان الله تعالى خصكم بالاسلام واستخلصكم له» ﴿...اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا...﴾[(٢)].

«وذلك لانه اسم سلامه» ﴿يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين﴾[(٣)].

«وجماع» بالكسر.

«كرامةٍ» تاوى إليه.

«اصطفى الله» أي: اختار.

«منهجه» أي: طريقه الواضح.

«وبين حججه» أي: براهينه والمراد بكتاب انزله وكانه سقط من النسخة وكيف كان قال تعالى: ﴿لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي...﴾[(٤)].

---

(١) يوسف: ١٨.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) البقرة: ٢٠٨.

(٤) البقرة: ٢٥٦.

«**من ظاهر علم**» الظاهر ان المراد علم انباء غيب القرآن الظاهر لكل احد كونها علما.

«**وباطن حكم**» اسرار ما تضمنه القرآن من الاحكام ومن المصالح والمفاسد في ما بين من الحلال والحرام.

«**لا تفنى غرائبه ولا تنقضي عجائبه**» في الخبر قيل لأبي عبدالله عليه السلام: ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس الاغضاضة؟ فقال: لان الله تعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة.

«**فيه مرابيع النعم**» أي: النعم الدائمة المقيمة من (مربع القوم) محل اقامتهم او من (الارض المربوعة) أي: مطرت في الربيع.

«**ومصابيح الظلم**» أي: سرجها، قال تعالى: ﴿...كتاب انزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾[١].

«**لا تفتح الخيرات الا بمفاتيحه**» ﴿لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليه آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾[٢].

«**ولا تكشف الظلمات الا بمصابيحه**» ﴿فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين﴾[٣] ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾[٤].

«**قد احمى حماه**» من (مكان حمى) محظور لا يقرب والمراد انه بين في

---

(١) ابراهيم : ١ .

(٢) آل عمران : ١٦٤ .

(٣) الطور : ٣٤.

(٤) الاسراء : ٨٨ .

القرآن ما اريد ترك الناس لها من المحرمات كقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا﴾[١] ﴿ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن...﴾[٢] ـ ﴿...ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن...﴾[٣] ﴿...ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى...﴾[٤].

«وارعى مرعاه» (الظاهر انه كناية عن بيان المحللات التي ابيح للناس التمتع بها، في قبال احماء الحمى كناية عن المحرمات) قال تعالى: ﴿قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق...﴾[٥] ﴿قل لا اجد في ما أُوحي إلي محرماً على طاعمٍ يَطعَمُه الا ان يكون ميتةً أو دَماً مسفوحاً أو لحمَ خنزيرٍ فانه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به...﴾[٦].

«فيه شفاء المشتفي» ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين...﴾[٧].

«وكفاية المكتفي» ﴿وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾[٨] ﴿ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجراً كبيراً﴾[٩] ﴿ماكثين فيه ابداً﴾[١٠] ﴿ان هذا

---

(١) الاسراء : ٣٢.

(٢) الاسراء : ٣٤.

(٣) الانعام : ١٥١ .

(٤) النساء : ٤٣ .

(٥) الاعراف : ٣٢.

(٦) الانعام : ١٤٥ .

(٧) الاسراء : ٨٢ .

(٨) الانعام : ١٥٥ .

(٩) الاسراء : ٩ .

(١٠) الكهف : ٣.

القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وانه لهدىً ورحمة للمؤمنين﴾[١].

هذا، وفي فضل حامل قرآن (الكافي) عن حفص بن غياث سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول لرجل اتحب البقاء في الدنيا؟ فقال: نعم، فقال ولِمَ قال لقراءة (قل هو الله أحد) فسكت عنه فقال لي بعد ساعة يا حفص من مات من اوليائنا وشيعتنا ولم يحسن القرآن علم في قبره ليرفع الله به درجته فان درجات الجنة على عدد آيات القرآن يقال له اقرأ وارق فيقرأ ثم يرقا إلى أن قال حفص: وكانت قراءته عليه السلام حزنا فإذا قرأ فكأنه يخاطب انساناً.

٥
في الخطبة (١٧١)

وَٱعْلَمُوا أَنَّ هَذَا ٱلْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ؛ وَٱلْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ؛ وَالمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ؛ وَمَا جَالَسَ هَذَا ٱلْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلاَّ قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ: زِيَادَةٍ فِي هُدًى أو نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى؛ وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ ٱلْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، وَلَا لأَحَدٍ قَبْلَ ٱلْقُرْآنِ مِنْ غِنًى فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ؛ وَٱسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لأْوَائِكُمْ فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ: وَهُوَ ٱلْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَٱلْغَيُّ وَالضَّلَالُ؛ فَاسْأَلُوا ٱللهَ بِهِ وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ؛ وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ، إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ ٱلْعِبَادُ إِلَى ٱللهِ تعالى بِمِثْلِهِ؛ وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ؛ وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ ٱلْقُرْآنُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ؛ وَمَنْ مَحَلَ بِهِ ٱلْقُرْآنُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ «أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ؛ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ ٱلْقُرْآنِ» فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ؛ وَٱسْتَدِلُّوهُ

(١) النمل: ٧٦ ـ ٧٧.

عَلَى رَبِّكُمْ؛ وَٱسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ وَٱتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ؛ وَٱسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ.

«واعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش» بخلاف باقي الناصحين فقد يغشون، قال الشاعر: «ومؤتمن بالغيب غير امين».

وفي (المروج) استشار مروان بن محمد، إسماعيل بن عبدالله القشيري لمّا انهزم من المسودة بحران أن يلحق بالروم مكاتبا لصاحبها معاهداً له حتى يحصل له استعداد وكان هو الرأي فغشه وقال له اعيذك بالله من هذا الرأي تحكم أهل الشرك في بناتك وحرمك ولكن اقطع الفرات ثم استنفر الشام إلى أن قال بعد ذكر وثوب أهل البلاد عليه فعلم مروان ان اسماعيل غشه في الرأي وانه فرط في مشورته إذ شاور رجلا من قحطان موترا متعصبا من قومه على اضدادهم من نزار، وان الرأي الذي هم بفعله من قطع الدرب ونزول بعض حصون الروم ومكاتبة ملكها إلى أن يرتأى في أمره كان اولى ـ الخ ـ قال تعالى في كتابه: ﴿انه لقرآن كريم* في كتاب مكنون* لا يمسه الا المطهرون* تنزيل من رب العالمين﴾[1].

«والهادي الذي لا يضل» ﴿ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم﴾[2] ﴿...ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجراً حسناً* ماكثين فيه ابداً﴾[3].

«والمحدث الذي لا يكذب» ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾[4] ـ وفي (الاسد) عن أبي وداعة الحميدي قال: كنت

(١) الواقعة : ٧٧ ـ ٨٠ .

(٢) الاسراء : ٩ .

(٣) الكهف : ٢ ـ ٣ .

(٤) فصلت : ٤٢ .

إلى جنب مالك بن عبادة أبي موسى الغافقي وعقبة بن عامر يحدث عن النبيّ صلى الله عليه وآله فقال أبو موسى: ان صاحبكم لحافظ أو هالك ان النبيّ صلى الله عليه وآله خطبنا في حجة الوداع، فقال: عليكم بالقرآن فانكم ترجعون إلى قوم يشتهون الحديث فمن عقل شيئاً فليحدث به ومن افترى على فليتبوّأ مقعده من النار.

وكل حديث لا يوافقه كذب ـ فروى العياشي عن الصادق عليه السلام قال: ما جاءك في رواية من برّ أو فاجر يوافق القرآن فخذ به، وما جاءك في رواية من برّ أو فاجر يخالف القرآن فلا تأخذ به.

«وما جالس هذا القرآن أحد» إذا لم يكن من أهل العناد والطغيان.

«الّا قام عنه بزيادة أو نقصان زيادة في هدىً أو نقصان من عمىً» وأما من كان من أهل اللجاج فلا يزيده إلا عمىً، قال تعالى: ﴿وإذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايماناً فاما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً وهم يستبشرون* وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون* أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون﴾[1] ـ ﴿...قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرٌ وهو عليهم عمىً أُولئك ينادون من مكان بعيد﴾[2] ـ وقال في المؤمنين: ﴿انما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾[3] ـ وقال في غيرهم: ﴿وإذا عَلم من آياتنا شيئاً اتخذها هزوا...﴾[4].

(١) التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٦.

(٢) فصلت: ٤٤.

(٣) الانفال: ٢.

(٤) الجاثية: ٩.

«واعلموا انه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة» ﴿... تبياناً لكل شيء...﴾[١]

﴿ولا حَبّةٍ في ظلماتِ الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مُبين﴾[٢].

«ولا لاحد قبل القرآن من غِنىً» ﴿هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾[٣].

«فاستشفوه من ادوائكم» روى العياشي عن الصادق عليه السلام: عليكم بالقرآن فما وجدتم آية نَجا بها من كان قبلكم فاعملوا به، وما وجدتموه ممّا هلك من كان قبلكم فاجتنبوه.

«واستعينوا به على لأْوائكم» أي: شدّتكم ـ وفي (الكافي) عن الزهري، قال علي بن الحسين عليه السلام لو مات من بالمشرق والمغرب ما توحشت بعدما كان القرآن معي، وكان عليه السلام إذا قرأ ﴿مالك يوم الدين﴾[٤] يكررها حتى كاد أن يموت.

«فان فيه الشفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي والضلال» ﴿قل أوحى الي انّه استمع نفر من الجن فقالوا انّا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾[٥] ـ ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لمّا في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾[٦].

«فاسألوا الله به وتوجهوا إليه بحبه» في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله: ان أهل

---

(١) النحل : ٨٩.

(٢) الانعام : ٥٩.

(٣) الجمعة : ٢.

(٤) الفاتحة : ٢.

(٥) الجن : ١ ـ ٢.

(٦) يونس : ٥٧.

القرآن في أعلى درجة من الادميين ما خلا النبيين من المرسلين، ولا تستضعفوا أهل القرآن حقوقهم فان لهم من الله العزيز الجبار لمكاناً عليا.

«ولا تسألوا به خلقه انّه ما توجّه العباد إلى الله بمثله» في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله ان أحق الناس بالتخشع في السرّ والعلانية لحامل القرآن وان أحقّ الناس في السر والعلانية بالصلاة والصوم لحامل القرآن - ثم نادى بأعلى صوته: ياحامل القرآن، تواضع به يرفعك الله، ولا تعزز به فيذلّك الله، يا حامل القرآن تزيّن به لله يزينك الله به، ولا تزين به للناس فيشينك الله به - إلى أن قال - : ومن أُوتي القرآن فظن أن أحداً من الناس أُوتي أفضل ممّا أُوتي فقد عظم ما حقّر الله وحقّر ما عظّم الله.

«واعلموا انّه شافع ومشفع وقائل ومصدق» هكذا في (المصرية)، والصواب: (شافع مشفع وقائل مصدق) بدون واو في الموضعين كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية).

قال ابن أبي الحديد قال ابن ميثم استعار عليه السلام لفظي (الشافع) و (المشفع) ووجه الاستعارة كون تدبره والعمل بما فيه ماحياً لمّا يعرض للنفس من الهيئات الردية من المعاصي وذلك مستلزم لمحو غضبه كما يمحو الشفيع المشفع أثر الذنب عن قلب المشفوع إليه، وكذلك لفظ (القائل المصدق) ووجه الاستعارة كونه ذا ألفاظ إذا نطق بها لا يمكن تكذيبها.

ثم قال الخوئي لا يجوز حمل الكلام على المجاز ما دام إمكان الحمل على الحقيقة ويدلّ على كونه على الحقيقة ما في (الكافي) عن سعد الخفاف عن أبي جعفر عليه السلام قال: تعلّموا القرآن فان القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق والناس عشرون ومائة ألف صف، ثمانون ألف من أُمة محمّد صلى الله عليه وآله وأربعون ألف من ساير الأُمم، فيأتي على صف المسلمين في

صورة رجل مسلم فينظرون إليه ثم يقولون لا إله إلّا الله الحليم الكريم، ان هذا الرجل من المسلمين نعرفه بنعته وصفته غير انّه كان أشدّ اجتهاداً منّا في القرآن ـ الخبر.

وعن يونس بن عمّار عن الصادق عليه السلام قال ان الدواوين يوم القيامة ثلاثة: ديوان فيه النعم، وديوان فيه الحسنات، وديوان فيه السيئات، فيقابل بين ديوان النعم وديوان الحسنات فيستغرق النعم عامة الحسنات، ويبقى ديوان السيئات فيدعى بابن آدم المؤمن للحساب فيتقدّم القرآن أمامه في أحسن صورة فيقول: يا ربّ أنا القرآن وهذا عبدك المؤمن قد كان يتعب نفسه بتلاوتي ويطيل ليله بترتيلي وتفيض عيناه إذا تهجد، فارضه كما أرضاني فيقول تعالى: ابسط يمينك فيملأها من رضوان الله ويملأ شماله من رحمة الله، ثم يقال: هذه الجنّة مباحة لك فاقرأ واصعد درجة.

وعن إسحاق بن غالب عنه عليه السلام قال إذا جمع الله تعالى الأولين والآخرين‌هم بشخص لم يرَ قط أحسن صورة منه، فإذا نظر إليه المؤمنون وهو القرآن قالوا: هذا منّا هذا أحسن شيء رأيناه، حتى إذا انتهى إليهم جازهم ثم ينظر إليه الشهداء حتى إذا انتهى إلى آخرهم جازهم فيجوزهم كلّهم حتى إذا انتهى إلى المرسلين فيقولون: هذا القرآن فيجوزهم حتى ينتهي إلى الملائكة فيقولون هذا القرآن فيجوزهم ثم ينتهي حتى يقف عن يمين العرش فيقول الجبار وعزتي وجلالي، وارتفاع مكاني لأكرمنّ اليوم من أكرمك ولأهينن من أهانك.

وعن الفضيل بن يسار عنه عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وآله: تعلموا القرآن فانّه يأتي صاحبه يوم القيامة في صورة شاب جميل شاحب اللون، فيقول له: أنا القرآن الذي كنت أسهرت ليلك، وأظمأت هواجرك، وأجففت ريقك، وأسلت

دمعتك ـ الخبر ـ.

قلت حمل الأخبار الأربعة على الاستعارة أيضاً جائزة وان كان خلاف الظاهر، ويشهد له ما في آخر الأول قال سعد : قلت يا أبا جعفر، وهل يتكلّم القرآن؟ فتبسّم عليه‌السلام ثم قال: رحم الله الضعفاء من شيعتنا انّهم أهل تسليم، ثم قال نعم و للصلاة تتكلّم، ولها صورة وخلق تأمر وتنهى.

قال سعد: فتغيّر لذلك لوني، وقلت هذا شيء لا أستطيع التكلّم به في الناس فقال عليه‌السلام : وهل الناس إلّا شيعتنا فمن لم يعرف الصلاة فقد أنكر حقّنا ثم قال: يا سعد اسمعك كلام القرآن؟ فقلت بلى فقال: ﴿...ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر...﴾[1] فالنهي كلام والفحشاء رجال ونحن ذكر الله ونحن أكبر.

وكذلك ما مر في آخر الثاني (يقول تعالى: ابسط يمينك فيملأها من رضوان الله) فانّه معلوم كون هذا استعارة ـ والحمل على لسان الحال كما في قوله تعالى: ﴿...فقال لها وللأرض إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾[2] غير بعيد.

«فانّه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه ومن مَحَلَ به القرآن» من (محل به إلى السلطان) إذا سعى به إليه.

«يوم القيامة صدق عليه» وشفاعة القرآن شفاعة صاحبه ومحله محله.

﴿وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾[3].

وفي (تاريخ بغداد)، كتب منصور السلمي إلى بشر المريسي الكلام في

---

(١) العنكبوت : ٤٥.

(٢) فصلت : ١١.

(٣) الفرقان : ٣٠.

القرآن خالق أو مخلوق بدعة اشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له وتكلّف المجيب ما ليس عليه وما أعلم خالقاً إلّا الله، وما دونه مخلوق ولو كان القرآن خالقاً لم يكن للذين دعوه إلى الله شافعاً ولا بالذين ضيّعوه ما حلا ـ فانته في القرآن إلى أسمائه التي سمّاه الله بها ولا تسمّ القرآن باسم من عندك.

«فانه ينادي مناد يوم القيامة الا ان كلّ حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن فكونوا من حرثته واتباعه» اما ابتلاء غير حرثة القرآن فواضح حتى بالنسبة إلى نكاح النساء للأولاد فقال تعالى ﴿نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنّى شئتم...﴾[1] وقال: ﴿...ان من أزواجكم وأولادكم عدوّاً لكم...﴾[2] وقال: ﴿انما أموالكم وأولادكم فتنة...﴾[3] ـ واما حرثة القرآن فهم حرثة الآخرة وفي سورة الشورى الآية ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب﴾[4].

ومن حرث الدنيا الحرث وباقي مستمتعاتها، قال تعالى: ﴿زيّن للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾[5] ـ ومن حرث القرآن، ما قال تعالى بعده: ﴿قل ءأُنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج

---

(١) البقرة : ٢٢٣.
(٢) التغابن : ١٤.
(٣) التغابن : ١٥.
(٤) الشورى : ٢٠.
(٥) آل عمران : ١٤.

مطهّرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد﴾[١].

هذا وفي (الأغاني)، قال ابن عياش كان الشعبي زوج اخت أعشى همدان وكان أعشى زوج اخت الشعبي فأتاه أعشى يوماً ـ وكان أحد القرّاء للقرآن ـ فقال له: اني رأيت كأني أُدخلت بيتاً فيه حنطة وشعير، وقيل لي: خذ أيّهما شئت فأخذت الشعير، فقال؛ ان صدقت رؤياك تركت القرآن وقراءته، وقلت الشعر ـ فكان كما قال.

«واستدلوه» أي: اجعلوه دليلاً.

«على ربكم واستنصحوه» أي: اجعلوه ناصحاً.

«على أنفسكم واتهموا عليه اراءكم» في قباله.

روى العياشي عن أبي جعفر عليه السلام: ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن ان الآية ينزل أوّلها في شيء وآخرها في شيء ـ وزاد في خبر آخر ـ وهو كلام متصل ينصرف على وجوه.

«واستغشوا فيه أهواءكم» أي: احكموا على أهوائكم المخالفة لها بالغش.

روى الصدوق عن النبي صلى الله عليه وآله: لعن الله المجادلين في دين الله على لسان سبعين نبياً ومن جادل في آيات الله فقد كفر، قال عزوجل: ﴿ما يجادل في آيات الله إلّا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد﴾[٢] ومن فسر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب ـ إلى أن قال الراوي عبد الرحمان بن سمرة ـ فقلت: يا رسول الله ارشدني إلى النجاة فقال: يا ابن سمرة إذا اختلفت الأهواء وتفرّقت الآراء فعليك بعلي بن أبي طالب[٣] ـ الخبر ـ.

---

(١) آل عمران : ١٥.

(٢) المؤمن : ٤.

(٣) ذكره المجلسي في بحار الأنوار ٣٦: ٢٢٧ رواية ٣.

٦
الخطبة (١٧١)

قال في تلك الخطبة:

وَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هَذَا ٱلْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ ٱللهِ المَتِينُ؛ وَسَبَبُهُ الأَمِينُ؛ وَفِيهِ رَبِيعُ ٱلْقَلْبِ؛ وَيَنَابِيعُ ٱلْعِلْمِ؛ وَمَا لِلْقَلْبِ جِلاَءٌ غَيْرُهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ المُتَذَكِّرُونَ؛ وَبَقِيَ النَّاسُونَ أَوِ المُتَنَاسُونَ.

«**وان الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن**» ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله...﴾[1].

«**فانّه حبل الله المتين**» روى أحمد بن حنبل في مسنده، عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[2].

وروى الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً...﴾[3] عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله قال: أيها الناس قد تركت فيكم الثقلين خليفتين ان أخذتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض[4] ـ الخبر ـ.

«**وسببه**» أي: واسطته.

«**الأمين وفيه ربيع القلب**» ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم

---

(١) الحشر: ٢١.

(٢) مسند الامام أحمد بن حنبل ٣: ١٤، دار صادر ـ بيروت.

(٣) آل عمران: ١٠٣.

(٤) تكرر الكلام في الصفحة (٢١).

إلى ذكر الله...﴾[١].

«وينابيع العلم» ﴿...ما فرطنا في الكتاب من شيء...﴾[٢] ﴿...تبياناً لِكلِّ شيء﴾ ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا...﴾[٣].

«وما للقلب جلاء غيره» وما ورد عنهم عليهم السلام من أن أحاديثنا جلاء لقلوبكم لا ينافي كلامه عليه السلام إذ جميع أحاديثهم مأخوذة من القرآن قال الباقر عليه السلام لأبي الجارود: إذا حدثتكم بشيء ـ فاسألوني أين هو من كتاب الله ـ ثم قال في بعض حديثه: ان النبي صلى الله عليه وآله نهى عن القيل والقال، وفساد المال وكثرة السؤال فقيل له أين هذا من كتاب الله؟ قال: قال عزوجل: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلّا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس...﴾[٤] ـ ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما...﴾[٥] ـ ﴿....لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسُؤكم...﴾[٦].

«مع انّه قد ذهب المتذكرون» ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر﴾[٧].

«وبقى الناسون أو المتناسون» ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم...﴾[٨].

---

(١) الزمر: ٢٣.

(٢) الانعام: ٣٨.

(٣) الاسراء: ٨٨.

(٤) النساء: ١١٤.

(٥) النساء: ٥.

(٦) المائدة: ١٠١.

(٧) القمر: ١٧.

(٨) الحشر: ١٩.

٧
في الخطبة (١٧٨)

منها في ذكر القرآن:

فَالْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ؛ وَصَامِتٌ نَاطِقٌ؛ حُجَّةُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ؛ أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَهُ؛ وَارْتَهَنَ عَلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ؛ أَتَمَّ نُورَهُ وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ؛ وَقَبَضَ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله وَقَدْ فَرَغَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ.

«فالقرآن آمر» بالمعروف.

«زاجر» عن المنكر.

﴿كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون * بشيراً ونذيراً...﴾[١] ـ ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً* قيّماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجراً حسناً* ماكثين فيه أبداً* وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً...﴾[٢].

«صامت ناطق» ﴿ان هذا القرآن يقصّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾[٣].

قال ابن أبي الحديد جعله عليه السلام صامتاً ناطقاً لأنّه من حيث هو حروف وأصوات صامت إذ كان الغرض يستحيل أن يكون ناطقاً لأن النطق حركة الأداة بالكلام، والكلام يستحيل أن يكون ذا أداة ينطق بالكلام وهو من حيث انه يتضمن الأخبار والأمر والنهي والنداء وغير ذلك من أقسام الكلام كالناطق لأن الفهم يقع عنده، وهذا من باب المجاز كما تقول هذه الربوع

---

(١) فصلت: ٣ ـ ٤.

(٢) الكهف: ١ ـ ٤.

(٣) النمل: ٧٦.

الناطقة واخبرتني الديار بعد رحيلهم بكذا وتبعه الخوئي.

قلت ما ذكره خبط، فانما مراده عليه السلام بالقرآن المصحف والمصحف خط والخط صامت ومن قرأه ينطق عنه فكأنه هو الناطق ـ ويشهد له قوله عليه السلام في الاحتجاج على الخوارج.

في ١٢١ / ١ «انّا لم نحكم الرجال وانما حكّمنا القرآن، وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين الدفتين، لا ينطق بلسان ولابد له من ترجمان وانما ينطق عنه الرجال».

كما ان تمثيله بقولهم (الربوع الناطقة) ومثله أيضاً بلا ربط، لأن ذلك لسان الحال والقرآن لسان القائل.

«حجّة الله على خلقه» ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلّكم ترحمون* ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنّا عن دراستهم لغافلين* أو تقولوا لو انا أنزل علينا لكنّا أهدى منهم فقد جاءكم بيّنة من ربكم وهدىً ورحمة...﴾[١].

«أخذ عليهم ميثاقه» ﴿...فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يأخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلّا الحق ودرسوا ما فيه...﴾[٢].

﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننّه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون﴾[٣].

«وارتهن عليه أنفسهم» حيث ألزمهم العمل به.

---

(١) الانعام: ١٥٥ ـ ١٥٦.

(٢) الاعراف: ١٦٩.

(٣) آل عمران: ١٨٧.

«أتمّ نوره» هكذا في النسخ، وعليه فالمعنى (أتمّ الله نور القرآن) ولكن الظاهر ان الأصل (أتمّ به نوره) أي أتمّ الله به نور نفسه بقرينة ما بعده ـ قال تعالى: ﴿يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون﴾[1].

«وأكمل» هكذا في (المصرية)، ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) (وأكرم).

«به دينه» ﴿...فانه نزّله على قلبك باذن الله مصدقاً لمّا بين يديه وهدىً وبشرى للمؤمنين﴾[2].

«وقبض نبيه صلى الله عليه وآله وقد فرغ إلى الخلق من أحكام» بالكسر.

«الهدى به» أي: جعل الهدى محكماً بالقرآن.

روى ابن سعد في (طبقاته) عن عايشة قالت: كنت جالسة عند النبي صلى الله عليه وآله فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية النبي صلى الله عليه وآله فقال مرحباً بابنتي فأجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم أسرّ إليها شيئاً فبكت، ثم أسرّ إليها فضحكت، قالت قلت ما رأيت ضحكاً أقرب من بكاء استخصك النبي بحديثه ثم تبكين، قلت: أي شيء أسر إليك؟ فقالت ما كنت لأفشي سرّه فلمّا قبض صلى الله عليه وآله سألتها، فقالت قال: ان جبرئيل كان يأتيني كلّ عام فيعارضني بالقرآن مرّة وانّه أتاني اليوم فعارضني مرتين، ولا أظن إلّا أجلي قد حضر ونعم السلف أنا لك.

قال ابن أبي الحديد ذكر عليه السلام ان الله قبض رسوله وقد فرغ إلى الخلق

---

(١) التوبة : ٣٢.

(٢) البقرة : ٩٧.

بالقرآن من الاكمال والاتمام لقوله تعالى : ﴿...اليوم أكملت لكم دينكم...﴾[١] قلت انما يتمّ هذا الكلام على مذهب الامامية القائلين بكون الامام قيم القرآن، وإلّا فكيف فرغ بالقرآن مع الاكمال مع هذه الاختلافات وتفسير كلّ فرقة للقرآن على مشربها.

٨
في الخطبة (١٥١)

وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ آللهِ فَإِنَّهُ آلْحَبْلُ المَتِينُ؛ والنُّورُ المُبِينُ وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ؛ وَالرِّيُّ النَّاقِعُ؛ وَآلْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ؛ وَالنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ؛ لَا يَعْوَجُّ فَيُقَامَ؛ وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ؛ وَلَا يُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ؛ وَوُلُوجُ السَّمْعِ مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ.

«وعليكم بكتاب الله فانّه الحبل المتين» روى الثعلبي في تفسير: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا...﴾[٢] بأسانيد عن النبي صلى الله عليه وآله قال: أيها الناس قد تركت فيكم الثقلين خليفتين، ان أخذتم بهما لن تضلوا بعدي أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ألا وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض[٣].

«والنور المبين» ﴿...كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾[٤].

وروى الحميدي في الجمع بين الصحيحين عن زيد بن أرقم، قال قام النبي صلى الله عليه وآله فينا خطيباً بماء يدعى خمأ بين مكة والمدينة ـ ثم قال: أيها الناس

---

(١) المائدة : ٣.

(٢) آل عمران : ١٠٣.

(٣) مرّ الكلام في الصفحة (٢١).

(٤) ابراهيم : ١.

انما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأُجيب واني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ـ فحث على كتاب الله ورغب ـ ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي[1].

«والشفاء النافع» لمريض عالج به، فقال تعالى: ﴿...قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاء...﴾[2].

«والري» وهو ضد العطش.

«الناقع» من (نقع الماء العطش) إذا سكنه.

«والعصمة» عن الضلال.

«للمتمسك» به فقد قال النبي ﷺ فيه وفي عترته. (ان تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا).

«والنجاة» من المهالك.

«للمتعلق» به قال تعالى: ﴿...وكذلك ننجي المؤمنين﴾[3].

«لا يعوج» ككثير من الخلق.

«فيقام» أي: يجعل مستقيماً قال تعالى: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً * قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجراً حسناً * ماكثين فيه أبداً * وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا﴾[4].

«ولا يزيغ» أي: يميل إلى الباطل.

---

(١) ذكره المجلسي في «بحار الأنوار» ٢٢: ١١٧ رواية ٣٤ باب ٧ نقلاً عن «الطرائف» لابن طاووس: ١٢٢ حديث ١٨٦ مطبعة الخيام ـ قم.

(٢) فصلت: ٤٤.

(٣) الانبياء: ٨٨.

(٤) الكهف: ١ ـ ٤.

«فيستعتب» أي: يطلب منه الرجوع إلى الحق.

«ولا يخلقه» افعال من (خلق الثوب) بالضم إذا بلي.

«كثرة الرد» ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾[1].

ولقد ردوا عليه من يوم نزل إلّا انّه لا أثر لردودهم لوضوح بطلانها، ولصدورها من أهل الزيغ والأهواء، ولأن كلّ رد أورده أحد من أهل الباطل أجاب عنه أهل الحق بأجوبة متعددة ـ وأوّل من أجاب عن شبهات أهل الشبهة في القرآن هو عليه السلام من أراد الوقوف عليها راجع (توحيد) ابن بابويه.

«وولوج» بالجر.

«السمع» أي: لا يخلقه كثرة دخوله السمع بتلاوة الانسان له ليلاً ونهاراً واستماعه من غيره بخلاف غيره من الكتب فتخلق بسماعها مرتين.

«من قال به صدق» لأنّه الحق.

«ومن عمل به سبق» غير العامل به إلى الدرجات.

هذا، وروى (سنن أبي داود) عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله: مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الاترجة ريحها طيب، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها، مثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها[2].

---

(١) فصلت: ٤٢.

(٢) سنن أبي داود ٤: ٢٥٩ حديث ٤٨٢٩ طبع مصر.

٩
في الخطبة (١٩٣)

ثمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ ٱلكِتَابَ نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ؛ وَسِرَاجاً لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ؛ وَبَحْراً لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ؛ وَمِنْهَاجاً لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ؛ وَشُعَاعاً لَا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ، وَفُرقَاناً لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ؛ وَبَيْتاً لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ؛ وَشِفاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ، وَعِزًّا لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ؛ وَحَقّا لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ؛ فَهُوَ مَعْدِنُ ٱلْايمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ؛ وَيَنَابِيعُ ٱلْعِلْمِ وَبُحُورُهُ، وَرِيَاضُ ٱلْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ؛ وَأَثَافِيُّ ٱلْاسْلَامِ وَبنيَانُهُ؛ وَأَوْدِيَةُ ٱلْحَقِّ وَغِيطَانُهُ؛ وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ المُتنزِفُونَ وَعُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا المَاتِحُونَ، وَمَنَاهِلُ لَا يَغِيضُهَا ٱلْوَارِدُونَ، وَمَنَازِلُ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا المُسَافِرُونَ؛ وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ؛ وَآكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا ٱلْقَاصِدُونَ؛ جَعَلَهُ ٱللهُ رِيّاً لِعَطَشِ ٱلْعُلَمَاءِ؛ وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ ٱلْفُقَهَاءِ، وَمَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ؛ وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ؛ وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ؛ وَحَبْلاً وَثيقاً عُرْوَتُهُ؛ وَمَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ، وَعِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ؛ وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ؛ وَهُدًى لِمَنْ ٱئْتَمَّ بِهِ؛ وَعُذْراً لِمَنِ انتحلَهُ، وَبُرهاناً لِمَن تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ؛ وَفَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ؛ وَحَامِلاً لِمَنْ حَمَلَهُ؛ وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ؛ وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ؛ وَجُنَّةً لِمَنِ ٱسْتَلْأَمَ؛ وَعِلْماً لِمَنْ وَعَى؛ وَحَدِيثاً لِمَنْ رَوَى؛ وَحُكْماً لِمَنْ قَضَى.

«ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تُطفأ مصابيحه» ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلّا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾[1].

«وسراجاً لا يخبو» أي: لا يُطفأ.

---

(١) التوبة: ٣٢.

«توقده وبحراً لا يدرك قعره» ﴿...وما يعلم تأويله إلّا الله...﴾[١] ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾[٢].

«ومنهاجاً» أي: طريقاً واضحاً.

«لا يضلّ نهجه» ﴿وانه لتنزيل رب العالمين* نزل به الروح الأمين* على قلبك لتكون من المنذرين﴾[٣] وما تنزّلت به الشياطين﴾[٤].

«وشعاعاً لا يظلم ضوؤه» ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات...﴾[٥] ـ ﴿وكذلك أنزلناه آيات بينات...﴾[٦].

«وفرقاناً» قال الجوهري: كلّ ما فرق به بين الحق والباطل فهو فرقان.

«لا يخمد» من (خمدت النار) إذا سكن لهبها ولم يُطْفأ جمرها.

«برهانه» في الأساس (البرهان بيان الحجّة وايضاحها مشتق من البرهره وهي البيضاء من الجواري كما اشتق السلطان من السليط) وهو كما ترى.

«وتبياناً» هكذا في (المصرية)، ولا معنى له والصواب: (وبنياناً) كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية.

«لا تهدم أركانه» ﴿انا نحن نزّلنا الذكر وانّا له لحافظون﴾[٧].

---

(١) آل عمران: ٧.

(٢) الكهف: ١٠٩.

(٣) الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٤.

(٤) الشعراء: ٢١٠.

(٥) النور: ٣٤.

(٦) الحج: ١٦.

(٧) الحجر: ٩.

«وشفاء لا تخشى أسقامه»... ﴿ويشف صدور قوم مؤمنين﴾[١] ﴿...وشفاء لمّا في الصدور...﴾[٢].

«وعزّاً لا تهزم أنصاره» ﴿...أئتوني بكتاب من قبل هذا أو اثارة من علم ان كنتم صادقين﴾[٣].

«وحقّاً لا تخذل أعوانه» ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلمّا حضروه قالوا انصتوا فلمّا قضى ولّوا إلى قومهم منذرين* قالوا يا قومنا انّا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى مصدقاً لمّا بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم* يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾[٤].

«فهو معدن الايمان وبحبوحته» أي: وسطه، لأن الايمان يحصل بعد شهود المعجز، والقرآن أكبر معجز ـ وذكر الكراجكي في اعجازه طرقاً منها عجز بلغاء العرب عن الاتيان بمثله في فصاحته ونظمه، مع علمهم بأن النبي صلى الله عليه وآله قد جعله علماً على صدقه وسماعهم للتحدّي فيه على ان يأتوا بسورة من مثله هذا مع اجتهادهم في دفع ما أتى به.

وتوفر دواعيهم على إبطال أمره، واستفراغ مقدورهم في أذيته، وتعذيب أصحابه، وطرد المؤمنين به، ثم ما فعلوه بعد ذلك من بذل النفوس والأموال في حربه والحرص على اهلاكه مع علمهم بأن ذلك لا يشهد بكذبه، ولا فيه إبطال الحجّة ولا يقوم مقام معارضة في ما جعله دلالة على صدقه، وتحداهم على الاتيان بمثله، وقد كانوا قوماً فصحاء حكماء عقلاء لا يصبرون

---

(١) التوبة : ١٤ .

(٢) يونس : ٥٧ .

(٣) الاحقاف : ٤ .

(٤) الاحقاف : ٢٩ ـ ٣١.

على التقريع، ولا يتغاضون عن التعجيز، وعاداتهم معروفة إلى الافتخار، وتحدّى بعضهم لبعض بالخطب والأشعار، وفي انصرافهم عن المعارضة دلالة على انّها كانت متعذرة عليهم، وفي التجائهم إلى الحروب الشاقة دونها بيان انّها الأيسر عندهم وأي عاقل يطلب أمراً بما فيه هلاك ماله والتغرير بنفسه، وهو يقدر على كلام يغنيه بذلك، وينال به أمله ومراده فلا يفعله، هذا ما لا يتصور في العقل ولا يتثبت في الوهم، وفي عجزهم الذي ذكرناه حجّة في معجز القرآن في صحّة نبوّة نبينا.

«وينابيع العلم وبحوره» ﴿...ما فرطنا في الكتاب من شيء...﴾[١] ﴿...ولا رَطْبٍ ولا يابس إلّا في كتاب مبين﴾[٢].

قال الكراجكي: ومن اعجاز القرآن، ما تضمنه من أخبار الدهور الماضية، وأحوال القرون الخالية، وأنباء الأُمم الغابرة، ووصف الديار الداثرة، وقصص الأنبياء المتقدمين، وشرح أحكام أهل الكتابين. ممّا لا يقدر عليه إلّا من اختص بهم، وانقطع إلى الاطّلاع في كتبهم، وسافر في لقاء علمائهم وصحب رؤساءهم، ولمّا كان نبينا ﷺ معلوم المولد والدار والمنشأ والقرار لا تخفى أحواله، ولا تستتر أفعاله، لم يلف قط قبل بعثته مدارساً لكتاب، ولا رؤى مخالطاً لأهل الكتاب، ولم يزل معروفاً بالانفراد عنهم، غير مختص بأحدٍ منهم، ولا سافر لاتباع عالم سرّاً ولا جهراً، ولا احتال في نيل ذلك أوّلاً ولا آخراً، علم انّه لم يأخذ ذلك إلّا عن ربّ العالمين، وثبت اعجاز القرآن الوارد على يده وكان قوله تعالى: ﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر

---

(١) الانعام : ٣٨.

(٢) الانعام : ٥٩.

وما كنت من الشاهدين﴾[١] ﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما اتاهم من نذير من قبلك لعلّهم يتذكرون﴾[٢] ـ يعضد ما ذكرناه.

قال: ومن ذلك أيضاً ما ثبت في القرآن من الاخبار بالكائنات قبل كونها واعلام ما في القلوب وضمائرها كقوله تعالى في يهود خيبر: ﴿لن يضروكم إلّا أذىً وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون﴾[٣] وكان الأمر في هزيمتهم وخذلانهم كما قال سبحانه ـ وقال في قصة بدر تشجيعاً للمسلمين واخباراً لهم عن عاقبة أمرهم وأمر المشركين: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾[٤] فكان ذلك يقيناً كما قال سبحانه ـ وقال فيهم: ﴿...الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون...﴾[٥] فكان الظفر قريباً كما قال سبحانه ـ وقال تعالى: ﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها...﴾[٦] يعني العراق وفارس، وكان الأمر كما قال سبحانه ـ وقال تعالى: ﴿ألم غلبت الروم* في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون* في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾[٧] فأخبر تعالى عن ظفرهم بعد غلبهم، وحدّد زمانه وحصره فكان

---

(١) القصص : ٤٤ .

(٢) القصص : ٤٦ .

(٣) آل عمران : ١١١ .

(٤) القمر : ٤٥ .

(٥) الانفال : ٣٦ .

(٦) الاحزاب : ٢٧ .

(٧) الروم : ١ ـ ٥ .

الأمر فيه حسب ما قال ـ وقال عزوجل: ﴿يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين* ولا يتمنونه أبداً بما قدّمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾[١] فقطع على بغيهم واعلم انّهم لا يتمنون الموت، فلم يقدر أحد منهم على دفعه وكان الأمر في ذلك موافقاً لمّا قال سبحانه ـ وقال تعالى: ﴿...ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول...﴾[٢] فأخبر عن ضمائرهم بما في سرائرهم وكان الأمر كما قال سبحانه ـ وقال تعالى في أبي لهب وهو حي متوقع منه الايمان والبصيرة والاسلام ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾[٣] فمات على كفره ولم يصر إلى الاسلام ـ وقال لنبيه ﷺ ﴿إنّا كفيناك المستهزئين﴾[٤] وكلّهم يومئذ حي عزيز في قومه، فأهلكهم الله أجمعين وكفاه أمرهم على ما أخبر به سبحانه ـ وأمثال ذلك كثيرة يطول بها الكتاب وقد ذكرها أهل العلم، وهذا طرف منها يدل على معجزة القرآن وصدق من أتى به.

«ورياض» جمع الروضة.

«العدل وغدرانه» جمع الغدير، القطعة من الماء غادرها السيل ـ ﴿انّه لقول رسول كريم* وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون* ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون* تنزيل من ربّ العالمين﴾[٥].

«واثافي الاسلام» استعارة من اثافي القدر الأحجار التي يوضع عليها.

«وبنيانه» والأصل فيه بنيان البيت.

---

(١) الجمعة: ٦ ـ ٧.

(٢) المجادلة: ٨.

(٣) تبت: ١.

(٤) الحجر: ٩٥.

(٥) الحاقة: ٤٠ ـ ٤٢.

قال هشام بن الحكم : اجتمع ابن أبي العوجاء وأبو شاكر الديصاني وعبد الملك البصري، وابن المقفع عند بيت الله الحرام يستهزؤون بالحاج، ويطعنون على القرآن ـ فقال ابن أبي العوجاء لهم: تعالوا ينقض كلّ واحد منّا ربع القرآن، وميعادنا من قابل في هذا الموضع نجتمع فيه، وقد نقضنا القرآن كلّه، وان في نقض القرآن إبطال نبوّة محمّد، وفي إبطال نبوّته إبطال الاسلام واثبات ما نحن فيه، فاتفقوا على ذلك وافترقوا على ذلك، فلمّا كان من قابل اجتمعوا ثمة، فقال لهم ابن أبي العوجاء: أما أنا فمتفكر منذ افترقنا في هذه الآية: ﴿فلمّا استيأسوا منه خلصوا نجيا...﴾[1] فما أقدر أن أضم إليها في فصاحتها، وجمع معانيها، فشغلتني هذه الآية عن التفكّر في ما سواها ـ فقال عبد الملك: أنا متفكّر في هذه الآية ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾[2] فلم أقدر على الاتيان بمثلها.

فقال أبو شاكر وأنا منذ فارقتكم متفكّر في هذه الآية: ﴿لو كان فيهما آلهةٌ إلّا الله لفسدتا...﴾[3] فلم أقدر على الاتيان بمثلها فقال ابن المقفع: يا قوم ان هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر وأنا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآية: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي...﴾[4] فلم أبلغ غاية معرفتها ولم أقدر على الاتيان بمثلها ـ فبيناهم في ذلك إذ مر بهم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال: ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا

---

(١) يوسف : ٨٠.

(٢) الحج : ٧٣.

(٣) الانبياء : ٢٢.

(٤) هود : ٤٤.

القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾[1] فنظر القوم بعضهم إلى بعض وقالوا: لئن كان للاسلام حقيقة لمّا انتهت وصيّة محمّد إلّا إلى هذا، والله ما رأيناه قط إلّا هبنا واقشعرت جلودنا لهيبته ثم تفرّقوا مقرين بالعجز.

«وبحر لا ينزفه» قال الجوهري: يقال (نزفت ماء البئر) إذا نزحته كلّه و (نزفت هي) يتعدى ولا يتعدى.

«وعيون لا ينضبها» بضم المضارعة من (نضب الماء) غار في الأرض وسفل.

«الماتحون» أي: المستقون.

في خصائص المصنف باسناده إلى الباقر عليه السلام: قدم اسقف نجران على عمر، فقال: ان أرضنا أرض باردة شديدة المؤنة لا تحتمل الجيش، وانا ضامن لخراج أرضي، أحمله إليك في كلّ عام كاملاً ـ فكان يقوم هو بالمال بنفسه، ومعه أعوان له حتى يوفيه بيت المال ويكتب له عمر البراءة، فقدم ذات عام ـ وكان شيخاً جميلاً ـ فدعاه عمر إلى الاسلام ـ وأنشأ يذكر فضل الاسلام وما يصير إليه المسلمون من النعيم والكرامة فقال الأسقف: يا عمر أنتم تقرأون في كتابكم ان لله جنّه عرضها كعرض السماء والأرض، فأين تكون النار؟ فسكت عمر ونكّس رأسه! ـ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ـ وكان حاضراً ـ أنا أُجيبك، إذا جاء النهار أين يكون الليل؟ وإذا جاء الليل أين يكون النهار؟ ـ فقال الأسقف: ما كنت أرى ان أحداً يجيبني عن هذه المسألة من هذا الفتى، قال عمر هذا خَتَنُ النبي صلى الله عليه وآله وابن عمّه وأوّل مؤمن به، هذا أبو الحسن والحسين عليهما السلام ـ إلى أن قال ـ قال الأسقف: اخبرني يا عمر عن شيء في أيدي أهل الدنيا شبيهة بثمار أهل الجنّة فقال: سل الفتى فقال عليه السلام: هو القرآن يجتمع أهل الدنيا عليه

---

(١) الاسراء : ٨٨.

فيأخذون منه حاجتهم، ولا ينقص منه شيء، وكذلك ثمار أهل الجنّة فقال الأسقف: صدقت يا فتى[1].

«ومناهل» قال الجوهري: المنهل: المورد وهو عين ماء ترده الابل في المراعي وتسمّى المنازل التي في المفاوز على طرق السفار مناهل لأن فيها ماء.

«لا يغيضها» قال الجوهري: (غاض الماء يغيض) أي: قلّ ونضب وغاضه الله، يتعدّى ولا يتعدّى؛ وأغاضه الله أيضاً.

«الواردون» قال الرضا عليه السلام: القرآن لا يخلق على الأزمنة، ولا يغث على الألسنة، لأنّه لم يجعل لزمان، بل جعل الدليل البرهان، وحجّة على الإنسان،وقال فيه الله تعالى: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾[2].

«ومنازل لا يضل نهجها» أي: طريقها.

«المسافرون» ﴿ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم...﴾[3] ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا﴾[4].

«واعلام» أي: علائم.

«لا يعمى عنها السائرون» قيل لابرهة بن الحارث من ملوك اليمن ذو المنار لأنّه أوّل من ضرب المنار على طريقه في مغازيها ليهتدي بها إذا رجع.

«وآكام» جمع أكمة بالتحريك، قال الفيروزآبادي: التل من القُفّ من حجارة واحدة، أو هي دون الجبال.

«لا يجوز عنها القاصدون» بل يكتفون بها.

---

(١) خصائص الأئمة للشريف الرضي: ٩٠ ـ ٩١ تحقيق الأميني، مشهد المقدسة.

(٢) فصّلت : ٤٢ .

(٣) الاسراء : ٩ .

(٤) الكهف : ١ .

في (تفسير) القمي: اجتمعت قريش إلى الوليد بن المغيرة، وقالوا له: يا أبا عبد شمس ما قرآن محمّد أشعر أم كهانة أم خطب؟ فقال: دعوني أسمع كلامه، فدنا منه فقال: يا محمّد انشدني من شعرك، قال: ما هو شعر ولكن كلام الله الذي ارتضاه ملائكته وأنبياؤه ورسله، فقال: امل علي شيئاً منه فقرأ النبي صلى الله عليه وآله «حم السجدة» ﴿حم* تنزيل من الرحمن الرحيم﴾[1] ـ فلمّا بلغ إلى قوله ـ ﴿فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عاد وثمود﴾[2] ـ اقشعر الوليد، وقامت كلّ شعرة في رأسه ولحيته ومرَّ إلى بيته، ولم يرجع إلى قريش فمشوا إلى أبي جهل، وقالوا: يا أبا الحكم ان أبا عبد شمس صبا إلى دين محمّد أما تراه لا يرجع إلينا، فغدا أبو جهل إلى الوليد، فقال: يا عم نكسّت رؤسنا، وأشمتَّ بنا عدوّنا، وصبوت إلى دين محمّد ـ قال: ما صبوت إلى دينه، ولكني سمعت كلاماً صعباً تقشعر منه الجلود ـ فقال له أبو جهل: اخطب هو؟ قال: لا ان الخطب كلام متصل وهذا لا يشبه بعضه بعضاً ـ قال أفشعر هو؟ قال: لا أما اني لقد سمعت أشعار العرب بسيطها ومديدها ورملها ورَجَزها ما هو بشعر قال: فما هو؟ قال: دعني أُفكّر فيه ـ فلمّا كان من الغد قالوا يا أبا عبد شمس ما تقول في ما قلناه؟ قال: قولوا: هو سحر!! فانّه آخذ بقلوب الناس فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا﴾[3] ـ الآيات.

«جعله الله رياً» بالكسر والفتح.

«لعطش العلماء» وطالب العلم وان كان لا يشبع ولا يروى من تحصيل العلم إلّا انّه لمّا كان القرآن بحراً وفيه تبيان كلّ شيء ينقع غليله به.

---

(١) فصلت: ١ ـ ٢.

(٢) فصلت: ٣١.

(٣) المدثر: ١١.

«وربيعاً لقلوب الفقهاء» المراد بالربيع فصله الموجد للازهار والأنوار والمدرك للأقوات والغلّات ـ وقال ابن أبي الحديد الربيع هنا الجدول ويجوز إرادة المطر في الربيع ـ وهو كما ترى.

«ومحاج» جمع المحجّة جادة الطريق.

«لطرق الصلحاء» ﴿ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجراً كبيرا﴾[1].

«ودواء ليس بعده داء» ﴿...فقد جاءكم بيّنة من ربكم وهدىً ورحمة...﴾[2].

«ونوراً ليس معه ظلمة» ﴿الر كتاب أنزلناه لتخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾[3].

«وحبلاً وثيقاً عروته» ﴿ان هو إلّا وحيٌ يوحى * علمه شديد القوى﴾[4].

«ومعقلاً» أي: ملجأ.

«منيعاً ذروته» أي: أعلاه.

«وعزّاً لمن تولّاه» روى (ثواب الأعمال) عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ان أهل القرآن في أعلى درجة من الآدميين ما خلا النبيين والمرسلين ولا تستضعفوا أهل القرآن وحقوقهم فان لهم من الله لمكاناً.

وروى (الأمالي) عنه صلى الله عليه وآله قال: اشراف أُمتي حملة القرآن وأصحاب الليل[5].

---

(١) الاسراء: ٩.

(٢) الانعام: ١٥٧.

(٣) ابراهيم: ١.

(٤) النجم: ٤ ـ ٥.

(٥) الأمالي للصدوق: ١٤١. نقله المجلسي في «البحار» ٨٩: ١٧٧ رواية ٢.

«وسلماً لمن دخله» روى (ثواب الأعمال) عن الصادق عليه السلام قال: يعجبني أن يكون في البيت مصحف يطرد الله به الشيطان.

«وهدى لمن ائتم به» أي: اقتدى.

«وعذراً لمن انتحله» انتسب إليه.

«وبرهاناً لمن تكلّم به» ﴿ولو ان قرآناً سيّرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلّم به الموتى...﴾[1].

«وشاهداً لمن خاصم به» في (تاريخ اليعقوبي): في ما نقم الناس على عثمان انّه رجم امرأة من جهينة دخلت على زوجها فولدت لستة أشهر فأمر عثمان برجمها فلمّا أخرجت دخل عليه علي عليه السلام فقال: ان الله تعالى يقول: ﴿...وحمله وفصاله ثلاثون شهراً...﴾[2] وقال في رضاعه: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين...﴾[3] فأرسل عثمان في أثر المرأة فوجدت قد رجمت وماتت!! واعترف الرجل بالولد.

«وفلجاً لمن حاج به» أي: ظفراً له.

روى (الإرشاد) عن قيس بن الربيع قال: سألت أبا إسحاق عن المسح على الخفين، قال: قال محمد بن علي عليه السلام: لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام يمسح على الخفين، وكان يقول: سبق الكتاب المسح على الخفين، قال أبو إسحاق: فما مسحت منذ نهاني.

«وحاملاً لمن حمله» فكلّ من كان حاملاً لكتب الله تكون هي أيضاً حاملة له، قال تعالى: ﴿ولو انّهم أقاموا التوراة والانجيل وما أُنزل اليهم من ربهم

---

(١) الرعد: ٣١.

(٢) الاحقاف: ١٥.

(٣) البقرة: ٢٣٣.

لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم...﴾[١] واما من لم يكن حاملاً لها فكما قال تعالى: ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا...﴾[٢].

«ومطية لمن أعمله» في (تفسير القمي) عن السجاد عليه السلام: عليك بالقرآن، فان الله تعالى خلق بيده الجنّة لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وجعل ملاطها المسك وترابها الزعفران وحصاها اللؤلؤ، وجعل درجاتها على قدر آيات القرآن فمن قرأ القرآن قال له اقرأ وارق[٣] ـ الخبر ـ.

«وآية لمن توسّم» أي: تفرّس، قال تعالى ـ بعد ذكر أخذ الصيحة لقوم لوط مشرقين وجعل عالي مدينتهم سافلها وأمطار حجارة من سجيل عليهم ـ ﴿ان في ذلك لآية للمتوسمين﴾[٤].

والمراد ان من كان متوسماً يكون القرآن آية وعلامة له بأنّه ليس من عند غير الله ـ ولمّا قال النجاشي ملك الحبشة لجعفر الطيار: هل تحفظ ممّا أنزل الله تعالى على نبيّك شيئاً؟ قال: نعم فقرأ عليه سورة مريم: ﴿كهيعص * ذكر رحمتِ ربك عبده زكريا﴾[٥] فلمّا بلغ إلى قوله: ﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا* فكلي واشربي وقرّي عينا...﴾[٦] فلمّا سمع النجاشي بهذا بكى بكاءً شديداً وقال: هذا والله هو الحق، وفيه انزل: ﴿وإذا سمعوا ما انزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ممّا عرفوا من الحق يقولون

(١) المائدة: ٦٦.

(٢) الجمعة: ٥.

(٣) تفسير القمي ٢: ٢٥٩.

(٤) الحجر: ٧٥.

(٥) مريم: ١ ـ ٢.

(٦) مريم: ٢٥ ـ ٢٦.

ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾[١].

«وجُنّة لمن استلأَمَ» أي: لبس اللّامة وهي الدرع.

«وعلماً لمن وعى» أي: حفظ بجعل اذنه وعاء له.

«وحديثاً لمن روى» قال ابن أبي الحديد سمّاه الله تعالى حديثاً في قوله ﴿الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً...﴾[٢] واستدلّ أصحابنا به على كون القرآن غير قديم، ألا ترى إلى قول عمر ولمعاوية: قد مللْتُ كلّ شيء إلّا الحديث فقال انما يمل العتيق.

قلت وكذا في قوله تعالى: ﴿فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين﴾[٣] وفي قوله تعالى في الأعراف والمرسلات: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾[٤] وفي قوله تعالى: ﴿...فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾[٥] وفي قوله تعالى: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾[٦].

هذا، وفي (تاريخ بغداد)، قال سلمة بن عمرو القاضي على المنبر: لا رحم الله أبا حنيفة فانّه أوّل من زعم ان القرآن مخلوق.

«وحكماً لمن قضى» ﴿انّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما﴾[٧].

---

(١) المائدة : ٨٣.

(٢) الزمر : ٢٣.

(٣) الطور : ٣٤.

(٤) المرسلات : ٥٠.

(٥) الجاثية : ٦.

(٦) الكهف : ٦.

(٧) النساء : ١٠٥.

١٠
الحكمة (٣١٣)

وقال عليه السلام:

وَفِي ٱلْقُرْآنِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُم؛ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ.

أقول: رواه المسعودي والعياشي وابن قتيبة، وابن عبد ربه مع زيادات[١].

قال الأول: توفي الحارث الأعور صاحب علي عليه السلام في أيام عبد الملك وهو الذي دخل على علي عليه السلام فقال له: ألا ترى إلى الناس قد أقبلوا على هذه الأحاديث، وتركوا كتاب الله ـ قال عليه السلام: وقد فعلوا قال: نعم ـ قال: أما اني سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: ستكون فتنة، قلت فما المخرج منها؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن أراد الهدى في غيره أضلّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم والصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ عنه العقول، ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبه، ولا يعلم علم مثله وهو الذي لمّا سمعته الجن ﴿...فقالوا انّا سمعنا قرآنا عجبا* يهدي إلى الرشد...﴾[٢] ومن قال به صدق، ومن زلّ عنه عدا، ومن عمل به اجر، ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم، خذها إليك يا أعور.

وقال الثاني في (تفسيره): «يوسف بن عبد الرحمان رفعه إلى الحارث الأعور، قال سمعنا أشياء مغموسة مختلفة لا ندري ما هي قال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: أتاني جبرئيل. فقال ستكون في

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣: ٢٣٩، طبع دار الكتاب العربي ـ بيروت.

(٢) الجن: ١ ـ ٢.

أُمتك فتنة، فقلت فما المخرج منها فقال: كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خبر وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم» -إلى آخر ما في (المروج) مع أدنى اختلاف.

وقال الثالث في (عيونه) روى الحارث الأعور عن علي عليه السلام قال: كتاب الله فيه خبر ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عنه كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه -الخ مع أدنى اختلاف.

ومثله الرابع في (عقده) ومن الأصل فيه يظهر ان الأصل في كلامه عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله.

«وفي القرآن» هكذا في (المصرية) والصواب: (في القرآن) كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية.

«نبأ ما قبلكم» قال تعالى في أصحاب الكهف: ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق...﴾[1] - وقال في قصة يوسف عليه السلام: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين﴾[2] - وقال في قصّة باقي الأنبياء إجمالاً: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك...﴾[3] - وقال في سورة القصص: ﴿نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون﴾[4] - ونصف السورة في قصّة موسى كما ان سورة يوسف عليه السلام أكثرها في قصته - وقصص آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم واسحاق ويعقوب ولوط وشعيب وسليمان وداود وموسى وعيسى عليهم السلام مبثوثة في مطاويه - وكثير منها قبل

---

(١) الكهف: ١٣.

(٢) يوسف: ٣.

(٣) المؤمن: ٧٨.

(٤) القصص: ٣.

نزول القرآن كان غير معلوم لأحد ومنها قصة يوسف عليه السلام فقال تعالى فيها: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك...﴾[1] ـ هذا ان اريد بقوله : «ما قبلكم» أنبياء السلف ويمكن أن يراد به الصانع جلّ اسمه ويمكن أن يراد به الأعم منهما.

ومن آيات القرآن في أنباء ما قبلنا اخباره عن ذكر النبي صلى الله عليه وآله في كتب اليهود والنصارى قال تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأُمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل...﴾[2].

فلولا كان اسمه مذكوراً فيهما لكذّبوه، ولو كانوا كذّبوا لمّا خفي ذلك مع توفر الدواعي ولارتد عنه اتباعه، بل قال: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم...﴾[3] فدل على ان ذكره صلى الله عليه وآله في كتبهم ونعتها له صلى الله عليه وآله بحد صار الأمر به من البديهيات.

ومن آياته اشتماله على عدم جرأة اليهود تمني الموت في قباله، وعدم جرأة النصارى على المباهلة في مقابلته ـ قال تعالى: ﴿...يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونهُ أبداً بما قدّمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾[4] ـ ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءَنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾[5] ـ والثاني وان لم يصرّح فيه بعدم مباهلتهم إلّا انّه معلوم التواتر وبالدراية، فلو كانوا ابتهلوا ولم يصبهم شيء لصار ذلك سبباً لطعن الكفار والمنافقين في الاسلام بل

---

(١) آل عمران : ٤٤.

(٢) الأنعام : ٢٠.

(٣) الأنعام : ٢٠.

(٤) الجمعة : ٦ ـ ٧.

(٥) آل عمران : ٦١.

ارتداد المسلمين عنه، ومعلوم بالضرورة عدم حصول شيء من ذلك.

«وخبر ما بعدكم» يمكن أن يراد به أخبار القيامة والمعاد والثواب والعقاب، والجنّة والنار، فالقرآن مشحون من أخبارها ـ ويمكن أن يراد به أخباره عمّا يأتي كاخباره عن مغلوبية فارس عن الروم بعد غلبتها عليها ـ قال تعالى: ﴿الم* غلبت الروم* في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون* في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون* بنصر الله ينصر من يشاء...﴾[١].

وكاخباره عن مغلوبية قريش في بدر، قال تعالى: ﴿وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين* ليحق الحق ويبطل الباطل...﴾[٢].

وكاخباره عن مغلوبية يهود خيبر، قال تعالى: ﴿...وان يقاتلوكم يولّوكم الأدبار ثم لا ينصرون﴾[٣] ـ ويمكن إرادة الأعم.

«وحكم ما بينكم» من مسائل الحلال والحرام، ولقد صنّفوا كتباً في آيات أحكامه، ومن اصول الاسلام ففيه ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والمعصومين من عترته في قوله تعالى: ﴿انما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون* ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون﴾[٤] ـ كما في قول النبي صلى الله عليه وآله : «من كنت مولاه فعلي مولاه».

وفي قوله تعالى : ﴿...انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت

---

(١) الروم : ١ ـ ٥.

(٢) الانفال : ٧ ـ ٨.

(٣) آل عمران : ١١١.

(٤) المائدة : ٥٥ ـ ٥٦.

ويطهّركم تطهيرا﴾[١] ـ وفي قوله تعالى: ﴿فمن حاجّك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾[٢].

وروى محمد بن يعقوب مسنداً عن الأصبغ قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: نزل القرآن اثلاثاً، ثلث فينا وفي عدوّنا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام.

وروى ابن المغازلي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ان القرآن أربعة أرباع، فربع فينا أهل البيت خاصة، وربع حلال، وربع حرام، وربع فرائض وأحكام، والله أنزل فينا كرائم القرآن[٣].

١١
من الخطبة (١٥٣)

فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ؛ وَالنُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ؛ ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَنْطِقَ وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عنْهُ، أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي وَالْحَدِيثَ عَنِ المَاضِي؛ وَدَوَاءَ دَائِكُمْ؛ وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ.

أقول: رواه (الكافي) في باب الرد إلى الكتاب والسنة عن محمد بن يحيى عن بعض أصحابه عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أيها الناس ان الله تبارك وتعالى أرسل إليكم الرسول وأنزل عليه الكتاب بالحق وأنتم أُميون عن الكتاب ومن أنزله وعن الرسول ومن أرسله ـ إلى أن قال ـ فجاءهم بنسخة ما في الصحف

---

(١) الاحزاب: ٣٣.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) لا جود له في كتاب «مناقب علي بن أبي طالب» لابن المغازلي، المكتبة الاسلامية ـ طهران. نقله المجلسي في «البحار» ٢٤: ٣٠٥ رواية ٢ باب ٦٧ عن «كنز الفوائد».

الأولى وتصديق الذي بين يديه وتفصيل الحلال من ريب الحرام ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم أخبركم عنه، ان فيه علم ما مضى، وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم، وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون فلو سألتموني عنه لعلّمتكم.

«فجاءهم بتصديق الذي بين يديه» أي: التوراة والإنجيل والأصل فيه قوله تعالى: ﴿نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لمّا بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان﴾[1].

﴿وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيلَ الكتاب...﴾[2] ﴿وهدى ورحمة لقوم يوقنون﴾[3] ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أُم القرى ومن حولها...﴾[4].

﴿قل من كان عدوّاً لجبريل فانّه نزّله على قلبك باذن الله مصدقاً لمّا بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين﴾[5].

﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لمّا بين يديه﴾[6] - ﴿...انّا سمعنا كتاباً أنزل بعد موسى مصدقاً لمّا بين يديه يهدي إلى الحق وإلى صرايق مستقيم﴾[7] ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لمّا بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه...﴾[8].

---

(١) آل عمران : ٣.
(٢) يونس : ٣٧.
(٣) الجاثية : ٢٠.
(٤) الانعام : ٩٢.
(٥) البقرة : ٩٧.
(٦) فاطر : ٣١.
(٧) الاحقاف : ٣٠.
(٨) المائدة : ٤٨.

وأما نسخه لبعض ما فيهما فلا ينافي تصديقه لمّا فيهما. فالقرآن ينسخ بعضه بعضاً والنسخ أيضاً نوع تصديق ـ كما ان نسخ النبي صلى الله عليه وآله لشرائع من تقدّم عليه من الرسل لا ينافي تصديقه لهم ـ وكيف لا والكافر بموسى وعيسى كافر به.

«والنور» عطف على (تصديق).

«المقتدى به» هكذا في النسخ والظاهر كونه تصحيف (المهتدى به) فالنور يهتدى به لا يقتدى به.

«ذلك» مبتدأ.

«القرآن» خبره.

«فاستنطقوه» بالنطق المعنوي.

«ولن ينطق» نطقاً ظاهراً كبشر ينطق.

«ولكن أخبركم عنه» كان عليه السلام يخبر عن التوراة والانجيل والزبور كما يخبر عن القرآن ذكر الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَمن كان على بيّنة من ربه ويتلوه شاهد منه...﴾[1] عن زاذان قال: قال علي عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الانجيل بانجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم ـ والذي نفسي بيده ما من رجل من قريش جرت عليه المواسي إلّا وأنا أعرف له آية تسوقه إلى الجنّة أو تقوده إلى النار، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين فما آيتك التي أُنزلت فيك؟ فقال: ﴿أفمن كان على بيّنة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾[2] فالنبي صلى الله عليه وآله على بيّنة وأنا شاهد منه[3].

---

(١) هود: ١٧.

(٢) هود: ١٧.

«ألا ان فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي» كقوله عليه السلام (في سابقه وفي القرآن نَبأ ما قبلكم وخير ما بعدكم).

«ودواء دائكم» قالوا لاشتماله على الفضائل العلمية والعملية التي بها يحصل اصلاح النفوس والشفا من الأمراض النفسانية.

«ونظم ما بينكم» ﴿...وتفصيل كلّ شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾[٤].

هذا، وروى فضل قرآن الكافي قبل نوادره باسناد ضعيف عن الأصبغ عنه عليه السلام والذي بعث محمّدا صلى الله عليه وآله بالحق نبياً وأكرم أهل بيته، ما من شيء تطلبونه من حرق أو غرق أو شرق أو افلات دابة من صاحبها أو ضالة أو آبق إلّا وهو في القرآن فمن أراد ذلك فليسألني عنه، فقام رجل فقال: اخبرني عمّا يؤمن من الحرق والغرق فقال: اقرأ ﴿...الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾[٥] ﴿وما قدروا الله حق قدره ـ إلى ـ وتعالى عمّا يشركون﴾[٦] فقرأها رجل واضطرمت النار في بيوت جيرانه وبيته وسطها فلم يصبه شيء ـ ثم قام إليه آخر فقال: ان دابتي استصعبت علي وأنا منها على وجل، فقال: اقرأ في اذنها اليمنى ﴿...وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يُرجعون﴾[٧] فقرأها فذلت له دابته ـ وقام إليه آخر فقال: ان أرضي مسبعة وان السباع تغشى منزلي ولا تجوز حتى تأخذ فريستها فقال: اقرأ ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين

---

(٣) ذكر الطوسي ما يشابهه في «الأمالي» في المجلس الثالث عن رقم ٨٠٠.

(٤) يوسف : ١١١ .

(٥) الاعراف : ١٩٦ .

(٦) الزمر : ٩٧ .

(٧) آل عمران : ٨٣ .

رؤف رحيم* فان تولوا فقل حسبي الله لا إله إلّا هو عليه توكلت وهو ربّ العرش العظيم﴾[1] فقرأها الرجل فاجتنبته السباع ـ ثم قام إليه آخر فقال: ان في بطني ماء أصفر فهل من شفاء؟ فقال: اكتب على بطنك آية الكرسي وتغسلها وتشربها وتجعلها ذخيرة في بطنك، ففعل الرجل فبرئ باذن الله تعالى ـ ثم قام إليه آخر فقال: اخبرني عن الضالة فقال اقرأ (يس) في ركعتين وقل (يا هادي الضالة رد عليّ ضالتي) ففعل فرد الله عليه ضالته ـ ثم قام إليه آخر فقال اخبرني عن الآبق فقال اقرأ:

﴿أو كظلمات في بحر لجي ـ إلى ـ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾[2] فقالها الرجل فرجع إليه الابق ـ ثم قام إليه آخر فقال: أخبرني عن السرق فانّه لا يزال قد يسرق لي الشيء بعد الشي ليلاً، فقال: اقرأ إذا آويت إلى فراشك ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ـ إلى ـ وكبره تكبيرا﴾[3] ثم قال عليه السلام: من بات بأرض قفر فقرأ ﴿ان ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ـ إلى ـ تبارك الله ربّ العالمين﴾[4] حرسته الملائكة وتباعدت عنه الشياطين، فمضى الرجل فاذا هو بقرية خراب فبات فيها ولم يقرأ الآية فتغشاه الشيطان فاذا هو آخذ بخطمه، فقال له صاحبه انظره فاستيقظ الرجل فقرأ الآية فقال الشيطان لصاحبه ارغم الله أنفك أحرسه الآن حتى يصبح، فلمّا اصبح الرجل رجع إليه عليه السلام وقال له: رأيت في كلامك الشفاء والصدق ـ (ومضى بعد طلوع الشمس فاذا هو بأثر شعر الشيطان مجتمعاً في الأرض).

---

(١) التوبة : ١٢٨ ـ ١٢٩ .

(٢) النور : ٤٠ .

(٣) الاسراء : ١١٠ ـ ١١١ .

(٤) الاعراف : ٥٤ .

١٢
الخطبة (١٤٣)

من خطبة له عليه السلام :

فَبَعثَ الله مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله ، بِالْحقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ ٱلْأَوْثَانِ ، إِلَى عِبَادَتِهِ ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ ٱلْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ. فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ، وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالمَثُلاَتِ. وَٱحْتَصَدَ مَنِ ٱحْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ! وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ ٱلْحَقِّ، وَلَا أَظْهَرَ مِنَ ٱلْبَاطِلِ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ ٱلْكَذِبِ عَلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ؛ وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ ٱلْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِهِ، وَلَا أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ؛ وَلَا فِي ٱلْبِلاَدِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ، وَلَا أَعْرَفَ مِنَ المُنْكَرِ! فَقَدْ نَبَذَ ٱلْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ: فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ. فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ، وَمَعَهُمْ وَلَيسا مَعَهُمْ! لِأَنَّ الضَّلاَلَةَ لَا تُوَافِقُ ٱلْهُدَى، وَإِنِ ٱجْتَمَعَا. فَٱجْتَمَعَ ٱلْقَوْمُ عَلَى ٱلْفُرْقَةِ، وَٱفْتَرَقُوا عَنِ ٱلْجَمَاعَةِ، كَأَنَّهُم أَئِمَّةُ ٱلْكِتَابِ وَلَيْسَ ٱلْكِتَابُ إِمَامَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا ٱسْمُهُ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلاَّ خَطَّهُ وَزَبْرَهُ. وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى ٱللهِ فِرْيَةً، وَجَعَلُوا فِي ٱلْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ، وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ المَوْعُودُ ٱلَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ المَعْذِرَةُ،

وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ، وَتَحُلُّ مَعَهُ ٱلْقَارِعَةُ وَالنِّقْمَةُ. أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، إِنَّهُ مَنِ ٱسْتَنْصَحَ ٱللهَ وُفِّقَ، وَمَنِ ٱتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلاً هُدِيَ «لِلَّتِي هِيَ اَقوَمُ»؛ فَإِنَّ جَارَ ٱللهِ آمِنٌ، وَعَدُوَّه خَائِفٌ، وَإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ ٱللهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ، فَإِنَّ رِفْعَةَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ ما عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وَسَلاَمَةَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ. فلاَ تَنْفِرُوا مِنَ ٱلْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ ٱلْأَجْرَبِ، وَٱلْبَارِئَ مِنْ ذِي السَّقَم.

أقول رواه آخر (الروضة) في خبره (٥٨٦) عن أحمد بن محمد، عن سعد بن المنذر بن محمد، عن أبيه عن جدّه، عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جدّه، قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام ـ ورواها غيره، وذكر انّه خطب بذي قار ـ الخ ـ ومنه يظهر انّه عليه السلام خطب به في خروجه إلى الجمل.

«**فبعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان**» جمع الوثن، قال الجوهري: الوثن كلّ ما له جثة معمولة من جواهر الأرض، أو من الخشب والحجارة كصورة الآدمي يعمل وينصب فيعبد، والصنم الصورة بلا جثة، ومنهم من لم يفرّق بينهما، وقد يطلق الوثن على غير الصورة، ومنه حديث عدي بن حاتم، قدمت على النبي صلى الله عليه وآله وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي الق هذا الوثن عنك.

«**إلى عبادته**» ﴿أمر ألا تعبدوا إلّا إيّاه﴾[1].

«**ومن طاعة الشيطان إلى طاعته**» ﴿الم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انّه لكم عدوٌ مبين* وان اعبدوني هذا صراط مستقيم﴾[2].

«**بقرآن قد بيّنه وأحكمه**» أي: جعله محكماً.

---

(١) يوسف: ٤٠.

(٢) يس: ٦٠ ـ ٦١.

﴿...قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين* يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾[١].

«ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه، وليقروا به إذ جحدوه، وليثبتوه بعد إذ أنكروه»

﴿وان كنتم في ريب ممّا نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين* فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أُعدّت للكافرين﴾[٢].

﴿أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين﴾[٣].

«فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته وخوّفهم من سطوته» في (تفسير) القمي في ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا﴾[٤] - كان الوليد بن المغيرة شيخاً كبيراً من دهاة العرب وكان من المستهزئين بالنبي ﷺ وكان ﷺ يقعد في الحجرة ويقرأ القرآن، فاجتمعت قريش إلى الوليد وقالوا يا أبا عبد شمس ما هذا الذي يقول محمّد، أشعر هو أم كهانة أم خطب؟ فقال: دعوني اسمع كلامه فدنا من النبي ﷺ وقال له انشدني من شعرك قال: ما هو بشعر ولكن كلام الله الذي ارتضاه ملائكته وأنبياؤه ورسله وقال اتل علي منه شيئاً فقرأ النبي ﷺ «حم السجدة» فلمّا بلغ إلى قوله : ﴿فان اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾[٥]

(١) المائدة : ١٥ ـ ١٦ .

(٢) البقرة : ٢٣ ـ ٢٤ .

(٣) يونس : ٣٨ .

(٤) المدثر : ١١ .

(٥) فصلت : ١٣ .

فاقشعر الوليد، وقامت كلّ شعرة في رأسه ولحيته، ومر إلى بيته ولم يرجع إلى قريش فمشوا إلى أبي جهل فقالوا يا أبا الحكم ان أبا عبد شمس صبا إلى دين محمّد أما تراه لا يرجع إلينا فعدا أبو جهل إلى الوليد فقال: يا عم نكست رؤوسنا، وأشمت بنا عدوّنا، وصبوت إلى دين محمد؟ قال: ما صبوت إلى دينه ولكني سمعت كلاماً صعباً تقشعر منه الجلود فقال له أبو جهل اخطب هو؟ قال لا، ان الخطب كلام متصل وهذا كلام منثور لا يشبه بعضه بعضاً. قال أفشعر؟ قال لا أما اني لقد سمعت أشعار العرب بسيطها ومديدها ورملها ورجزها وما هو بشعر قال فما هو؟ قال دعني افكر فيه فلمّا كان من الغد. قالوا يا أبا عبد شمس ما تقول فيه قال قولوا هو سحر فانّه آخذ بقلوب الناس فانزل تعالى ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا﴾[1] الخ.

«وكيف محق» أي: ابطل ومحا.

«من محق بالمثلات» أي: العقوبات.

قال تعالى ﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات...﴾[2].

«واحتصد من احتصد بالنقمات» وقال تعالى ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاؤوهم بالبيّنات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين﴾[3] ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشأنا بعدها قوماً آخرين* فلمّا أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون* لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلّكم تسئلون* قالوا يا ويلنا إنّا كنّا ظالمين*

---

(١) المدثر: ١١.

(٢) الرعد: ٦.

(٣) الروم: ٤٧.

فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين﴾[١].

﴿الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل* -إلى- فجعلهم كعصف مأكول﴾[٢].

«وانه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل ولا أكثر من الكذب على رسوله ﷺ» في (تفسير القمي) في قوله تعالى: ﴿فهل ينظرون إلّا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها...﴾[٣] - عن ابن عباس، قال: حججنا مع النبي ﷺ حجّة الوداع فأخذ بحلقة باب الكعبة ثم أقبل علينا بوجهه، فقال ألا أخبركم باشراط الساعة - وكان أدنى الناس منه يومئذ سلمان - فقال بلى فقال: ان من أشراطها إضاعة الصلوات، واتباع الشهوات، والميل مع الأهواء، وتعظيم أصحاب المال، وبيع الدين بالدنيا، فعندها يذاب قلب المؤمن في جوفه كما يُذاب الملح في الماء ممّا يرى من المنكر، ولا يستطيع أن يغيّر - قال: وان هذا لكائن؟ قال: بلى ان عندها يليهم امراء جورة ووزراء فسقة، وعرفاء ظلمة، وامناء خونة - قال ان هذا لكائن؟ قال بلى، ان عندها يكون المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، ويؤتمن الخائن، ويخون الأمين، ويصدق الكاذب، ويكذب الصادق، - قال وان هذا لكائن؟ قال أي: والذي نفسي بيده فعندها امارة النساء، ومشاورة الاماء، وقعود الصبيان على المنابر، ويكون الكذب ظرفاً والزكاة مغرماً، والفيء مغنماً، ويجفو الرجل والديه، ويبرّ صديقه، ويطلع الكوكب المذنب.

قال وان هذا لكائن؟ قال: بلى وعندها تشارك المرأة زوجها في التجارة،

---

(١) الانبياء : ١١ ـ ١٥ .

(٢) الفيل : ١ ـ ٥ .

(٣) محمد : ١٨ .

ويكون المطر قيظاً (ويفيض ط اللئام فيضاً) ويغيض الكرام غيظاً، ويحتقر الرجل المعسر، وعندها تقارب الأسواق، إذ قال هذا لم أبع شيئاً، وقال هذا لم أربح شيئاً فلا ترى إلّا ذاما لله ـ وعندها يليهم أقوام ان تكلموا قتلوهم، وان سكتوا استباحوهم ـ وعندها يؤتى بشيء من المشرق، وشيء من المغرب، وجثثهم جثث الآدميين، قلوبهم قلوب الشياطين ـ وعندها يكتفي الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، ويغار على الغلمان كما على الجارية ـ ويشبّه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، وعندها تزخرف المساجد، كما تزخرف البيع والكنائس، ويحلّى المصاحف، ويطول المنارات وتكثر الصفوف بقلوب متباغضة ـ إلى أن قال ـ وعندها تتكلم الرويبضة ـ قال سلمان وما الرويبضة؟ قال يتكلم في أمر العامة من لم يكن يتكلم.

وقال ابن أبي الحديد قا لشعبة: امام المحدثين تسعة أعشار الحديث كذب ـ وقال الدارقطني: ما الحديث الصحيح في الكذب إلّا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود.

«**وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة**» أي: متاع.

«**أبور**» أي: أكسد.

«**من الكتاب إذا تلى حق تلاوته**» وكما ينبغي.

«**ولا أنفق**» أي: أروج.

«**إذا حرّف**» أي: غيّر.

«**عن مواضعه**» والأصل في كلامه ﷺ قوله تعالى: ﴿من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه...﴾[1] ـ ﴿ومن الذين هادوا سمّاعون للكذب

---

(١) النساء: ٤٦.

سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرّفون الكلم من بعد مواضعه...﴾[١].

روى سليم بن قيس ان معاوية قدم المدينة في خلافته فقال لابن عباس انّا كتبنا في الآفاق ننهى عن ذكر مناقب علي وآله فكفّ لسانك، فقال: يا معاوية اتنهانا عن قراءة القرآن؟ قال لا قال أفتنهانا عن تأويله؟ قال نعم قال فنقرأه، ولا نسأل عمّا عنى الله به قال: سل عن ذلك من يتأوله غير ما يتأوله أنت وأهل بيتك قال: انما أنزل القرآن على أهل بيتي فاسأل عنه آل أبي سفيان اتنهانا يا معاوية أن نعبد الله بالقرآن بما فيه من حلال وحرام فلا تسأل الأُمة عن ذلك حتى تعلم فتهلك، قال: اقرأوا القرآن ولا تؤلّوه ولا ترووا شيئاً ممّا أنزل الله فيكم وارووا ما سوى ذلك، قال ابن عباس ان الله تعالى يقول ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلّا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾[٢] قال يا ابن عباس أربع على نفسك، وكف لسانك وان كنت لابد فاعلاً وليكن ذلك سرّاً لا تسمعه أحداً علانية.

«**ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر**» روى (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: كيف بكم إذا فسدت نساؤكم، وفسق شبّانكم ولم تأمروا بمعروف، ولم تنهوا عن المنكر ـ فقيل له ويكون ذلك؟ قال: نعم وشرّ من ذلك كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف، فقيل له ويكون ذلك؟ قال نعم وشرّ من ذلك كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفاً والمعروف منكراً، هذا وقوله عليه السلام «وليس عند أهل ذلك الزمان».

ـإلى ـ هنا مر في العنوان الثالث من الفصل الثامن عشر بلفظ (ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته ولا سلعة أنفق بيعاً ولا أغلى

---

(١) المائدة: ٤١.

(٢) التوبة: ٣٢.

ثمناً من الكتاب إذا حرّف عن موضعه ولا عندهم أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر).

«فقد نبذ» أي: القى.

«الكتاب حملته وتناساه حفظته» ﴿ولمّا جاءهم رسول من عند الله مصدق لمّا معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون﴾[1].

«فالكتاب يومئذ وأهله طريدان منفيان» هكذا في (المصرية) والصواب: (منفيان طريدان) كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية.

في (المروج) أمر المتوكل في سنة (٢٣٦) بهدم قبر الحسين عليه السلام وإزالة أثره، وان يعاقب من وجد به، ومنع الناس من زيارته وزيارة أبيه.

«وصاحبان مصطحبان» قال النبي صلى الله عليه وآله: في (المستفيض) عنه اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، وانهما لا يفترقان حتى يردا على الحوض.

«لا يؤويهما مؤو» من آويته إذا أنزلته بك وأما (أُويت) فبمعنى نزلت قال تعالى: ﴿...سآوي إلى جبل يعصمني من الماء...﴾[2] ووهم الجوهري فنسب إلى أبي زيدان اوى وآوى بمعنى.

وعدم ايواء مؤولهما لانهما لا يراعيان غير الحق والناس فارون من الحق فرار المعز من الذئب.

«فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس» بالجسم.

«وليسا فيهم ومعهم» هكذا في (المصرية)، ولكن في ابن أبي الحديد

---

(١) البقرة: ١٠١.

(٢) هود: ٤٣.

والخطية (وليسا فيهم ومعهم وليسا معهم) وكذا ابن ميثم على ما يفهم من تفسيره وان كانت نسخته بلفظ (وليسا معهم) وعليه فقوله (ومعهم) عطف على (في الناس) فيكون المعنى (فالكتاب وأهله في الناس وليسا فيهم والكتاب وأهله مع الناس وليسا معهم).

«**لأن الضلالة لا توافق الهدى**» علّة لعدم كون الكتاب في الناس ومعهم.

«**وان اجتمعا**» صورة لاستحالة اجتماع الضدين حقيقة.

«**فاجتمع القوم**» أي: ناس ليسوا أهله .

«**على الفرقة**» عن الهدى والحق الذي في الكتاب.

«**وافترقوا عن الجماعة**» مع أهله .

«**كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب امامهم**» ﴿وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾[1].

«**فلم يبق عندهم منه إلّا اسمه**» دون معناه.

«**ولا يعرفون إلّا خطّه وزبره**» بالفتح أي: كتابته والمزبر القلم قال: «قد قضى الأمر وجف المزبر».

روى (الروضة) عن النبي صلى الله عليه وآله قال: سيأتي على الناس زمان لا يبقى من القرآن إلّا رسمه، ومن الاسلام إلّا اسمه، يسمّون به وهم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، فقهاء ذلك الزمان شرّ فقهاء تحت ظلّ السماء، منهم خرجت الفتنة، وإليهم تعود.

«**ومن قبل ما مثلوا**» قيل (ما مثلوا) في تأويل المصدر مبتدأ لقوله (ومن قبل).

«**بالصالحين كلّ مثله**» إشارة إلى زمن عثمان وعمله مع أبي ذر وعمّار

(١) الفرقان : ٣٠.

والأشتر وغيرهم كلّ شرّ من الضرب والنفي وغيرهما، وفي الخلفاء في ما كتب عليه السلام لأهل العراق لمّا سألوه عن الثلاثة مشيراً إلى عثمان وخواصه ـ وهؤلاء الذين لو ولّوا عليكم لأظهروا فيكم الغضب والفخر والتسلّط بالجبروت، وما حكموا بالرشاد[1].

«**وسموا صدقهم على الله**» في حديثهم عن رسوله صلى الله عليه وآله.

«**فرية**» أي: افتراء.

وفي رواية الجاحظ والواقدي وغيرهما ان أبا ذر لمّا أرجع به معاوية من الشام إلى المدينة قال له عثمان: يا جنيدب لا أنعم الله بك عيناً، فقال أبو ذر: أنا جندب وسمّاني النبي صلى الله عليه وآله عبدالله فاخترت اسم النبي صلى الله عليه وآله على اسمي[2].

فقال له عثمان أنت الذي تزعم انّا نقول يد الله مغلولة وان الله فقير ونحن أغنياء فقال أبو ذر لو كنتم لا تقولون هذا لأنفقتم مال الله على عباده ولكنّي اشهد سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً وعباده خولاً[3] ـ فقال عثمان لمن حضرا سمعتموها من النبي؟ قالوا لا. قال عثمان: ويلك يا أبا ذر أتكذب على رسول الله ـ فقال أبو ذر لمن حضر أما تدرون اني صدقت قالوا لا والله ما ندري، فقال عثمان ادعوا لي علياً فلمّا جاء قال عثمان لأبي ذر أقصص عليه حديثك في بني العاص فأعاده ـ فقال عثمان لعلي عليه السلام سمعت هذا من النبي؟ قال لا وصدق أبو ذر فقال كيف عرفت صدقه قال لأني سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: (ما ألّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر). فقال من حضر أما هذا فسمعناه كلّنا من

---

(١) الامامة والسياسة لابن قتيبة: ١٥٨، مصطفى البابي الحلبي ١٩٦٩ م.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٥٥ باب (٤٣). اما رواية الواقدي فذكرها ابن أبي الحديد في «شرحه» ٨: ٢٥٨ باب ١٣٠.

(٣) نقله المجلسي في «بحار الأنوار» ٢٢: ٤١٦ رواية ٣٠.

النبي صلى الله عليه وآله فقال: أبو ذرّ أحدثكم اني سمعت هذا من النبي صلى الله عليه وآله فتتهموني ما كنت أظن اني أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله ـ ورواه المسعودي في (مروجه)[1].

«وجعلوا في الحسنة عقوبة السيئة» كما قال تعالى في أصحاب الاخدود ـ ﴿وما نقموا منهم إلّا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد...﴾[2] وما نقموا من هؤلاء الذين مثلوا بهم إلّا انّهم تولوا أهل بيت نبيهم عليهم السلام الذي هو أصل الحسنات قال تعالى: ﴿...ومن يقترف حسنة نزد له فيها حُسنا...﴾[3] ففي مقاتل أبي الفرج في خطبة الحسن عليه السلام بعد أبيه ـ (إنّا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا والذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول: ﴿...ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا...﴾[4] فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت).

«وانما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم، وتغيب آجالهم حتى نزل بهم الموعود» ﴿ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء أمر الله وغرّكم بالله الغرور﴾[5].

«الذي ترد عنه المعذرة» ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾[6].

«وترفع عنه التوبة» ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٥١. دار المعروفة ـ بيروت.

(٢) البروج: ٨.

(٣) الشورى: ٢٣.

(٤) الشورى: ٢٣.

(٥) الحديد: ١٤.

(٦) المؤمن: ٥٢.

حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن...﴾[١].

«وتحل معه القارعة» أي: الداهية المهلكة والأصل فيها مقارعة الكتائب بأسلحتهم قال (بهن فلول من قراع الكتائب).

«والنقمة» أي: الانتقام ﴿...ولو ترى إذا الظالمون في غمرات الموت والملئكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾[٢].

«أيها الناس من استنصح الله» بقبول مواعظ رسله وحكم كتبه.

«وفق» لرشده.

«ومن اتخذ قوله دليلاً هدى للتي» أي: للطريقة التي.

«هي أقوم» والأصل فيه قوله تعالى: ﴿ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم...﴾[٣].

«فان جار الله آمن» ﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملئكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾[٤].

«وعدوا الله» هكذا في (المصرية) والصواب: (وعدوه) كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية.

«خائف» ﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون﴾[٥] ـ الآية ـ.

«وانّه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله» فقال ﴿ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق

---

(١) النساء : ١٨ .

(٢) الانعام : ٩٣ .

(٣) الاسراء : ٩ .

(٤) فصلت : ٣٠ .

(٥) فصلت : ١٩ .

جديد* وما ذلك على الله بعزيز﴾[1] ﴿قل اللّهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انّك على كلّ شيءٍ قدير* تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب﴾[2] ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾[3].

«أن يتعظّم» فانّه ابن آدم المسكين مكتوم الأجل، مكنون العلل، محفوظ العمل، تولمه البقة، وتقتله الشرقة، وتنتنه العرقة» .

«فان رفعة الذين يعرفون ما عظمته ان يتواضعوا له» قال ابن أبي الحديد قال النبي صلى الله عليه وآله: ان الله قد أذهب عنكم حمية الجاهلية، وفخراً بالآباء، الناس بنو آدم، وآدم من تراب، مؤمن تقي، وفاجر شقي، لينتهين أقوام يفخرون برجال انما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من جعلات تدفع النتن بأنفها.

«وسلامة الذين يعلمون ما قدرته ان يستسلموا له» عن الزهري قال: دخلت مع السجّاد عليه السلام على عبد الملك فلمّا رأى أثر السجود بين عينيه، قال: لقد بين عليك الاجتهاد ولقد سبق لك من الله الحسنى، وأنت بضعة من النبي، قريب النسب وكيد السبب، وانك لذو فضل عظيم على أهل بيتك، وذوي عصرك، ولقد أوتيت من الفضل والعلم والورع والدين ما لم يؤته أحد إلّا من مضى من سلفك ـ وأقبل يطريه ـ.

---

(١) ابراهيم . ١٩ ـ ٢٠ .

(٢) آل عمران : ٢٦ ـ ٢٧ .

(٣) الكهف : ١٠٩ .

فقال عليه السلام : كلّ ما وصفته من فضل الله وتأييده وتوفيقه فأين شكره على ما أنعم، والله لو تقطّعت أعضائي وسالت مقلتاي على صدري لم أشكر عشر العشير من نعمة واحدة من نعمه التي لا تحصى لا والله، لا يراني الله يشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل ولا نهار، ولا سرّ ولا علانية، ولولا ان لأهلي عليّ حقاً وان لساير الناس من خاصّهم وعامهم عليَّ حقوقاً لا يسعني إلّا القيام بها حسب الوسع حتى أؤديها إليهم، لرميت بطرفي إلى السماء، وبقلبي إلى الله ثم لم أرددهما حتى يقضي الله على نفسي.

«فلا تنفروا من الحق نفار الصحيح من الأجرب» لئلا يسري الجرب إليه، وفي الصحاح الأجربان عبس وذبيان تحوموا لقوتهم كما تتحامى الجرب.

«والبارئ» أي: السالم من الداء.

«من ذي السقم» وفي الخبر (فرَّ من المجذوم فرارك من الأسد).

١٣
في الخطبة (١٤٩)

إنَّ مِنْ عَزَائِمِ ٱللهِ فِي ٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ٱلَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ؛ وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ؛ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْداً ـ وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ، وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ ـ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ ٱلدُّنْيَا لَاقِياً رَبَّهُ، بِخَصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ ٱلْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا أَنْ يُشْرِكَ بِاللهِ فِي مَا ٱفْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ، أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ؛ أَوْ يَعُرّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ؛ أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ؛ أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ أَوْ يَمْشِي فِيهِمْ بِلِسَانَيْنَ.

أقول: رواه اجمال طلب معيشة (الكافي) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً ما يقول: اعلموا علماً يقيناً ان الله جلّ وعز لم يجعل العبد وان اشتدّ جهده، وعظمت حيلته، وكثرت مكائده، ان يسبق ما سمّى له

في الذكر الحكيم، ولم يخل من العبد في ضعفه وقلّة حيلته، ان يبلغ ما سمّى له في الذكر الحكيم، أيها الناس انّه لن يزداد امرؤ نقيراً بحذقه، ولم ينتقص امرؤ نقيراً لحمقه، فالعالم بهذا العامل به أعظم الناس راحة في منفعته والعالم بهذا التارك له أعظم الناس شغلاً في مضرّته، ورب منعم عليه مستدرج بالاحسان إليه، ورب مغرور في الناس مصنوع له، فاتق الله أيها الساعي من سعيك، وقصر من عجلتك، وانتبه من سنّة غفلتك، وتفكّر في ماجاء عن الله عزوجل على لسان نبيّه ﷺ، واحتفظوا بهذه الحروف السبعة، فانها من قول أهل الحجى، ومن عزائم الله في الذكر الحكيم، انّه ليس لأحد أن يلقى الله جلّ وعزّ بخلّة من هذه الخلال، الشرك بالله جلّ وعزّ في ما افترض عليه، أو اشفاء غيظ بهلاك نفسه، أو اقرار بأمر يفعله غيره، أو يستنجح إلى مخلوق باظهار بدعة في دينه، أو يسره ان يحمده الناس بما لم يفعل، والمتجبر المختال، وصاحب الابهة والزهو.

ورواه (تحف عقول) ابن أبي شعبة الحلبي، مرفوعاً عنه عليه السلام هكذا: «ان من عزائم الله في الذكر الحكيم التي لها يرضى ولها يسخط، ولهايثيب وعليها يعاقب، انّه ليس بمؤمن وان حسن قوله، وزيّن وصفه غيره، إذا خرج من الدنيا فلقى الله بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها الشرك بالله في ما افترض عليه من عبادته، أو شفاء غيظ بهلاك نفسه، أو يقرّ بعمل فعله غيره، أو يستنجح حاجة إلى الناس بإظهار بدعة في دينه، أو سرّه ان يحمده الناس بما لم يفعل من خيرٍ أو مشى في الناس بوجهين ولسانين والتجبّر والابهة.

«ان من عزائم الله» العزائم في قِبال الرخص كقول لقمان في ما حكى الله تعالى عنه: ﴿يا بني أقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على

ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور﴾[1].

وعزائم القرآن معروفة، وعزائم السجود أربعة وأولوا العزم من الرسل خمسة.

«في الذكر الحكيم» أي: القرآن قال تعالى: ﴿ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم﴾[2].

«التي عليها يثيب ويعاقب» في الواجبات والمحرَّمات.

«ولها يرضى ويسخط» عطف على (عليها يثيب ويعاقب) وقد عرفت ان التحف قدم الثاني هو الأنسب.

«انّه لا ينفع عبداً وان أجهد» أي: ألقى في المشقة.

«نفسه وأخلص فعله» وصار فعالاً.

«ان يخرج من الدنيا لاقياً ربه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها» (هذه الخصال) اشارة إلى خصال ذكرها بعد، إلّا ان المتن عدّها أربعة أو خمسة وعدّها (التحف) سبعة، وصرّح خبر (الكافي) بكونها سبعة.

«أن يشرك بالله في ما افترض عليه من عبادته» ﴿ان الله لا يغفر أن يشرك به...﴾[3].

﴿وإذْ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم* ووصينا الانسان بوالديه حملته أُمه وهناً على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك إلي المصير* وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما...﴾[4].

---

(١) لقمان : ١٧ .

(٢) آل عمران : ٥٨ .

(٣) النساء : ٤٨ .

(٤) لقمان : ١٣ ـ ١٥ .

«أو يشفي غيظه بهلاك نفس» ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً...﴾[١].

«أو يعر» في (الصحاح) (عره بشر) لطخه به وفي نسخ ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية (أو يقر) بالقاف إلّا ان الأول فسّره باللطخ وهو معنى العر لا القر.

«بأمر فعله» الفاعل ضمير (عبدا).

«غيره» مفعول (يعر) والأصل: (يعر غيره بأمر فعله هو) قال تعالى: ﴿ومن يكسب خطيئة أو اثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً واثماً مبيناً﴾[٢].

«أو يستنجح حاجة إلى الناس باظهار بدعة في دينه» ﴿فمن أظلم ممّن كذّب على الله...﴾[٣] - ﴿ومن أظلم ممّن افترى على الله كذباً أو قال أُوحيَ إلي ولم يوح إليه شيء...﴾[٤] ﴿...فمن أظلم ممّن افترى على الله كذباً ليضلّ الناس بغير علم...﴾[٥].

وفي (عقاب أعمال) الصدوق عن الصادق عليه السلام: من مشى إلى صاحب بدعة فوقّره فقد مشى في هدم الاسلام.

«أو يلقى الناس بوجهين أو يمشي فيهم بلسانين» قد عرفت ان (التحف) جعلهما شيئاً واحداً فقال: (أو مشى في الناس بوجهين ولسانين) وهو الأصح فالوجهان انما باللسانين كما ان المراد باللسانين التكلّم بكيفيتين فالظاهر ان (أو يمشي) محرّف (ويمشي).

---

(١) النساء ٩٣.

(٢) النساء: ١١٢.

(٣) الزمر: ٣٢.

(٤) الانعام: ٩٣.

(٥) الانعام: ١٤٤.

وكيف كان فروى (الكافي) في باب ذي اللسانين عن الصادق عليه السلام: قال من لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسانان من نار.

وحكى تعالى عن المنافقين: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم انما نحن مستهزؤون﴾[١].

هذا، وقد عرفت ان (الكافي) (والتحف) زادا في الخصال على ما في (النهج) «أو يسره أن يحمده الناس بما لم يفعل» ـ وحينئذ فالأصل فيه قوله: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنَّهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾[٢] ـ وزادا (صاحب التجبر والابهة) كما مر.

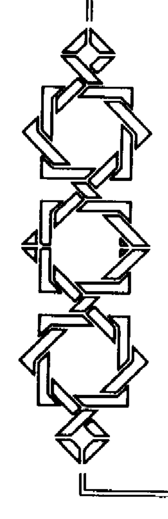
---

(١) البقرة: ١٤.

(٢) آل عمران: ١٨٨.

الفصل الثاني والاربعون

في ما بيّنه عليه السلام من العبادات والمعاملات والخير والشر





١
الخطبة (١٠٦)

ومن خطبة له عليه السلام:

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ المُتَوَسِّلُونَ الى الله سُبحانَهُ وتعالىٰ، ٱلْايمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَٱلْجَهَادُ فِي سَبِيلِهِ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ ٱلْاسْلاَمِ، وَكَلِمَةُ ٱلْاخْلاَصِ فَإِنَّهَا ٱلْفِطْرَةُ؛ وَإِقَامُ الصَّلاَةِ فَإِنَّهَا ٱلْمِلَّةُ؛ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ؛ وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ ٱلْعِقَابِ؛ وَحَجُّ ٱلْبَيْتِ وَٱعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ ٱلْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ؛ وَصِلَةُ الرَّحِمِ، فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي ٱلْمَالِ، وَمَنْسَأَةٌ فِي ٱلْأَجَلِ؛ وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ ٱلْخَطِيئَةَ؛ وَصَدَقَةُ ٱلْعَلاَنِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ؛ وَصَنَائِعُ المَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ ٱلْهَوَانِ أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ ٱللهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ. وَٱرْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ المُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ ٱلْوَعْدِ. وَٱقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ ٱلْهَدْيِ. وَٱسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى ٱلسُّنَنِ. وَتَعَلَّمُوا

ٱلْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ ٱلْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ ٱلْقُلُوبِ، وَٱسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ ٱلصُّدُورِ، وَأَحْسِنُوا تِلاَوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ ٱلْقَصَصِ. وَإِنَّ ٱلْعَالِمَ ٱلْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَٱلْجَاهِلِ ٱلْحائِرِ ٱلَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ؛ بَلِ ٱلْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَٱلْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ؛ وَهُوَ عِنْدَ ٱللهِ أَلْوَمُ.

أقول: ورواه (أمالي) الشيخ، (وعلل) الصدوق (وتحف) ابن أبي شعبة، وكذا (الكافي)، ونقل عن كتاب الحسين بن سعيد الأهوازي[1]، أما الأول فروى مسنداً عن أبي بصير عن الباقر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أفضل ما توسل به المتوسلون الايمان بالله وبرسوله والجهاد في سبيله، وكلمة الاخلاص فانها الفطرة، وإقامة الصلاة فانها الملة، وايتاء الزكاة فانها من فرائض الله، وصيام شهر رمضان، فانّه جُنّة من عذاب الله، وحجّ البيت فانّه منفاة للفقر، ومدحضة للذنب، وصلة الرحم، فانها مثراة للمال. ومنسائة في الاجل، والصدقة في السر فانها تذهب الخطيئة، وتطفئ غضب الرب، وصنايع المعروف، فانها تدفع ميتة السوء، وتقي مصارع الهوان، الا فاصدقوا، فان الله مع من صدق، وجانبوا الكذب فان الكذب مجانب الايمان. ألا وان الصادق على شفا منجاة وكرامة، ألا وان الكاذب على شفا مخزاة وهلكة، ألا وقولوا خيراً تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وأدوا الأمانة إلى من أئتمنكم، وصلوا من قطعكم، وعودوا بالفضل على من سالمكم.

ورواه (العلل) باسناده عن حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر يرفعه إليه عليه السلام مثله ومثله عن كتاب الحسين بن سعيد.

ونقله (تحف الحلبي) مع إضافات ونقله عنه (الخوئي) أيضاً فقال (خطبته عليه السلام المعروفة بالديباج) ـ (الحمد لله فاطر الخلق، وفالق الاصباح،

---

(١) كتاب الزهد لحسين بن سعيد الأهوازي: ١٣ تحقيق عرفانيان ط ٢، قم.

ومنشر الموتى، وباعث من في القبور، واشهد ان لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وان محمّداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله. عباد الله ان أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله جل ذكره، الايمان بنبيه ورسله، وما جاءت من عند الله، والجهاد في سبيله، فانّه ذروة الاسلام، وكلمة الاخلاص، فانها الفطرة، وإقامة الصلاة فانها الملة، وايتاء الزكاة فانها فريضة، وصوم شهر رمضان فانّه جُنّة حصينة، وحجّ البيت والعمرة، فانهما ينفيان الفقر ويكفران الذنب، ويوجبان الجنّة، وصلة الرحم فانها ثروة في المال، ومنسأة في الأجل، وتكثير للعدد، والصدقه في السرّ فانها تكفر الخطا، وتطفئ غضب الرب تبارك وتعالى وصدقة في العلانية، فانها تدفع ميتة السوء، وصنايع المعروف، فانها تقي مصارع السوء، وأفيضوا في ذكر الله جلّ ذكره فانّه أحسن الذكر، وهو أمان من النفاق، وبراءةٌ من النار وتذكير لصاحبه، عند كلّ خير يقسمه الله جلّ وعز وله دوي تحت العرش، وارغبوا في ما وعد المتقون، فان وعد الله أصدق الوعد، وكلّ ما وعد فهو آت كما وعد، فاقتدوا بهدي رسول الله صلى الله عليه وآله فانّه أفضل الهدي واستنوا بسنته، فانها أشرف السنن، وتعلّموا كتاب الله تعالى فانّه أحسن الحديث، وأبلغ الموعظة، وتفقهوا فيه فانّه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره، فانّه شفاء لمّا في الصدور، واحسنوا تلاوته فانّه أحسن القصص، وإذا قرئ عليكم القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلّكم ترحمون، وإذا هديتم لعلم فاعملوا بما علمتم لعلّكم تفلحون، واعلموا عباد الله: ان العالم العامل بغير علم كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله بل الحجّة عليه أعظم، وهو عند الله ألوم، والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه، مثل ما على هذا الجاهل المتحير في جهله وكلاهما حائر بائر مضل. مفتون ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون.

وروى (الكافي) في باب استعمال العلم مسنداً عن محمّد البرقي رفعه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: في كلام له خطب به على المنبر: أيها الناس إذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلّكم تهتدون، ان العالم العامل بغيره كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق عن جهله، بل قد رأيت ان الحجّة عليه أعظم، والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ عن علمه، منها على هذا الجاهل المتحير في جهله، وكلاهما حائر بائر، لا ترتابوا فتشكوا، ولا تشكوا فتكفروا، ولا ترخصوا لأنفسكم فتدهنوا، ولا تدهنوا في الحق فتخسروا، وان من الحق ان تفقهوا، ومن الفقه ألا تغتروا، وان أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه، واغشّكم لنفسه أعصاكم لربه ومن يطع الله يأمن ويستبشر. ومن يعص الله يخب ويندم.

قول المصنف:

«ومن خطبة له عليه السلام» قد عرفت ان (التحف) قال ان هذه الخطبة معروفة بالديباج لكن ليس في ما نقل لفظ ديباج فان وصفت بالوسيلة فله مناسبة.

قوله عليه السلام:

«ان أفضل ما توسل به المتوسلون» أي: تقرّب به المتقربون، وهو واجب عقلاً وقد نبّه تعالى عليه: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة...﴾[1].

ثم الذي وقفنا عليه توسل كما في كلامه عليه السلام ووسل مجرداً كما في قول لبيد:

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم بلى كلّ ذي دين إلى الله واسل

وأما (وسل) مضعفاً فلم نقف عليه وان قاله الجوهري والفيروزآبادي.

«إلى الله سبحانه والايمان به وبرسوله» جعله عليه السلام أول الوسائل لأنّه

---

(١) المائدة: ٣٥.

الأصل، قال تعالى: ﴿آمن الرسول بما انزل إليه من ربه والمؤمنون كلّ آمن بالله وملئكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحدٍ من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾[١].

«والجهاد في سبيله» ومنه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ومنه جهاد النفس قال تعالى: ﴿...وجاهدوا في سبيله لعلّكم تفلحون﴾[٢].

«فانّه ذروة» بالكسر والضم أي: أعلى.

«الاسلام وكلمة» عطف على (الايمان).

«الاخلاص» روى (ثواب الأعمال) عن الصادق عليه السلام من قال لا إله إلّا الله مخلصاً دخل الجنّة واخلاصه بها ان (تحجزه) (لا إله إلّا الله) عمّا حرّم الله.

وروي عن حذيفة : لا تزال (لا إله إلّا الله) ترد غضب الرب عن العباد ما كانوا لا يبالون ما انتقص من دنياهم إذا سلم دينهم، فاذا كانوا لا يبالون ما انتقص من دينهم إذا سلمت دنياهم ثم قالوها ردت عليهم وقيل كذبتم ولستم بها صادقين.

«فانها الفطرة» التي فطر الله الناس عليها.

«واقام الصلاة، فانها الملة» أي: الدين والشريعة.

روى فضل صلاة (الكافي) عن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن أفضل ما يتقرّب به العباد إلى ربهم ماهو؟ فقال: ما علم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة ألا ترى ان العبد الصالح عيسى بن مريم عليه السلام قال: ﴿...وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيّاً﴾[٣].

---

(١) البقرة : ٢٨٥.

(٢) المائدة : ٣٥.

(٣) مريم : ٣٠١.

وعنه عليه السلام أحب الاعمال إلى الله عزوجل الصلاة وهي آخر أوصياء الأنبياء ـ وعنه عليه السلام إذا قام المصلّي إلى الصلاة نزلت عليه الرحمة من أعنان السماء إلى أعنان الأرض وحفّت به الملائكة، وناداه ملك لو يعلم هذا المصلّي ما في الصلاة ما انفتل.

«**وايتاء الزكاة فانها فريضة واجبة**» روى فرض زكاة (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ما فرض الله على هذه الأُمة شيئاً أشدّ عليهم من الزكاة، وفيها تهلك عامتهم.

وروي منع زكاته عن أبي جعفر عليه السلام قال بينا النبي صلى الله عليه وآله في المسجد إذ قال قم يا فلان ويا فلان ـ حتى عد خمسة فقال أخرجوا من مسجدنا لا تصلّوا فيه وأنتم لا تزكون.

وعن أبي عبدالله عليه السلام من منع قيراطاً من الزكاة فليمت ان شاء يهودياً أو نصرانياً ـ وعنه عليه السلام من منع قيراطاً من الزكاة فليس بمؤمن ولا مسلم، وهو قوله تعالى: ﴿...رب ارجعون* لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت...﴾[١].

«**وصوم شهر رمضان فانّه جُنّة من العقاب**» روى فضل صوم (الكافي) عن علي بن عبد العزيز قال قال لي أبو عبدالله عليه السلام: ألا أخبرك بأصل الاسلام وفرعه وذروته وسنامه؟ قلت: بلى، قال: أصله الصلاة وفرعه الزكاة وذروته وسنامه الجهاد في سبيل الله، ألا أخبرك بأبواب الخير ان الصوم جنّة.

وعنه عليه السلام ان لله تعالى في كلّ ليلة من شهر رمضان عتقاء وطلقاء من النار، الا من أفطر على مسكر، فاذا كان في آخر ليلة منه أعتق فيها مثل ما أعتق في جميعه.

«**وحجّ البيت واعتماره فانهما ينفيان الفقر ويرحضان**» أي: يغسلان.

---

(١) المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠.

«الذنب» فيزيلانه.

روى فضل حجّ (الكافي) وعمرته، عن إسحاق بن عمار قلت لأبي عبدالله عليه السلام اني قد وطّنت نفسي على لزوم الحجّ كلّ عام بنفسي أو برجل من أهل بيتي بمالي فقال: وقد عزمت على ذلك؟ قلت نعم قال: ان فعلت فايقن بكثرة المال.

وعن النبي صلى الله عليه وآله لا يحالف الفقر والحمى مدمن الحج والعمرة ـ وعن الصادق عليه السلام تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد.

وعنه عليه السلام الحجاج يصدرون على ثلاثة أصناف: صنف يعتق من النار، وصنف يخرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أُمه، وصنف يحفظ في أهله وماله فذلك أدنى ما يرجع به الحاج.

«وصلة الرحم» ﴿...واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام...﴾[1].

«فانها» أي: الصلة.

«مثراة» أي: مكثرة.

«في المال ومنساة» أي: مؤخرة.

«للأجل» وموجبة لطول العمر.

روى صلة أرحام (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام صلة الأرحام تزكي الأعمال، وتنمي الأموال، وتدفع البلوى، وتيسر الحساب، وتنسئ في الأجل.

وعن الرضا عليه السلام يكون الرجل يصل رحمه، فيكون قد بقي من عمره ثلاث سنين فيصيرها الله ثلاثين ويفعل الله ما يشاء.

وعن الصادق عليه السلام صلة الرحم وحسن الجوار يعمّران الديار ويزيدان

---

(١) النساء : ١ .

في الأعمار ـ وعن النبي صلى الله عليه وآله من سرّه النسأ في الأجل والزيادة في الرزق فليصل رحمه ـ وان القوم ليكونون فجرة ـ ولا يكونون بررة ـ فيصلون أرحامهم فتنمى أموالهم وتطول أعمارهم فكيف إذا كانوا أبراراً بررة.

وعنه صلى الله عليه وآله من سرّه أن يمد الله في عمره وان يبسط له في رزقه، فليصل رحمه فان الرحم لها لسان يوم القيامة ذلق يقول يا رب: صل من وصلني واقطع من قطعني، فالرجل ليرى بسبيل خير حتى إذا أتته الرحم التي قطعها فتهوى به إلى أسفل قعر في النار.

وعن الصادق عليه السلام صلة الرحم تهوّن الحساب يوم القيامة وهي منسائة في العمر وتقي مصارع السوء.

وعنه عليه السلام اني أحب أن يعلم الله اني قد أذللت رقبتي في رحمي واني لابادر أهل بيتي أصلهم قبل أن يستغنوا عني.

وعنه عليه السلام وقع بينه وبين عبدالله بن الحسن كلام فافترقا فغدا عليه السلام على باب عبدالله فخرج عبدالله إليه عليه السلام فقال عليه السلام له: اني تلوت آية من كتاب الله البارحة فأقلقتني قال وما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾[١].

قال صدقت وكاني لم أقرأ هذه الآية ـ فاعتنقا وبكيا.

«**وصدقة السرّ فانها تكفر الخطيئة**» قال تعالى: ﴿ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها لفقراء فهو خير لكم...﴾[٢].

وروى صدقة سر (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله صدقة السر تطفئ غضب الرب.

---

(١) الرعد: ٢١.

(٢) البقرة: ٢٧.

«وصدقة العلانية فانها تدفع ميتة السوء» روى فضل صدقة (الكافي) عن الباقر عليه السلام البر والصدقة ينفيان الفقر ويزيدان في العمر ويدفعان عن سبعين ميتة سوء.

وعن الصادق عليه السلام داووا مرضاكم بالصدقة وادفعوا البلاء بالدعاء، واستنزلوا الرزق بالصدقة فانها تفك من بين لحیٰ سبعمائة شيطان كلّهم يأمره ألا يفعل.

وعن محمد بن عمر بن يزيد، أخبرت الرضا عليه السلام اني أصبت بابنين وبقي لي بني صغير، فقال: تصدّق عنه ـ ثم قال: حين حضر قيامي مر الصبي فليتصدق بيده بالقبضة والكسرة والشيء وان قل.

«وصنايع المعروف فانها تقي مصارع الهوان» روى صنايع المعروف من (الكافي) عن الصادقين عليهما السلام انها تدفع مصارع السوء.

وروى فضل معروفه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: أوّل من يدخل الجنة المعروف وأهله وأوّل من يرد على الحوض ـ وعن الصادق عليه السلام اقيلوا لأهل المعروف عثراتهم فان كف الله تعالى عليهم هكذا ـ وأومئ بيده ـ كأنّه يظل بها شيئاً.

وروى (باب كون أهل معروف الدنيا أهل معروف الآخرة) من الكافي عن الصادق عليه السلام قال: ان للجنّة باباً يقال له المعروف، لا يدخله إلّا أهل المعروف، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ـ وزاد في خبر آخر ـ يقال لهم: ان ذنوبكم قد غفرت لكم فهبوا حسناتكم لمن شئتم.

«أفيضوا في ذكر الله» أي: اندفعوا فيه.

«فانه أحسن الذكر» روى (باب ما يجب من ذكر الكافي) عن الصادق عليه السلام ما من مجلس يجتمع فيه أبرار أو فجّار فيقومون على غير ذكر الله تعالى إلا

كان عليهم حسرة يوم القيامة.

وعنه عليه السلام قال تعالى : يا ابن آدم اذكرني في مَلئك أذكرني في ملأٍ خير من ملئك - وعنه عليه السلام قال تعالى: من ذكرني في ملأٍ من الناس ذكرته في ملأٍ من الملائكة.

وروى في (باب ذكره تعالى كثيراً) عنه عليه السلام قال: ما من شيء إلّا وله حد ينتهي إليه إلّا الذكر فليس له حد -إلى أن قال - ثم تلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبّحوه بكرة وأصيلا﴾[١] - قال ابن القداح : لقد كنت أمشي معه عليه السلام وانّه ليذكر الله وآكل معه الطعام وانّه ليذكر الله ولقد كان يحدث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول: لا إله إلّا الله وكان يجمعنا ويأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس ومن كان لا يقرأ منّا أمره بالذكر ومن يقرأ يأمره بالقرأة - وقال: البيت الذي يُقرأ فيه القرآن ويذكر الله تعالى فيه تكثر بركته، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين ويضيء لأهل السماء كما يضيء الكوكب الدري لأهل الأرض - والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله تعالى فيه تقلّ بركته وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين - وقال النبي صلى الله عليه وآله: ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأرفعها، في درجاتكم، وأزكاها عند مليككم؟ قالوا بلى قال: ذكر الله تعالى.

وعنه عليه السلام جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: من خير أهل المسجد؟ فقال أكثرهم ذاكراً لله - وقال صلى الله عليه وآله: من أكثر ذكر الله أحبّه الله ومن ذكر الله كثيراً كتبت له برائتان: براءة من النار وبراءة من النفاق.

وعنه عليه السلام يموت المؤمن بكلّ ميتة إلّا الصاعقة لا تأخذه وهو يذكر الله تعالى.

---

(١) الاحزاب : ٤١ - ٤٢.

وعنه عليه السلام يقول تعالى: من شغل بذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي من سألني ـ وعنه عليه السلام قال: من ذكرني سرّاً ذكرته علانية ـ وقال في قوله تعالى ﴿واذكر ربك في نفسك تضرّعاً وخفية...﴾[١] فلا يعلم ثواب ذلك الذكر في نفس الرجل غيره تعالى.

وعنه عليه السلام الذاكر لله تعالى في الغافلين كالمقاتل في الهاربين.

«وارغبوا في ما وعد الله المتقين» من الثواب ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا﴾[٢] ـ ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾[٣] ـ ﴿وان منكم إلّا واردها كان على ربك حتماً مقضياً* ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾[٤].

«فانّه» هكذا في (المصرية)، والصواب: (فان وعده) كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية.

«أصدق الوعد» ﴿...ومن أصدق من الله قيلا﴾[٥] ـ ﴿...ومن أوفى بعهده من الله...﴾[٦].

«واقتدوا بهدى» بالفتح فالسكون أي: سيرة.

«نبيّكم فانّه أفضل الهدى» ورووا عن النبي صلى الله عليه وآله (واهدوا هدى عمّار).

«واستنوا بسنته» ﴿...ولكم في رسول الله اسوة حسنة...﴾[٧].

---

(١) الاعراف : ٢٠٥ .

(٢) مريم : ٦٣ .

(٣) مريم : ٨٥ .

(٤) مريم : ٧١ ـ ٧٢ .

(٥) النساء : ١٢٢ .

(٦) التوبة : ١١١ .

(٧) الاحزاب : ٢١ .

«فانّه» هكذا في (المصرية)، والصواب: (فانها) كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية.

«أهدى السنن» ﴿وما ينطق عن الهوى* ان هو إلّا وحي يوحى﴾[١] - ﴿...ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا...﴾[٢].

«وتعلّموا القرآن فانّه أحسن الحديث» روى: (فضل حامل قرآن الكافي) عن الصادق عليه السلام الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة.

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: تعلّموا القرآن -إلى أن قال - فيؤتى يوم القيامة بتاج فيوضع على رأسه ويعطى الأمان بيمينه، والخلد في الجنان بيساره، ويكسى حلتين ثم يقال له اقرأ وارق، فكلّما قرأ آية صعد درجة، ويكسى أبواه حلتين ان كانا مؤمنين، ثم يقال لهما هذا بما علمتماه القرآن.

«وتفقهوا فيه، فانّه ربيع القلوب» وذم تعالى أقواماً لا يتدبرون فيه فقال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[٣].

وروى فضل قرآن (الكافي) عن الصادق عليه السلام، قال: ان هذا القرآن فيه منار الهدى، ومصابيح الدجى، فليجل جال بصره، ويفتح للضياء نظره، فان التفكّر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور.

«واستشفعوا بنوره فانّه شفاء الصدور» من أمراض الأخلاق الرذيلة، ومن الأمراض الظاهرية والباطنية.

وفي (الكافي) عنه عليه السلام شكا رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وجعاً في صدره، فقال استشف بالقرآن فانّه تعالى يقول: ﴿...وشفاء لمّا في الصدور﴾[٤].

---

(١) النجم : ٣ ـ ٤ .

(٢) الحشر : ٧ .

(٣) محمد : ٢٤ .

(٤) يونس : ٥٧ .

«واحسنوا تلاوته فانّه أنفع القصص» للبشر أما أنفعيته قصصاً فروى (قراءة قرآن الكافي) عن الصادق عليه السلام القرآن عهد الله إلى خلقه، فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده، وان يقرأ منه في كلّ يوم خمسين آية.

و (عن السجّاد عليه السلام: آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها) وأما احسان تلاوته فروي في ترتيله عن النبي صلى الله عليه وآله اقرأوا القرآن بألحان العرب وأصواتها، واياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر فانّه سيجيء بعدي أقوام يرجّعون القرآن ترجيع الغنا والنوح والرهبانية لا يجوز تراقيهم، قلوبهم مقلوبة، وقلوب من يعجبه شأنهم.

وعن الصادق عليه السلام ان القرآن نزل بالحزن فاقرأوه بالحزن ـ وعن النبي صلى الله عليه وآله لكلّ شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن.

«فان العالم العامل بغير علمه» في رواية المصنف سقط لقلّة ربطه بما قبله وقد عرفت ان (الكافي) رواه «إذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلّكم تهتدون ان العالم» ـ الخ ـ وكذا (التحف) كما مر.

وكيف كان فروى استعمال علم (الكافي) عن الفضل، قال: قلت للصادق عليه السلام بِمَ يعرف الناجي؟ قال: من كان فعله لقوله موافقاً فاثبت له الشهادة ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً فانما ذلك مستودع.

وعن هاشم بن البريد، قال: جاء رجل إلى علي بن الحسين عليه السلام فسأله عن مسائل فأجاب ثم عاد ليسأل عن مثلها ـ فقال عليه السلام: مكتوب في الانجيل، لا تطلبوا علم ما لا تعلمون، ولمّا تعملوا بما علمتم فان العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلّا كفراً ولم يزدد من الله إلّا بعداً.

وعن الصادق عليه السلام ان العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزلّ المطر عن الصفا.

«كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق» يقال: أفاق المجنون واستفاق إذا رجع إليه عقله من جهله، فيكون كالمجنون الاطباقي لا الادواري.

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام العامل على غير بصيرة كالسائر على غير طريق لا يزيده سرعة السير إلّا بعداً.

وعن النبي صلى الله عليه وآله من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر ممّا يصلح.

«بل الحجّة عليه أعظم» من الجاهل.

«والحسرة له ألزم» منه.

«وهو عند الله ألوم» أي: أحق باللوم منه.

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد ـ وقال عيسى عليه السلام : ويل للعلماء السوء كيف تلظى عليهم النار.

وعنه عليه السلام إذا بلغت النفس ههنا ـ وأشار بيده إلى حلقه ـ لم يكن للعالم توبة ثم قرء ﴿انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة...﴾[1].

٢
في الخطبة (١)

منها في ذكر الحج:

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الحَرَام ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ الَّذِي يَرِدُونَهُ وُرُودَ ٱلْأَنْعَامِ. وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وَلُوهَ ٱلْحَمَامَ. جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَئِكَتِهِ ٱلْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحْرِزُونَ ٱلْأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ

(١) النساء : ١٧ .

مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْاسْلَامِ عَلَماً، وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً، فَرَضَ حَقَّهُ وَأَوْجَبَ حَجَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنْ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ﴾[1].

«وفرض عليكم حجّ بيته الحرام» في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة ـ ان الله حرّم مكة يوم خلق السماوات والأرض، وهي حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل لأحدٍ قبلي ولا تحل لأحدٍ بعدي، ولم تحل لي إلّا ساعة من نهار.

«والذي جعله قبلة للأنام» روى (ابتلاء خلق الناس بالكعبة) من (الكافي) (عن عيسى بن يونس قال: كان ابن أبي العوجاء من تلامذة الحسن البصري فانحرف عن التوحيد، فقيل له تركت مذهب صاحبك ودخلت في ما لا أصل له ولا حقيقة ـ فقال: ان صاحبي كان مخلطاً كان يقول طوراً بالقدر وطوراً بالجبر وما أعلمه أعتقد مذهباً دام عليه ـ فقدم مكة متمرداً وانكاراً على من يحجّ ـ وكان يكره العلماء مجالسته لخبث لسانه وفساد ضميره ـ فأتى أبا عبدالله عليه السلام فجلس إليه في جماعة من نظرائه فقال: يا أبا عبدالله، ان المجالس بالأمانات ولابد لكل من به سعال أن يسعل أفتأذن لي في الكلام.

فقال تكلّم فقال: «إلى كم تدوسون بهذا البيدر وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر، وتهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر ان من فكر في هذا وقدر علم ان هذا فعل أسسه غير حكيم ولا ذي نظر، فقل فانك رأس هذا الأمر وسنامه، وأبوك أُسه وتمامه) فقال عليه السلام: ان من أضلّه الله وأعمى قلبه، واستوخم الحق ولم يستعذ به فصار الشيطان وليه وربه، يورده مناهل الهلكة ثم لا يصدره، وهذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر

---

(١) آل عمران: ٩٧.

طاعتهم في إتيانه، فحثهم على تعظيمه وزيارته وجعله محل أنبيائه وقبلة للمصلين إليه فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال ومجمع العظمة والجلال، خلقه الله قبل دحو الأرض بالفي عام، وأحق من أُطيع في ما أمر، وانتهى عمّا نهى عنه وزجر، الله الذي منشى الأرواح والصور.

«الذي يردونه ورود الأنعام» لشربها.

وفي ابتداء (كعبة الفقيه)، روى ان الكعبة شكت إلى الله تعالى في الفترة بين عيسى ومحمّد صلوات الله عليهما قلّة زوارها، فأوحى إليها اني منزل نوراً جديداً على قوم يحنّون إليك كما تحن الأنعام إلى أولادها، ويزفون إليك كما تزف النسوان إلى أزواجها ـ يعني أُمة النبي صلى الله عليه وآله ولنعم ما قيل بالفارسية:

هواى كعبه چنان ميكشاندم بنشاط   كه خارهاى مغيلان حرير مىايد

«ويا لهون إليه ولوه الحمام» قالوا ومن طبع الحمام انّه يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ وربما اصطيد وغاب عن وطنه عشر حجج فأكثر، ثم هو على ثبات عقله حتى يجد فرصة فيطير إلى وطنه.

هذا، وبدل حد (يألهون) بقوله (يولهون) وقال: ومن روى (يألهون) أي يعكفون عليه عكوف الحمام ـ (اله إليه) أي عكف عليه كانّه يعبده، ولا يجوز أن يكون (يالهون) بمعنى (يولهون) بكون أصل الهمزة واواً كما قال الراوندي لأن (فعولاً) لا يجوز أن يكون مصدر (فعلت) بالكسر، ولو كان (يالهون) (يولهون) كان أصله بالكسر وأما على ما فسرناه فلا يمنع أن يكون (الولوه) مصدراً لأن (اله) مفتوح فصار كقولك (دخل دخولاً).

قلت اما ما قاله من ان معنى (يألهون إليه) أي يعكفون عليه فغلط لفظاً ومعنىً، أما لفظاً، فلأنّه لم يقل أحد ان معنى (اله) عكف بل عبد، فان قال قلته

كناية يمنعه (إليه) فلو كان (عليه) كان له وجه، وأما معنى فلأن الناس لايعكفون في مكة وانما يشتاقون إلى زيارتها اشتياق الحمام إلى وكرها ـ واما ما قاله من ان (فعولا) لا يكون مصدر (فعل) بالكسر و (وله) بالكسر فليس كلياً بل إذا كان مضارعه يفعل بالفتح.

واما إذا كان يفعل بالكسر فيجوز كما في قولك (وثق وثوقاً) وقد قال القاموس (وله) مثل (ورث) و (وجل) و (وعد) ـ واما ما قاله من انّه إذا كان (يألهون) مهموز الأصل فيجوز ان يكون مصدره ولوهاً لأن (اله) مفتوح فيكون مثل دخل دخولاً ـ ففيه ان مصادر المجرد ليست بقياسية ولم ينقل في اللغة كون مصدر (اله) (الوها) بل (الاهه) و (الوهه).

ثم ان غير ابن أبي الحديد من الراوندي الذي كان أول شارح (للنهج) وابن ميثم الذي كان نسخته من النهج بخط المصدق وغيرهما نقله (ويالهون إليه) وهو صحيح كما فسّره القاموس فقال (اله) كفرح تحير و (على فلان) اشتد جزعه عليه و (إليه) فزع ولاذ.

«جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم» أي: اقرارهم.

«لعزته» في (العلل) عن الرضا عليه السلام علّة الحج الوفادة إلى الله تعالى، وطلب الزيارة والخروج من كل ما اقترف ليكون تائباً ممّا مضى، مستأنفاً لمّا يستقبل، وما فيه من استخراج الأموال وتعب الأبدان، وحظرها عن الشهوات واللذات والتقرّب والخضوع والاستكانة والذل شاخصاً في الحر والبرد، والأمن والخوف، دائباً في ذلك دائماً وفي ذلك لجميع الخلق من المنافع، والرغبة والرهبة إلى الله تعالى ومنه ترك قساوة القلب وخساسة الأنفس، ونسيان الذكر، وانقطاع الرجاء والأمل، وتجديد الحقوق، وحظر الأنفس عن الفساد، ومنفعة من في المشرق والمغرب، ومن في البر والبحر ممّن يحجّ

ومن لا يحجّ من تاجر وجالب وبائع ومشترٍ وكاتب ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأطراف والمواضع الممكن لهم الاجتماع فيها كذلك ليشهدوا منافع لهم عليه ـ وفرض الحج مرة واحدة لأنّه تعالى وضع الفرائض على أدنى القوم قوّة ثم رغب أهل القوة على قدر طاعتهم.

«**واختار من خلقه سُمّاعاً**» لأمره تعالى.

«**أجابوا إليه دعوته وصدقوا كلمته**» في (البرهان) قال القمي: لمّا فرغ إبراهيم من بناء البيت أمره الله أن يؤذن في الناس بالحج فقال: يا رب وما يبلغ صوتي؟ فقال تعالى: عليك الاذان وعليّ البلاغ فارتفع على المقام وهو يومئذ يلصق البيت فارتفع به المقام حتى كانّه أطول من الجبال فنادى وادخل اصبعه في اذنه وأقبل بوجهه شرقاً وغرباً يقول: أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فاجيبوا ربكم ـ فأجابه من تحت البحور السبع، ومن بين المشرق والمغرب إلى منقطع التراب من أطراف الأرض كلّها ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء بالتلبية «لبيك اللّهم لبيك» فمن حجّ من يومئذ إلى يوم القيامة فهم ممّن استجاب لله وذلك قوله: ﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم...﴾[1] يعني نداء إبراهيم على المقام بالحج.

«**ووقفوا مواقف أنبيائه**» روى (الفقيه) في باب حج الأنبياء (عن أبي جعفر عليه السلام أتى آدم عليه السلام هذا البيت الفا على قدميه منها سبعمائة حجّة وثلاثمائة عمرة وكان يأتيه من ناحية الشام).

وروى ان سفينة نوح كان طولها ألفاً ومأتي ذراع وعرضها مائة ذراع، وطولها في السماء ثمانين ذراعاً فركب فيها فطافت بالبيت سبعة أشواط، وسعت بين الصفا والمروة سبعاً ثم استوت على الجودي.

---

(١) آل عمران: ٩٧.

وروي ان موسى عليه السلام أحرم من رملة مصر وانّه مر في سبعين نبياً على صفائح الروحاء عليهم العباء القطوانية يقول: لبيك، عبدك ابن عبيدك لبيك ـ وان يونس بن متى مر بصفائح الروحاء وهو يقول: (لبيك كشاف الكرب العظام لبيك).

وروي ان عيسى بن مريم عليه السلام مر بصفائح الروحاء وهو يقول: لبيك عبدك ابن امتك لبيك ـ وروى ان النبي صلى الله عليه وآله مرّ بصفائح الروحاء وهو يقول: (لبيك ذا المعارج لبيك) وان موسىٰ عليه السلام كان يلبّي وتجيبه الجبال.

وروي ان سليمان عليه السلام قد حج في الجن والإنس والطير والرياح وكسى البيت القباطي.

وروي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حجّ عشرين حجّة مستسراً واعتمر تسع عمر ولم يحجّ حجّة الوداع إلّا وقبلها حجّ.

وروى (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام قال صلّى في مسجد الخيف سبعمائة نبي وان بين الركن والمقام لمشحون من قبور الأنبياء، وان آدم لفي حرم الله تعالى.

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: حيال الميزان مصلّى شبّر وشبيراً ابني هارون.

«وتشبّهوا بملائكة المطيفين بعرشه» روى (العلل) عن الرضا عليه السلام ان علّة الطواف بالبيت ان الله تعالى لمّا قال للملائكة: ﴿...اني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء...﴾[1] فردوا على الله تعالى بهذا الجواب، فعلموا انّهم أذنبوا فندموا فلاذوا بالعرش واستغفروا فأحب الله تعالى أن يتعبد بمثل ذلك العباد فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش

---

(١) البقرة: ٣٠.

يسمى الضراح ثم وضع في السماء الدنيا بيتاً يسمى البيت المعمور بحذاء الضراح، ثم وضع البيت بحذاء البيت المعمور، ثم أمر آدم عليه السلام فطاف به فتاب الله عليه وجرى ذلك في ولده إلى يوم القيامة.

بل ورد ان الملائكة طافوا بالكعبة أيضاً كالعرش ففي (الفقيه) عن الصادق عليه السلام لمّا أفاض آدم من منى تلقته الملائكة بالأبطح فقالوا يا آدم بر حجّك، أما انا قد حججنا هذا البيت قبل أن تحجّه بالفي عام.

«يحرزون الارباح في متجر عبادته» روى (العلل) عن هشام بن الحكم قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام ما العلّة في تكليف الحج؟ فقال عليه السلام ان الله تعالى خلق الخلق لا لعلّة انّه شاء ففعل فجعلهم إلى وقت مؤجل وأمرهم ونهاهم ما يكون من أمر الطاعة في الدين، ومصلحتهم في أمر دنياهم، فجعل فيه الاجتماع من المشرق والمغرب ليتعارفوا، ولينزع كلّ قوم من التجارات من بلد إلى بلد، ولينتفع بذلك المكاري والجمّال ولتعرف آثار النبي صلى الله عليه وآله ويعرف أخباره، ويذكر ولا ينسى، ولو كان كلّ قوم انما يتكلّمون على بلادهم وما فيها هلكوا، وخربت البلاد وسقط الجلب والأرباح وعميت الأخبار.

«ويتبادرون عند موعد» هكذا في (المصرية) والصواب: (عنده موعد) كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية.

«مغفرته» ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها السماوات والأرض أُعدت للمتقين﴾[1].

وفي (العلل) عن الصادق عليه السلام مر عمر على الحجر الأسود فقال: يا حجر انّا لنعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع إلّا انّا رأينا النبي صلى الله عليه وآله يحبك فنحن نحبك ـ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: كيف قلت يا ابن الخطاب فوالله ليبعثه الله يوم

(١) آل عمران: ١٣٣.

القيامة وله لسان وشفتان فيشهد لمن وافاه وهو يمين الله في أرضه يبايع بها خلقه، فقال عمر: لا أبقاني في بلد لا يكون فيه علي بن أبي طالب.

«جعله سبحانه وتعالى» هكذا في (المصرية)، وكلمة (وتعالى) زائدة لخلو ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية عنها.

«للاسلام علماً» في (الفقيه) عن الصادق عليه السلام (لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة ـ وفي خبر ـ ما خلق الله تعالى بقعة في الأرض أحب إليه من الكعبة ولا أكرم عليه منها لها حرّم الله الأشهر في كتابه يوم خلق السماوات والأرض).

«وللعائذين حرماً» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿...ومن دخله كان آمنا...﴾[1] من دخل الحرم من الناس مستجيراً به فهو آمن من سخط الله تعالى، ومن دخله من الوحش والطير كان آمناً من ان يهاج أو يؤذى حتى يخرج من الحرم.

وعنه عليه السلام إذا أحدث العبد جناية في غير الحرم ثم فرَّ إلى الحرم لم يسغ لأحد أن يأخذه في الحرم، ولكن يمنع من السوق ولا يبايع ولا يطعم ولا يسقى ولا يكلم، فانّه إذا فعل به ذلك يوشك أن يخرج فيؤخذ ـ فاذا جنى في الحرم جناية اقيم عليه الحد لأنّه لم يرع للحرم حرمة.

وعنه عليه السلام في شجرة أصلها في الحل، وفرعها في الحرم حرم اصلها لمكان فرعها وفي شجرة أصلها في الحرم وفرعها في الحل حرم فرعها لمكان أصلها.

وعنه عليه السلام ان بنى الرجل المنزل والشجرة فيه فليس له ان يقلعها وان كانت نبتت في منزله وهو له فيقلعها.

وعنه عليه السلام ـ وقد قيل له ان سبعاً من سباع الطير على الكعبة ليس يمر به

---

(١) آل عمران: ٩٧.

شيء من حمام الحرم إلّا ضربه ـ انصبوا له واقتلوه فانّه قد الحد.

وعن الباقر عليه السلام في رجل أهدى له حمامة في الحرم مقصوصة ـ أعلفها حتى إذا استوى ريشها خلّى سبيلها.

هذا، وفي (الدميري) انتهى قوم إلى ذي طوى ونزلوا بها فاذا ظبي من ظباء الحرم قد دنا منهم فأخذ رجل بقائمة من قوائمه فقال له أصحابه: ويلك ارسله فجعل يضحك وأبى ان يرسله فنعر الظبي وبال ثم أرسله ـ فناموا في القائلة فانتبه بعضهم وإذا بحيّة منطوية على بطن الرجل الذي أخذ الظبي فقال له أصحابه: ويلك لا تتحرّك، فلم تنزل الحية عنه حتى كان منه من الحدث ما كان من الظبي[1].

هذا، وكان ابن الزبير لمّا ذهب إلى مكة سمّى نفسه عائذ البيت وكان قد حبس محمد بن الحنفية في السجن المعروف بسجن عارم فقال كثير الشاعر مخاطباً لابن الزبير:

تُخبّر من لاقيت انك عائذٌ ... بل العائذ المظلوم في سجن عارم

وقال أبو حزة مولى الزبير:

فيا راكباً أما عرضت فبلغن ... كبير بني العوام ان قيل من تعني

تخبر من لاقيت انك عائذ ... وتكثر قتلاً بين زمزم والركن

«فرض حجّه» قال أبو جعفر عليه السلام: بني الاسلام على خمسة أشياء على الصلاة والزكاة والحج ـ الخبر ـ.

«وأوجب حقه» في رواية (حقوق الفقيه) عن السجاد عليه السلام وحق الحج أن تعلم انّه وفادة إلى ربك، وفرار إليه من ذنوبك، وفيه قبول توبتك وقضاء الفرض الذي أوجبه الله تعالى عليك.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى للدميري ٢: ٩ مصطفى الحلبي، القاهرة.

«وكتب عليكم وفادته» أي: الورود عليه تعالى ﴿وأذن في الناس بالحجّ يأتوك رجالاً وعلى كلّ ضامر يأتين من كلّ فجٍّ عميقٍ﴾[١].

«فقال سبحانه» في (٩٧) آل عمران.

﴿...ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فان الله غني عن العالمين﴾[٢] وقبله ﴿ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين* فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً...﴾[٣] ـ وقال عز من قائل ﴿وأتموا الحجّ والعمرة لله...﴾[٤].

٣
في الخطبة القاصعة (١٨٧)

وَكُلَّمَا كَانَتِ ٱلْبَلْوَى وَالاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ المثُوبَةُ وَٱلْجَزَاءُ أَجْزَلَ. أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ ٱللهَ، سُبْحَانَهُ، ٱخْتَبَرَ الأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ ٱللهِ عَلَيْهِ، إِلَى الآخِرِينَ مِنْ هَذَا ٱلْعَالَمِ، بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ ٱلْحَرَامَ «الَّذِى جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً». ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ ٱلأَرْضِ حَجَراً، وَأَقَلِّ نَتَائِقِ الدُّنْيا مَدَراً، وَأَضْيَقِ بُطُونِ الأَوْدِيَةِ قُطْراً، بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ، وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ، وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ، وَقُرىً مُنْقَطِعَةٍ؛ لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ، وَلَا حافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ. ثُمَّ أَمَرَ عَلَيه السَّلام آدَمَ وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ، وَغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ، تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ. وَمَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ، وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلاً

---

(١) الحج : ٢٧ .

(٢) آل عمران : ٩٧ .

(٣) آل عمران : ٩٦ ـ ٩٧ .

(٤) البقرة : ١٩٧ .

يُهَلِّلونَ لِلّهِ حَوْلَهُ، وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ. قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، ابْتِلاَءً عَظِيماً، وَامْتِحَاناً شَدِيداً، وَاخْتِبَاراً مُبِيناً، وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً جَعَلَهُ اللهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ، وَوُصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ. وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ، وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ، جَمَّ الأَشْجَارِ دَانِيَ الثِّمَارِ، مُلْتَفَّ الْبُنى، مُتَّصِلَ الْقُرَى، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ، وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ، وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلاَءِ. وَلَوْ كَانَ الأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، وَالأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا، مِنْ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ، لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ، وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنَّ اللهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ؛ وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسْبَاباً ذُلُلاً لِعَفْوِهِ. فَاللهَ اللهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ، فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى، وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى، الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ. فَمَا تُكْدِي أَبَداً، وَلاَ تُشْوِي أَحَداً، لاَ عَالِماً لِعِلْمِهِ، وَلاَ مُقِلاًّ فِي طِمْرِهِ، وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ، وَمُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ، تَسْكِيناً لأَطْرَافِهِمْ، وَتَخْشِيعاً لأَبْصَارِهِمْ، وَتَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ، وَتَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ، وَإِذْهَاباً لِلْخُيَلاَءِ عَنْهُمْ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً، وَالْتِصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ

بِالأَرْضِ تَصَاغُراً، وَلُحُوقِ البُطُونِ بِالمُتُونِ مِنَ الصِّيامِ تَذَلُّلاً؛ مَعَ مَا فِي الزَّكوةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الأَرْضِ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ المَسْكَنَةِ وَالفَقْرِ.
أَنْظُرُوا إِلَى مَا فِي هَذِهِ الأَفْعالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ الفَخْرِ، وَقَدْعِ طَوَالِعِ الكِبْرِ!

الخطبة (١٨٧) في (المصرية) وان جعلت في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) في موضع (٢٣٤) من (المصرية).

أقول رواه (ابتلاء الخلق واختبارهم بالكعبة) من (الكافي) مع اختلاف يسير إلى قوله (فالله الله).

«**وكلّما كانت البلوى**» أي: الابتلاء.

«**والاختبار**» أي: الامتحان.

«**أعظم كانت المثوبة والجزاء**» على العمل.

«**أجزل**» أي: أكثر وفي (الجمهرة) الجزل ما عظم من الخطب ثم كثر ذلك، حتى صار كلّ ما كنز جزلاً وقالوا أعطاه عطاء جزلاً.

وقد اختبر الله تعالى خليله إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام ويكفي في عظمه انّه تعالى وصفه بالبلاء المبين، فامتثل فأجزل له العطاء بإعطائه إسحاق أبي أنبياء بني إسرائيل، ورفع له الدرجات فوق كلّ نبي غير نبينا ـ وفي سورة الصافات: ﴿فلمّا بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين * فلمّا اسلما وتله للجبين * وناديناه أنْ يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنّا كذلك نجزي المحسنين﴾[1] ﴿إنّه من عبادنا المؤمنين * وبشّرناه

(١) الصافات: ١٠٢ ـ ١٠٥.

بإسحاق نبياً من الصالحين * وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾[1] ـ والآية تصريح في كون الذبيح إسماعيل، وان اختلفت روايات العامة والخاصة في كونه إسماعيل أو إسحاق والمعول على الآية ـ كما انّه تعالى أجزل عطاء إسماعيل بجعل نبيّنا صلى الله عليه وآله والمعصومين من عترته ـ وهم أشرف الأولين والآخرين ـ من ذريته.

«ألا ترون ان الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم صلوات الله عليه» وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام لمّا أفاض آدم من منى تلقته الملائكة وقالوا له: إنّا حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام.

«إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضرّ ولا تنفع» لكونها جمادات.

«ولا تسمع ولا تبصر» هكذا في (المصرية) والصواب: (ولا تبصر ولا تسمع) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) وبشهادة القرينة.

روى توحيد الصدوق، ان ابن أبي العوجاء قدم مكة انكاراً على من يحج، وكان العلماء يكرهون مجالسته لخبث لسانه وفساد ضميره فجاء إلى أبي عبدالله عليه السلام في جماعة من نظرائه وقال له: (إلى كم تدوسون بهذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر، وتهرولون هرولة البعير إذا نفر، ان من فكّر في هذا الأمر وقدر، علم ان هذا أسسه غير ذي نظر، فقل فانك رأس هذا الأمر وسنامه، وأبوك أسه ونظامه.

فقال عليه السلام: ان من أضلّه الله وأعمى قلبه، استوخم الحق فلم يعذبه، وصار الشيطان وليّه يورده مناهل الهلكة ثم لا يصدره، وهذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في اتيانه، فحثّهم على تعظيمه وزيارته، وجعله محلّ أنبيائه، وقبلة للمصلين له فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدي إلى غفرانه،

---

(١) الصافات: ١١١ ـ ١١٣.

منصوب على استواء الكمال، ومجتمع العظمة والجلال، خلقه الله بألفي عام قبل دحو الأرض، وأحق من أُطيع فيما أمر وزجر الله المنشئ للأرواح والصور ـ فقال: ذكرت فأحلت على غائب ـ فقال عليه السلام: ويلك كيف يكون غائباً من هو مع خلقه شاهد، وإليهم أقرب من حبل الوريد، يسمع كلامهم ويرى اشخاصهم، ويعلم أسرارهم، وانما يغيب المخلوق الذي إذا انتقل عن مكان اشتغل به مكان، وخلا من مكان، فلا يدري في المكان الذي صار إليه ما حدث في المكان الذي كان فيه ـ فقال ابن أبي العوجاء لأصحابه من القاني في بحر هذا سألتكم أن تلتمسوا لي خمره فألقيتموني على جمرة ـ قالوا ما كنت في مجلسه إلّا حقيراً، قال انّه ابن من حلق رؤوس من ترون.

«فجعلها» أي: تلك الأحجار التي في ذاك الموضع.

«بيته الحرام الذي جعله للناس قياما» واضح ان الأصل في كلامه عليه السلام قوله تعالى: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس ...﴾[1].

اما كونه حراماً ففي (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله في فتح مكة ـ ان الله حرّم مكة يوم خلق السماوات والأرض وهي حرام إلى ان تقوم الساعة لم يحلّ لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي ولم تحل لي إلّا ساعة من نهار.

واما كونه قياماً للناس، ففي (تفسير القمي): قالوا ما دامت الكعبة قائمة ويحجّوا الناس إليها لم يهلكوا فإذا هدمت وتركوا الحجّ هلكوا.

«ثم جعله باوعر» أي: أغلظ.

«بقاع الأرض حجراً وأقل نتائق» جمع نتيقة وفي النهاية النتق الرمي، يقال للمرأة الكثيرة الولد ناتق لأنّها ترمي بالأولاد رمياً والنتق الرفع ومنه حديث علي عليه السلام «البيت المعمور نتاق الكعبة من فوقها» أي هو مظلّ عليها في

---

(١) المائدة: ٩٧.

السماء، ومنه حديثه الآخر في صفة مكة «والكعبة أقلّ نتائق الدنيا مدراً» والأصل فيه ان يقلع الشيء من مكانه فترفعه لترمى به، وأراد بها ههنا البلاد لرفع بنائها وشهرتها في موضعها.

«الأرض» هكذا في (المصرية) والصواب: (الدنيا) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية) وكما عرفته من النهاية ولأنّه ذكرت (الأرض) قبله والبلاغة لا يجوز تكرارها.

«مدراً» أي: الطين المتماسك لا يخرج منه الماء.

«وأضيق بطون الأودية» جمع الوادي النهر.

«قطراً» أي: ناحية وجانباً ـ وفي رواية (الكافي) (وأضيق بطون الأودية معاشاً وأغلظ محال المسلمين مياهاً) وكيف كان هو ناظر إلى قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام ﴿ربنا اني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عِنْدَ بيتك المحرم ...﴾[1].

«بين جبال خشنة ورمال دمثه» أي: ليّنة يغور الماشي فيها.

«وعيون وشلة» أي: قليلة الماء وفي المثل (وهل بالرمل أوشال).

«وقرى منقطعة» بينها فواصل كثيرة.

«لا يزكو» أي: لا يتنعم.

«بها خف» أي: الابل.

«ولا حافر» أي: الخيل.

«ولا ظلف» أي: البقرة والشاة والظبي.

«ثم أمر آدم وولده أن يثنوا» أي: يعطفوا.

«اعطافهم» أي: جوانبهم.

---

(١) ابراهيم: ٣٧.

«نحوه» في (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام صلّى في مسجد الخيف سبعمائة نبي وان بين الركن والمقام لمشحون من قبور الأنبياء وان آدم لفي حرم الله عزّوجلّ.

وعن أبي الحسن عليه السلام ان سفينة نوح كانت مأمورة طافت بالبيت حيث غرقت الأرض ثم أتت منى في أيامها ثم رجعت السفينة ـ وكانت مأمورة ـ فطافت بالبيت طواف النساء.

وعن أبي جعفر عليه السلام حجّ موسى عليه السلام ومعه سبعون نبيّاً من بني إسرائيل، وخطم ابلهم من ليف يلبون ويجيبهم الجبال وعلى موسى عباءتان قطوانيتان يقول لبيك عبدك ابن عبدك.

وعنه عليه السلام ان سليمان حجّ البيت في الجن والانس والطير والرياح وكسا البيت القباطي ـ وعن الصادق عليه السلام ان حيال الميزاب مصلّى شبّر وشبير إبني هارون.

وقال تعالى: ﴿... وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾[١].

«فصار مثابةً» أي: مرجعاً ويُقال للمنزل مثابة لأن أهله يتصرفون في أمورهم ثم يرجعون إليه قال تعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً﴾[٢].

«لمنتجع» في الصحاح النجعة طلب الكلأ، والمنتجع المنزل في طلب الكلأ.

«أسفارهم وغاية» أي: نهاية.

«لملقى» أي: لمحل القاء.

---

(١) البقرة: ١٢٥.

(٢) البقرة: ١٢٥.

«رحالهم» قال تعالى لإبراهيم: ﴿وأذن في الناس بالحجّ يأتوك رجالاً وعلى كلّ ضامرٍ يأتين من كلّ فج عميق * ليشهدوا منافع لهم ...﴾(١) وفي الصحاح الرحل مسكن الرجل وما يستصحبه من الأثاث ورحل البعير أصغر من القتب، وقالوا في القذف: (يا ابن ملقى ارحل الركبان).

«تهوى إليه ثمار الأفئدة» الأصل فيه قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام في الدعاء لذريّته: ﴿... فاَجْعَلْ أفئدة من الناس تهوى إليهم ...﴾(٢).

والمراد بثمار الأفئدة موداتهم قال الكميت:

خلائق انزلتك بقاع مجد وأعطتك الثمار بها القلوب

وقال ابن مقبل:

لفتاة جعفى ليالي تجتني ثمر القلوب بجيد آدم خاذل

وفي حديث المبايعة (فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه) وفي خبر موت الولد يقول تعالى لملائكته قبضتم ثمرة فؤاده.

«من مفاوز» جمع المفاوزة الصحراء الموحش واختلف ابن الأعرابي والأصمعي في وجه التسمية قال الأول: المفازة من (فوز) أي هلك وقال الثاني من (الفوز) تفؤلاً بالسلامة.

«قفار» جمع القفر ما لا نبات فيه ولا ماء.

«سحيقة» أي: بعيدة.

«ومهاوي» جمع المهوى والمهواة ما بين الجبلين.

«فجاج» جمع الفج الطريق الواسع بين الجبلين.

«عميقة» واضح ان الأصل في كلامه عليه السلام قوله تعالى: ﴿... يأتين من كلّ

(١) الحج: ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) ابراهيم: ٣٧.

فج عميق﴾[1].

«وجزائر بحار منقطعة» قال الجوهري: الجزيرة واحدة جزائر البحر سمّيت بذلك لانقطاعها عن معظم الأرض.

«حتى يهزوا مناكبهم ذللا» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام إذا مررت بوادي محسر ـ وادٍ عظيم بين جمع ومنى وإلى منى أقرب ـ فاسع فيه حتى تجاوزه فان النبي صلى الله عليه وآله حرّك ناقته وقال: اللّهم سلم لي عهدي واقبل توبتي وأجب دعوتي واخلفني في من تركت بعدي ـ وروي عن عمر بن يزيد قال: الرمل في وادي محسر قدر مائة ذراع.

وروي عن سماعة، قال: سألته عن السعي بين الصفا والمروة، قال: إذا انتهيت إلى الدار التي على يمينك عند أوّل الوادي فاسع حتى تنتهي إلى أوّل زقاق عن يمينك بعدما تجاوز الوادي إلى المروة، فإذا انتهيت إليه فكفّ عن السعي وامش مشياً، وإذا جئت من عند المروة فابدأ من عند الزقاق الذي وصفت لك، فاذا انتهيت إلى الباب الذي قبل الصفا بعدما تجاوز الوادي فاكفف عن السعي وامش مشياً وليس على النساء سعي.

وروى (الصدوق)، ان من سها عن السعي يرجع القهقرى إلى المكان الذي يجب فيه السعي وانّه ليس على النساء هرولة ـ وروى الشيخ ان الراكب ليس عليه سعي ولكن ليسرع شيئاً.

«يهللون» هكذا في (المصرية) وكذا (ابن أبي الحديد) وقال: وفي رواية (يهلون) (وابن ميثم) اقتصر على (يهلون) ونسخته بخط المصنف، فلابد أن النهج كان كذلك وهو الأصح فهلل أي قال: «لا إله إلّا الله» وانما ههنا (يهلّون) بالضم من (أهلّ المحرم) إذا رفع صوته أي بالتلبية، قال ابن أحمر:

---

(١) الحج: ٢٧.

يــهلّ بــالفرقد ركـبانها كما يهلّ الراكب المعتمر

وقال تعالى: ﴿... وما أهل به لغير الله ...﴾[1].

«لله حوله» والمراد في اهلال الحج.

«ويرملون» بالفتح.

«على أقدامهم» والمراد الهرولة بين الصفا والمروة على ما مر.

«شعثاً» أي: منتشري الشعر ومتنيريه لبعد تعهده ولا يجوز للمحرم حلق شعره.

«غبرا» في ألبستهم وأبدانهم ويقال للشيء المندرس أغبر لوقوع الغبار عليه قال:

فأنزلهم دار الضياع فأصبحوا على مقعد من موطن العزّ أغبر

و (شعث) و (غبر) جمع (أشعث) و (أغبر).

«له» أي: لله تعالى.

«قد نبذوا» أي: طرحوا.

«السرابيل» أي: الألبسة.

«وراء ظهورهم» لأن المحرم لا يجوز له لبس المخيط ويقتصر على ازار ورداء.

هذا، وكانت سيرة الجاهلية ان من طاف منهم في ثيابه، كان واجباً عليه التصدّق به فكان بعضهم يستعير ثوباً للطواف لئلا يجب عليه التصدّق به وإذا لم يجد عارية وكرى وكان ثوبه منحصراً يطوف عرياناً، فجاءت امرأة جميلة فطلبت عارية وكرى فلم تجده ولم يكن اها لباس غير ما عليها فطافت عريانة وأشرف لها الناس فوضعت احدى يديها على قبلها والأخرى على دبرها!!

---

(١) البقرة: ١٧٣.

وقالت:

اليوم يبدو بعضه أو كلّه   فما بدا منه فلا أحله

فلمّا فرغت خطبها جماعة، فقالت ان لي زوجاً.

«وشوّهوا» أي: قبحوا.

«باعفاء» أي: اكثار.

«الشعور محاسن خلقهم» وفي الخبر اعف شعرك للحجّ إذا رأيت هلال ذي القعدة وللعمرة شهراً.

«ابتلاء» هو والثلاثة المعطوفة عليها مفاعيل لها لقوله (ثم أمر آدم وولده).

«عظيماً وامتحاناً شديداً واختباراً مبيناً وتمحيصاً» من (محصت الذهب بالنار) إذا خلصته ممّا يشوبه.

«بليغاً» أي: بالغ الكمال.

«جعله الله سبباً لرحمته ووصلة إلى جنته» في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله الحجّ ثوابه الجنّة والعمرة كفّارة لكلّ ذنب.

وعن الصادق عليه السلام الحاجّ والمعتمر وفد الله ان سألوه أعطاهم، وان دعوه أجابهم، وان شفعوا شفعهم، وان سكتوا ابتدأهم، ويعوضون بالدرهم ألف درهم.

«ولو أراد سبحانه» وفي (ابن ميثم) (ولو أراد الله سبحانه).

«ان يجعل بيته الحرام ومشاعره العظام» في الصحاح المشاعر مواضع المناسك والمشعر الحرام أحد المشاعر.

«بين جنات وأنهار وسهل» نقيض الحزن والجبل.

«وقرار» أي: المستقر من الأرض.

«جمّ» أي: كثير.

«الأشجار داني الثمار» لكثرتها.

«ملتف البنا» هكذا في النهج، ولكن في (الكافي) (ملتف النبات) وهو أصحّ فيكون في معنى قوله: ﴿وجنات الفافا﴾[1].

«متصل القوى» هكذا في (المصرية)، والصواب: (القرى) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية) وحينئذ فمتصل القرى هنا في قِبال قوله قبل (وقرى منقطعة).

«بين برة» بالضم القمح وهو الحنطة.

«سمراء» لون الحنطة.

«وروضة خضراء» قال الجوهري: الروضة من البقل والعشب.

«وأرياف» أي: اراض فيها خصب.

«محدقة» أي: محيطة لا ذات حدائق كما قال الخوئي فلا يشتق من الحديقة وانما زادت رواية (الكافي) بعد (وطرق عامرة) (وحدائق كثيرة).

«وعراص» جمع العرصة كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها شيء من بناء.

«مغدقة» أي: كثيرة الماء والندى والنبت.

«ورياض» هكذا في (المصرية)، والصواب: (وزروع) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)، وكما في الكافي.

«ناضرة» ذات رونق.

«وطرق عامرة» أي: معمورة مثل (ماء دافق) و (عيشة راضية) قال الجوهري: (عمرت الخراب فهو عامر ومعمور).

---

(١) النبأ: ١٦.

«لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء» وفي (الكافي) (قد صغر الجزاء) بدون (قدر).

وصدق عليه السلام فان الجزاء يختلف بحسب كمية العمل وكيفيته وبحسب أهميته، ولذا كانت ضربته عليه السلام يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين كما ان بيعتهم يوم السقيفة أعظم وزراً من أوزار الثقلين.

«ولو كان» هكذا في (المصرية) والصواب: (ولو كانت) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية) وكذا (الكافي).

«الأساس» اما بالكسر جمع الاس، مثل عس وعساس واما بالمد جمع الأُسس مثل سبب وأسباب، وليس بالفتح فيكون مفرداً بشهادة (كانت) و (عليها) ولعطف (الأحجار) عليها.

«المحمول عليها والأحجار المرفوع بها» قال ابن أبي الحديد يجوز أن يكون نائب الفاعل في (المحمول) و (المرفوع) ضمير البيت ويجوز أن يكون النائب (عليها) و (بها) ـ قلت بل يتعيّن أن يكون النائب الضمير لأنّ المعنى حمل البيت على الأساس ورفع البيت بالأحجار وليس مثل (زيد ممرور به) في كون (به) نائباً لأنّه لا يقال (ممرور زيد).

«بين زمردة خضراء وياقوتة حمراء ونور وضياء» في (المعجم) (كوكبان) جبل قرب صنعاء وإليه ينسب (قصر كوكبان) قيل سمّي (كوكبان) لأن قصره كان مبنياً بالفضة والحجارة، وداخله بالياقوت والجوهر وكان ذلك الدرّ والجوهر يلمع بالليل كما يلمع الكوكب.

«لخفف ذلك مسارعة» هكذا في (المصرية)، والصواب: (مصارعة) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) وفي (الكافي) ولكن قال ابن أبي الحديد وروى (مضارعة) ومعناه مقارنة الشك ودنوه من النفس وأصله من (مضارعة

القدر) إذا حان إدراكها، ومن مضارعة الشمس إذا دنت للمغيب ـ وقال الراوندي: أي مماثلة الشك ومشابهته. وهذا بعيد لأنّه لا معنى للمماثلة والمشابهة هنا والرواية الصحيحة بالمهملة.

قلت: وكما لا معنى للمشابهة هنا كما قاله الراوندي لا صحّة لمّا قاله ابن أبي الحديد نفسه من كونه من (مضارئة القدر) ومن (مضارعة الشمس) فلم يستعمل ما قاله وانما يقال (تضريع القدر) و (تضريع الشمس) قال الجوهري: (وتضريع الشمس دنوها للغروب، ويقال أيضاً (ضرعت القدر) أي حان ان تدرك والمضارعة المشابهة) ـ وحينئذٍ فالصواب ان يقال بسقوط تلك الرواية لعدم معنى له ـ ومنه يظهر خطأ الخوئي في قوله وفي بعض الروايات مضارعة بالمعجمة أي المقاربة.

«**الشك في الصدور ولوضع مجاهدة إبليس**» **الذي يوسوس في الصدور**.

«**عن القلوب، ولنفي معتلج**» من (اعتلجت الأمواج) التطمت.

«**الريب**» أي: الشك.

«**من الناس**».

في (طبقات كاتب الواقدي) و(تاريخ الطبري) في قصة أصحاب الفيل ـ ان ابرهة رأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحجّ إلى بيت الله، فسأل أين يذهب الناس؟ فقالوا: إلى بيت الله بمكة، قال ممّا هو؟ قالوا: من حجارة. قال: وما كسوته؟ قالوا: ما يأتي من ههنا الوصائل، قال: والمسيح لأبنينّ لكم خيراً منه ـ فبنى لهم بيتاً عمله بالرخام الأبيض والأحمر والأصفر والأسود وحلّاه بالذهب والفضة، وحفّه بالجوهر وجعل له أبواباً عليها صفائح الذهب، ومسامير الذهب، وفصل بينهما بالجوهر، وجعل فيها ياقوتة حمراء عظيمة، وجعل له حجاباً، وكان يوقد فيه بالمندني ويلطخ جدرانه بالمسك فيسود

حتى يغيب الجوهر وأمر الناس فحجّوه فحجّه كثير من قبائل العرب سنين ومكث فيه رجال يتعبدون ويتألهون ونسكوا له.

وكان نفيل الخثعمي يورض له ما يكره فأمهل، فلمّا كان ليلة من الليالي لم يرَ أحداً يتحرّك فقام فجاء بعذرة فلطّخ بها قبلته، وجمع جيفاً فألقاها فيه ـ فأخبر ابرهة بذلك فغضب غضباً شديداً، وقال انما فعلت العرب هذا غضباً لبيتهم لأنقضنه حجراً حجراً ـ الخ ـ.

«ولكن الله يختبر» أي: يمتحن.

«عباده بأنواع الشدائد» اختبر تعالى مسلمي مكة بالصلاة إلى بيت المقدس واختبر عزوجل مسلمي المدينة بالصلاة إلى الكعبة على خلاف هواهم.

«ويتعبدهم بأنواع المجاهد» تعبد تعالى عباده بعد حجّ بيته بزيارة نبيه صلى الله عليه وآله وزيارة المعصومين من عترته تكملة للحجّ ليميّز بين المتعبّد والمتمرد ـ وفي (كامل المبرد)، وممّا كفرت الفقهاء به الحجاج قوله ـ والناس يطوفون بقبر النبي صلى الله عليه وآله انما يطوفون بأعواد ورمة.

«ويبتليهم بضروب» أي: اقسام.

«المكاره» قال تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم...﴾[1] ﴿فلمّا فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهرٍ فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانّه مني إلّا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلّا قليلا منهم ...﴾[2].

---

(١) البقرة: ٥٤.

(٢) البقرة: ٢٤٩.

«**اخراجاً للتكبّر من قلوبهم**» وهو دليل على كون التكبر في نهاية المنفورية عند الشارع.

«**واسكاناً للتذلل**» أي: التواضع.

«**في نفوسهم**» وهو دليل على كون التواضع في غاية المحبوبية عنده.

«**وليجعل**» عطف على (اخراجاً) وعطف الفعل على شبهه وبالعكس كثير.

«**ذلك**» أي: الاختبار بأنواع الشدائد وما عطف عليه.

«**أبواباً فتحا إلى فضله**» وفي (الكافي) (أبواباً إلى فضله).

«**وأسباباً ذللاً لعفوه**» زاد في (الكافي) (وفتنه كما قال تعالى: ﴿آلم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين﴾[1].

«**فالله الله في عاجل البغي**» روى (عقاب الأعمال) عن أبي جعفر عليه السلام قال في كتاب علي عليه السلام: ثلاث خصال لا يموت صاحبها أبداً حتى يرى وبالهن: البغي، وقطيعة الرحم، واليمين الكاذبة يبادر الله بها.

وفي (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله ان أعجل الشرّ عقوبة البغي ـ وعن أمير المؤمنين عليه السلام أيها الناس ان البغي يقود أصحابه إلى النار وان أوّل من بغى على الله تعالى عناق بنت آدم، وأول قتيل قتله الله عناق ـ وكان مجلسها جريب في جريب وكان لها عشرون اصبعاً في كلّ اصبع ظفران مثل المنجلين فسلط الله عليها أسداً كالفيل وذئباً كالبعير ونسراً مثل البغل فقتلتها، وقد قتل الله تعالى الجبابرة على أفضل أحوالهم وآمن ما كانوا.

وعنه عليه السلام يقول إبليس لجنوده: القوا بينهم الحسد والبغي، فانما

---

(١) العنكبوت: ١ ـ ٣.

يعدلان عند الله تعالى الشرك. وكان النبي صلى الله عليه وآله يتعوّذ كلّ يوم من ست خصال: من الشك والشرك، والحمية، والغضب، والبغي والحسد.

«وآجل وخامة الظلم» ﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ...﴾[1] ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا ...﴾[2] ﴿... وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾.

«وسوء عاقبة الكبر» في (الخصال) عن الصادق عليه السلام قال الحواريون لعيسى عليه السلام يا معلم الخير أعلمنا أي الأشياء أشدّ؟ فقال: غضب الله تعالى قالوا بِمَ نتقيه؟ قال: بأن لا تغضبوا. قالوا وما بدء الغضب؟ قال: الكبر والتجبر ومحقرة الناس.

وعنه عليه السلام أصول الكفر ثلاثة: الحرص والاستكبار والحسد اما الاستكبار فابليس أمر بالسجود فأبى ـ الخبر ـ.

«فانها مصيدة إبليس العظمى ومكيدته الكبرى» في (الخصال) عن الصادق عليه السلام قال ابليس لجنوده: إذا استمكنت من ابن آدم في ثلاث لم ابال ما عمل فانّه غير مقبول منه إذا استكثر عمله ونسي ذنبه، ودخله العجب.

هذا، وفي (كامل) المبرد قال الأصمعي: سمعت اعرابياً يقول لآخر: أترى هذه العجم تنكح نسائنا في الجنّة، قال: أرى ذلك والله بالأعمال الصالحة، قال توطأ والله رقابنا قبل ذلك ـ ويروى ان ناسكاً من الهجيم بن عمرو بن تميم كان يقول: اللّهم اغفر للعرب خاصة وللموالي عامة وأما العجم فهم عبيدك والأمر إليك ـ وكان نافع بن عيسى من بني نوفل بن عبد مناف إذا مرّت عليه جنازة فان قيل قرشي قال واقوماه وان قيل عربي قال وامادتاه، وان قيل مولى أو عجم قال اللّهم عبادك تأخذ من شئت وتدع من شئت.

---

(١) النمل: ٥٢.

(٢) الانعام: ٤٥.

«التي تساور» أي: تغالب وتواثب.

«قلوب الرجال مساورة السموم القاتلة» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام النظر سهم من سهام إبليس مسموم وكم من نظرة أورثت حسرة طويلة.

«فما تكدى» من (أكدى الحافر) إذا بلغ الكدية أي الأرض الصلبة التي لا تحفر والظاهر كون الفاعل ضمير المصيدة والمكيدة.

«ابدا ولا تشوى» من (رماه فأشواه) إذا لم يصب المقتل.

«أحداً لا عالماً لعلمه» وعنه عليه السلام رب عالم قتله جهله ومعه علمه لا ينفعه).

وفي (الخصال) عنه عليه السلام ان الله تعالى يعذب ستة بستة: العرب بالعصبية، والدهاقنة بالكبر، والامراء بالجور، والفقهاء بالحسد، والتجار بالخيانة، وأهل الرستاق بالجهل.

«ولا مقلاً في طمره» أي: ثوبه الخلق.

«وعن ذلك ما حرس الله عباده المؤمنين بالصلوات والزكوات ومجاهدة الصيام في الأيام المفروضات» فقال تعالى في أمر الصلاة: ﴿... وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ...﴾[1] ـ وفي الزكاة ـ: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم بها وتزكيهم ...﴾[2] ـ وفي الصيام ـ: ﴿... كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلّكم تتقون أياماً معدودات[3]﴾.

«تسكيناً لأطرافهم» أول (العلل) لايجاب الصلوات.

وفي (الكافي) عن حمّاد بن عيسى قال لي أبو عبدالله عليه السلام يوماً أتحسن ان تصلّي قلت: أحفظ كتاب حريز في الصلاة ـ فقال: لا عليك قم فصلّ، فقمت

(١) التوبة: ١٠٣.

(٢) التوبة: ١٠٣.

(٣) البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٤.

بين يديه متوجهاً إلى القبلة فاستفتحت وركعت وسجدت ـ فقال لا تحسن أن تصلّي ما أقبح بالرجل منكم أن يأتي عليه ستون سنة أو سبعون فما يقيم صلاة واحدة بحدودها ـ فأصابني الذلّ في نفسي ـ فقلت فعلّمني فقام عليه السلام مستقبل القبلة منتصباً فأرسل يديه جميعاً على فخذيه قد ضمّ أصابعه وقرّب بين قدميه حتى كان بينهما ثلاثة أصابع مفرجات واستقبل بأصابع رجليه لم يحرفهما عن القبلة بخشوع واستكانة ـ الخبر ـ.

«**وتخشيعاً لأبصارهم**» في (الفقيه) عن الصادق عليه السلام ـ في خبر ـ واخشع ببصرك ولا ترفعه إلى السماء وليكن نظرك إلى موضع سجودك ـ الخبر ـ.

«**وتذليلاً لنفوسهم**» في (العلل) عن الرضا عليه السلام ان علّة الصلاة انها اقرار بالربوبية لله تعالى وخلع الأنداد وقيام بين يدي الجبار جلّ جلاله بالذلّ والمسكنة والخضوع والاعتراف.

«**وتخفيضاً لقلوبهم**» عن الارتفاع.

«**وإذهاباً للخيلاء**» أي: الكبر.

«**عنهم لمّا في ذلك**» أي: اداء الصلاة.

«**من تعفير**» من (عفره في التراب) مرغه.

«**عتاق**» أي: كرائم.

«**الوجوه بالتراب تواضعاً**» له تعالى.

«**والتصاق كرائم الجوارح**» وهي الكفّان والركبتان والابهامان.

«**بالأرض تصاغراً**» في نفوسهم، وفي خبر (العلل) المتقدّم ـ بعدما مر ـ والطلب للإقالة من سالف الذنوب ووضع الوجه على الأرض كلّ يوم خمس مرات اعظاماً لله تعالى وان يكون ذا كرا غير ناس ولا بطراً ويكون خاشعاً متذللاً طالباً للزيادة في الدين والدنيا مع ما فيه من الانزجار والمداومة على

ذكر الله تعالى بالليل والنهار لئلا ينسى العبد سيّده ومدبره وخالقه فيبطر ويطغى ويكون في ذكره لربه وقيامه بين يديه زاجراً له عن المعاصي ومانعاً له عن أنواع الفساد.

«ولحوق» أي: لصوق.

«البطون بالمتون» أي: الظهور.

«من الصيام» أي: من جوعه.

«تذللاً» وفي (العلل) عن الرضا عليه السلام علّة الصوم لعرفان مس الجوع والعطش ليكون العبد ذليلاً مستكيناً مأجوراً محتسباً صابراً مع ما فيه من الانكسار عن الشهوات واعظاً له في العاجل، دليلاً على العاجل. ليعلم مبلغ ذلك من أهل الفقر والمسكنة في الدنيا والآخرة.

«مع ما في الزكاة من صرف ثمرات الأرض» الغلات الأربع وجوباً وباقي الحبوبات استحباباً.

«وغير ذلك» من الأنعام الثلاثة والنقدين.

«إلى أهل المسكنة والفقر» في (العلل) عن الصادق عليه السلام ان الله تعالى أشرك بين الأغنياء والفقراء في الأموال فليس لهم ان يصرفوها إلى غير شركائهم.

وعنه عليه السلام ان الله عزوجل فرض للفقراء في أموال الأغنياء ما يكتفون به. ولو علم ان الذي فرض لهم لم يكفهم لزادهم، فانما يؤتي الفقراء في ما أوتوا من منع من منعهم لا من الفريضة.

«انظروا إلى ما في هذه الأفعال» الصلاة والصيام والزكاة.

«من قمع» أي: قلع.

«نواجم» من (نجم النبت) ظهر وطلع الفجر.

«وقدع» من (قدعت فرسي) أي: كففته عن جريه الكثير.

«طوالع الكبر».

وفي (العلل) سئل الباقر عليه السلام عن علّة النهي عن الصلاة وهو متوشح فوق القميص فقال عليه السلام: لعلّة التكبر في موضع الاستكانة والذل.

٤
الحكمة (١٣٦)

الصَّلاةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ؛ وَالْحَجُّ جِهادُ كُلِّ ضَعِيفٍ؛ وَلِكُلِّ شَيْءٍ زَكـاة وَزَكاةُ الْبَدنِ الصِّيامُ؛ وَجِهادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ.

أقول: هو مأخوذ من أربعمائة باب للدين والدنيا، المروي عنه عليه السلام ذكره ابن أبي شعبة الحلبي في تحفه.

«الصلاة قربان كلّ تقي» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام سئل عن أفضل ما يتقرّب به العباد إلى ربهم؟ فقال عليه السلام: ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلوات ألا ترى ان العبد الصالح عيسى عليه السلام قال: ﴿... وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا﴾[1].

وعنه عليه السلام أحب الأعمال إلى الله تعالى الصلاة وهي: آخر وصايا الأنبياء فما أحسن من الرجل أن يغتسل أو يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يتنحى حيث لا يراه أنيس فيشرف عليه وهو راكع أو ساجد ان العبد إذا سجد فأطال الصلاة نادى إبليس ياويله أطاع وعصيت وسجد وأبيت.

وعنه عليه السلام إذا قام العبد إلى الصلاة نزلت عليه الرحمة من أعنان السماء إلى أعنان الأرض وحفّت به الملائكة وناداه ملك لو يعلم هذا المصلّي ما في الصلاة ما انفتل.

---

(١) مريم: ٣١.

«والحج جهاد كلّ ضعيف» في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله الحجّ أحد الجهادين وهو جهاد الضعفاء ونحن الضعفاء اما انّه ليس أفضل من الحجّ إلّا الصلاة، وفي الحج ههنا صلاة وليس في الصلاة حج، لا تدع الحجّ وأنت تقدر عليه أما ترى انّه يشعث فيه رأسك ويقشف فيه جلدك وتمتنع فيه من النظر إلى النساء وانا نحن ههنا قريب ولنا مائة قرى متصلة ما نبلغ الحجّ حتى يشق علينا فكيف أنتم في بعد البلاد وما من ملك ولا سوقة يصل إلى الحج إلّا بمشقة في تغيير مطعم أو مشرب أو ريح أو شمس لا يستطيع ردها وذلك قوله تعالى: ﴿وتحمل اثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلّا بشقّ الأنفس ان ربكم لرؤوف رحيم﴾[(١)].

وعن الثمالي، قال رجل لعلي بن الحسين عليه السلام تركت الجهاد وخشونته ولزمت الحج ولينه، فقال عليه السلام له: ويحك، أما بلغك ما قال النبي صلى الله عليه وآله -في حجّة الوداع لمّا وقف بعرفة -ان ربكم تطول عليكم في هذا اليوم فغفر لمحسنكم وشفع محسنكم في مسيئكم فأفيضوا مغفوراً لكم.

وروى (الفقيه) ان الرجل قال له عليه السلام آثرت الحج وقد قال تعالى: ﴿ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ...﴾[(٢)] -فقال عليه السلام: فاقرأ ما بعدها ﴿التائبون العابدون ...﴾ -إلى آخر الآية -فإذا رأيت هؤلاء فالجهاد معهم يومئذ أفضل.

وعن الرضا عليه السلام قيل له: بلغنا انّه قيل لبعض آبائك في بلادنا موضع رباط يقال له قزوين وعدوّ يقال له الديلم فهل من جهاد أو رباط؟ فقال عليكم بهذا البيت فحجّوه، أما يرضى أحدكم أن يكون في بيته ينفق على عياله ينتظر

---

(١) النحل: ٧.

(٢) التوبة: ١١١.

أمرنا فان أدركه كان كمن شهد بدراً مع النبي صلى الله عليه وآله وان لم يدركه كان كمن قام مع قائمنا في فسطاطه هكذا وهكذا ـ وجمع بين سبابتيه ـ فقال عليه السلام هو على ما ذكر.

«ولكلّ شيء زكاة» حتى ان زكاة الجاه قضاء حوائج الناس.

«وزكاة البدن الصيام» في (العلل) عن النبي صلى الله عليه وآله ما من مؤمن يصوم شهر رمضان احتساباً أوجب الله له سبع خصال أوّلها يذوب الحرام من جسده.

«وجهاد المرأة حسن التبعل» في (الكافي) عنه عليه السلام كتب الله الجهاد على الرجال والنساء فجهاد الرجل بذل ماله ونفسه حتى يقتل في سبيل الله، وجهاد المرأة أن تصبر على ما ترى من أذى زوجها وغيرته وفي الاستيعاب قال النبي صلى الله عليه وآله لأسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ان حسن تبعل احداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كلّ ما ذكرت للرجال أي ما فضلوا به من الجمعات وشهود الجنائز والجهاد فانصرفت وهي تهلل وتكبر استبشاراً بما قال النبي صلى الله عليه وآله لها.

هذا، وقال ابن أبي الحديد أوصت إمرأة بنتها ليلة هدائها فقالت لها: لو تركت الوصية لأحد لحسن أدب وكرم لتركتها لك لكنها تذكرة للغافل انّك قد خلفت العش الذي فيه درجت، والوكر الذي منه خرجت إلى منزل لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه فكوني له أمة يكن لك عبداً واحفظي عني خصالاً عشراً أما الأولى والثانية، فحسن الصحابة بالقناعة، وجميل المعاشرة بالسمع والطاعة، ففي حسن الصحابة راحة القلب، وفي جميل المعاشرة رضى الربّ.

والثالثة والرابعة، التفقد لمواقع عينه والتعهد لمواضع أنفه، فلا يقع عينه منك على قبيح، ولا يجد أنفه منك خبيث ريح، واعلمي ان الكحل أحسن

الحسن المفقود، وان الماء أطيب الطيب الموجود.

والخامسة والسادسة، الحفظ لماله والارعاع على حشمه وعياله، واعلمي ان أصل الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، وأصل الارعاع على الحشم والعيال حسن التدبير.

والتاسعة والعاشرة، لا تفشين له سرّاً، ولا تعصين له أمراً، فانّك ان أفشيت سره لم تأمني غدره، وان عصيت أمره أوغرت صدره.

وقال: وانكح ضرار بن عمرو الضبي ابنته من معبد بن زراة فلمّا أخرجها إليه قال: يا بنية امسكي عليك الفضلين: فضل الغلمة، وفضل الكلام ـ وضرار هو الذي رفع عقيرته بعكاظ وقال ألا ان شرّ حائل أُم فزوجوا الأُمهات ـ وذلك انّه صرع بين الرماح فاشبل عليه اخوته لأُمه حتى استنقذوه.

وقال: ومن قبيح التبعل ما أوصت اعرابية ابنتها عند هدائها فقالت لها: اقلعي زج رمحه فان أقر فاقلعي سنانه، فان أقر فاكسري العظام بسيفه، فان أقرّ فاقطعي اللحم على ترسه، فان أقر فضعي الاكاف على ظهره، فانما هو حمار.

٥
الحكمة (٧)

الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنجِحٌ، وَأَعْمَالُ ٱلْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ فِي آجِلِهِمْ.

أقول: وجعله ابن ميثم والخطّية جزء العنوان الثاني ولا يأباه ابن أبي الحديد.

«الصدقة دواء منجح» قال ابن أبي الحديد هو مثل قول النبي صلى الله عليه وآله داووا مرضاكم بالصدقة.

«وأعمال العباد في عاجلهم نصب أعينهم في آجلهم» قال: هو من قوله تعالى﴿يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء...﴾[١] ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[٢] ـ ومن كلام بعضهم انما تقدّم على ما قدمت، ولست تقدم على ما تركت فاثر ما تلقاه غداً على ما لا تراه أبداً

٦
من غريب كلامه (٦)

وفي حديثه عليه السلام:

إنَّ ٱلرَّجُلَ إِذَا كَانَ لَهُ ٱلدَّيْنُ الظَّنُونُ، يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَهُ لِمَا مَضَى إِذَا قَبَضَهُ.

فالظَّنُونُ: الَّذِي لَا يَعْلَمُ صَاحِبُهُ أَيَقْضِيهِ مِنَ الَّذِى هُوَ عَلَيْهِ أَمْ لَا فَكَأَنَّهُ ٱلَّذِى يُظَنُّ بِهِ، فَمَرَّةً يَرْجُوهُ وَمَرَّةً لَا يَرْجُوهُ؛ وهذا مِنْ أَفْصَحِ ٱلْكَلَامِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ أَمْرٍ تَطْلُبُهُ، وَلَا تَدْرِى عَلَى أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ مِنْهُ، فَهُوَ ظَنُونٌ وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُ ٱلْأَعْشَى:

مَنْ يَجْعَلِ ٱلْجُدَّ الظَّنُونَ ٱلَّذِى ... جُنِّبَ صَوْبَ الَّلجِبِ المَاطِرِ

مِثْلَ الفُرَاتِيِّ إِذَا ما طَما ... يَقْذِفُ بِالْبُوصِيِّ وَالمَاهِرِ

وَٱلْجدُّ: ٱلْبِئْرُ الْعادِيَّةُ فِي الصَّحْرَاءِ وَالظَّنُونُ الَّتِي لَا يُعْلَمُ فِيهَا مَاء أَمْ لا.

«ان الرجل إذا كان له الدين الظنون يجب عليه أن يزكيه لمّا مضى إذا قبضه»

الأصل في نسبته إليه عليه السلام أبو عبيدة على نقل ابن أبي الحديد فقال: العمل

---

(١) آل عمران: ٣٠.

(٢) الزلزلة: ٧ ـ ٨.

عندنا على قول علي عليه السلام من كون الزكاة بعد القبض على الدائن وان كان لا يرجوه، لا على المديون كما روي عن إبراهيم» ـ إلّا انّه غير معلوم، فقال الجزري في نهايته، في حديث عمر: (لا زكاة في الدين الظنون) أي الذي لا يدري صاحبه يصل إليه أم لا، ومنه حديث علي ـ وقيل عثمان ـ (في الدين الظنون يزكيه إذا قبضه لمّا مضى)[1] ولا أثر لنا في الظنون إذا كان بالمعنى الذي ذكره المصنف بل قال السيد والشيخان: (لا زكاة في الدين إلّا إذا كان تأخيره من جهة مالكه) وحينئذ فيمكن حمل (الظنون) على ما إذا ظن انّه إذا أراد الداين أخذه أمكنه، وهكذا نقل ابن ميثم تفسيره عن بعض ـ وظاهر العماني والاسكافي وجوب الزكاة على المديون مطلقاً وبه قال الحلي[2].

هذا ونقل ابن ميثم في الشقشقية عن الكيدري عن بعض الكتب القديمة في تفسير الكتاب المذكور فيها الذي ناوله عليه السلام سوادي ـ ان في ذاك الكتاب كان عشر مسائل وخامستها (رجل عليه من الدين ألف درهم وله في كيسه ألف درهم فضمّنه ضامن بألف درهم فحال عليهما الحول فالزكاة على أي المالين يجب؟ فقال: ان ضمن الضامن باجازة من عليه الدين فلا يكون عليه وان ضمنه من غير اذنه فالزكاة مفروضة في ماله).

قول المصنف.

«فالظنون الذي» وفي (ابن ميثم) (هو الذي).

---

(١) النهاية لابن الأثير ٣: ١٦٤، مادة (ظن) منشورات اسماعيليان ـ قم.

(٢) يقول العلاّمة: واما الدين: فإن كان معسراً أو جاحداً أو مماطلاً، أو كان مؤجلاً، لم تجب فيه الزكاة.نهاية الأحكام ٢: ٣٠٣، مؤسسة اسماعيليان، قم، ويقول المحقق الحلّي في «المعتبر»: للاصحاب في زكاة الدين قولان: أحدهما لا زكاة فيه حتى يحصل إلى صاحبه، ويحول عليه الحول.. والآخر فيه الزكاة إذا كان تأخيره من جهة صاحبه، بأن يكون على ملي باذل وهو مذهب الشيخين في النهاية والمبسوط، ومذهب الشافعي وأبي حنيفة، ومالك وأحمد: راجع «المعتبر في شرح المختصر» لنجم الدين المحقق الحلي ٢: ٤٩، مؤسسة سيد الشهداء، قم.

«لا يعلم صاحبه أيقضيه» هكذا في المصرية، والصواب : «ايقبضه» كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية.

«من الذي هو عليه أم لا» -إلى -. فمرة يرجوه ومرة لا يرجوه» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد والخطّية) ولكن في (ابن ميثم) (تارة يرجوه وتارة لا يرجوه).

«وهذا من أفصح الكلام» حيث عبّر عن معنى كثير بلفظ يسير.

«وكذلك كلّ امر تطلبه ولا تدري على أي شيء أنت منه» وفي (الجمهرة) (والظنون الذي لا يوثق بما عنده، وكذلك في الركى أي لا يوثق بمائها).

«وعلى ذلك قول الأعشى» في تفضيل عامر على علقمة (ما) هكذا في (المصرية) ونسخة من ابن ميثم ولكن في (ابن أبي الحديد والخطّية) (من).

«يجعل الجد» بالضم.

«الظنون الذي جنب» أي: تجنب.

«صوب» أي: جانب.

«اللجب» وصف للسحاب المقدر، واللجب بالكسر الصوت.

«الماطر».

«مثل الفراتي» أي: الفرات والياء للتوكيد كقوله: «والدهر بالانسان دواري».

«إذا ما طما» من (طما الماء) إذا ارتفع.

«يقذف» أي: يرمي.

«بالبوصي» في (الجمهرة) البوصي السفينة وكانت بالفارسية بالزاي، فقلبتها العرب صاداً.

«والماهر» أي: السابح.

«والجد البئر» اقتصر عليه ابن ميثم وزاد ابن أبي الحديد (العادية في الصحراء) وقال المعروف ان الجد بئر في موضع كثير الكلأ لا في الموات.

ومثل قول الأعشى قول الأخطل في يزيد:

يقلن إذا ما استقبل الصيف وقدة   وجر على الجد الظنون فانفدا

٧
الحكمة (١٤٥)

وقال عليه السلام:

كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الظَّمَأُ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ وَالْعَنَاءُ؛ حَبَّذَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ.

«**كم من صائم ليس له من صيامه إلّا الظمأ**» هكذا في (المصرية) والصواب: (إلّا الجوع والظمأ) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية).

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام إذا صمت فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك ـ وعدّد أشياء غير هذا ـ وقال: لا يكن يوم صومك كيوم فطرك.

وعنه عليه السلام ان الصيام ليس من الطعام والشراب وحده فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم وغضّوا أبصاركم ولا تنازعوا ولا تحاسدوا ـ وسمع النبي صلى الله عليه وآله امرأة تسب جارية لها وهي صائمة، فدعا بطعام فقال لها: كلي، فقالت اني صائمة فقال كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك، ان الصوم ليس من الطعام والشراب.

«**وكم من قائم ليس له من قيامه إلّا السهر**» أي: عدم النوم في الليل.

«**والعناء**» أي: المشقة.

فالخوارج كانوا أهل سهر وعناء في قيام الليل وتلاوة القرآن!! وكذلك

كثير من الفرق الباطلة عاملة ناصبة ـ وفي الخبر الناصب لأهل البيت سواء صلّى أم زنا.

«حبذا نوم الأكياس وافطارهم» لأن نومهم وافطارهم أيضاً عبادة لكونهما منهم لاستجمام قوى النفس حتى يقدروا على اداء الفرائض والنوافل ـ ولذا قال النبي صلى الله عليه وآله: أنا لا أصوم جميع الأيام، ولا أقوم جميع الليل، ونهى من فعل ذلك.

٨
الحكمة (١٤٦)

وقال عليه السلام:

سُوسُوا إِيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَحَصِّنُوا أَمْوالَكُمْ بِالزَّكَاةِ؛ وَادْفَعُوا أَمْـوَاجَ الْبَلاءِ بِالدُّعَاءِ.

أقول: هو ممّا رواه (تحف) ابن أبي شعبة ممّا قاله عليه السلام من الأربعمائة في آداب الدين والدنيا.

«سوسوا» أي: دبروا.

«ايمانكم بالصدقة» ﴿فأمّا من أعطى واتّقى وصدق بالحُسْنى * فسنيسّره لليسرى﴾[1].

«وحصنوا» أي: احفظوا.

«أموالكم بالزكاة» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام ما ضاع مال في بر ولا بحر إلّا بتضييع الزكاة ولا يصاد من الطير إلّا ما ضيع تسبيحه.

وعنه عليه السلام ما من رجل يمنع درهماً في حقه إلّا أنفق اثنين في غير حقه.

وعنه عليه السلام ما أدّى أحد الزكاة فنقصت من ماله ولا منعها أحد فزادت

---

(١) الليل: ٥ ـ ٧.

في ماله.

«**وادفعوا أمواجَ البلاء بـالدعاء**» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام ان الدعـاء يرد القضاء ينقضه كما ينقض السلك وقد أُبرمَ ابراما.

وعنه عليه السلام ان الله ليدفع بالدعاء الأمر الذي علم أن يدعى له فيستجيب، ولولا ما وفق العبد من ذلك الدعاء لأصابه منه ما يجتثه من جديد الأرض.

وعن أبي الحسن عليه السلام الدعاء يرد ما قدر قدر وما لم يقدر؟ قيل: كيف ما لم يقدّر؟ قال: حتى لا يكون.

هذا ولعل الأصل في قوله عليه السلام (سوسوا ايمانكم بالصدقة) ما رواه (الجعفريات) عنه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام ان أمير المؤمنين عليه السلام مر بالسوق فنادى بأعلى صوته: ان أسواقكم هذه يحضرها ايمان فشوبوا ايمانكم بالصدقة فان الله لايقدّس من حلف باسمه كاذباً[1].

٩
الحكمة (١٣٧)

وقال عليه السلام:

اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقةِ.

أقول: هو أيضاً من حديث الاربعمائة، في (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال لابنه محمد كم فضل معك من تلك النفقة؟ قال: أربعون ديناراً، قال: أخرج وتصدّق بها، قال: انّه لم يبق معي غيرها، قال تصدّق بها فان الله تعالى يخلفها أما علمت انّ لكلّ شيء مفتاحاً ومفتاح الرزق الصدقة فتصدّق بها، ففعل فما لبث عليه السلام عشرة أيام حتى جاءه من موضع أربعة آلاف دينار، فقال: يا بني أعطينا الله أربعين ديناراً فأعطانا أربعة آلاف.

---

(١) الجعفريات (الاشعثيات) لمحمد الأشعث: ٢٣٦ طبع حجري، ايران، ١٣٧٠ هـ ق.

وعنه عليه السلام ما أحسن عبد الصدقة في الدنيا إلّا أحسن الله الخلافة على ولده من بعده وحسن الصدقة يقضي الدين ويخلف على البركة.

ونظير كلامه عليه السلام هذا كلام آخر له عليه السلام (في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق) «إذا ابطأت عليك الأرزاق استغفر الله يوسّع عليك».

١٠
الحكمة (٢٥٨)

وقال عليه السلام :

إذا أَمْلَقْتُمْ فَتاجِرُوا اللهَ بالصَّدَقَةِ.

أي افتقرتم قال تعالى: ﴿... ولا تقتلوا أولادكم من املاق ...﴾[1].

«فتاجروا الله بالصدقة» قال ابن أبي الحديد جاء في الأثر ان علياً عليه السلام عمل ليهودي في سقي نخل له في حياة النبي صلى الله عليه وآله فخبزه قرصاً فلمّا هم أن يفطر عليه أتاه سائل يستطعم فدفعه إليه وبات طاوياً فتاجر الله بتلك الصدقة فعد الناس هذه الصدقة من أعظم السخاء وأعظم العبادة، وقال بعض شعراء الشيعة فيه ويذكر إعادة الشمس عليه، وأحسن في ما قال:

جاد بالقرص وانطوى ملأ جنبيه   وعاء في الطعام وهو سغوب
فأعاد القرص المنير عليه القرص   والمقرض الكرام كسوب

قلت: ونظير اجادة هذا الشاعر في وصفه عليه السلام في الجمع بين قرص الخبز وقرص الشمس.

قول الجامي في وصفه عليه السلام ـ مشيراً إلى ايثاره ذاك ووصف شجاعته ـ بالفارسية:

ملک دنيا به سنان گرفت   و ملک عقبى به سه نان

(١) الانعام: ١٥١.

١١
الحكمة (١٣٨)

وقال عليه السلام :

مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ.

أقول: في (ابن ميثم والخطّية) جزء سابقه، ثم هو أيضاً من حديث الأربعمائة وروي معناه عن النبي صلى الله عليه وآله.

وفي (الكافي) عن أبي الحسن عليه السلام من أيقن بالخلف سخت نفسه بالنفقة والمعنى من أيقن بالخلف في الدنيا الذي وعد تعالى في قوله: ﴿... وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾[1] وبالخلف في الآخرة وذخرها كما أخبر تعالى: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق ...﴾[2] سهل عليه الجود بعطاه البتة، ومن لم يسهل عليه بعد ذلك فانما هو من ضعف يقينه بوعده تعالى.

وفي (تاريخ بغداد)، قال الفضل بن سهل: رأيت جملة البخل سوء الظن بالله تعالى، وجملة السخاء حسن الظن بالله تعالى، قال عزوجل: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ...﴾[3] وقال عزوجل: ﴿... وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾[4].

وفي (الكافي) عن البزنطي كتب الرضا عليه السلام إلى الجواد عليه السلام بلغني ان الموالي إذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير وانما ذلك من بخل منهم لئلا ينال منك أحد خيراً، أسألك بحقي عليك لا يكن مدخلك ومخرجك إلّا من الباب

(١) سبأ: ٣٩.

(٢) النحل: ٩٦.

(٣) البقرة: ٢٦٨.

(٤) سبأ: ٣٩.

الكبير فإذا ركبت فليكن معك ذهب وفضة ثم لايسألك أحد شيئاً إلّا أعطيته، ومن سألك من عمومتك أن تبرّه فلا تعطه أقل من خمسين ديناراً والكثير إليك، ومن سألك من عماتك فلا تعطها أقلّ من خمسة وعشرين ديناراً والكثير إليك، اني انما أُريد بذلك أن يرفعك الله فانفق ولا تخش من ذي العرش اقتارا.

وعن أبي جعفر عليه السلام ان الشمس لتطلع ومعها أربعة أملاك: ملك ينادي يا صاحب الخير أتمّ وأبشر، وملك ينادي يا صاحب الشرّ انزع واقصر، وملك ينادي أعط منفقاً خلفاً وآت ممسكاً تلفاً، وملك ينضحها بالماء، ولولا ذلك اشتعلت الأرض.

وعنه عليه السلام من يضمن أربعة بأربعة أبيات في الجنّة انفق ولا تخف فقراً وانصف الناس من نفسك، وافش السلام في العالم، واترك المراء وان كنت محقاً.

وعن صفوان دخل علي الرضا عليه السلام مولى له فقال له: هل أنفقت اليوم شيئاً؟ فقال: لا فقال عليه السلام فمن أين يخلف الله علينا انفق ولو درهماً واحداً.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام من يبسط يده بالمعروف إذا وجده يخلف الله له ما أنفق في دنياه ويضاعف في آخرته.

وفي (المجمع) عن الكلبي، عن النبي صلى الله عليه وآله من تصدّق بصدقة فله مثلاها في الجنّة، فقال أبو الدحداح الأنصاري: ان لي حديقتين فان تصدقت باحديهما فان لي مثليها في الجنّة؟ قال نعم، قال: وأُم الدحداح معي؟ قال نعم قال والصبية معي؟ قال نعم ـ فتصدّق بأفضل حديقتيه ودفعها إلى النبي صلى الله عليه وآله فنزل: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ...﴾[1]

---

(١) البقرة: ٢٤٥.

فضاعف الله صدقته ألفي ألف وذلك قوله تعالى: ﴿... أضعافاً كثيرة ...﴾[(١)]
فرجع أبو الدحداح فوجد ام الدحداح والصبية في الحديقة التي جعلها صدقة فقام على الباب وتحرج أن يدخل فنادى وقال اني جعلت حديقتي هذه صدقة واشتريت مثليها في الجنة وام الدحداح معي والصبية معي قالت: بارك الله لك في ما شريت وفي ما اشتريت فخرجوا واسلموا الحديقة إليه صلى الله عليه وآله فقال صلى الله عليه وآله كم من نخل متدل عذوقها في الجنّة لأبي الدحداح[(٢)].

١٢
الحكمة (٣٠٤)

وقال عليه السلام:

إِنَّ المِسْكِينَ رَسُولُ ٱللهِ فَمَنْ مَنَعَهُ فَقَدْ مَنَعَ ٱللهَ؛ وَمَنْ أَعْطَاهُ فَقَدْ أَعْطَى ٱللهَ.

في (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام ان الله تعالى يبعث يوم القيامة ناساً من قبورهم مشدودة أيديهم إلى أعناقهم لا يستطيعون أن يتناولوا بها قيس أنملة معهم ملائكة يعيرونهم تعييراً شديداً يقولون هؤلاء الذين منعوا خيراً قليلاً من خير كثير هؤلاء الذين أعطاهم الله فمنعوا حق الله في أموالهم.

١٣
الحكمة (٣٢٨)

وقال عليه السلام:

إِنَّ ٱللهَ سُبْحانَهُ فَرَضَ في أَمْوَالِ الأَغْنِياءِ أَقْوَاتَ الفُقَرَاءِ فَما جاعَ فَقِيرٌ إِلّا بِما مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ وٱللهُ تعالى جَدُّهُ سائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ.

---

(١) البقرة: ٢٤٥.

(٢) مجمع البيان للطبري ١: ٣٤٩ دار احياء التراث العربي، بيروت

هكذا في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية) وزادت (المصرية) (منه) قبل (غني) ونقصت (جده) بعد (تعالى).

في (الكافي) عن أبي جعفر الأحول قال سألني رجل من الزنادقة فقال كيف صارت الزكاة من كلّ ألف خمسة وعشرين درهماً؟ فقلت له: انما ذلك مثل الصلاة ثلاث وثنتان وتربع فقبل مني ثم لقيت بعد ذلك أبا عبدالله عليه السلام فسألته عن ذلك، فقال ان الله تعالى حسب الأموال والمساكين فوجد ما يكفيهم من كلّ ألف خمسة وعشرين ولو لم يكفهم لزادهم ـ فرجعت إليه فأخبرته فقال جائت هذه المسألة على الابل من الحجاز ثم قال لو اني اعطيت أحداً طاعة لأعطيت صاحب هذا الكلام.

وعن قثم قلت لأبي عبدالله عليه السلام جعلت فداك اخبرني كيف صارت من كلّ ألف خمسة وعشرين لم يكن أقلّ أو أكثر ما وجهها؟ فقال: ان الله عزوجل خلق الخلق كلّهم فعلم صغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم فجعل من كلّ ألف انسان خمسة وعشرين مسكيناً، ولو علم ان ذلك لا يسعهم لزادهم لأنّه خالقهم وهو أعلم بهم.

١٤
الحكمة (٢٩٩)

وقال عليه السلام :

مَا أَهَمَّنِي ذَنْبٌ أُمْهِلْتُ بَعْدَهُ حَتَّى أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ.

أقول وزاد ابن أبي الحديد «واسأل الله العافية» في (الفقيه) عن الصادق عليه السلام إيّاكم والكسل فان ربكم رحيم يشكر القليل ان الرجل يصلّي الركعتين يريد بهما وجه الله تعالى فيدخله الله الجنّة وانّه ليصوم يوماً تطوعاً يريد به وجه الله تعالى فيدخله الله به الجنّة.

وعن النبي صلى الله عليه وآله ما من صلاة يحضر وقتها إلّا نادى ملك بين يدي الناس قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فاطفئوها بصلاتكم.

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿... ان الحسنات يذهبن السيئات ...﴾[1] أي صلاة المؤمن بالليل تذهب بما عمل من ذنب في النهار ـ وعنه عليه السلام من صلّى ركعتين يعلم ما يقول فيهما انصرف وليس بينه وبين الله ذنب.

وفي (ثواب الأعمال) عن الصادق عليه السلام يؤتى يوم القيامة بشيخ فيدفع إليه كتابه ظاهره ممّا يلي الناس لا يرى إلّا مساوئ فيطول ذلك عليه فيقول يارب: أتامر بي إلى النار؟ فيقول جل جلاله: يا شيخ انا استحيي أن أُعذبك وقد كنت تصلّي لي في دار الدنيا اذهبوا بعبدي إلى الجنّة.

١٥
الخطبة (١٩٤)

ومن كلام له عليه السلام كان يوصي به أصحابه:

تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَوةِ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا، وَٱسْتَكْثِرُوا مِنْهَا، وَتَقَرَّبُوا بِهَا، فإِنَّهَا «كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً». أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا: «مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ؟ قَالُوا: لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ». وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ ٱلْوَرَقِ، وَتُطْلِقُهَا إِطْلَاقَ الرِّبَقِ. وَشَبَّهَهَا رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وآله بِالحَمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي ٱلْيَوْمِ وَٱللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ، وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ، وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ يَقُولُ ٱللهُ سُبْحانَهُ: ﴿رِجَالٌ لَا

(١) هود: ١١٤.

تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ ٱللهِ وَإِقَامِ الصَّلَوةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوةِ ...﴾[١].
وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وآله نَصِباً بِالصَّلَوةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ، لِقَوْلِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ...﴾[٢]، فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَيُصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ.
ثُمَّ إِنَّ الزَّكَوةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَوةِ قُرْبَاناً لِأَهْلِ ٱلْاسْلَامِ، فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا، فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً، وَمِنَ النَّارِ حِجَازاً وَوِقَايَةً. فَلاَ يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ، وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ، فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا، يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا، فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ، مَغْبُونُ ٱلْأَجْرِ، ضَالُّ ٱلْعَمَلِ، طَوِيلُ النَّدَمِ.
ثُمَّ أَدَاءَ ٱلْأَمَانَةِ، فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا. إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَوَاتِ المَبْنِيَّةِ وَٱلْأَرَضِينَ المَدْحُوَّةِ، وَٱلْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ المَنْصُوبَةِ، فَلاَ أَطْوَلَ وَلَا أَعْرَضَ، وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمَ مِنْهَا. وَلَوِ ٱمْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لامْتَنَعْنَ؛ وَلَكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ ٱلْعُقُوبَةِ، وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ، وَهُوَ ٱلإِنْسَانُ، «إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً».

أقول: الأصل فيه ما رواه (الكافي) (في الباب الثالث عشر من جهاده) عن عقيل الخزاعي ان أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا حضر الحرب يوصي المسلمين بكلمات، يقول: تعاهدوا الصلاة وحافظوا عليها، واستكثروا منها وتقرّبوا بها، فانها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، وقد علم ذلك الكفار حين سئلوا ما سلككم في سقر؟ قالوا لم نك من المصلّين، وقد عرف حقّها من طرقها واكرم

---

(١) النور: ٣٧.

(٢) طه: ١٣٢.

بها من المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زين متاع ولا قرّة عين من مال ولا ولد، يقول الله عزوجل: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة...﴾[١] وكان رسول الله صلى الله عليه وآله منْدسباً لنفسه بالبشرى له بالجنة من ربه، فقال عزوجل: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ...﴾[٢] وكان يأمر بها أهله ويصبر عليها نفسه، ثم ان الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً لأهل الاسلام على أهل الاسلام، ومن لم يعطه طيب النفس بها، يرجو بها من الثمن ما هو أفضل منها فانّه جاهل بالسنّة، مغبون الأجر ضال العمر، طويل الندم بترك امر الله تعالى والرغبة عمّا عليه صالحوا عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿...ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ...﴾[٣] فقد خسر من ليس من أهلها وضلّ عمله، عرضت على السماوات المبنية، والأرض المهاد والجبال المنصوبة، فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم، لو امتنعن من طول أو عرض أو عظم أو قوّة أو عزّة امتنعن، ولكن اشفقن من العقوبة ـ الخبر ـ.

قول المصنف:

ومن كلام له عليه السلام كان يوصي به أصحابه» قد عرفت من خبر (الكافي) انّه عليه السلام كان يوصي بذلك عند القتال، وانما كان عليه السلام يفعل ذلك كيلا يتهاونوا بها وقت الحرب بعذر الحرب ولها شرع تعالى صلاة الخوف فقال: ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك ـ الآية ـ... ﴾[٤].

قوله عليه السلام:

«تعاهدوا» في معنى تعهدوا قال ابن دريد: قد يجيي تفعل وتفاعل بمعنى

---

(١) النور: ٣٧.

(٢) طه: ١٣٢.

(٣) النساء: ١١٥.

(٤) النساء: ١٠٢.

كتعهد وتعاهد وتضحك وتضاحك وتلعب وتلاعب، وقد يفترقان مثل تكبر من الكبر و(تكابر) من السن.

«أمر الصلاة» في (الكافي) عن أبان بن تغلب: صلّيت خلف أبي عبدالله عليه السلام بالمزدلفة فلمّا انصرف التفت اليّ فقال: الصلوات الخمس المفروضات من أقام حدودهن وحافظ على مواقيتهن لقي الله يوم القيامة وله عنده عهد يدخله به الجنّة، ومن لم يقم حدودهن ولم يحافظ على مواقيتهن لقي الله ولا عهد له ان شاء عذّبه وان شاء غفر له.

«وحافظوا عليها» ﴿ان الانسان خلق هلوعاً * إذا مسّة الشرّ جزوعاً * وإذا مسّه الخير منوعاً * إلّا المصلّين * الذين هم على صلوتهم دائمون * والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم * والذين يصدقون بيوم الدين * والذين هم من عذاب ربهم مشفقون * ان عذاب ربهم غير مأمون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلّا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم بشهاداتهم قائمون * والذين هم على صلواتهم يحافظون * أولئك في جنات مكرمون﴾[١].

فسّر قوله تعالى في أول الآية : ﴿... على صلوتهم دائمون﴾[٢] بالنافلة وفي آخر الآية ﴿... على صلوتهم يحافظون﴾[٣] بالفريضة، روى ذلك (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام وقال تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى...﴾[٤].

---

(١) المعارج: ١٩ ـ ٣٥.

(٢) المعارج: ٢٣.

(٣) المعارج: ٣٤.

(٤) البقرة: ٢٣٨.

وفي (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام كلّ سهو في الصلاة يطرح منها غير ان الله يتمّ بالنوافل ان أوّل ما يحاسب به العبد الصلاة فان قبلت قبل ما سواها ان الصلاة إذا ارتفعت في أوّل وقتها رجعت إلى صاحبها وهي بيضاء مشرقة، تقول: حفظتني حفظك الله، وإذا ارتفعت في غير وقتها بغير حدودها رجعت إلى صاحبها وهي سوداء مظلمة تقول: ضيعتني ضيّعك الله.

وعنه عليه السلام ايما مؤمن حافظ على الصلوات المفروضة فصلّاها لوقتها فليس هذا من الغافلين ـ وعن النبي صلى الله عليه وآله لا يزال الشيطان زعراً من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس، فاذا ضيعهن تجرأ عليه فأدخله في العظائم.

«واستكثروا منها» قال عيسى عليه السلام في المهد: ﴿اني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا * وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً﴾[1].

«وتقربوا بها» في (الكافي) عن الرضا عليه السلام الصلاة قربان كلّ تقي.

وعنه عليه السلام أقرب ما يكون العبد من الله عزوجل وهو ساجد وذلك قوله تعالى ﴿واسجد واقترب﴾[2].

«فانها ﴿... كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا﴾[3]» وإذا خرج وقتها يجب قضاؤها.

«ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين» فالآية تدل على كون الكفار معاقبين بالفروع كالاصول واما سقوط القضاء عن الكافر إذا أسلم فتفضل ولا تضاد، فالعقد يوجب المهر كلّه،

---

(١) مريم: ٣٠ ـ ٣١.

(٢) العلق: ١٩.

(٣) النساء: ١٠٣.

والطلاق قبل المس يسقط نصفه.

«وانها لتحت» أي: تناثر.

«الذنوب حت الورق» من الشجر قال الخوئي عن مجالس ابن الشيخ قال سلمان كنّا مع النبي صلى الله عليه وآله في ظلّ شجرة، فأخذ غُصناً منها فنفضه فتساقط ورقه، فقال: ألا تسألوني عمّا صنعت قالوا: اخبرنا، فقال؛ ان العبد المسلم إذا قام إلى الصلاة تحاطت خطاياه كما تحاطت ورق هذه الشجرة.

«وتطلقها اطلاق الربق» قال الجوهري. الربق بالكسر حبل فيه عدّة عرى يشدّ به البهم، والواحدة من العروة ربقة، والربيقة البهيمة المربوطة في الربق.

في (الفقيه) عن الصادق عليه السلام لمّا هبط آدم من الجنّة ظهرت به شامة سوداء في وجهه من قرنه إلى قدمه فطال بكاؤه عليه فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال له ما يبكيك؟ قال: من هذه الشامة قال: قم فصلّ فهذا وقت الصلاة الأولى فقام فصلّى فانحطت إلى عنقه فجاءه في الصلاة الثانية فقال قم فصلّ فصلّى إلى سرته فجاءه في الصلاة الثالثة فقال: قم فصل فصلّى فانحطت إلى ركبتيه فجاءه في الرابعة فقال قم فصل فصلّى فانحطت إلى قدميه فجاءه في الصلاة الخامسة فقال قم فصلّ فقام فصلّى فخرج منها فحمد الله فقال له جبرئيل مثل ولدك في هذه الصلوات كمثلك من هذه الشامة، من صلّى من ولدك في كلّ يوم وليلة خمس صلوات خرج من ذنوبه كما خرجت من هذه الشامة.

هذا، وقال الخوئي (وتطلقها اطلاق الربق) على القلب، والمراد انها تطلق اعناق النفوس من أغلال الذنوب اطلاق أعناق البهائم من الارباق ـ مع انّه لا قلب وانما هو توهم كون الربق فاعل الاطلاق مع انّه مفعولها كما في حت الورق فكما ان المعنى في الأول ان الصلاة تحت الذنوب كحتّك للورق كذلك

المعنى في الثاني ان الصلاة تطلق الذنوب اطلاقك الربق عن البهائم.

هذا، وكما شبهت الصلاة مع الذنوب في كلامه عليه السلام بحت الورق واطلاق الربق كذلك شبّهت معها في كلام النبي صلى الله عليه وآله بماء يطفئ النار ـ ففي الفقيه قال النبي صلى الله عليه وآله ما من صلاة يحضر وقتها إلّا نادى ملك بين يدي الناس قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فأطفئوها بصلاتكم.

«وشبهها رسول الله صلى الله عليه وآله بالحمة» في (الصحاح) الحمة العين الحارة يستشفى بها الأعلاء وفي الحديث (العالم كالحمة).

«فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات فما عسى ان يبقى عليه من الدرن» أي: الوسخ.

ودرن المعاصي باطني وسئل الامام، هل يعلم الملكان إذا هم بالحسنة أو السيئة؟ فقال عليه السلام: هل يستوي ريح الطيب وريح الكنيف فإذا همّ بالحسنة يخرج نفسه متطيباً، وإذا همّ بالسيئة خرج نفسه منتناً ـ وورد في الكذب انّه يخرج من قلبه تعفّن يبلغ العرش فيلعنه من في السماء.

«وقد عرف حقّها رجال من المؤمنين الذين لا يشغلهم زينة متاع، ولا قرّة عين من مال ولا ولد» ناظرة إلى قوله تعالى ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾[1].

«يقول الله سبحانه ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة...﴾[2]» وبعده ﴿... يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾[3] وقال تعالى: ﴿الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ...﴾[4].

---

(١) الكهف: ٤٦.

(٢) النور: ٣٧.

(٣) النور: ٣٧.

(٤) الحج: ٤١.

«وكان رسول الله صلى الله عليه وآله نصبا» أي: تعبا.

«بالصلاة بعد التبشير له بالجنة» هكذا في النسخ، والظاهر ان كون قوله (بعد التبشير له بالجنّة) مصحف «بعد الأمر له بالصلاة» كما يشهد له قوله بعد.

«يقول الله سبحانه ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ...﴾[١]» أي: احمل نفسك على الصبر عليها.

«فكان يأمر أهله» خصوصاً كما يأمر باقي الناس عموماً.

في ذيل الطبري مسنداً عن أبي الحمراء، قال: رابطت المدينة ستة أشهر على عهد النبي صلى الله عليه وآله فرأيته إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة عليهما السلام فقال: الصلاة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا[٢] ـ ورواه الثعلبي في (تفسيره) عن أبي الحمراء[٣] ـ ورواه (أماليا) الشيخين أيضاً[٤].

وروى الأندلسي في (جمعه للصحاح الستة) عن (سنن أبي داود)، و(موطأ مالك) عن أنس ان النبي صلى الله عليه وآله كان يمر بباب فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر حين نزلت هذه الآية، فيقول الصلاة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا[٥].

وروى اخطب الخطباء في اسناد له عن أبي سعيد الخدري، ان

---

(١) طه: ١٣٢.

(٢) الطبري، ذيل المذيل (تاريخ الطبري): ٨٣ منشورات الأعلمي، بيروت.

(٣) ذكره ابن طاووس في الطرائف: ١٢٨ نقلاً عن الثعلبي.

(٤) الطوسي، الأمالي ٥: ٤٣ المجلس (٢١) رقم (١١٧٤).

(٥) ذكره ابن طاووس في الطرائف: ١٢٨ ونقله المجلسي بحار الأنوار٣٥: ٢٢٣ رواية (٣٠) والأندلسي هو نفسه الحميدي صاحب كتاب الجمع بين الصحيحين.

النبي صلى الله عليه وآله جاء إلى باب فاطمة عليها السلام أربعين صباحاً بعدما دخل علي بفاطمة يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمكم الله، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا[١].

وفي اسناد آخر عنه، قال: لمّا نزل قوله تعالى: ﴿وأمر أهلك بالصلاة...﴾[٢] كان النبي صلى الله عليه وآله يأتي باب علي وفاطمة تسعة أشهر كلّ صلاة فيقول الصلاة يرحمكم الله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً[٣].

وروى (عيون ابن بابويه) عن الريان بن الصلت ان الرضا عليه السلام حضر مجلس المأمون وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان فقال له المأمون هل فضّل الله العترة على ساير الناس؟ فقال عليه السلام: ان الله تعالى فضّلهم على ساير الناس في محكم كتابه ـ إلى أن قال بعد ذكر إحدى عشرة آية في تفضيلهم ـ وأما الثانية عشرة فقوله عزوجل: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ...﴾[٤] فخصصنا الله بهذه الآية، إذ أمرنا الله مع الأُمة بإقامة الصلوات ثم خصصنا من دون الأُمة فكان النبي صلى الله عليه وآله يجيء إلى باب علي وفاطمة صلوات الله عليهما بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر كلّ يوم عند حضور كلّ صلاة خمس مرات فيقول: الصلاة رحمكم الله وما أكرم الله أحداً من ذراري الأنبياء بمثل هذه الكرامة التي أكرمنا بها ـ الخبر ـ.

وهذه الأخبار الواردة من العامة والخاصة متفقة على ان آية ﴿... انما

(١) الخطيب الخوارزمي، مناقب أمير المؤمنين: ٣٥ الباب الخامس، طبع حجري في كربلاء.

(٢) طه: ١٣٢.

(٣) المصدر السابق: ٣٥.

(٤) طه: ١٣٢.

يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾[١] في سورة الأحزاب كانت بعد آية ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ...﴾[٢] في سورة طه، وادرجوا الأولى في آية نساء النبي صلى الله عليه وآله اطفاء لنور الله ويأبى الله ذلك حيث جرى الحق على لسانهم في أخبارهم ـ وبالجملة فالآيتان أعظم حجّة على مخالفي أهل البيت عليهم السلام.

«ويصبر» أي: يحبس قال تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ...﴾[٣].

«**عليها نفسه**» وقد صبر صلى الله عليه وآله نفسه عليها حتى ورمت قدماه فأنزل تعالى: ﴿وما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾[٤].

«**ثم ان الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً**» أي سبب تقرّب إليه تعالى.

«**لأهل الاسلام**» قال تعالى: ﴿فان تابوا أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين ...﴾[٥].

وفي (الكافي) عن أبي بصير كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام ومعنا بعض أصحاب الأموال فذكروا الزكاة فقال عليه السلام: ان الزكاة ليس يحمد بها صاحبها وانما هو شيء ظاهر انما حقن بها دمه وسمّي بها مسلماً ومن لم يؤدها لم تقبل له صلاة، وان عليكم في أموالكم غير الزكاة وعد حقوقاً.

وعن أبي جعفر عليه السلام بيّنا النبي صلى الله عليه وآله في المسجد إذ قال قم يا فلان قم يا فلان حتى عد خمسة نفر فقال أخرجوا من مسجدنا لا تصلّوا فيه

---

(١) الاحزاب: ٣٣.

(٢) طه: ١٣٢.

(٣) الكهف: ٢٨.

(٤) طه: ٢.

(٥) التوبة: ١١.

وأنتم لا تزكّون!!.

وعن أبي عبدالله عليه السلام دمان في الاسلام حلال من الله لا يقضي فيها أحد حتى يبعث الله قائمنا فإذا بعث حكم فيهما بحكم الله لا يريد عليهما بيّنة، الزاني المحصَن يرجمه، ومانع الزكاة يضرب عنقه.

وعنه عليه السلام من منع قيراطاً من الزكاة فليمت ان شاء يهودياً أو نصرانياً، وليس بمؤمن ولا مسلم وهو قوله تعالى: ﴿... رب ارجعون * لعلي أعمل صالحاً في ما تركت ...﴾[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام ان الله تعالى قرن الزكاة بالصلاة فقال: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ...﴾[2] فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة لم يقم الصلاة.

وعن أبي عبدالله عليه السلام صلاة مكتوبة خير من عشرين حجّة، وحجّة خير من بيت مملوءاً ذهباً ينفقه في برّ حتى ينفد، ثم قال: ولا أفلح من ضيّع عشرين بيتاً من ذهب بخمسة وعشرين درهماً ـ قيل: وما معناه؟ قال: من منع الزكاة، وقفت صلوته حتى يزكي.

«**فمن أعطاها طيب النفس بها فانها تجعل له كفارة ومن النار حجازاً**» هكذا في (المصرية) والصواب: (حجابا) كما في (ابن أبي الحديد) وغيره.

«**ووقاية**» في الخبر أرض القيامة نار ما خلا موضع المؤمن فان صدقته تظلّه.

«**فلا يتبعها أحد نفسه ولا يكثرن عليها لهفه**» قال ابن أبي الحديد أمر النبي صلى الله عليه وآله بعض نسائه ان تقسّم شاة على الفقراء، فقالت لم يبق منها غير عنقها فقال صلى الله عليه وآله: بقي كلّها غير عنقها ـ قال ابن أبي الحديد أخذ شاعر هذا

---

(١) المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠.

(٢) البقرة: ٤٣.

المعنى فقال:

يبكي على الذاهب من ماله وانـما يبقى الذي يـذهب

قلت الأصل في كلام النبي صلى الله عليه وآله قوله تعالى: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ ...﴾[١].

«**فان من أعطاها غير طيب النفس بها، يرجو بها وهو أفضل منها فهو جاهل بالسنة مغبون الأجر، ضال العمل، طويل الندم**» قال تعالى: ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلّا انّهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلّا وهم كسالى ولا ينفقون إلّا وهم كارهون﴾[٢].

«**ثم اداء الأمانة، فقد خاب من ليس من أهلها**» فقد عد الله تعالى في صفات أهل الايمان رعاية الأمانات ـ وقال نبيه صلى الله عليه وآله: بعثت باداء الأمانة إلى البر والفاجر.

وعن الصادق عليه السلام لو أن قاتل أمير المؤمنين عليه السلام إئتمنني على أمانة لأديتها إليه ـ وعن السجاد عليه السلام: لو أن قاتل أبي أئتمنني على السيف الذي قتله به لأديته إليه.

وعن الصادق عليه السلام: من اؤتمن على أمانة فأداها فقد حلّ ألف عقدة من عنقه من عقد النار فبادروا باداء الأمانة فان من اؤتمن على أمانة وكّل به إبليس مائة شيطان من مردة أعوانه ليضلّوه.

وقال تعالى: ﴿ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ...﴾[٣] ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾[٤] ـ

---

(١) النحل: ٩٦.

(٢) التوبة: ٥٤.

(٣) النساء: ٥٨.

(٤) الانفال: ٢٧.

﴿... فان امن بعضكم بعضاً فليؤد الذي أؤتمن وليتق الله ربه ...﴾[١].

والحربي الذي ماله ودمه حلال لا يجوز الخيانة في أمانته ـ وفي (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله حافتا الصراط يوم القيامة الرحم والأمانة، فاذا مر الوصول للرحم المؤدي للأمانة نفذ إلى الجنّة، وإذا مر الخائن للأمانة القطوع للرحم لم ينفعه معه عمل فتكفا به الصراط في النار.

«انها عرضت على السماوات المبنية» ﴿وبنينا فوقكم سبعاً شداداً﴾[٢].

«والأرضين المدحوّة» قال الجوهري: (مر الفرس يدحو دحوا) إذا رمى بيديه رمياً لا يرفع سنبكه عن الأرض كثيراً ـ ويقال للّاعب بالجوز (ابعد المدى وادحه) أي ارمه.

قال تعالى: ﴿... أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * واغطش ليلها وأخرج ضحيها * والأرض بعد ذلك دحاها﴾[٣].

«والجبال ذات الطول المنصوبة» ﴿وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم...﴾[٤].

«فلا أطول» اشارة إلى الجبال.

«ولا أعرض» اشارة إلى الأرضين.

«ولا أعلى ولا أعظم» اشارة إلى السماوات.

«منها» أي: من السماوات والأرضين والجبال، وجعل ابن ميثم و الخوئي أطول وأعرض وأعظم كلّها راجعة إلى الجبال كضمير (منها) في غير محلّه.

---

(١) البقرة: ٢٨٣.

(٢) النبأ: ١٢.

(٣) النازعات: ٢٧ ـ ٣٠.

(٤) النحل: ١٥.

«ولو امتنع شيء بطول أو عرض أو قوّة أو عزّ لامتنعن» أي: لو صار شيء منيعاً بها لصارت منيعة بها حتى تجسر على حمل الأمانة.

هذا، وفي القاموس الممتنع الأسد القوي العزيز في نفسه، وفي (الصحاح) المتمنعان البكرة والعناق تمنعان على السنة بفتاءهما ولأنهما يشبعان قبل الجلة وهما المقاتلتان الزمان عن أنفسهما.

«ولكن أشفقن» أي: حذرن.

«من العقوبة وعقلن» أي: فهمن ما جهل من هو أضعف منهن.

«وهو الانسان انّه كان ظلوماً جهولا» واضح انّه عليه السلام أشار إلى قوله تعالى: ﴿إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان انّه كان ظلوماً جهولاً﴾[1].

واختلف في المراد من الأمانة فقال ابن أبي الحديد أصحّ ما قيل في تفسير الآية: ان الأمانة ثقيلة المحمل، لأن حاملها معرّض لخطر عظيم، فهي بالغة من الثقل وصعوبة الحمل ما لو انها عرضت على السماوات والأرض والجبال لامتنعت من حملها وليس المراد لو عرضت عليها وهي جمادات بل المراد تعظيم شأن الأمانة كما تقول هذا الكلام لا يحمله الجبال وقوله: (امتلأ الحوض وقال قطني) وقوله تعالى: ﴿... قالتا أتينا طائعين﴾[2] ومذهب العرب وتوسعها ومجازاتها مشهور شائع.

وفي تفسير القمي، المراد بالأمانة الولاية وبالإنسان الظلوم الجهول الأول ونقل البرهان روايه الصفار[3]، والصدوق[4]، وعمر بن إبراهيم الأوسي

(١) الاحزاب: ٧٢.

(٢) فصلت: ١١.

(٣) البحراني، تفسير البرهان ٣: ٣٤٢، دار الكتب العلمية ـ قم.

(٤) المصدر السابق: ٣٤٠.

له في كتبهم وكذلك رواية الكليني[١] ومحمد بن العباس بن ماهيار له[٢] ـ وكلامه عليه السلام هنا كالآية محتمل للعموم والخصوص.

١٦
الخطبة (٥٢)

ومن كتاب له عليه السلام إلى امراء البلاد في معنى الصلاة:

أَمَّا بَعْدُ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ مِنْ مَرِبِضِ الْعَنْزِ؛ وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ؛ وَالشَّمْسُ بَيْضاءُ حَيَّةٌ في عِضْوٍ مِن النَّهارِ حِينَ يُسارُ فِيها فَرْسَخانِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ وَيَدْفَعُ الَحاجُّ إلىٰ مِنى؛ وَصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ؛ وَصَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ والرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صاحِبِهِ؛ وَصَلُّوا بِهِمْ صَلاةَ أَضْعَفِهِمْ وَلَا تَكُونوا فَتَّانِينَ.

قول المصنّف:

«**ومن كتاب له عليه السلام إلى**» كذا في (المصرية) ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) (ومن كتاب له عليه السلام كتبه إلى).

«**أمراء البلاد**» لا أمير مخصوص، لأن تعليمات الدين عامة.

«**في معنى**» يجوز بلفظ المكان والمفعول.

«**الصلاة**» أي: ما يتعلّق بها.

قوله عليه السلام:

«**أما بعد فصلّوا بالناس الظهر**» من حيث الدلوك.

«**حتى تفيء**» أي: ترجع قال الجوهري: قال ابن السكيت: الظلّ ما نسخته

---

(١) البحراني، تفسير البرهان ٣: ٣٤٠.

(٢) المصدر السابق ٣: ٣٤٢.

الشمس والفيء ما نسخ الشمس، وقال روبه كلّما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظلّ وما لم يكن عليه الشمس فهو ظلّ.

«الشمس» والمراد ظلّها.

«من» هكذا في (المصرية) والصواب: (مثل) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية).

«مربض العنز» قال الجوهري: (المرابض للغنم كالمعاطن للابل).

«وصلّوا بهم العصر والشمس بيضاء حية حين يسار فيها فرسخان» في باب وقت الظهر والعصر من (الكافي)، عن يزيد بن خليفة، قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ذكر عمر بن حنظلة أن أوّل صلاة افترضها الله على نبيّه صلى الله عليه وآله الظهر وهو قوله تعالى: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس ...﴾[1] فإذا زالت الشمس لم يمنعك إلّا سبحتك ثم لا تزال في وقت إلى ان يصير الظلّ قامة وهو آخر الوقت فإذا صار الظلّ قامة دخل وقت العصر فلم تزل في وقت العصر حتى يصير الظلّ قامتين وذلك المساء ـ فقال: صدق.

وعنه عليه السلام إذا زالت الشمس فقد دخل وقت الظهر إلّا ان بين يديها سبحة وذلك إليك ان شئت طوّلت وان شئت قصّرت.

وفي (الفقيه) عن الفضيل وزرارة، وبكير ومحمد بن مسلم، وبريد العجلي، عن الباقر والصادق عليهما السلام وقت الظهر بعد الزوال قدمان، ووقت العصر بعد ذلك قدمان ـ وقال أبو جعفر عليه السلام: ان حايط مسجد النبي صلى الله عليه وآله كان قامة وكان إذا مضى منه ذراع صلّى الظهر وإذا مضى منه ذراعان صلّى العصر ـ.

ثم قال: أتدري لِمَ جعل الذراع والذراعان، لمكان النافلة لك أن تتنفّل من

---

(١) الاسراء: ٧٨.

زوال الشمس إلى أن يمضي ذراع فإذا بلغ فيؤك ذراعاً بدأت بالفريضة وتركت النافلة وإذا بلغ فيؤك ذراعين بدأت بالفريضة وتركت النافلة.

وفيه، قال أبو جعفر عليه السلام لأبي بصير: ما خدعوك فلا يخدعونك من العصر صلّها والشمس بيضاء نقية فإن النبي صلى الله عليه وآله قال: الموتور أهله وماله من ضيّع صلاة العصر، قيل ما الموتور اهله وماله؟ قال: لا يكون له أهل ولا مال في الجنّة ـ قيل: وما تضييع العصر؟ قال: يدعها حتى تصفر الشمس أو تغيب.

«وصلّوا بهم» المغرب «حين يفطر الصائم» في باب وقت افطار (الكافي) عن الصادق عليه السلام ان تقوم بحذاء القبلة وتتفقد الحمرة التي ترتفع من المشرق، فإذا جازت قمّة الرأس إلى ناحية المغرب فقد وجب الافطار وسقط القرص.

وعن الصادق عليه السلام إذا غابت الحمرة من المشرق فقد غابت الشمس في شرق الأرض وغربها.

«ويدفع الحاجّ» يعني من عرفات إلى المشعر.

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام قيل له: متى الافاضة من عرفات؟ قال: إذا ذهبت الحمرة ـ يعني من الجانب الشرقي.

وعنه عليه السلام ان المشركين كانوا يفيضون قبل أن تغيب الشمس فخالفهم النبي صلى الله عليه وآله فأفاض بعد غروبها.

وعنه عليه السلام وقت المغرب إذا ذهبت الحمرة من المشرق وتدري كيف ذاك ان المشرق مطلّ على المغرب هكذا.. ورفع يمينه فوق يساره ـ فاذا غابت ههنا ذهبت الحمرة، من ههنا.

وعنه عليه السلام اتى جبرئيل عليه السلام لكلّ صلاة بوقتين غير صلاة المغرب فان وقتها واحد ـ وروي ان لها وقتين وآخر وقتها سقوط الشفق ـ قال الكليني:

وليس هذا ممّا يخالف الحديث الأول ان لها وقتاً واحداً لأن الشفق هو الحمرة وليس بين غيبوبة الشمس وغيبوبة الشفق إلّا شيء يسير وذلك ان علامة غيبوبة الشمس بلوغ الحمرة القبلة، وليس بينه وبين غيبوبة الشفق الّا قدر ما يصلّي الإنسان صلاة المغرب ونوافلها إذا صلّاها على تؤدة وسكون، وتفقدت ذلك غير مرّة ولذلك صار وقت المغرب ضيّقاً.

«وصلّوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق إلى ثلث الليل» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام تجب العتمة إذا غاب الشفق أي الحمرة ـ وعن النبي صلى الله عليه وآله لولا ان أشقّ على أُمتي لأخرت العشاء إلى ثلث الليل.

«وصلّوا بهم الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام وقت الفجر حين ينشق الفجر إلى أن يتجلل الصبح السماء، ولا ينبغي تأخير ذلك عمداً لكنّه وقت لمن شغل أو نسي أو نام.

هذا، وقد ذكر تعالى مواقيت الخمس في قوله عزوجل: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾[1] وفي قوله عز اسمه: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكر للذاكرين﴾[2] روي ان زرارة سأل الباقر عليه السلام هل سمّى الله الصلوات الخمس في كتابه فقال: نعم قال: «أقم الصلاة لدلوك الشمس ـ الآية ـ ودلوك الشمس زوالها وغسق الليل انتصافه وفي ما بينهما أربع صلوات وقرآن الفجر الخامسة ـ وقال تعالى: «وأقم الصلاة ـ إلى ـ وزلفا من الليل وهي صلاة العشاء الآخرة».

وفي (العلل) عن الرضا عليه السلام ان قيل لِمَ جعلت الصلوات في هذه الأوقات

---

(١) الاسراء: ٧٨.

(٢) هود: ١١٤.

قيل لأنّها مشهورة معلومة يعرفها الجاهل والعالم غروب الشمس مشهور معرفتها فوجب عنده المغرب وسقوط الشفق مشهور فوجوب عنده عشاء الاخرة، وطلوع الفجر مشهور فوجب عنده صلاة الصبح، وزوال الشمس مشهور فوجب عنده الظهر، ولم يكن للعصر وقت مشهور مثل الأربعة فجعل وقتها الفراغ من الظهر إلى أن يصير الظلّ من كلّ شيء أربعة أضعافه.

«وصلّوا بهم صلاة أضعفهم ولا تكونوا فتانين» وعنه عليه‌السلام آخر ما فارقت عليه حبيبي ان قال: إذا صلّيت فصل صلاة أضعف من خلفك.

وفي (الاسد)، مر حزم بن أبي كعب الأنصاري بمعاذ بن جبل، وهو يؤم قومه في صلاة المغرب فقرأ بالبقرة فانصرف حزم فلمّا أتوا النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله قال: معاذ ابدع حزم، قال حزم: افتتح سورة البقرة فصلّيت ثم انصرفت ـ فقال النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله: يا معاذ لا تكن فتاناً فان خلفك الضعيف والكبير وذا الحاجة.

ورواه (الفقيه)، وفيه، قال النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله لمعاذ: إيّاك أن تكون فتاناً عليك (بالشمس وضحيها) وذواتها.

هذا، وفي (بديع ابن المعتز) قال عباس الخياط في امام بطيء القراءة (ان قرأ العاديات في رجب لم يقرأ آياتها إلى رجب ـ أي أخر ـ بل هو لا يستطيع في سنة ـ أن يختم تبت يدا أبي لهب)[1].

١٧
الحكمة (٢٥٢)

وقال عليه‌السلام :

فَرَضَ ٱللهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ ٱلشِّرْكِ، وَٱلصَّلاةَ تَنْزِيهاً عَنِ ٱلْكِبْرِ، وَٱلزَّكَاةَ تَسْبِيباً لِلرِّزْقِ، وَالصِّيامَ ابْتِلَاءً لِإِخْلَاصِ الْخَلْقِ، وَالْحَجَّ تَقْوِيَةً

(١) ابن المعتز، البديع: ٦٨ مكتب المثنى، بغداد.

لِلدِّين، وَالْجِهَادَ عِزّاً لِلْإسْلاَمِ، وَالأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوامِّ، وَالنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ رَدْعاً لِلْسُّفَهَاءِ، وَصِلَةَ الرَّحِمِ مَنْمَاةً لِلْعَدَدِ، وَٱلْقِصَاصَ حَقْناً لِلدِّمَاءِ، وَإِقَامَةَ ٱلْحُدُودِ إِعْظَاماً لِلْمَحَارِمِ، وَتَرْكَ شُرْبِ ٱلْخَمْرِ تَحْصِيناً لِلْعَقْلِ، ومُجَانَبَةَ السَّرِقة إِيجَاباً لِلْعِفَّةِ؛ وَتَرْكَ ٱلزِّنَا تَحْصِيناً لِلنَّسَبِ، وَتَرْكَ ٱللِّوَاطِ تَكْثِيراً للنَسْلِ، وَالشَّهَادَاتِ اسْتِظْهَاراً عَلَى الْمجَاحَدَاتِ، وَتَرْكَ ٱلْكَذِبِ تَشْرِيفاً لِلصِّدْقِ؛ وَالسَّلاَمَ أَمَاناً مِنَ المَخَاوِفِ، وَالأَمانَةَ نِظَاماً لِلْأُمَّةِ، وَٱلطَّاعَةَ تَعْظِيماً لِلْإِمَامَةِ.

أقول: روى أحمد بن أبي طاهر البغدادي في (بلاغات نسائه)[1]، والصدوق في (علله). نظيره عن سيّدة النساء صلوات الله عليها في خطبتها في فدك ـ ولفظ الأول: «زعمتم حقّاً لكم أَلِلهِ فيكم عهد قدمه إليكم ونحن بقيته استخلفنا عليكم، ومعنا كتاب الله بيّنة بصائره ـ إلى أن قالت ـ ففرض الله الايمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً عن الكبر، والصيام تثبيتاً للاخلاص، والزكاة تزييداً في الرزق، والحج تثنية للدين، والعدل مشكاة للقلوب، وطاعتنا نظاماً وإمامتنا أمناً من الفرقة، وحبنا عزّاً للاسلام، والصبر منجاة، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعرّضاً للمغفرة.

وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخسة، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، وقذف المحصنات اجتناباً للعنة، وترك السرق ايجاباً للعفة، وحرم الشرك اخلاصاً له بالربوبية، ﴿اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلّا وأنتم مسلمون﴾[2] ـ الخبر ـ.

«**فرض الله الايمان تطهيراً من الشرك**» أي: من رجسه، قال تعالى: ﴿...

(١) راجع بلاغات النساء لابن أبي طاهر: ١٦ طبع النجف الأشرف.

(٢) آل عمران: ١٠٢.

فاجتنبوا الرجس من الأوثان ...﴾[1] وفي (العلل) عن الرضا عليه السلام فان قيل لِمَ أمر الخلق بالاقرار بالله وبرسوله وحجّته، وبما جاء من عنده قيل: لعلل كثيرة، منها ان من لم يقرّ بالله لم يتجنب معاصيه. ولم ينته عن ارتكاب الكبائر ولم يراقب أحداً في ما يشتهي ويستلذ من الفساد والظلم، وإذا فعل الناس هذه الأشياء وارتكب كلّ انسان ما يشتهي ويهواه من غير مراقبة لأحد كان في ذلك فساد الخلق أجمعين ووثوب بعضهم على بعض فغصبوا الفروج والأموال وأباحوا الدماء والسبي، وقتل بعضهم بعضاً من غير حق ولا جرم فيكون في ذلك خراب الدنيا وهلاك الخلق، وفساد الحرث والنسل.

ومنها ان الله عزوجل يكون حكيماً ولا يوصف بالحكمة إلّا الذي يحظر الفساد ويأمر بالصلاح ويزجر عن الظلم، وينهى عن الفحشاء، ولا يكون حظر الفساد والأمر بالصلاح، والنهي عن الفواحش إلّا بعد الإقرار بالله وبمعرفة الآمر والناهي، فلو ترك الناس بغير إقرار بالله ولا معرفة لم يثبت أمر بصلاح، ولا نهي عن فساد إذ لا آمر ولا ناهي ومنها إنّا قد وجدنا الخلق يفسدون بأمور باطنة مستورة عن الخلق، فلولا الإقرار بالله وخشيته بالغيب لم يكن أحد إذا خلا بشهوته وإرادته يراقب أحداً في ترك معصية، وانتهاك حرمة وارتكاب كبيرة، إذا فعل ذلك مستوراً عن الخلق غير مراقب لأحد فكان يكون في ذلك هلاك الخلق أجمعين، فلم يكن قوام الأمر وصلاحهم إلّا بالاقرار منهم بعليم خبير يعلم السرّ وأخفى، آمر بالصلاح ناهٍ عن الفساد ليكون في ذلك انزجار عمّا يخلون به من أنواع الفساد.

«والصلاة تنزيهاً عن الكبر» لأن في الصلاة يجعل وجهه ـ وهو أشرف أعضائه ـ على التراب فيزول الكبر عنه قهراً.

---

(١) الحج: ٣٠.

وفي (العلل) عن الرضا عليه السلام علّة الصلاة انّها إقرار لله بالربوبية، وخلع الانداد وقيام بين يدي الجبّار بالذلّ والمسكنة والخضوع واعتراف والطلب للإقالة من سالف الذنوب، ووضع الوجه على الأرض كلّ يوم خمس مرات اعظاماً لله تعالى، وان يكون ذاكراً غير ناس ولا بطراً ويكون خاشعاً متذللاً راغباً طالباً للزيادة في الدين والدنيا مع ما فيه من الانزجار، والمداومة على ذكر الله تعالى بالليل والنهار لئلا ينسى العبد سيّده ومدبره وخالقه فيبطر ويطغى فيكون في ذكره لربه وقيامه بين يديه زاجراً له عن المعاصي ومانعاً من أنواع الفساد.

«والزكاة تسبيباً للرزق» أي: رزق المساكين ولئلا يحملهم الاضرار على نهب أموال الأغنياء.

وفي (العلل) عن الرضا عليه السلام: ان علّة الزكاة من أجل قوت الفقراء وتحصين أموال الأغنياء لأن الله تعالى كلّف أهل الصحّة القيام بشأن أهل الزمانة من البلوى كما قال تعالى: ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم ...﴾[1] في أموالكم اخراج الزكاة، وفي أنفسكم توطين النفس على الصبر مع ما في ذلك من اداء شكر نعمه تعالى، والطمع في الزيادة وهم عظة لأهل الغنى وعبرة لهم ليستدلوا على فقر الآخرة بهم، وما لهم في ذلك من الحث على الشكر والخوف ان يصيروا مثلهم.

«والصيام ابتلاء لا خلاص الخلق» لاشتماله على ترك اللذائذ من المطاعم والمشارب والمناكح وتركها في غاية الصعوبة، فيكون دليلاً على كمال الاخلاص.

وأيضاً هو أمر عدمي لا يعلمه إلّا الله ان لم يخبر صاحبه به، ولذا ورد في

---

(١) آل عمران: ١٨٦.

الحديث القدسي: «الصوم لي وأنا أجزي به» - وفي تاريخ بغداد صام داود الطائي أربعين سنة ما علم به أهله وكان خرّازاً فكان يحمل غذائه معه ويتصدّق به في الطريق ويرجع إلى أهله بفطر عشاء لا يعلمون انّه صائم.

وفي (العلل) عن الرضا عليه السلام علّة الصوم لعرفان مسّ الجوع والعطش ليكون العبد ذليلاً مستكيناً مأجوراً محتسباً صابراً، فيكون ذلك دليلاً على شدائد الآخرة مع ما فيه من الانكسار له عن الشهوات واعظاً له في العاجل، دليلاً على الاجل ليعلم مبلغ ذلك من أهل المسكنة في الدنيا والآخرة[1].

«والحج تقوية للدين» في (العلل) عن الصادق عليه السلام: لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة.

«والجهاد عزّاً للاسلام» وفي (الكافي) عنه عليه السلام: ان الله تعالى فرض الجهاد وعظّمه، وجعله نصره وناصره والله ما صلحت دنيا ولا دين إلّا به.

وعن الصادق عليه السلام ان الله تعالى بعث رسوله بالاسلام إلى الناس عشر سنين فأبوا ان يقبلوا أمره إلّا بالقتال - وعن النبي صلى الله عليه وآله الخير كلّه في السيف وتحت ظلّ السيف ولا يقيم الناس إلّا السيف والسيوف مقاليد الجنّة والنار.

«والأمر بالمعروف مصلحة للعوام» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: كان إذا مر بجماعة يختصمون لا يجوزهم حتى يقول ثلاثاً: «اتقوا الله» - يرفع بها صوته.

«والنهي عن المنكر ردعاً» أي: كفا.

«للسفهاء» عن الشنائع.

وفي (الكافي) عنه عليه السلام أمرنا النبي صلى الله عليه وآله أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة - وعنه عليه السلام انما هلك من كان قبلكم حيث ما عملوا من المعاصي، ولم

(١) الصدوق، علل الشرائع ٢: ٣٧٨.

ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك.

وعن النبي صلى الله عليه وآله ان الله تعالى ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له - قيل وما المؤمن الذي لا دين له؟ قال: الذي لا ينهى عن المنكر.

وعن الصادق عليه السلام: ان الله تعالى بعث ملكين إلى أهل مدينة ليقلباها على أهلها فلمّا انتهيا إلى المدينة وجدا رجلاً يدعو الله ويتضرّع فقال أحد الملكين لصاحبه أما ترى هذا الداعي؟ فقال قد رأيته ولكن أمضي لمّا أمر به ربي، فقال لا ولكن حتى أُراجع ربي فراجع فقال تعالى: امض لمّا أمرتك فان ذا رجل لم يتمعر وجهه غيظاً لي قط.

«وصلة الرحم منماة» من النمو.

«للعدد» في (الكافي) عن سليمان بن هلال، قلت لأبي عبدالله عليه السلام ان آل فلان يبر بعضهم بعضاً ويتواصلون فقال: اذن تنمى أموالهم وينمون فلا يزالون في ذلك حتى يتقاطعوا فإذا فعلوا ذلك انقشع عنهم.

وعن النبي صلى الله عليه وآله: ان القوم ليكونون فجرة ولا يكونون بررة فيصلون أرحامهم فتنمى أموالهم وتطول أعمارهم فكيف إذا كانوا أبراراً بررة.

وعن الصادق عليه السلام: ان صلة الرحم تزكي الأعمال وتنمي الأموال وتيسّر الحساب وتدفع البلوى التي تزيد في الحساب.

«والقصاص حقنا» أي: حفظاً.

«للدماء» ﴿ولكم في القصاص حياة ...﴾[1].

«وإقامة الحدود إعظاماً للمحارم» في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام: حد يقام في الأرض أزكى فيها من مطر أربعين ليلة وأيامها.

«وترك شرب الخمر تحصيناً» أي: حفظاً.

---

(١) البقرة: ١٧٩.

«للعقل» في (المعجم) كان السيرافي على مذهب أبي حنيفة فجرى حديث تحليل النبيذ عنده فقال له بعض الخراسانيين دعنا من حديث أبي حنيفة والشافعي ما ترى أنت في شرب النبيذ؟ فقال: اما المذهب فمعروف لا عدول عنه، واما الذي يقتضيه العقل فتركا، واعلم انّه لو كان المسكر حلالاً في كتاب الله أو سنّة رسوله لكان يجب على العاقل تركه بحجّة العقل والاستحسان فان شاربه محمول على كلّ معصية مدفوع إلى كلّ بلية، مذموم عند كلّ ذي عقل ومروة يحيله عن مراتب العقلاء والفضلاء والادباء، ويجعله من جملة السفهاء، ومع ذلك فيضرّ بالدماغ والعقل والكبد والذهن ويولّد القروح في الجوف، ويسلب شاربه ثوب الصلاح والمروة والمهابة، حتى يصير بمنزلة المخبط المخريق والمثبج يقول بغير فهم، ويأمر بغير علم، ويضحك من غير عجب، ويبكي من غير سبب، ويخضع لعدوّه، ويصول على وليّه، ويعطي من لا يستحق العطية، ويمنع من يستوجب الصلة، ويبذر في الموضع الذي يحتاج فيه أن يمسك ويمسك في الموضع الذي يحتاج فيه أن يبذر، يصير حامده ذاماً، وأفعاله ملاماً، عبده لا يوقره، وأهله لا تقربه، وولده يهرب منه، وأخوه يفزع عنه، يتمرّغ في قيئه، ويتقلّب في سلحه، ويبول في ثيابه، وربما قتل قريبه، وشتم نسيبه، وطلّق امرأته، وكسّر آلة البيت، ولفظ بالخنى، وقال كلّ غليظ وفحش، يدعو عليه جاره ويزري به أصحابه، عند الله ملوم، وعند الناس مذموم، وربما يستولي عليه في حال سكره مخائل الهموم فيبكي دماً. ويشقّ جيبه حزناً وينسى القريب، ويتذكّر البعيد، والصبيان يضحكون منه، والنسوان يفتعلن النوادر عليه، ومع ذلك فبعيد من الله، قريب من الشيطان، قد خالف الرحمن في طاعة الشيطان، وتمكّن من ناصيته وزيّن في عينه اتيان الكبائر، وركوب الفواحش، واستحلال الحرام، وإضاعة

الصلوات، والحنث في الايمان، سوى ما حل به عند الافاقة من الندامة، ويستوجب من عذاب الله يوم القيامة[١].

وفي الجهشياري: حكي انّه ثقل على كتّاب المنصور تفقده الأعمال ومراعاته لها فقالوا المتطببة لو زينت له شرب النبيذ حتى يتشاغل عنّا لأعظمت المنة علينا ـ فوعدهم بذلك ولم يزل يقول له في الوقت بعد الوقت لو سخنت معدتك لأصلح جسمك ونفذ طعامك فيقول بماذا؟ فيقول بشراب العسل فلمّا ألح عليه بذلك استدعى شيئاً منه فشربه في اليوم الأول فاستطابه فعاد إليه في اليوم الثاني وازداد منه فخدره ثم عاد إليه في اليوم الثالث فأبطأ عن صلاة الظهر والعصر والعشاء فلمّا كان من غد دعا بما عنده من الشراب فأراقه، ثم قال: لا ينبغي لمثلي أن يشرب شيئاً يشغله.

وفي (الاستيعاب): كان قيس بن عاصم قد حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية، وكان سبب ذلك انّه غمز عكنة ابنته وهو سكران وسبّ أبويها ورأى القمر فتكلّم وأعطى الخمّار كثيراً من ماله فلمّا أفاق أُخبِر بذلك فحرّمها على نفسه وقال:

رأيت الخمر صالحة وفيها	خصال تفسد الرجل الحليما
فلا والله أشربها صحيحا	ولا أشفى بها أبداً سقيما
ولا أعطي بها ثمناً حياتي	ولا أدعو لها أبداً لها نديما
فان الخمر تفضح شاربيها	وتجنيهم بها الأمر العظيما

وهو الذي قال النبي صلى الله عليه وآله فيه لمّا رآه: «هذا سيد أهل الوبر ـ وكان مشهوراً بالحلم قيل للأحنف بن قيس ممّن تعلم الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم ـ الخبر ـ.

---

(١) الحموي، معجم الادباء ٨: ١٦٧ ـ ١٦٨ دار الفكر ـ لبنان.

وفي (الحلية) عن يزيد بن الأصم ن رجلاً في الجاهلية شرب فسكر فجعل يتناول القمر فحلف لا يدعه حتى ينزله فكان يثب ويخر ويكدح وجهه فلم يزل يفعل ذلك حتى خر فنام فلمّا أصبح قال لأهله: ويحكم ما شأني؟ قالوا كنت تحلف لتنزلن القمر فتثب فتخر فلقيت منه ما لقيت، فقال إن شراباً حملني على أن أُنزل القمر لا أعود إليه أبداً.

وفي (القاموس) خضف أي ضرط، والمخضفة الخمر لأنها تزيل العقل، فيضرط شاربها.

وفي (الفقيه) عن أبي جعفر عليه السلام قال تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله : اني شكرت لجعفر بن أبي طالب أربع خصال فدعاه فأخبره، فقال: لولا ان الله تعالى أخبرك ما أخبرت ما كذبت قط لأن الكذب ينقص المروءة، وما زنيت قط لأني خفت إذا عملت عمل بي، وما عبدت صنماً قط لأني علمت انّه لا يضر ولا ينفع، وما شربت خمراً لأني علمت اني ان شربتها زال عقلي فضرب النبي صلى الله عليه وآله يده على عاتقه، وقال حق على الله أن يجعل لك جناحين تطير بهما مع الملائكة في الجنّة.

وكلّف بعض الخلفاء نصيب الشاعر الشرب فقال: اني أسود اللون منتن الريح وانما يقربني الملوك لعقلي فكيف أُزيل عقلي. ذكر أبو الفرج في (أغانيه) في مطيع بن اياس قصّة ما حاصلها: انه كان له نديمان حمّاد عجرد ويحيى بن زياد الحارثي وكانوا من الزنادقة فمر بهم معامل من تجّار الكوفة في مجلسهم فدعاه مطيع إلى لذاتهم وقال له أنت الشريك لنا على شريطة أن تشتم الملائكة فنفر وقال قبّح الله عشرتكم فقال له حمّاد أساء مطيع لا ذنب للملائكة أنت شريك على أن تشتم الأنبياء فانهم تعبدونا بكلّ أمر متعب فقال له وأنت أيضاً قبّحك الله لا أدخل فدعاه يحيى فقال قبّحهم الله لقد كلفاك شططاً

انزل ولا تصل اليوم فشتمه وقال: ولا هذا فقال انزل كيف شئت فنزل فقدم يحيى الطعام فأكلوا ثم شربوا فلمّا دبت الكأس في التاجر قال له مطيع ايما أحب إليك تشتم الملائكة أو تنصرف عنّا فشتمهم ثم قال له حمّاد أيهما أحب إليك تشتم الأنبياء أو تنصرف عنّا فشتمهم فقال له يحيى تترك صلاتك اليوم أو تنصرف عنّا قال بل اتركها يا بني الزانية ولا أنصرف فعمل بسبب شرب الخمر كلّ ما أرادوه منه.

وقال ابن أبي الحديد في الحديث المرفوع ان ملكاً ظالماً خيّر انساناً بين ان يجامع أُمه، أو يقتل نفساً مؤمنة أو يشرب الخمر حتى يسكر ـ فرأى ان الخمر أدونها فشرب حتى سكر فلمّا غلب عليه السكر قام إلى أُمه فوطئها وقام إلى تلك النفس المؤمنة فقتلها! وقال: الخمر جماع الاثم وأُم المعاصي.

«ومجانبة السرقة ايجاباً للعفة» حتى جعل فيه حداً وسوّى فيه بين الرجل والمرأة فقال: ﴿السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله...﴾[1] بل ورد فيه تأديب غير البالغ، ففي (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام أتى علي عليه السلام بغلام قد سرق فطرف أصابعه، ثم قال: أما لئن عدت لأقطعنها ـ ثم قال: اما انّه ما عمله إلّا النبي صلى الله عليه وآله وأنا.

«وترك الزنا تحصيناً للنسب» في (العلل) عن الرضا عليه السلام حرّم الزنا لمّا فيه من الفساد، من قتل الأنفس وذهاب الأنساب وترك التربية للأطفال وفساد المواريث وما أشبهه من وجوه الفساد.

«وترك اللواط تكثيراً للنسل» ولذا قال لوط لقومه: ﴿ءانكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر...﴾[2] وقال تعالى: ﴿نساؤكم

---

(١) المائدة: ٣٨.

(٢) العنكبوت: ٢٩.

حرث لكم...﴾[١].

«والشهادات» ونقل (المصرية) (والشهادة) تحريف.

«استظهاراً للمجاحدات» في (العلل) عن أبي جعفر عليه السلام انما جعل الشهادة في النكاح للميراث.

وللاستظهار في المجاحدات تقبل شهادة النساء وحدهن في ما لا يجوز للرجال أن ينظروا إليه، وتقبل شهادة القابلة في حياة الولد، وتقبل شهادتهن وحدهن في الوصية وتقبل شهادة أهل الكتاب في الوصية في السفر إذا لم يوجد مسلمون، وتقبل شهادة الصبيان على القتل إذا لم يوجد غيرهم.

«وترك الكذب تشريفاً للصدق» ﴿...وكونوا مع الصادقين﴾[٢] ﴿انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون﴾[٣].

وفي (الكافي) عن أبي عبدالله عليه السلام ان الله تعالى لم يبعث نبياً إلّا بصدق الحديث واداء الأمانة وان العبد ليصدق حتى يكتب عند الله من الصادقين، ويكذب حتى يكتب عند الله من الكاذبين فاذا صدق قال تعالى: صدق وبر، وإذا كذب قال تعالى: كذب وفجر.

«والسلام أماناً من المخاوف» في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله: من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه.

وعن أبي جعفر عليه السلام أقبل أبو جهل بن هشام ومعه قوم من قريش فدخلوا على أبي طالب فقالوا ان ابن أخيك قد آذانا وآذى آلهتنا فادعه ومره

---

(١) البقرة: ٢٢٣.

(٢) التوبة: ١١٩.

(٣) النحل: ١٠٥.

فليكف عن آلهتنا ونكفّ عن الهه فبعث إلى النبي صلى الله عليه وآله فلمّا دخل لم يرَ في البيت إلّا مشركاً قال: السلام على من اتبع الهدى.

ثم جلس فخبره أبو طالب بما جاؤوا له فقال: أوهل لهم في كلمة خير لهم من هذا يسودون بها العرب ويطأون أعناقهم؟ فقال أبو جهل: وما هذه الكلمة؟ قال: تقولون (لا إله إلّا الله) فوضعوا أصابعهم في آذانهم وخرجوا هراباً وهم يقولون ما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة ان هذا إلّا اختلاف ـ الخبر ـ.

وعنه عليه السلام: دخل يهودي على النبي صلى الله عليه وآله وعنده عايشة فقال السام عليكم فقال النبي صلى الله عليه وآله: عليك ثم دخل آخر فقال مثل ذلك، فرد عليه كما رد على صاحبه ثم دخل آخر فقال مثل ذلك فرد عليه كما رد على صاحبه فغضبت عايشة فقالت عليكم السام والغضب واللعنة يا معشر اليهود يا أُخوة القردة والخنازير ـ فقال لها النبي صلى الله عليه وآله ان الفحش لو كان ممثلاً كان مثال سوء ان الرفق لم يوضع على شيء قط إلّا زانه، ولم يرفع عن شيء قط إلّا شانه قالت اما سمعت إلى قولهم (السام عليكم) فقال: بلى اما سمعت ما رددت عليهم؟ قالت: (عليكم) فاذا سلّم عليكم مسلم فقولوا (سلام عليكم) وإذا سلّم عليكم كافر فقولوا عليك.

وعنه عليه السلام مر أمير المؤمنين عليه السلام بقوم فسلّم عليهم فقالوا: عليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه فقال عليه السلام لا تجاوزوا بنا ما قالت الملائكة لأبينا إبراهيم عليه السلام انما قالوا: «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت».

وعنه عليه السلام كان علي عليه السلام يقول: افشوا السلام واطيبوا الكلام وصلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنّة بسلام ـ ثم تلا قوله تعالى: ﴿...السلام

المؤمن المهيمن...﴾(١).

وعنه عليه السلام البادي بالسلام أولى بالله وبرسوله وإذا سلّم من القوم واحد أجزأ عنهم وإذا ردّ واحد اجزأ عنهم.

«والامامة» هكذا في ابن أبي الحديد وابن ميثم وهو الصواب وفي (المصرية) (والأمانات).

«ونظاماً للأمة» في (العلل) عن هشام بن الحكم قال للصادق عليه السلام: دخلت مسجد البصرة فاذا أنا بحلقة كبيرة وإذا أنا بعمرو بن عبيد عليه شملة سوداء مؤتزر بها وشملة مرتد بها والناس يسألونه فاستفرجت الناس فأفرجوا لي ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ثم قلت: أيها العالم أنا رجل غريب تأذن لي فأسألك عن مسألة؟ فقال: نعم، قلت: ألك عين قال يا بني أي شيء هذا من السؤال!! فقلت هكذا مسألتي، قال: أرى الألوان والأشخاص، قلت: فلك أنف؟ قال: نعم. قلت: ما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة، قلت: ألك أذن؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها قال: اسمع به الأصوات قلت: أفلك قلب؟ قال: نعم قلت: فما تصنع به؟ قال أميّز به كلّ ما ورد على هذه الجوارح، قلت أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ قال: لا. قلت وكيف وهي صحيحة سليمة قال يا بني ان الجوارح إذا شكت في شيء فشمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته ردّته إلى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك، قلت فانما أقام الله القلب لشكّ الجوارح. قال: نعم. قلت: فلابد من القلب، وإلّا لم تستيقن الجوارح، قال: نعم. قلت: ان الله لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح وينفي ما شككت فيه ويترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم وشكّهم واختلافهم لا يُقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم ـ فسكت وقال: من أنت؟ قلت من أهل الكوفة، قال

(١) الحشر: ٢٣.

فاذن أنت هشام ثم ضمّني إليه وأقعدني في مجلسه وما نطق حتى قمت ـ فقال أبو عبدالله عليه السلام له: من علّمك هذا؟ قال جرى على لساني، قال يا هشام هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى.

«والطاعة تعظيماً للإمامة» في العلل عنه عليه السلام: انما الطاعة لله ولرسوله ولولاة الأمر، وانما أمر بطاعة أولي الأمر لأنّهم معصومون مطهّرون لا يأمرون بمعصية.

١٨

الحكمة (٣٧٣)

وَرَوى ابْنُ جريرِ الطَّبَرِيُّ فِي تَارِيخِهِ عَنْ عبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبى ليْلى ٱلْفَقِيهِ ـ وَكَان مِمَّنْ خَرَجَ لِقِتَالِ الْحَجَّاج مع ٱبْنِ ٱلْأَشْعَثِ ـ أَنَّهُ قال فِي مَا كَانَ يَحُضُّ به النَّاسَ عَلَى ٱلْجِهَادِ إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيّاً عليه السلام يَقُول ـ يَوْمَ لَقِينَا أَهْلَ الشَّامِ ـ:

أَيّها الْمُؤْمِنُونَ مَنْ رَأَى عُدْوَانًا يُعْمَلُ بِهِ وَمُنْكَراً يُدْعى إِلَيْهْ فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ؛ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ؛ وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ ٱللهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى فَذَلِكَ ٱلَّذِى أَصَابَ سَبِيل ٱلْهُدَى، وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ وَنُوِّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينُ ـ.

الحكمة (٣٧٤)

وَفِي كلام آخر له يَجْرِى هذا المجرَى:

فَمِنْهُمُ ٱلْمُنْكِرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ؛ فَذَلِكَ الْمُسْتَكْمِلُ لِخِصَالِ ٱلْخَيْرِ، وَمِنْهُمُ الْمُنكِرُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ، فَذَلِكَ مُتَمَسِّكٌ بِخَصْلَتَيْنِ مِنْ خِصَالِ ٱلْخَيْرِ وَمُضَيِّعٌ خَصْلَةً، وَمِنْهُمُ الْمُنْكِرُ بِقَلْبِهِ،

وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ فَذَلكَ ٱلَّذِي ضَيَّعَ أَشْرَفَ ٱلْخَصْلَتَيْنِ مِنَ الثَّلاَثِ، وَتَمَسَّكَ بَوَاحِدَةٍ، وَمِنْهُمْ تَارِكٌ لإِنْكَارِ الْمُنكَرِ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَيَدِهِ فَذَلِكَ مَيِّتُ ٱلْأَحْيَاءِ؛ وَمَا أَعْمَالُ البِرِّ كُلُّهَا وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ، عِندَ ٱلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ. وَإِنَّ ٱلْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ ـ.

الحكمة (٣٧٥)

وعن أبي جُحَيْفَةَ: قال سَمِعْتُ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ:
أَوَّلَ مَا تُغْلَبُونَ عَلَيْه مِنَ ٱلْجِهَادِ الجِهادُ بِأَيْدِيكُمْ، ثُمَّ بِأَلْسِنَتِكُمْ، ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفاً، وَلَمْ يُنْكِرْ مُنْكَراً قُلِبَ فَجُعِلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ وَأَسْفَلُهُ أَعْلَاهُ.

قول المصنف: «وروى ابن جرير الطبري في تاريخه» أي: في احداث سنة (٨٣) في هزيمة ابن الأشعث بدير الجماجم (عن هشام بن محمد عن أبي مخنف عن أبي الزبير الهمداني) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه» ذكر الخطيب في (تاريخ بغداد) أباه فقال: كان أبو ليلى خصيصاً بعلي عليه السلام يسمر معه ومنقطعاً إليه وورد المدائن في صحبته وشهد صفين معه وفي ولده جماعة يذكرون بالفقه ويعرفون بالعلم.

وعبد الرحمن بن أبي ليلى نفسه أيضاً ممدوح كأبيه فروى (أمالي المفيد) عن إبراهيم الثقفي بإسناده ان عبد الرحمن بن أبي ليلى قام إلى علي عليه السلام فقال: اني سائلك لاخذ عنك وقد انتظرنا أن تقول.... من أمرك شيئاً فلم تقله الآ تحدّثنا عن أمرك هذا، أكان بعهد من النبي صلى الله عليه وآله أو شيء رأيته فأنّا قد أكثرنا فيك الأقاويل وأوثقه عندنا ما سمعناه من فيك انّا كنّا نقول لو

رجعت إليكم بعد النبي صلى الله عليه وآله لم ينازعكم فيها أحد والله ما أدري إذا سئلت ما أقول أزعم أن القوم كانوا أولى بما كانوا فيه منك فعلى م نصّبك النبي صلى الله عليه وآله بعد حجّة الوداع، فقال: أيها الناس من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، وان تك أولى منهم فعلى م نتولّاهم ـ فقال عليه السلام: ان الله تعالى قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وأنا يوم قبضه أولى بالناس مني بقميصي ـ إلى أن قال ـ فقال عبد الرحمان فأنت يا أمير المؤمنين لعمرك كما قال الأول:

لعمري لقد أيقظت من كان نائماً وأسمعت من كانت له أُذنان

ثم الأمر كما قال المصنف من ان القائل (سمعت علياً عليه السلام يقول) ـ الخ ـ عبد الرحامن بن أبي ليلى هذا وتوهم الجزري في تاريخه ان القائل ذلك جبلة بن زحر الجعفي الذي جعله ابن الأشعث أميراً على القرّاء ـ فقال: (فلمّا حملت كتائب الحجاج على القرّاء وعليهم جبلة نادى جبلة يا عبد الرحمان بن أبي ليلى يا معشر القرّاء: ان الفرار ليس بأحد أقبح به منكم اني سمعت علياً عليه السلام يقول ـ الخ ـ ومنشأ وهمه ان الطبري قال: «قال أبو الزبير الهمداني كنت في خيل جبلة فلمّا حمل عليه أهل الشام مرّة بعد مرّة نادانا عبد الرحمان بن أبي ليلى الفقيه فقال يا معشر القرّاء» ـ الخ ـ فقرء «نادانا عبد الرحمان» «نادى يا عبد الرحمان» وجعل الفاعل ضمير جبلة.

«وكان» عبد الرحمان بن أبي ليلى.

«ممّن خرج لقتال الحجاج» كجملة من الأجلّاء منهم سعيد بن جبير.

«مع ابن الأشعث» وهو عبد الرحمان بن محمد بن ألاشعث بن قيس الكندي ـ وكان الحجاج وجهه إلى سجستان لحرب رتبيل صاحب الترك فخلع ابن الأشعث الحجاج وقال لا عدوّ لنا أعدى منه ورجع إليه لحربه ـ وكان خبيثاً فأعان على قتل مسلم بن عقيل فبلال بن أسيد الذي آوت أُمّهُ مسلماً أخبر ابن

الأشعث هذا بذلك فأقبل حتى أتى أباه وهو عند ابن زياد فسار ـ فقال له ابن زياد ما قال: قال أخبرني: ان ابن عقيل في دار من دورنا؟ قال: ذلك لأن أُم بلال كانت مولاة الأشعث.

ولمّا قال أصحاب المختار بعد هزيمته لمصعب نحن أهل قبلتكم ولسنا تركاً ولا ديلماً وقد ملكتم فاسجحوا وقد ندرتم فاعفوا فرق لهم الناس ورقّ لهم مصعب وأراد أن يخلّي سبيلهم ـ فقال ابن الأشعث هذا، وقال لمصعب اخترنا أو اخترهم فأمر مصعب بقتلهم.

واما خروج كميل وسعيد بن جبير وابن أبي ليلى معه انما كان لغرض التخلّص من سلطان عبد الملك وحكومة الحجاج، فخرج القرّاء معه وكان شعارهم ـ كما في (الحلية) ـ يا ثارات الصلاة[1] ويأتي كلام سعيد والشعبي وأبي البختري في ذلك.

«**انّه قال في ما كان يحض به الناس على الجهاد**» وحض الناس أيضاً أبو البختري وسعيد بن جبير ففي الطبري كان أبو البختري يقول أيها الناس قاتلوهم على دينكم ودنياكم، فوالله لئن ظهروا عليكم ليفسدون عليكم دينكم وليغلبن على دنياكم ـ وقال الشعبي: يا أهل الاسلام، قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم فوالله ما أعلم قوماً على بسيط الأرض أعمل بظلم ولا أجور منهم في الحكم ـ وقال سعيد بن جبير قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم، قاتلوهم على جورهم في الحكم وتجبرهم في الدين واستذلالهم الضعفاء واماتتهم الصلاة.

«**اني سمعت علياً** عليه السلام» هكذا في (المصرية) وفي ابن أبي الحديد بدل (عليه السلام) (رفع الله درجته في الصالحين وأثابه ثواب الشهداء والصديقين)

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الاصفهاني ٤: ٣٧٩ ترجمة ٢٩١.

وهكذا في (الطبري).

«يقول يوم لقينا أهل الشام» أي: في صفين.

«أيها المؤمنون انّه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام حسب المؤمن غيراً إذا رأى منكراً ان يعلم الله تعالى من قلبه انكاره.

«ومن أنكر بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه» الذي مضى وأنزل من صاحبه الذي يأتي إذا قدر على الانكار بالأعلى من اللسان وإلّا فهو الأعلى ففي (الكافي) عن الصادق عليه السلام لمّا نزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً...﴾[1] جلس رجل من المسلمين يبكي وقال: أنا عجزت عن نفسي فكلفت أهلي، فقال النبي صلى الله عليه وآله حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك وتنهاهم عمّا تنهى عنه نفسك.

«ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونوّر في قلبه اليقين» وزاد في رواية الطبري «فقاتلوا هؤلاء المحلين المحدثين المبتدعين الذين قد جهلوا الحق فلا يعرفون، وعملوا بالعدوان فلا ينكرونه» إلّا ان المصنف لم ينقله لاحتماله كونه انشاء من ابن أبي ليلى.

ونظير خطبته عليه السلام خطبة ابنه الحسين عليه السلام بالبيضة ففي (الطبري) قال أبو مخنف عن عقبة بن أبي العيزاران الحسين عليه السلام خطب أصحابه وأصحاب الحر بالبيضة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ان النبي صلى الله عليه وآله قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسوله، يعمل في عباده بالإثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله

---

(١) التحريم: ٦.

أن يدخله مدخله ألا وان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمان وأظهروا الفساد وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غير.

قول المصنّف:

«وفي كلام آخر له يجري هذا المجرى» هكذا في (المصرية)، ولكن في حد (وقال عليه السلام في كلام له غير هذا المجرى).

ورواه (فقه الرضا) هكذا، روي أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يخطب فعارضه رجل وقال: حدّثنا عن ميت الأحياء فقطع عليه السلام الخطبة وقال - منكر للمنكر بقلبه ولسانه ويديه فخلال الخير حصّلها كلّها، وتارك بلسانه ويده، ومنكر للمنكر بقلبة وتارك بلسانه ويده فخلّة من خلال الخير حاز وتارك للمنكر بقلبه ولسانه ويده فذلك ميّت الأحياء - ثم عاد إلى خطبته[1].

«فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه فذلك المستكمل لخصال الخير» لا ريب ان مع التمكن من الثلاث تجب الثلاث لكن اختلف في ان الانكار باليد هل يجوز إذا وصل إلى حد الجراح والقتل أم لا - قال الشيخ في اقتصاده: الظاهر من مذهب شيوخنا الإمامية ان هذا الجنس من الانكار لا يكون إلّا للأئمة عليهم السلام أو لمن يأذن له الامام عليه السلام فيه وكان المرتضى يخالف في ذلك ويقول: يجوز فعل ذلك بغير اذنه لأن ما يفعل باذنهم يكون مقصوداً وهذا بخلاف ذلك لأنّه غير مقصود، انما قصده المدافعة والممانعة فان وقع ضرر فهو غير مقصود.

«ومنهم المنكر للمنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيّع خصلة» في (عيون القتيبي) قال مالك بن دينار: بلغنا أن حبراً من أحبار بني اسرائيل كان يغشاه الرجال والنساء فغمز بعض بنيه

---

(١) (فقه الامام الرضا) : ٥١ (باب الأمر بالمعروف..) طبع حجري ١٢٧٤ هـ. ق ايران.

النساء فرآهم فقال: مهلاً يا بني مهلاً ـ فسقط عن سريره فانقطع نخاعه واسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيوش وقيل له: ما يكون من جنسك حبر أبداً ما كان غضبك لي إلّا أن قلت يا بني مهلاً.

«ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيّع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة» قال ابن أبي الحديد في اللام (الخصلتين) زائده وأصله (أشرف خصلتين من الثلاث) لأنّه لا وجه لتعريف المعهود ههنا بل في (الثلاث) فاثبات اللام فيها أحسن كما تقول (قتلت أشرف رجلين من الرجال الثلاثة).

قلت بل التعريف واجب فيهما أما (الثلاث) فلأنّه ليس الكلام في كلّ ثلاث خصال بل الخصال الثلاث المعهودة من الانكار باليد واللسان والقلب وقد عرفت بالإضافة في قوله قبل (لخصال الخير) وقوله (من خصال الخير) وعرفت هنا باللام وأما (الخصلتين) فلو نكروا قيل (أشرف خصلتين) لصار المعنى واحدة أشرف مع ان المراد كون الخصلتين أشرف وأيضاً الخصلتان معهودتان كالثلاث فلا وجه لترك التعريف وما ذكره من المثال من صنعه لا تتكلّم العرب بمثله.

«ومنهم تاركٌ لانكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الأحياء» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام أوحى الله تعالى إلى شعيب اني معذّب من قومك مائة ألف أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم، فقال: يا ربّ هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال عزوجل: لأنّهم داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي.

وعنه عليه السلام ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

«وما أعمال البر كلّها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر إلاّ كنفثة» قال الجوهري: النفث شبيه بالنفخ.

«في بحر لجي» لأنّهما سببان للاتيان بالواجبات وترك المحرّمات.

ويكفي في فضلهما مضافاً إلى قوله عليه السلام قول الصادق عليه السلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله فمن نصرهما أعزّه الله، ومن خذلهما خذله الله.

وفي (الكافي) عن الباقر عليه السلام يكون في آخر الزمان قوم ينبغ فيهم قوم مراءون ينعرون وينسكون حدثاء سفهاء لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر إلاّ إذا آمنوا الضرر يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير يتبعون زلّات العلماء وفساد عملهم يقبلون على الصلوات والصيام ومالا يكلّمهم في نفس ولا مال ولو أضرّت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتأمن المذاهب وتحلّ المكاسب وترد المظالم وتعمّر الأرض وتنتصف من الأعداء وتستقيم الأمور فأنكروا بقلوبكم والفظوا بألسنتكم وصكّوا بها جباههم ولا تخافوا في الله لومة لائم فان اتعظوا وإلى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم فجاهدوا بأبدانكم وابغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطاناً ولا باغين مالاً حتى يفيئوا إلى أمر الله تعالى.

«وان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق» رواه (الكافي) عنه عليه السلام مع زيادة قبله وبعده مشتملة على علّة الكلام ففيه خطب عليه السلام وقال أما بعد فانما هلك من كان قبلكم حيثما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك وانهم لمّا تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات فأمروا

بالمعروف وانهوا عن المنكر واعلموا ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لن يقربا أجلاً ولن يقطعا رزقاً ان الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كلّ نفس بما قدّر الله لها من زيادة أو نقصان.

«**وأفضل من ذلك**» هكذا في (المصرية) والصواب: (وأفضل ذلك) بدون من كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية.

«**كلمة عدل عند امام جائر**» روى ابن داود في سننه عن طارق بن شهاب قال أخرج مروان المنبر يوم عيد وبدأ بالخطبة قبل الصلاة فقام رجل فقال يا مروان خالفت السنّة أخرجت المنبر يوم عيد ولم يكن يخرج فيه وبدأت بالخطبة قبل الصلاة ـ فقال أبو سعيد الخدري من هذا فقالوا فلان بن فلان فقال أما هذا فقد قضى ما عليه سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول من رأى منكراً فاستطاع أن يغيّره بيده فليغيّره بيده فان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان[1].

وفي (الكشي) عن ابن عايشة ان هشاماً حجّ في خلافة أخيه الوليد أو أبيه عبد الملك فطاف بالبيت فأراد أن يستلم الحجر فلم يقدر عليه من الزحام فنصب له منبر فجلس عليه وأطاف به أهل الشام فبينا هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين عليه السلام وعليه ازار ورداء من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم رائحة بين عينيه سجادة كأنها ركبة عير فجعل يطوف بالبيت فإذا بلغ إلى موضع الحجر تنحى الناس عنه حتى يستلمه هيبة له واجلالاً فغاظ ذلك هشام فقال له رجل من أهل الشام من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة وأخرجوا له عن الحجر يا هشام فقال لا أعرفه لئلا يرغب فيه أهل الشام فقال الفرزدق ـ وكان حاضراً ـ لكني أعرفه فقال الشامي من هذا يا أبا فراس فقال:

---

(١) سنن أبي داود ١ : ٩٦، حديث ١١٤٠ وكذلك رقم ٤٣٤٠.

هذا الذي تعرفُ البطحاءَ وطأتَه والبيتَ يعرفهُ والحلّ والحرمُ
هـذا ابـنُ خـير عـباد الله كـلّهمُ هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ

إلى أن قال:

يكادُ يمسِكهُ عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاءَ يَستَلِمُ

إلى أن قال:

من معشر حبّهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجىً ومعتصمُ
يستدفع السوء والبلوى بحبّهم ويسترَبُّ به الاحسان والنعمُ
مقدَّم بعدَ ذكر الله ذكرُهم في كلّ يوم ومختومٌ به الكلمُ
ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل همُ

فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق ـ الخبر ـ ورواه (الحلية) (والإرشاد) (والأغاني) (ومناقب الكنجي) الشافعي[1] ـ وفي الأخير قال القسطلاني قال القرطبي لو لم يكن للفرزدق عند الله عمل إلّا هذا لدخل به الجنّة لأنّه كلمة حق عند ذي سلطان جائر[2].

وفي المعجم كان ابن السكيت يعقوب بن اسحاق من أعلم الناس باللغة والشعر راوية ثقة ولم يكن بعد ابن الأعرابي مثله وكان قد خرج إلى سر من رأى فصيّره عبدالله بن يحيى بن خاقان إلى المتوكل فضمّ إليه ولده يؤدبهم وأسنى له الرزق فبينما هو مع المتوكل يوماً جاء المعتز والمؤيد فقال له المتوكل أيّهما أحبّ إليك إبناي هذان أم الحسن والحسين ـ فذكر ابن السكيت الحسنين بما هما أهله وسكت عن ابنيه.

وقيل: قال له: ان قنبراً خادم علي عليه السلام أحبّ الي من ابنيك وكان يتشيّع

(١) كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ٤٥٢ ـ ٤٥٣ دار احياء تراث أهل البيت . قم.

(٢) المصدر نفسه: ٤٥٤ تحقيق الأميني.

فأمر المتوكل الأتراك فسلّوا لسانه وداسوا بطنه وحمل إلى بيته فعاش يوماً وبعض آخر ومات سنة (٢٤٣) وقيل سنة (٢٤٦)[1].

وقال ابن أبي الحديد كلمة العدل عند الامام الجائر نحو ما روى ان زيد بن أرقم رأى ابن زياد ـ ويقال بل يزيد ـ يضرب بقضيب في يده ثنايا الحسين عليه السلام فقال له ارفع يدك عنها فطالما رأيت النبي صلى الله عليه وآله يقبلها.

قلت: خلط في قوله (أنكر زيد على ابن زياد وقيل بل على يزيد) وكان أنكر على كلّ من ابن زياد ويزيد صحابي زيد على ابن زياد وأبو برزة على يزيد روى (الطبري) ذلك والمصداق الكامل لقوله عليه السلام انكار عبدالله بن عفيف الأزدي على عبيدالله ففي (الطبري) عن حميد بن مسلم بعد ذكر ورود أهل البيت مجلسه لمّا دخل عبيدالله القصر نودي للصلاة جامعة فاجتمع الناس في المسجد الأعظم فصعد المنبر وقال الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه وقتل الكذّاب ابن الكذّاب الحسين بن علي وشيعته فلم يفرغ من مقالته حتى وثب عليه عبدالله بن عفيف الأزدي.

ثم الغامدي ثم أحد بني والبة ـ وكان شيعة علي عليه السلام وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل معه عليه السلام فلمّا كان يوم صفين ضرب على رأسه ضربة وعلى حاجبه أُخرى فذهبت عينه الأُخرى فكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم يصلّي فيه إلى الليل ثم ينصرف ـ فقال يا ابن مرجانة ان الكذّاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولّاك وأبوه يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين. فقال ابن زياد عليّ به فوثبت عليه الجلاوزة فأخذوه فنادى بشعار الأزد يا مبرور ـ وعبد الرحمان بن مخنف الأزدي جالس فقال ويح غيرك أهلكت نفسك وأهلكت قومك وحاضر الكوفة يومئذ

---

(١) معجم الأدباء للحموي: ٢٠ / ٥٠ ـ ٥١.

من الأزد سبعمائة مقاتل ـ فوثب إليه فتية من الأزد فانتزعوه فأتوا بـه أهـله فأرسل إليه من أتاه به فقتله وأمر بصلبه في السبخة فصلب هنالك ثم نصب رأس الحسين فجعل يدار به في الكوفة.

قول المصنف: «وعن أبي جحيفة» الظاهر ان دونه عطفاً على (عن عـبد الرحمان) ثم في الاستيعاب أبـو جـحيفة هـو وهب الخـير السـوائـي جـعله علي عليه السلام على بيت المال بالكوفة وشهد معه مشاهده وروي انّه ما أكل ملء بطنه حتى فارق الدنيا بعد قول النبي صلى الله عليه وآله له (اكفف جشأك فان أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة).

وعنونه الخطيب في (تاريخ بغداد) وروى عنه حـديث ذي الثـدية وان أمير المؤمنين عليه السلام أخبرهم بوجوده في قتلى النهروان فتفقدوه حتى وجدوه.

«قـال سـمعت أمـير المـؤمنين عليه السلام يـقول أول» هكـذا فـي (المـصرية) والصواب: (ان أول) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية).

«ما تغلبون عليه من الجهاد بأيديكم ثم بألسنتكم» كان عبد المـلك يـقول لست الخليفة المستضعف ولا المداهن ولا المأفون يعني عـثمان ومـعاوية ويزيد ـ فمن قال لي اتق الله ضربت الذي فيه عيناه.

«ثم بقلوبكم» هكذا في النسخ والظاهر كونه مصحف.

«لا بقلوبكم» فلا يمكن أن يغلب أحد على قلبه إلّا من الهه فهو الذي يحول بين المرأ وقلبه.

ولا يصح (ثم بقلوبكم) إلّا بأن يكون (تغلبون عليه) مـحرّف (تـقلبون إليه) كما رواه (تفسير) القمي ففيه (قال عليه السلام ان أول ما تقلبون إليه من الجهاد) الجهاد بايديكم ثم الجهاد بقلوبكم فمن لم يعرف قلبه ولم ينكر مـنكر أنكس

فجعل أسفله أعلاه أبداً فلا يقبل خيراً أبداً)[١].

«فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ولم ينكر منكراً قلب فجعل أعلاه أسفله» فيصير مسخاً.

«وأسفله أعلاه» هكذا في (المصرية) وهو زائد لعدم وجوده في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية) ولفهمه ممّا قبله.

روى (سنن أبي داود) عن ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وآله: ان أوّل ما دخل النقص على بني اسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانّه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلمّا فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض.

ثم قال ﴿لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ـ إلى ـ فاسقون﴾[٢] ثم قال كلا والله لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتاطرنه على الحق اطراً ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على ثم ليلعننكم كما لعنهم[٣].

وفي مجازات المصنف عن النبي صلى الله عليه وآله لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليلحينكم الله كما لحيت عصاي هذه ـ وأشار إلى عود في يده ـ وقال تعالى ﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون﴾[٤] ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلّا قليلاً ممّن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه

---

(١) تفسير القمي ١: ٢١٣.

(٢) المائدة: ٧٨ ـ ٨١.

(٣) هو حديثان الأول برقم ٤٣٣٦ والثاني برقم ٤٣٣٧ راجع (سنن أبي داود) ٤ / ١٢١ ـ ١٢٢ طبع مصر.

(٤) المائدة: ٦٣.

وكانوا مجرمين﴾[١] ﴿...وقالت أُمة منهم لِمَ تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلّهم يتقون* فلمّا نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون﴾[٢].

وفي صفين نصر لمّا أمر علي عليه السلام الناس بالمسير إلى الشام دخل ابن المعتم العبسي وحنظلة بن الربيع التميمي في رجال كثير من غطفان وتميم عليه عليه السلام فقال له حنظلة لا تعجل إلى قتال أهل الشام فاني لا أدري إذا التقيتم لمن تكون الغلبة وعلى من تكون الدبرة.

وتكلّم ابن المعتم ومن معهما بمثل حنظلة ـ فقال عليه السلام بعد الثناء عليه تعالى أما بعد فان الله وارث العباد والبلاد ورب السماوات السبع والأرضين السبع وإليه ترجعون يؤتي الملك من يشاء وينزعه عمّن يشاء ويعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء أما الدبرة فانها على الضالين العاصين ظفروا أو ظفر بهم وأيم الله اني لأسمع كلام قوم ما أراهم ان يعرفوا معروفاً ولا ينكروا منكراً.

وفي (الأمالي) عن الباقر عليه السلام ان الله ليعذب الجعل في جحرها بحبس المطر عن الأرض التي هي بمحلتها بخطايا من بحضرتها وقد جعل الله لها السبيل إلى مسلك سوى محلة أهل المعاصي وقال النبي صلى الله عليه وآله إذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولم يتّبعوا الأخيار من أهل بيتي سلّط الله عليهم شرارهم فيدعو عند ذلك خيارهم فلا يستجابون[٣].

وعنهم عليهم السلام لا يحلّ لعين مؤمنة ترى الله يعصى ان تطرف حتى تغيّره

(١) هود : ١١٦ .

(٢) الاعراف : ١٦٤ ـ ١٦٥ .

(٣) الصدوق، الأمالي : ٣٠٨، ٩٧ / ٧٢ رواية ٥ مؤسسة الوفاء، ونقله المجلسي في بحار الأنوار.

وفي العقاب عن الصادق عليه السلام من نشأ في قوم ثم لم يؤدب على معصيته فان أول ما يعاقبهم فيه ان ينقص من أرزاقهم.

وعن النبي صلى الله عليه وآله إذا تركت أُمتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلتؤذن بوقاع من الله تعالى.

وعن الصادق عليه السلام ما أقر قوم بالمنكر بين أظهرهم لا يغيّرونه إلّا أوشك أن يعمّهم الله بعقاب من عنده ـ وعن علي عليه السلام ان الله تعالى لا يعذّب العامة بذنب الخاصة إذا عملت الخاصة بالمنكر سرّاً من غير أن تعلم العامة فاذا عملت الخاصة بالمنكر جهاراً فلم تغيّر ذلك العامة استوجب الفريقان العقوبة ولا يحضرن أحدكم رجلاً يضربه سلطان جائر ظلماً ولا مقتولاً ولا مظلوماً إذا لم ينصره لأن نصرة المؤمن على المؤمن فريضة واجبة إذا هو حضره والعافية أوسع ما لم تلزمك الحجّة.

ولمّا جعل التفضّل في بني إسرائيل جعل الرجل منهم يرى أخاه على الذنب فينهاه فلا ينتهي فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وجليسه وشريبه حتى ضرب الله تعالى قلوب بعضهم ببعض يقول تعالى ﴿لُعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون* كانوا لا يتناهوا عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾[1].

وروى العياشي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه...﴾[2] قال اما انّهم لم يكونوا يدخلون مداخلهم ولا يجلسون مجالسهم ولكن كانوا إذا لقوهم ضحكوا في وجوههم وأنسوا بهم.

وفي (الروضة) عن الصادق عليه السلام لاخذن البرئ منكم بذنب السقيم ولم

---

(١) المائدة ٧٨ ـ ٧٩.

(٢) المائدة : ٧٩.

لا أفعل ويبلغكم عن الرجل ما يشينه ويشينني فتجالسونهم وتحدثونهم:

أما لأحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم قال الحرث النصري فدخلني من ذلك أمر عظيم فقال نعم ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل ما تكرهونه أن تأتوه فتؤنبوه فقلت اذن لا يقبل فقال اذن فاهجروه ولا تجالسوه.

وفي (الكافي) ان الله تعالى أوحى إلى داود اني قد غفرت ذنبك وجعلت عار ذنبك على بني اسرائيل فقال يا رب كيف وأنت لا تظلم قال انّهم لم يعاجلوك بالنكرة ـ وفي (مجالس الشيخ) عن الصادق عليه السلام كان شيخ ناسك يعبد الله في بني اسرائيل فبينا هو يصلّي وفي عبادته إذ بصر بغلامين صبيين إذ أخذا ديكاً وهما ينتفان ريشه فأقبل على ما هو فيه من العبادة ولم ينههما فأوحى الله تعالى إلى الأرض ان سيخي به فساخت به وهو يهوي أبد الابدين[١].

وعن (المشكاة) عن النبي صلى الله عليه وآله لايزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر فاذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلّط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء[٢].

وعن العياشي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبيّنات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين...﴾[٣] قد علم ان هؤلاء لم يقتلوا ولكن كان هواهم مع الذين قتلوا فسمّاهم قاتلين.

وعنه عليه السلام قال لمحمّد بن الأرقط تنزلون الكوفة ترون قتلة الحسين عليه السلام بين أظهركم قال ما بقي منهم أحد قال أنت لا ترى القاتل إلّا من

---

(١) الطوسي، الأمالي: ٦٦٩، حديث (١٤٠٧) مؤسسة البعثة.

(٢) الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار: ٤٩ (فصل ١٣)، المطبعة الحيدرية، النجف.

(٣) آل عمران: ١٨٣.

ولى القتل أما تسمع إلى قوله تعالى ﴿...قل قد جاءكم رسل من قبلي...﴾[1] ـ الآية ـ.

وعنه عليه السلام ان الله تعالى بعث إلى بني اسرائيل نبياً يقال له أرميا فقال قل لهم ما بلد بنفسه من كرام البلدان وغرس فيه من كرام الغروس فاخلف فأنبت خرنوباً فقال لهم فضحكوا منه فأوحى إليه ان البلد البيت المقدس والغرس بنو اسرائيل فعملوا بمعاصي فلأسلطن عليهم في بلدهم من يسفك دماءَهم ويأخذ أموالهم وان بكوا لم أرحم بكاءهم لأخربنها مائة عام ثم لأعمرنها ـ فلمّا حدّثهم جزعت العلماء فقالوا ما ذنبنا ولم نكن نعمل بعملهم فأوحى إليه قل لهم انكم رأيتم المنكر فلم تنكروه وسلّط عليهم بخت نصر ففعل بهم ما قد ذكر.

هذا وفي (الأغاني) عن المدائني قال لمّا خرج ابن الأشعث على الحجاج كان معه أبو حزابة فمروا بدستبي وبها (مستراد الصناجة) وكان لا يبيت بها أحد إلّا بمائة درهم فبات بها أبو حزابة ورهن عندها سرجه فلمّا أصبح وقب لعبد الرحمان وقال:

أمر عضال نابني في العج ... كأنني مطالب بخرج

ومستراد ذهبت بالسرج ... في فتنة الناس وهذا الهرج

فعرف ابن الأشعث القصة وضحك وأمر بأن يفك له سرجه ويعطي معه ألف درهم وبلغت القصة الحجاج فقال ايجاهر في عسكره بالفجور فيضحك ولا ينكر ظفرت به ان شاء الله.

---

(١) آل عمران : ١٨٣.

١٩
في الخطبة (١٥١)

وَإِنَّ ٱلْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ، وَإِنَّهُمَا لَا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ وَلَا ينقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ.

أقول: انّه عين ما في سابقه وانما زيد في هذا (لخلقان من خلق الله سبحانه).

وكيف كان فقد قال تعالى: ﴿ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به...﴾[1] ـ ﴿ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلّكم تذكرون﴾[2].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام انما يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمن فيتعظ أو جاهل فيتعلم وأما صاحب سوط أو سيف فلا ـ ومن تعرّض لسلطان جائر فأصابته بلية لم يؤجر عليها ولم يرزق الصبر عليها.

وعنه عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وآله من طلب برضاء الناس ما يسخط الله كان حامده ذاماً ومن آثر طاعة الله تعالى بما يغضب الناس كفاه الله عداوة كلّ عدوّ وبغي كلّ باغ وكان الله له ناصراً وظهيراً.

٢٠
الحكمة (١١٠)

وَقَالَ عليه السلام:

لَا يُقِيمُ أَمْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ لَا يُصَانِعُ، وَلَا يُضَارِعُ،

---

(١) النساء: ٥٨.

(٢) النحل: ٩٠.

وَلَا يَتَّبِعُ الْمَطَامِعَ.

في (تاريخ) بغداد عن شعيب بن حرب بينا أنا في طريق مكة إذ رأيت الرشيد فقلت لنفسي وجب عليك الأمر والنهي فقالت لي لا تفعل فان هذا رجل جبّار يضرب عنقك فقلت لنفسي لابد من ذلك.

فلمّا دنا مني صحت يا هارون قد أتعبت الأُمة واتعبت البهائم فقال خذوه فأدخلت عليه وهو على كرسي وبيده عمود يلعب به فقال ممّن الرجل قلت من افناء الناس فقال ممّن؟ ثكلتك أُمك قلت من الأبناء ـ أي أبناء خراسان ـ قال فما حملك على أن تدعوني باسمي فقلت أنا أدعو الله باسمه فأقول يا الله يا رحمان ولا أدعوك باسمك وقد رأيت الله سمى في كتابه أحبّ الخلق إليه محمّد وكنى أبغض الخلق إليه أبا لهب فقال أخرجوه فأخرجت .

وفي (الحلية) عن ابن (طاووس) اليماني قال كنت لا أزال أقول لأبي انّه ينبغي أن نخرج على هذا السلطان ـ فخرجنا حجاجاً فنزلنا في بعض القرى وفيها عامل يقال له ابن نجيح وكان من أخبث العمّال فشهدنا صلاة الصبح في المسجد فاذا ابن نجيح قد اخبر بطاووس فجاء فقعد بين يديه فسلم عليه فلم يجبه فكلّمه فأعرض عنه ثم عدل إلى الشق الأيسر فأعرض عنه وهكذا فلمّا رأيت ما به قمت إليه فمددت بيده وجعلت أسأله وقلت له ان أبا عبد الرحمان لم يعرفك قال بلى معرفتي به فعل بي مارأيت ـ فمضى وهو ساكت لا يقول لي شيئاً فلمّا دخلت المنزل التفت الي وقال يا لكع بينما أنت زعمت أن تخرج عليهم بسيفك لم تستطع أن تحبس عنهم لسانك.

وفي (كامل) المبرد روى ان معاوية لمّا نصب يزيد لولاية العهد أقعده في قبّة حمراء فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون الى يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع إلى معاوية فقال اعلم انك لو لم تول هذا أمور

المسلمين لأضعتها والأحنف جالس فقال له معاوية ما بالك لا تقول يا أبا بحر فقال أخاف الله ان كذبت وأخافكم ان صدقت فلمّا خرج الأحنف لقيه الرجل بالباب فقال له اني لأعلم ان من شرّ خلق الله هذا وابنه ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأمال بالأبواب والأقفال فلسنا نطمع في استخراجها إلّا بما سمعت فقال له الأحنف يا هذا امسك فان ذا الوجهين خليق ألا يكون ـ عند الله وجيهاً ـ وروي ان يزيد قال لمعاوية في يوم بويع له فجعل الناس يمدحونه والله ما ندري أنخدع الناس أم يخدعوننا فقال له معاوية كلّ من أردت خدعه فتخادع لك حتى تبلغ منه حاجتك فقد خدعته.

وفي (الحلية) عن أبي سعيد الخدري لمّا نزل ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾[1] قال النبي ﷺ (أنا وأصحابي خير والناس خير لا هجرة بعد الفتح) فحدثت بهذا الحديث مروان ـ وكان أميراً على المدينة ـ فقال كذبت ـ وكان عنده زيد بن ثابت ورافع بن خديج وهما معه على السرير ـ فقلت اما ان هذين لو شائا لحدثاك ولكن هذا ـ يعني رافعاً ـ يخشى على عرافة قومه وهذا ـ يعني زيداً ـ يخشى أن تنزعه عن الصدقة.

٢١
الحكمة (١٧٤)

وقال عليه السلام:

«مَنْ أَحَدَّ سِنَانَ الْغَضَبِ لِلهِ قَوِيَ عَلَى قَتْلِ أَشِدَّاءِ الْبَاطِلِ».

أقول قريب منه قوله:

إذا كان هادي الفتى في البلاد صدر القناة ما أطاع الأمير في (تاريخ بغداد) كانت الخيزران ـ أُم الرشيد ـ قد وجهت رجلاً نصرانياً على الطراز

(١) النصر: ١.

بالكوفة وكتب إلى موسى بن عيسى ألا يعصي له أمراً فكان مطاعاً بالكوفة فخرج يوماً معه جماعة من أصحابه عليه جبّة خز وطيلسان على برذون فاره وإذا رجل بين يديه مكتوف وهو يقول «واغوثاه بالله ثم بالقاضي» وإذا آثار سياط في ظهره فسلّم على شريك وجلس إلى جانبه فقال المضروب لشريك أنا رجل أعمل الوشي كراء مثلي مائة في الشهر أخذني هذا مذ أربعة أشهر فاحتبسني في طراز يجري على القوت ولي عيال قد ضاعوا فأفلت اليوم منه فلحقني ففعل بظهري ما ترى.

فقال قم يا نصراني فاجلس مع خصمك فقال يا هذا أنا من خدم السيدة مر به إلى الحبس قال قم ويلك فاجلس معه كما يقال لك فجلس معه فقال له شريك ما هذه الآثار التي بظهر هذا الرجل من أثرها به قال أنا ضربته بيدي أسواطاً وهو يستحق أكثر، مر به إلى الحبس، فألقى شريك كسائه ودخل داره فأخرج سوطاً ربذياً ثم ضرب بيده إلى مجامع ثوب النصراني وقال للرجل انطلق إلى أهلك.

ثم رفع السوط فجعل يضرب به النصراني ويقول له لا تضرب والله المسلم بعدها أبدا فهمّ أعوانه أن يخلصوه فقال شريك من ههنا من فتيان الحي خذوا هؤلاء فاذهبوا بهم إلى الحبس فهرب القوم جميعاً وافردوا النصراني فضربه أسواطاً فجعل النصراني يعصر عينيه ويبكي ويقول له ستعلم فألقى شريك السوط في الدهليز وقام النصراني إلى البرذون ليركبه فاستعصى عليه ولم يكن له من يأخذ بركابه فجعل يضرب البرذون.

فقال له شريك ويلك ارفق به فانه أطوع لله منك فمضى النصراني فقيل لشريك يكون لفعلك هذا عاقبة مكروهة فقال «أعز أمر الله يعزّك الله» وذهب النصراني إلى موسى بن عيسى فقال له من فعل هذا بك قال شريك وغضب

الأعوان وصاحب الشرط، فقال موسى لا والله ما أتعرض لشريك، فمضى النصراني إلى بغداد فما رجع.

وفيه تقدم إلى شريك القاضي وكيل لمؤنسه مع خصم له فجعل يستطيل على خصمه ادلالاً بموضعه من مؤنسه فقال له شريك كفّ لا أباً لك قال اتقول لي هذا وأنا وكيل مؤنسه، فأمر به شريك فصفع عشر صفعات فانصرف ودخل على مؤنسه وشكا فكتب مؤنسه إلى المهدي فعزل شريكاً ـ وكان قبل هذا قد دخل شريك على المهدي فقال له ما ينبغي أن تقلد الحكم بين المسلمين قال ولِمَ قال لخلافك على الجماعة وقولك بالامامة.

قال أما قولك بخلافي على الجماعة فعن الجماعة أخذت ديني فكيف أُخالفهم وهم أصلي في ديني وأما قولك (وقولي بالامامة) فما أعرف إلّا كتاب الله وسنّة رسوله.

وأما قولك مثلك ما يقلد الحكم بين المسلمين فهذا شيء أنتم فعلتموه فان كان خطأً فاستغفروا الله منه وان كان صواباً فامسكوا عليه فقال له المهدي ما تقول في علي بن أبي طالب؟

قال أقول فيه ما قاله فيه جداك العباس وعبدالله قال وما قالا فيه؟ قال فاما العباس فمات وعلي عنده أفضل الصحابة وقد كان يرى كبراء المهاجرين يسألونه عمّا ينزل بهم من النوازل وما احتاج هو إلى أحدٍ حتى لحق بالله وأما عبدالله فانّه كان يضرب بين يديه بسيفين وكان في حروبه رأساً متبعاً وقائداً مطاعاً فلو كانت إمامته على جور كان أوّل من يقعد عنها أبوك لعلمه بدين الله وفقهه في أحكام الله فسكت المهدي وأطرق ولم يمض بعد هذا المجلس إلّا قيل حتى عزل شريكاً.

وفيه أيضاً أتت شريكاً يوماً امرأة من ولد جرير البجلي الصحابي وهو

في مجلس الحكم فقالت أنا بالله ثم بالقاضي امرأة من ولد جرير صاحب النبي صلى الله عليه وآله ورددت فقال لها أيها عنك الآن من ظلمك قالت الأمير موسى بن عيسى كان لي بستان على شاطئ الفرات لي فيه نخل ورثته عن آبائي وقاسمت اخوتي وبنيت بيني وبينهم حايطاً وجعلت فيه فارسياً يحفظ النخل ويقوم ببستاني فاشترى الأمير من أخوتي جميعاً وساومني وأرغبني فلم أبعه فلمّا كان في هذه الليلة بعث بخمسمائة فاعل فاقتلعوا الحائط فأصبحت لا أعرف من نخلي شيئاً واختلط بنخل اخوتي فقال يا غلام طينه فختم.

ثم قال لها أمضي إلى بابه حتى يحضر معك فجاءت المرأة بالطينة فأخذها الحاجب ودخل على موسى فقال أعدي شريك عليك قال ادع لي صاحب الشرط فدعا به فقال امضي إلى شريك فقل يا سبحان الله ما رأيت أعجب من أمرك امرأة ادّعت دعوى لم تصح أعديتها عليّ فقال له صاحب الشرطة ان رأى الأمير أن يعفيني فليفعل.

فقال امض ويلك فخرج وأمر غلمانه أن يتقدموا إلى الحبس بفراش وغيره من آلة الحبس فلمّا جاء فوقف بين يدي شريك فأدّى الرسالة قال خذ يا غلام بيده فضعه في الحبس قال قد والله يا أبا عبدالله عرفت انّك تفعل بي هذا فقدمت ما يصلحني إلى الحبس وبلغ موسى بن عيسى الخبر.

فوجّه الحاجب إليه فقال هذا من ذاك رسول أي شيء عليه فلمّا وقف بين يديه وأدّى الرسالة قال الحقه بصاحبه فحبس فلمّا صلّى الأمير العصر بعث إلى إسحاق بن صباح الأشعثي وجماعة من وجوه أهل الكوفة من أصدقاء شريك فقال امضوا إليه وابلغوه السلام واعلموه انّه قد استخف بي واني لست كالعامة فمضوا وهو جالس في مسجده بعد العصر فدخلوا فأبلغوه الرسالة فلمّا انقضى كلامهم قال لهم مالي لا أراكم جئتم في غيره من

الناس كلمتموني من ههنا من فتيان الحي فيأخذ كلّ واحد منكم بيد رجل فيذهب به إلى الحبس لا ينم والله إلّا فيه قالوا أجادٌ أنت قال حقّاً حتى لا تعودوا برسالة ظالم فحبسهم وركب موسى بن عيسى في الليل إلى باب الحبس ففتح الباب وأخرجهم جميعاً.

فلمّا كان الغد وجلس شريك للقضاء جاء السجّان فأخبره فدعا بالقمطر فختمها ووجه بها إلى منزله وقال لغلامه الحقني بثقلي إلى بغداد والله ما طلبنا هذا الأمر منهم ولكن أكرهونا عليه ولقد ضمنوا لنا الاعزاز فيه إذ تقلدناه لهم ومضى نحو قنطرة الكوفة إلى بغداد وبلغ موسى بن عيسى الخبر.

فركب في موكبه فلحقه وجعل يناشده الله ويقول يا أبا عبدالله تثبت أنظر اخوانك تحبسهم دع أعواني قال نعم لأنّهم مشوا لك في أمر لم يجب عليهم المشي فيه ولست ببارح حتى يردوا جميعاً إلى الحبس وإلّا مضيت إلى الخليفة فاستعفيته ممّا قلدني ـ فأمر بردهم جميعاً إلى الحبس وهو واقف مكانه حتى جاءه السجّان فقال قد رجعوا.

فقال لأعوانه خذا بلجامه وقودوه بين يدي جمعاً إلى مجلس الحكم فمروا به بين يديه حتى أُدخل معه مجلس القضاء فقال أين الجويرية المتظلمة منه فجاءت فقال هذا خصمك قد حضر ـ وهو جالس معها بين يديه ـ.

فقال موسى أولئك يخرجون من الحبس قبل كلّ شيء قال شريك أما الآن فنعم أخرجوهم ثم قال له ما تقول في ما تدّعيه قال صدقت قال ترد جميع ما أخذ منها وتبني حائطاً سريعاً كما هدم قال أفعل هل بقي شيء تدّعيه قال تقول المرأة بيت الفارسي ومتاعه قال ويرد ذلك بقي شيء تدّعينه قالت لا وجزاك الله خيراً قال قومي ـ وزبرها ـ ثم وثب من مجلسه فأخذ بيد موسى بن عيسى فأجلسه في مجلسه ثم قال السلام عليك أيها الأمير تأمر

بشيء قال أي شيء وضحك.

٢٢
الحكمة (٢٤٩)

وقال عليه السلام:

أَفْضَلُ ٱلْأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ».

في (الأمالي) عن الباقر عليه السلام كان علي عليه السلام ليأكل أكل العبد ويجلس جلسة العبد وان كان ليشتري القميصين السنبلاييين فيخيّر غلامه خيرهما ثم يلبس الآخر فان جاز أصابعه قطعه وان جاز كعبه حذفه ولقد ولّى خمس سنين ما وضع آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا أقطع قطيعاً ولا أورث بيضاء ولا حمراء وانّه كان ليطعم الناس خبز البر واللحم وينصرف إلى منزله ويأكل خبز الشعير والزيت والخل.

وما ورد عليه أمران كلاهما لله رضى إلّا أخذ بأشدهما على بدنه ولقد اعتق الف مملوك من كدي يده تربت فيه يداه وعرق فيه وجهه وما أطاق عمله أحد من الناس وانّه كان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة، وكان أقرب الناس شبهاً به علي بن الحسين عليه السلام ما أطاق عمله أحد من الناس بعده.

وروي فوق كلّ عقوق عقوق حتى يقتل والديه وفوق كلّ بر بر حتى يقتل في سبيل الله.

٢٣
الحكمة (٣٦٨)

وقال عليه السلام:

إِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ وَضَعَ الثَّوابَ على طاعِتِهِ، والْعِقابَ على مَعْصِيَتِهِ، ذِيادَةً لِعِبادِهِ عنْ نِقْمَتِهِ، وحِياشَةً لَهُمْ إلى جَنَّتِهِ.

أقول في (العلل) عن الرضا عليه السلام فان قيل لِمَ أمر الله تعالى العباد ونهاهم قيل لأنّه لا يكون بقاؤهم وصلاحهم إلّا بالأمر والنهي والمنع من الفساد والتغاصب فان قيل فلِمَ يجب أن يعبدوه قيل لئلا يكونوا ناسين لذكره ولا تاركين لأدبه ولا لاهين عن أمره ونهيه إذ كان فيه صلاحهم وقوامهم فلو تركوا بغير تعبّد لطال عليهم الأمد فقست قلوبهم، هذا و (ذيادة) من (ذدته عن كذا) دفعته عنه و(حياشة) من (حشت الصيد أحوشه إلى الخبالة) إذا جئته من حواليه لتصرفه إليها.

٢٤
الحكمة (٢٧٨)

وقال عليه السلام :

قَليلٌ تَدُوم عَليهِ اَرْجى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ.

و الحكمة (٤٤٤)

وقال عليه السلام :

قَليلٌ تَدُومُ عَليهِ خَيرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ.

أقول هو تكرار اعتذر في الديباجة عنه بقوله «وربما بعد العهد بما اختير أولا فأعيد بعضه سهواً أو نسياناً لا قصداً واعتماداً».

وفي (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام ما من شيء أحبّ إلى الله تعالى من عمل يداوم عليه وان قل ـ وعن الصادق عليه السلام إذا كان الرجل على عمل فليدم عليه سنة ثم يعدل عنه ان شاء وذلك ان ليلة القدر يكون فيها في عامه ذلك ما شاء الله أن يكون.

وعنه عليه السلام مر بي أبي وأنا بالطواف وأنا حدث وقد اجتهدت فرآني وأنا اتصاب عرقاً فقال يا بني ان الله إذا أحب عبداً أدخله الجنّة ورضى عنه باليسير.

وعن النبي صلى الله عليه وآله ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباده ـ وفي خبر ـ ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربك.

وعن الصادق عليه السلام ان من المسلمين من له سهم ومن له سهمان ومن له ثلاثة ومن له أربعة ـ إلى أن قال ـ فليس ينبغي أن تحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين ولا صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة ـ إلى أن قال ـ وسأضرب لك مثلاً كان له جار نصراني فدعاه إلى الاسلام وزيّنه له فأجابه فأتاه سحرا فقرع عليه الباب وقال له توضأ للصلاة فتوضأ وخرج معه فصليا ما شاء الله ثم صليا الفجر ثم مكثا حتى أصبحا فقام الجار لمنزله فقال له الرجل أين تذهب النهار قصير والذي بينك وبين الظهر قليل فجلس معه إلى الظهر ثم قال له وما بين الظهر والعصر قليل فحبسه حتى صلّى العصر ثم قام وأراد أن ينصرف فقال له ان هذا آخر النهار وأقلّ من أوّله فاحتبسه حتى صلّى المغرب ثم أراد أن ينصرف فقال له انما بقي صلاة واحدة فمكث حتى صلّى العشاء الاخرة ثم تفرّقا فلمّا كان سحرا غدا عليه فضرب عليه الباب وقال له أخرج قال اطلب لهذا الدين من هو أفرغ مني وأنا انسان مسكين ولي عيال ـ فأدخله في شيء أخرجه منه ـ هذا وقال ابن أبي الحديد قال الشاعر:

انى كثرت عليه في زيارتهِ فملَّ والشيء مملول إذا كثُرَ

٢٥
الحكمة (٣١٢)

وقال عليه السلام :

إنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالاً وَإِدْبَاراً فإذا أَقبَلَتْ فاحْمِلُوها على النَّوافِلِ، وَإذا أَدْبَرَتْ فاقْتَصِرُوا بها على الفَرائِضِ.

أقول وعن النبي صلى الله عليه وآله قريباً منه ففي (الكافي) عنه صلى الله عليه وآله ان للقلوب إقبالاً وإدباراً فاذا أقبلت فتنفلوا وإذا أدبرت فعليكم بالفريضة ـ وروي ان أبا الحسن الأول عليه السلام كان إذا اهتم ترك النافلة.

٢٦
الحكمة (٣٩)

وقال عليه السلام :

لَا قُرْبَةَ بِالنَّوافِلِ إِذَا أَضَرَّتْ بِالفَرَائِضِ.

والحكمة (٢٧٩)

وقال عليه السلام :

إِذَا أَضَرَّتِ النَّوَافِلُ بِالفَرَائِضِ فَارْفُضُوهَا.

أي اتركوها في (المقنع) لا يجوز أن يتطوّع الرجل وعليه شيء من الفرائض كذلك وجدته في كلّ الأحاديث[١].

وروى الشيخ عن زرارة سألت أبا جعفر عليه السلام عن ركعتي الفجر قال قبل الفجر ـ إلى أن قال ـ أتريد أن تقايس لو كان عليك من شهر رمضان أكنت تتطوع، إذا دخل عليك وقت الفريضة فابدأ بالفريضة[٢].

وعن معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام في امرأة أوصت بثلثها يتصدّق به عنها ويعتق عنها ويحجّ عنها فلم يسع المال ذلك فقال ابدأ بالحج فان الحج فريضة وما بقي فضعه في النوافل ـ أي العتق والصدقة.

وفي (الكافي) عن الباقر عليه السلام جعل الذراع والذراعان لمكان الفريضة فاذا بلغ الفيء ذراعاً بدأت بالفريضة وتركت النافلة عنه عليه السلام قال لي رجل من

---

(١) الصدوق، المقنع والهداية: ٦٤ (باب الرجل يتطوّع بالصيام)، مطبوعات دار العلم، قم.

(٢) الصدوق، الاستبصار ١: ٢٨٣ رواية (٥).

أهل المدينة مالي لا أراك تتطوع بين الاذان والإقامة كالناس قلت انا إذا أردنا أن نتطوع كان تطوعنا في غير وقت فريضة فإذا دخلت الفريضة فلا تطوع.

هذا وقال عليه السلام أيضاً في ذلك غير ما نقله المصنف ما رواه الحلبي في (تحفه) فقال: قال عليه السلام لا تقضوا النافلة في وقت الفريضة ولكن ابدأوا بالفريضة ثم صلّوا ما بدا لكم ولا يصل الرجل نافلة في وقت فريضة ولا يتركها إلّا من عذر وليقض بعد ذلك إذا أمكنه القضاء فانّه عزوجل يقول ﴿الذين هم على صلوتهم دائمون﴾[1] وهم الذين يقضون ما فاتهم من الليل بالنهار ومن النهار بالليل.

هذا، وفي خبر ان النبي صلى الله عليه وآله نام عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس فقضى أولاً النافلة ثم الفريضة لفوت الوقتين وعلى صحّة الخبر فهو استثناء من العنوان (لا قربة بالنوافل إذا أضرّت بالفرائض) وكذا العنوان الآخر لكون قضاء الفريضة فوراً.

٢٧
الحكمة (٣٢)

وقال عليه السلام :

فَاعِلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ وَفَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ.

أقول وورد (نية المؤمن خير من عمله ونيّة الكافر شرّ من عمله) - ووجه الكلامين كلامه عليه السلام وكلام الخبر أن الخير والشر الخارجيين جزئيان منقطعان وفاعلهما كنيتي المؤمن والكافر موجبان لصدور الخير والشر دائماً.

هذا، وفي (الخصال) عنه عليه السلام جمع الخير كلّه في ثلاث خصال: النظر

---

(١) المعارج : ٢٣.

والسكوت والكلام فكلّ نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو وكلّ سكوت ليس فيه فكرة فهو غفلة وكلّ كلام ليس فيه ذكر فهو لغو فطوبى بمن كان نظره عبراً وسكوته فكراً وكلامه ذكراً وبكى على خطيئته وأمن الناس شرّه.

٢٨
الحكمة (٩٤)

وسُئِل عليه السلام عن الخير ما هُو فقال:

لَيْسَ الخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مالُكَ وَوَلَدُكَ، ولَكِنَّ الخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ، وأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ، وأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبادةِ رَبِّكَ؛ فإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللهَ، وإنْ أَسأتَ ٱسْتَغْفَرْتَ اللهَ. ولا خَيْرَ في الدُّنْيا إلاَّ لِرَجُلَيْنِ رَجُلٍ أذْنَبَ ذُنُوباً فَهُوَ يَتَدَارَكُها بالتَّوْبَةِ ورَجُلٍ يُسَارِعُ في الخيراتِ.

أقول: رواه تذكرة سبط ابن الجوزي عن (حلية أبي نعيم) مسنداً عن عبد خير قال قال علي عليه السلام لي «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك ولا خير في الدنيا إلّا لأحد رجلين رجل أذنب ذنوباً فهو يتدارك ذلك بتوبة ورجل يسارع في الخيرات ولا يقلّ عمل في تقوى فكيف يقل ما يتقبّل» ورواه الحلية في ابن خفيف[1].

قول المصنف «وسئل عليه السلام عن الخير» قد عرفت من رواية الحلية انّه عليه السلام قال لعبد خير - وفي (الأمالي) عنه عليه السلام لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا فاذا استووا هلكوا[2] - وروى ان رجلاً قال له عليه السلام أوصني فقال أوصيك ألا يكون لعمل الخير عندك غاية في الكثرة ولا لعمل الإثم عندك غاية في القلّة[3]

(١) أبو نعيم الاصفهاني، حلية الأولياء ١٠: ٣٨٨، وذكره سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ١٣١ طبع المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف بتاريخ ١٩٦٤ م.

(٢) الصدوق، الأمالي: ٢٦٧، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٧١: ٣٨٣ رواية ١ باب ١٥.

(٣) ذكره المجلسي في بحار الأنوار ٧٨: ٤٩ رواية ٧٠ باب ١٦.

وعنهم عليهم السلام أبواب الخير ثلاثة: الصوم والصدقة وصلاة الليل ـ وعنهم عليهم السلام جعل الخير كلّه في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا.

قوله عليه السلام «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك» ﴿أيحسبون انما نمدّهم به من مال وبنين* نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾[1] «ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك» وان تباهي الناس بعبادة ربك فان أحسنت حمدت الله وان أسأت استغفرت الله» ﴿ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون* والذين هم بآيات ربهم يؤمنون* والذين هم بربهم لا يشركون* أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾[2].

وقيل له عليه السلام ـ كما في (المروج) ـ من خيار العباد قال الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساؤوا استغفروا وإذا ابتلوا صبروا وإذا غضبوا غفروا ـ وفي (الأسد) كتب سلمان إلى أبي الدرداء كتبت اليّ ان الله رزقك مالاً وولداً، فاعلم ان الخير ليس بكثرة المال والولد بل ان يكثر حلمك وان ينفعك علمك وكتبت الي انك نزلت الأرض المقدسة ان الأرض لا تعمل لأحد اعمل كأنّك ترى وأعدد نفسك من الموتى :

«ولا خير في الدنيا إلّا لرجلين رجل أذنب ذنباً فهو يتداركها بالتوبة ورجل يسارع في الخيرات» ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾[3].

---

(١) المؤمنون : ٥٥ ـ ٥٦ .

(٢) المؤمنون : ٥٧ ـ ٦١ .

(٣) المنافقون : ٩ .

٢٩
الحكمة (٣٨٧)

وقال عليه السلام :

مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ، وَمَا شَرٌّ بشَرٍّ بَعْدَهُ ٱلْجَنَّةُ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ ٱلْجَنَّةِ مَحْقُورٌ، وكُلُّ بَلاَءٍ دُونَ النَّارِ عافِيَةٌ.

(أقول): هو جزء خطبته عليه السلام الوسيلة التي خطب بها بعد سبعة أيام من وفاة النبي صلى الله عليه وآله حين فرغ من جمع القرآن وتدوينه كما رواه (روضة الكافي) مسنداً عن جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام عنه عليه السلام.

«ما خير بخير بعده النار وما شرّ بشرّ بعده الجنّة» في الدعاء (اللّهم اني أسألك خير الخير رضوانك والجنّة وأعوذ بك من شرّ الشرّ سخطك والنار).

وعن الباقر عليه السلام كان علي عليه السلام بكرة يطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً ومعه الدرة على عاتقه وكان لها طرفان وكانت تسمى السبية فيقف على سوق فينادي يا معشر التجار قدموا الاستخارة وتبركوا بالسهولة واقتربوا من المبتاعين وتزينوا بالحلم وتناهوا عن اليمين وجانبوا الكذب وتجافوا عن الظلم وانصفوا المظلومين ولا تقربوا الربا وأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ـ ثم ينشد هذه الأبيات:

تفنى اللذاذةُ ممّن نال صفوتَها ... من الحرام ويبقى الاثمُ والعارُ
تبقى عواقب سوء في مغبّتِها ... لا خير في لذّة ما بعدها النارُ

وعنه عليه السلام ما من رجل يغدو ويروح إلى سوقه فيقول حين يضع رجله في السوق اللّهم اني أسألك خيرها وخير أهلها وأعوذ بك من شرّها وشرّ أهلها إلّا وكلّ الله تعالى به من يحفظه ويحفظ عليه حتى يرجع إلى منزله

ويقول له قد اجرتك من شرّها وشرّ أهلها يومك هذا.

هذا وعدوا في الرجال حجر الخير وحجر الشرّ وسلمة الخير وسلمة الشر.

«وكلّ نعيم دون الجنة فهو» هكذا في (المصرية) وكلمة (فهو) زائدة لعدم وجودها في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية.

«محقور وكلّ بلاء دون النار عافية» في الطبري لمّا زحف عمر بن سعد يوم الطف قال له الحر بن يزيد أمقاتل أنت هذا الرجل قال أي والله ـ إلى أن قال ـ فأخذ الحر يدنو من الحسين عليه السلام قليلاً قليلاً فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر بن أوس ما تريد أتريد أن تحمل؟ فسكت ـ وأخذه مثل العرواء ـ فقال للحر والله ان أمرك لمريب والله ما رأيت منك في موقف قط مثل شيء أراه الآن ولو قيل لي من أشجع أهل الكوفة ما عدوتك فما هذا الذي أرى منك قال اني والله أُخيّر نفسي بين الجنّة والنار ووالله لا اختار على الجنّة شيئاً ولو قطعت وحرقت ثم ضرب فرسه فالحق بالحسين عليه السلام.

٣٠
الحكمة (٤٢٢)

وقال عليه السلام:

افْعَلُوا ٱلْخَيْرَ وَلَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً، فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ وَقَلِيلَهُ كَثِيرٌ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنَّ أَحَداً أَوْلَى بِفِعْلِ ٱلْخَيْرِ مِنِّي، فَيَكُونَ وَٱللهِ كَذَلِكَ. إِنَّ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَهْلاً، فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ.

«افعلوا الخير» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام في التوراة مكتوب يا ابن آدم تفرّغ لعبادتي املأ قلبك غنىً ولا آكلك إلى طلبك وعليّ أن أسد فاقتك وأملأ قلبك خوفاً مني وألا تفرغ لعبادتي املأ قلبك شغلاً بالدنيا ثم لا اسد فاقتك

واكلك إلى طلبك.

«ولا تحقروا منه شيئاً فان صغيره كبير وقليله كثير» فيه عنه عليه السلام أيضاً إذا همّ أحدكم بعمل فلا يؤخره فان العبد ربما صلّى الصلاة أو صام الصيام فيقال له اعمل ما شئت بعدها فقد غفر لك ـ وفي خبر آخر ـ ولا يستقل ما يتقرّب به إلى الله تعالى ولو بشقّ تمرة.

وعنه عليه السلام إذا هممت بشيء فلا تؤخره فانه تعالى ربما اطّلع وهو على شيء من الطاعة فيقول وعزتي وجلالي لا أُعذبك بعدها أبداً وإذا هممت بسيئة فلا تعملها فانّه ربما اطلع تعالى على العبد وهو على شيء من المعصية فيقول وعزتي وجلالي لا أغفر لك بعدها أبداً.

«ولا يقولن أحدكم ان أحداً أولى بفعل الخير مني فيكون والله كذلك» فيه عنه عليه السلام إذا هم أحدكم بخير أو صلة فان عن يمينه وشماله شيطانين فليبادر لا يكفاه عن ذلك.

«ان للخير والشر أهلاً فمهما تركتموه منهما كفاكموه أهله» فيه عن أبي جعفر عليه السلام ان الله ثقل الخير على أهل الدنيا كثقله في موازينهم يوم القيامة وان الله تعالى خفف الشر على أهل الدنيا كخفته في موازينهم يوم القيامة.

هذا، وحيث ان الخير والشر من الأُمور النسبية فقد يترك بعض أهل الشر شرّاً فظيعاً لأشرّ منه كما ترك المغيرة قتل حجر بن عدي لزياد بن أبيه ـ ففي الطبري أقام المغيرة على الكوفة عاملاً لمعاوية سبع سنين وأشهراً وهو أحسن شيء سيرةً غير انّه لا يدع ذمّ علي عليه السلام والوقوع فيه والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم والدعاء لعثمان بالرحمة والتزكية لأصحابه فكان حجر إذا سمع ذلك قال بل إياكم ذمم الله ولعن ثم قام فقال ان الله تعالى يقول ﴿... كونوا

قوامين بالقسط شهداء لله ...﴾[1] وأنا أشهد ان من تذمون وتعيرون لأحق بالفضل وان من تزكون وتطرون أولى بالذم فيقول له المغيرة يا حجر لقد رمى بسهمك إذ كنت أنا الوالي عليك ويحك اتق السلطان واتق غضبه وسطوته فان غضبة السلطان أحياناً ممّا يهلك أمثالك كثيراً ثم يكفّ عنه ويصفح فلم يزل حتى كان في آخر امارته قام المغيرة فقال في علي وعثمان كما كان يقول ـ وكانت مقالته اللّهم ارحم عثمان وتجاوز عنه واجزه بأحسن عمله فانّه عمل بكتابك واتبع سنّة نبيّك وجمع كلمتنا وحقن دماءنا وقتل مظلوماً اللّهم فارحم انصاره وأولياءه ومحبيه والطالبين بدمه ـ ويدعو على قتلته ـ فقام حجر فنعر نعرة بالمغيرة سمعها كلّ من كان في المسجد ومن كان خارجاً منه وقال إنّك لا تدري بمن تولع من هرمك وقد أصبحت مولعاً بذم أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين ـ فنزل المغيرة فدخل واستأذن عليه قومه فاذن لهم فقالوا على م تترك هذا الرجل يقول هذه المقالة ويجتري عليك في سلطانك هذه الجرأة فقال لهم المغيرة اني قد قتلته انه سيأتي بعدي أمير فيحسبه مثلي فيصنع به شبيهاً بما ترونه يصنع بي فيأخذه عند أوّل وهلة فيقتله شرّ قتلة انّه قد اقترب أجلي ولا أحبّ ان ابتدئ أهل هذا المصر بقتل خيارهم فيسعدوا بذلك وأشقى ويعز في الدنيا معاوية ويذلّ يوم القيامة المغيرة.

هذا وعن (دعوات القطب) الراوندي عن الصادق عليه السلام مرض أمير المؤمنين عليه السلام فعاده قوم فقالوا كيف أصبحت قال بشرّ فقالوا سبحان الله هذا كلام مثلك فقال يقول تعالى ﴿... ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة وإلينا

---

(١) النساء: ١٣٥.

ترجعون﴾[١] فالخير الصحة والغنى، والشرّ المرض والفقر ابتلاءً واختباراً[٢].

هذا، ولنا حجران حجر الخير وهو حجر بن عدي من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وحجر الشرّ من أصحاب معاوية وفي اللسان وفي بني قشير سلمتان سلمة بن قشير ابن القشيرية وهو سلمة الخير وسلمة بن قشير ابن لبيني بنت كعب بن كلاب وهو سلمة الشر.

(٣١)
الحكمة (٤٤٧)

وقالَ عليه السلام:

مَنِ اتَّجَرَ بِغَيْرِ فِقْهٍ فَقَدِ ارْتَطَمَ في الرِّبا.

أي ارتبك فيه من (ارتطم في الوحل) ورواه (الكافي) عنه عليه السلام هكذا «من اتجر بغير علم ارتطم في الربا ثم ارتطم.

وروي عنه عليه السلام لا تقعدون في السوق إلّا من يعقل الشراء والبيع يا معشر التجار الفقه ثم المتجر والله للربا في هذه الأُمة أخفى من دبيب النمل على الصفا شوبوا ايمانكم بالصدق، التاجر فاجر والفاجر في النار إلّا من أخذ الحق وأعطى الحق.

هذا، وفي نزول أسباب الواحدي مسنداً عن ابن عباس بلغنا ان آية الربا نزلت في بني عمرو بن عمير بن عوف من ثقيف وفي بني المغيرة من بني مخزوم وكان بنو المغيرة يربون لثقيف فلما أظهر الله تعالى رسوله على مكة

---

(١) الانبياء: ٣٥.

(٢) الدعوات لقطب الدين الراوندي: ١٦٨ حديث ٤٦٩، مدرسة الامام المهدي، قم، ونقله عنه «البحار» ٨١: ٢٠٩ «والمستدرك» ١: ٩٥.

وضع يومئذ الربا كلّه فأتى بنو عمرو وبنو المغيرة إلى عتاب بن أسيد وهو على مكة فقال بنو المغيرة ما جعلنا أشقى الناس بالربا.

وضع عن الناس غيرنا وقال بنو عمرو صولحنا على ان لنا ربانا فكتب عتاب في ذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين * فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله...﴾[1] فعرف بنو عمر وان لايدان لهم بحرب يقول تعالى ﴿... وأن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ـ فتأخذون أكثر ـ ولا تظلمون﴾[2] فتبخسون منه.

---

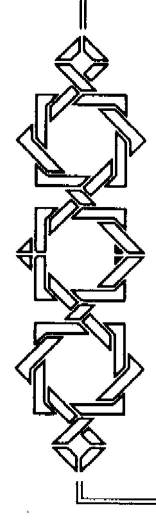
(١) البقرة: ٢٧٨.

(٢) البقرة: ٢٧٩.



الفصل الثالث والاربعون

في مكارم الاخلاق



١
الحكمة (٤٤٦)

وقال عليه السلام -لِغَالِبِ بْنِ صَعْصَعَةَ -أبي الفَرَزْدَق -في كلامٍ دارَ بينهما-:

ما فَعَلَتْ إِبِلُكَ ٱلْكَثِيرَةُ.

قالَ ذَعْذَعَتْها الحُقُوقُ يا أميرَ المؤْمنينَ. فقالَ عليه السلام:

ذَلِكَ أَحْمَدُ سُبُلِها.

أقول: قال ابن أبي الحديد دخل غالب بن صعصعة المجاشعي عليه عليه السلام أيام خلافته -وغالب شيخ كبير ومعه ابنه همام: الفرزدق وهو غلام يومئذ - فقال عليه السلام له من الشيخ قال أنا غالب بن صعصعة قال عليه السلام ذو الابل الكثيرة قال نعم قال ما فعلت ابلك؟ قال «ذعذعتها الحقوق وأذهبتها الحمالات والنوائب» قال «ذاك أحمد سبلها» من هذا الغلام معك قال ابني قال ما اسمه قال همام وقد رويته الشعر وكلام العرب ويوشك أن يكون شاعراً مجيداً

فقال «لو أقرأته القرآن فهو خير له» فكان الفرزدق بعد، يروي هذا الحديث ويقول ما زالت كلمته في نفسي حتى قيد نفسه بقيد وآلى ان لا يفكّه حتى يحفظ القرآن فما فكّه حتى حفظ.

قول المصنّف.

«**لغالب بن صعصعة**» أما غالب ففي (الأغاني) مسنداً عن عوانة قال تراهن نفر من كلب ثلاثة على أن يختاروا من تميم وبكر نفراً ليسائلوهم فأيهم أعطى ولم يسألهم عن نسبهم من هم فهو أفضلهم فاختار كلّ رجل منهم رجلاً اختاروا عمير بن سليك الشيباني وطلبة بن قيس بن عاصم المنقري وغالب بن صعصعة المجاشعي فأتوا عميراً فسألوه مائة ناقة فقال من أنتم فانصرفوا عنه ثم أتوا طلبه فقال لهم مثل قول الشيباني فأتوا غالباً فسألوه فأعطاهم مائة ناقة وراعيها ولم يسألها فساروا ليلة ثم ردوها وأخذ صاحب غالب الرهن وفي ذلك يقول الفرزدق «وإذ نادبت كلب على الناس أيّهم ـ أحق بتاج الماجد المكرم ـ على نفرهم من نزار ذوي العلا وأهل الجراثيم التي لم تهدم ـ فلم يجز ـ عن أحسابهم غير غالب ـ جرى لعنان كلّ أبيض خضرم».

وعن الأصمعي قال جاءت امرأة إلى قبر غالب أبي الفرزدق فضربت عليه فسطاطاً فأتاها الفرزدق فسألها عن أمرها فقالت اني عائذة بقبر غالب من أمر نزل بي قال ما هو قالت ان ابناً لي أغزى إلى السند مع تميم بن زيد وهو واحدي قال انصرفي فعلي انصرافه إليك ان شاء الله وكتب من وقته إلى تميم:

«تميم بن زيد لا تكونن حاجتي	بظهر فيخفى عليَّ جوابها
وهل لي حبيشاً واتخذ فيه منّة	لحرمة أم ما يسوغ شرابها
أتتني فعاذت يا تميم بغالب	وبالحفرة السافي عليه ترابها»

فعرض تميم جميع من معه من الجند فلم يدع احداً اسمه (حبيش) أو

(حنيش) إلّا وصله واذن له في الانصراف إلى أهله» وأما صعصعة في (الأغاني) كان يُقال له محيي الموؤودات وذلك انّه مر برجل من قومه وهو يحفر قبراً وامرأته تبكي فقال لها صعصعة ما يبكيك قالت يريد أن يأد ابنتي هذه فقال له ما حملك على هذا قال الفقر قال فاني اشتريتها منك بناقتين يتبعهما أولادهما تعيشون بألبانهما ولا تأد الصبية قال قد فعلت، فأعطاه الناقتين وجملاً كان تحته فحلاً وقال في نفسه ان هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب، فجعل على نفسه ألا يسمع بموؤدة إلّا فداها فجاء الاسلام وقد فدى ثلاثمائة وقيل اربعمائة.

موؤودة وقد فخر بذلك الفرزدق في عدّة قصائد ومنها:

أبي أحد الغيثين صعصعة الذي ... متى يخلف الجوزاء والدلو يمطر

أجار بنات الوائدين ومن يجر ... على الفقر يعلم انه غير مخفر

على حين لا تحيى البنات وإذ هم ... عكوف على الاصنام حول المدور

ـ إلى أن قال ـ:

فقال لها فيء فاني بذمتي ... لبنتك جار من أبيها القنور[1]

وروى مسنداً عن صعصعة أيضاً قال قدمت على النبي صلى الله عليه وآله فعرض عليَّ الاسلام فأسلمت وعلّمني آيات من القرآن فقلت يا رسول الله اني عملت أعمالاً في الجاهلية هل فيها من أجر ـ إلى أن قال ـ قال ظهر الاسلام وقد أحييت ثلاثمائة وستين موؤودة اشتري كلّ واحدة منهن بناقتين عشراوين وجمل فقال النبي صلى الله عليه وآله اني حملت حمالات في الجاهلية وعلى منها ألف بعير فأديت من ذلك سبعمأة فقال له ان الاسلام أمر بالوفاء ونهى عن الغدر فقال حسبي

(١) الأغاني لأبو الفرج الاصفهاني ٢١: ٢٧٨.

حسبي ووفى بها[١].

وروي ان النبي صلى الله عليه وآله قال له ما شيء بلغني عنك فعلته قال رأيت الناس يموجون على غير وجه ولم أدر أين الوجه غير اني علمت انّهم ليسوا عليه ورأيتهم يئدون بناتهم فعلمت ان ربهم لم يأمرهم بذلك فلم أتركهم يئدون وفديت من قدرت عليه وروي انّه قال للنبي صلى الله عليه وآله أوصني قال احفظ ما بين لحييك وما بين رجليك.

«أبي الفرزدق» في (الأغاني) الفرزدق لقب غلب عليه وتفسيره الرغيف الضخم الذي تجففه النساء للفتوت وقيل بل هو القطعة من العجين تبسط فيخبز منها الرغيف شبه وجهه بذلك لأنّه كان غليظاً جهماً واسمه همام[٢] وقال هاشم العنزي ضمّني والفرزدق مجلس فتجاهلت عليه فقال أو ما تعرف الفرزدق قلت الفرزدق شيء يتخذه النساء عندنا يتسمّن به فضحك وقال الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم.

وروى القحذمي قال لقى الفرزدق الحسين عليه السلام متوجهاً إلى الكوفة خارجاً من مكة في اليوم السادس من ذي الحجة فقال له الحسين صلوات الله عليه ما وراءك قال يا ابن رسول الله أنفس الناس معك وأيديهم عليك قال ويحك مع وقر بعير من كتبهم يدعونني ويناشدونني الله قال فلما قتل الحسين عليه السلام قال الفرزدق فان غضبت العرب لابن سيدها وخيرها فاعلموا انّه سيدوم عزّها وتبقى هيبتها وان صبرت عليه ولم تتغيّر لم يزدها الله إلّا ذلاً إلى آخر الدهر وأنشد في ذلك:

«فان أنتم لا تثاروا لابن خيركم ... فالقوا السلاح واغزلوا بالمغازل»

---

(١) المصدر السابق ٢١ : ٢٧٩.

(٢) الأغاني لأبو الفرج الاصفهاني ٢١: ٢٧٦.

وعن الشعبي قال حجّ الفرزدق بعدما كبر وقد أتت له سبعون سنة وكان هشام بن عبدالملك قد حجّ في ذلك العام فرأى علي بن الحسين عليه السلام في غمار الناس في الطواف فقال من هذا الشاب الذي تبرق اسرة وجهه كأنّه مرآة صينية تترائى فيها عذارى الحي وجوهها فقالوا هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فقال الفرزدق:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يغضي حياءً ويغضي من مهابته ... فما يكلّم إلّا حين يبتسم
بكفه خيزران ريحها عبق ... من كفّ أروع في عرنينه شمم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
الله شرّفه قدماً وعظّمه ... جرى له ذلك في لوحة القلم
أي الخلائق ليست في رقابهم ... لاولية هذا أوله نعم
من يشكر الله يشكر أولية ذا ... فالدين من بيت هذا ناله الأُمم
ينمى إلى ذروة الدين التي قصرت ... عنها الأكفّ وعن إدراكها القدم
من جدّه دان فضل الأنبياء له ... وفضل أُمته دانت له الأُمم
مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت مغارسه والخيم والشيم
ينشق ثوب الدجى عن نور غرّته ... كشمس تنجاب عن اشراقها الظلم
من معشر حبّهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم ... في كلّ بر ومختوم به الكلم

ان عـد أهـل التـقى كـانوا أئـمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
لا يسـتطيع جـواد بـعد جـودهم ولا يـدانـيهم قـوم وان كـرموا
يسـتدفع الشـر والبـلوى بـحبهم ويسـترب بـه الاحسـان والنـعم

فغضب هشام فحبسه بين مكة والمدينة فقال الفرزدق:

أتحبسني بـين المـدينة والتـي إليها قلوب الناس تهوى منيبها
يقلب رأسـاً لم يكـن رأس سـيد وعـيناً له حـولاء بـاد عـيوبها

فبلغ شعره هشام فوجه فأطلقه.

وفيه ـ بعد ذكر وفود الأحنف وجارية بن قـدامـة وجـون بـن قـتادة، والحتات التميميين على معاوية واعطائه جوائزهم وموت الحـتات بـالطعن وحبس معاوية جائزته ـ وقال الفرزدق لمعاوية:

فـما بـال مـيراث الحـتات أخذته ومـيراث حـرب جـامد لك ذائـبه
ألست أعـزّ النـاس قـوماً وأُسـرة وأمـنعهم جـاراً إذا ضـيم جـانبه
ومـا ولدت بـعد النـبي وآله كمثلي حـصان فـي الرجـال يـقاربه
أبـي غـالب والمـرء نـاجية الذي إلى صعصع يـنمي فـمن ذا يـناسبه
وبـيتي إلى جـنب الثـريا فـناؤه ومن دونـه البـدر المـضئ كـواكـبه
أنا ابن الجبال الصم في عدد الحصى وعرق الثرى عرقي فمن ذا يـحاسبه
أنا ابن الذي أحـيى الوئـيد وضـامن على الدهـر إذ عـزت لدهـر مكـاسبه
وكم مـن أب لي يـا مـعاوي لم يـزل أغـر يـباري الريـح مـا أزور جـانبه
نـمته فـروع المـالكين ولـم يكـن أبـوك الذي مـن عـبد شـمس يـقاربه

«**وفي كلام دار بينهما ما فعلت ابلك الكثيرة**» لم أقف عليه مسنداً وابن أبي الحديد كالمصنف نقله مرسلاً والذي وقفت عليه مسنداً في أمر غالب انّه نحر ابله مفاخرة مع سحيم الرياحي فحرّم أمير المؤمنين عليه السلام لحـومها لكـون

نحرها لا لله روى (الأغاني) «عن ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة عن جهم السليطي عن إياس بن شبة بن عقال بن صعصعة قال أجدبت بلاد تميم وأصابت بني حنظلة سنة ـ أي قحط ـ في خلافة عثمان فبلغهم خصب عن بلاد كلب بن وبرة فانتجعها بنو حنظلة فنزلوا أقصى الوادي وتسرّع غالب بن صعصعة فيهم وحده دون بني مالك فنحر ناقة فأطعمهم إياها فلما وردت ابل سحيم بن وثيل الرياحي حبس منها ناقة فنحرها من غد فقيل لغالب انما نحر سحيم موائمة ـ أي مساواة ـ لك فضحك وقال كلا ولكنه امرؤ كريم وسوف أنظر ذلك.

فلما وردت إبل غالب حبس منها ناقتين فنحرهما فأطعمهما بني يربوع فعقر سحيم ناقتين وقال غالب الآن علمت ان يوائمني فعقر غالب عشراً فأطعمها بني يربوع فعقر سحيم عشراً فلما بلغ غالباً فعله ضحك ـ وكانت ابله ترد لخمس ـ فلما وردت عقرها كلّها عن آخرها ـ فالمكثر يقول كانت اربعمائة والمقلل مائة ـ فأمسك سحيم حينئذ ثم انّه عقر في خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام بكناسة الكوفة مائتي ناقة وبعير، فخرج الناس بالزنابيل والأطباق والحمال لأخذ اللحم ورآهم علي عليه السلام فقال أيها الناس انها لا تحلّ لكم انما أهلّ بها لغير الله تعالى.

قال فحدّثني من حضر ذلك قال كان الفرزدق يومئذ مع أبيه وهو غلام ـ فجعل غالب يقول يا بني اردد علي، والفرزدق يردها عليه ويقول له يا أبة اعقر، قال جهم فلم يغن عن سحيم فعله ولم يجعل كغالب إذ لم يطق فعله».

وفي كتاب النجاشي ـ في عنوان ربعي بن عبدالله بن الجارود بن أبي سبرة الهذلي ـ «وهو الذي روى حديث الابل».

ثم روى باسناده «عن ربعي قال سمعت الجارود يحدّث قال كان رجل

من بني رياح يقال له سحيم بن أثيل نافر غالباً أبا فرزدق بظهر الكوفة على أن يعقر هذا من ابله مائة وهذا من ابله إذا وردت الماء فلما وردت قاموا إليها بالسيوف فجعلوا يضربون عراقيبها فخرج الناس على الحميرات والبغال يريدون اللحم -وعلي عليه السلام بالكوفة -فجاء على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله إلينا وهو ينادي أيها الناس لا تأكلوا من لحومها فانما اهل بها لغير الله» وفي ديوان الفرزدق «وأورثني ضرب العراقيب غالب» وفيه أيضاً:

«إذا ما رأوا ناراً يقولون ليتها وقد خصرت أيديهم نار غالب

إلى نار ضراب العراقيب لم يزل له من ذبابي سيفه خير حالب»

ومر ان صعصعة أبا غالب ذعذع ابله الكثيرة في فداء الموؤودات وانّه كان عليه من الحمالات ألف بعير أدّى منها سبعمائة وبقي عليه ثلاثمائة.

فأمره النبي صلى الله عليه وآله بالوفاء فلعلّ المراد بقوله عليه السلام «ما فعلت ابلك الكثيرة لغالب على روايه المصنف الابل التي كانت لأبيه كما ان جوابه «ذعذعتها الحقوق» محمول على الحقوق التي كانت على أبيه لكن في ديوان الفرزدق أيضاً «اني أنا ابن حمّال المئين غالب».

«**قال ذعذعتها الحقوق يا أمير المؤمنين**» أي: فرقتها في (الكافي) عن الصادق عليه السلام ان الله تعالى فرض في أموال الأغنياء حقوقاً غير (الزكاة) قال عزوجل ﴿والذين في أموالهم حق معلوم﴾[1] فالحق المعلوم غير (الزكاة) هو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله يجب عليه أن يفرضه على قدر طاقته وسعة ماله ان شاء في كلّ يوم وان شاء في كلّ جمعة وان شاء في كلّ شهر وقال تعالى﴿واقرضوا الله قرضاً حسناً ...﴾[2] وهو أيضاً غير الزكاة وقال

---

(١) المعارج: ٢٤.

(٢) المزمل: ٢٠.

تعالى أيضاً ﴿وانفقوا ممّا رزقناهم سرّاً وعلانية ...﴾[1] والماعون أيضاً من الحقوق وهو القرض يقرضه والمتاع يعيره والمعروف يصنعه وممّا فرض تعالى في المال غير الزكاة قوله عزوجل ﴿والذين يصلون ما أمر الله بـه أن يوصل ...﴾[2] وفي خبر «الزكاة الظاهرة في كلّ ألف خمسة وعشرون وأما الزكاة الباطنة فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك» هذا، وفي تاريخ بغداد قال الأصمعي: قال لي رجل من أهل الشام قدمت المدينة فقصدت منزل إبراهيم بن هرمة فاذا بنية صغيرة له تلعب بالطين فقلت لها: أين أبوك؟ قالت: وفد إلى بعض الأجواد فمالنا به علم منذ مدّة فقلت: انحري لنا ناقة فانّا أضيافك قالت: والله ما عندنا، قلت: فشاة قالت: والله ما عندنا. قلت: فدجاجة قالت والله ما عندنا، قلت فاعطينا بيضة قالت والله ما عندنا قلت فباطل ما قال أبوك:

«كم ناقة قد وجأت منحرها ... بمستهل الشؤبوب أو جمل[3]

قالت فذلك الفعل من أبي، هو الذي أصارنا إلى ان ليس عندنا شيء ورواه ابن قتيبة في عيونه لكن فيه «قال عبد العزيز بن عمران نزلت ببنت ابن هرمة ـ إلى أن قال ـ قلت: فأين قول أبيك؟

لا امتع العوذ بالفصال ... ولا ابتاع إلا قريبة الأجل

قالت: ذاك افناها فبلغ ابن هرمة قول ابنته فقال اشهد انها ابنتي وان داري لها دون الذكور من ولدي».

«فقال عليه السلام: ذلك أحمد سبلها» في (الكافي) عن الرضا عليه السلام ان صاحب

---

(١) الرعد: ٢٢.

(٢) الرعد: ٢١.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٦: ١٢٨.

النعمة على خطر انّه يجب عليه حقوق لله فيها والله انّه لتكون على النعم من الله تعالى فما أزال منها على وجل ـ وحرّك يده ـ حتى أخرج من الحقوق التي يجب لله عليَّ فيها. قال البزنطي: قلت انت في قدرك تخاف هذا؟ قال نعم، فاحمد ربي على ما من به عليّ.

٢
الحكمة (١٠)

وقال عليه السلام:

إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ ٱلْعَفْوَ عَنْهُ شُكْراً لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ».

أقول: قال إبن أبي الحديد ضلّ الأعشى في طريقه فأصبح بأبيات علقمة بن علاثة فقال قائده ـ ونظر إلى قباب الادم ـ واسوء صباحاه يا أبا بصير هذه والله أبيات علقمة فخرج فتيان الحي فقبضوا على الأعشى فأتوا به علقمة فمثل بين يديه، فقال: الحمد لله الذي أظفرني بك من غير ذمة ولا عقد عليك قال الأعشى أوتدري لِمَ ذلك؟ قال نعم لأنتقم منك اليوم بتقوا لك على الباطل مع احساني قال: (لا والله ولكن اظفرك الله بي ليبلو قدر حلمك فيّ) فأطرق علقمة، فاندفع الاعشى فقال:

أعلقم قد صيرتني الامور إليك وما كان بي منكص
كساكم علاثة أثوابه وورثكم حلمه الأحوص
فهب لي نفسي فدتك النفوس فلا تزال تنمى ولا تنقص

فقال قد فعلت، أما والله لو قلت في بعض ما قلته في (عامر) لأغنيتك طول حياتك ولو كنت قلت في (عامر) بعض ما قلته في ما اذاقك برد الحياة، وقال المأمون لإبراهيم بن المهدي لمّا ظفر به اني قد شاورت في أمرك فأُشير عليّ بقتلك إلّا اني وجدت قدرك فوق ذنبك فكرهت قتلك للازم حرمتك فقال إبراهيم

ان المشير أشار بما تقتضيه السياسة وتوجبه العادة إلّا انّك أبيت أن تطلب النصر إلّا من حيث عودته من العفو فان قتلت فلك نظراء وان عفوت فلا نظير لك، قال قد عفوت فاذهب آمناً.

وروي ان مصعباً لمّا ولّى العراق عرض الناس ليدفع إليهم أرزاقهم، فنادى مناديه أين عمرو بن جرموز؟ فقيل له: انّه أبعد في الأرض، قال أوظن الأحمق اني اقتله بأبي قولوا له فليظهر آمناً وليأخذ عطاءه مسلماً قلت في مستجاد التنوخي في ٢١ من عناوينه لمّا أفضت الخلافة إلى بني العباس استخفى رجال من بني أُمية ومنهم إبراهيم بن سليمان بن عبدالملك حتى أخذ له داود بن العباس أماناً ـ وكان إبراهيم عالماً حدثاً فخص بالسفاح فقال له حدثني بما مر بك في اختفائك قال: كنت مختفياً بالحيرة في منزل شارف على الصحراء فبينا أنا على ظهر بيت إذ نظرت إلى أعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فوقع في روعي انها تريدني فخرجت من الدار متنكراً حتى أتيت الكوفة ولا أعرف بها أحداً اختفي عنده فبقيت متلدداً فإذا أنا بباب كبير ورحبة واسعة فدخلت فيها وإذا رجل وسيم حسن الهيئة على فرس قد دخل الرحبة ومعه جماعة من غلمانه واتباعه.

فقال لي من أنت؟ وما حاجتك؟ قلت: رجل مستخف يخاف على دمه استجار بمنزلك فادخلني منزله.

ثم صيّرني في حجرة تلي حرمه فكنت عنده في كلّ ما أحب من مطعم ومشرب وملبس ولا يسألني عن شيء من حالي إلّا انّه يركب في كلّ يوم ركبة فقلت له يوماً أراك تدمن الركوب ففيم ذلك؟

فقال: ان إبراهيم بن سليمان قتل أبي صبراً وقد بلغني انّه مستخف وأنا أطلبه لأدرك منه ثأري فكثر والله تعجبي من ادبارنا إذ ساقني القدر إلى حتفي

في منزل من يطلب دمي وكرهت الحياة فسألت الرجل عن اسمه واسم أبيه فأخبرني فعرفت ان الخبر صحيح وأنا كنت قتلت أباه صبراً.

فقلت يا هذا قد وجب عليَّ حقك ومن حقك عليّ أن أدُلّك على خصمك وأقرب عليك الخطوة قال وما ذاك قلت أنا إبراهيم بن سليمان قاتل أبيك فخذ بثأرك فقال اني لأحسبك رجلاً قد أمضك الاختفاء فأحببت الموت قلت بل الحق ما قلت لك أنا قتلته يوم كذا وكذا بسبب كذا وكذا.

فلما عرف صدقي أربد وجهه وأحمرت عيناه وأطرق مليّاً ثم قال أما أنت فستلقى أبي فيأخذ بثأره منك وأما أنا فغير مخفر ذمتي فأخرج عني فلست آمن نفسي عليك واعطاني ألف دينار فلم آخذها وخرجت من عنده فهذا أكرم رجل رأيته بعد أمير المؤمنين عليه السلام[1].

وفي (الأغاني) لمّا قال عبدالله بن طاهر قصيدته التي يفخر فيها بمآثر أبيه وأهله ويفخر بقتله المخلوع عارضة محمد بن يزيد الأموي الحصني ـ وكان رجلاً من ولد مسلمة بن عبد الملك ـ فأفرط في السب وتجاوز الحد في قبح الرد وتوسط بين القوم وبين بني هاشم فأربى في التوسط فكان في ما قاله فيه (من حسين من أبوك من مصعب غالتكم غول) فلما ولّى عبدالله بن طاهر الشام علم الحصني انّه لا يفلت منه ان هرب، فثبت في موضعه وأحرز حرمه وترك أمواله ودوابه وكلّ ما كان يملكه في موضعه وفتح باب حصنه وجلس عليه، قال محمد بن الفضل الخراساني ـ وهو من وجوه قوّاد عبدالله ـ ونحن نتوقع من عبدالله أن يوقع به فلما شارفنا بلده وكنّا على أن نصبحه دعاني عبدالله بن طاهر في الليل.

فقال لي بت عندي الليلة وليكن فرسك معداً عندك، ففعلت فلما كان في

---

(١) المستجاد من خصلات الأجواد للتنوخي: ٣٢ ـ ٣٤، تحقيق محمد كرد علي ١٩٧٠ م.

السحر صبح الحصني فرأى بابه مفتوحاً ورآه جالساً مسترسلاً فقصده وسلّم عليه ونزل عنده وقال له ما أجلسك ههنا؟ وحملك على أن فتحت بابك ولم تتحصن من هذا الجيش المقبل ولم تتنح عن عبدالله بن طاهر مع ما في نفسه عليك وما بلغه عنك؟ فقال (ان ما قلت لم يذهب علي ولكني تأملت أمري وعلمت اني أخطأت خطيئة حملني عليها نزق الشباب وغرّة الحداثة، واني ان هربت منه لم أفته فباعدت البنات والحرم واستسلمت بنفسي وكلّ ما أملك فانّا أهل بيت قد أسرع القتل فينا ولي بمن مضى أسوة فاني أثق بأن الرجل إذا قتلني وأخذ مالي شفى غيظه ولم يتجاوز ذلك إلى الحرم ولا له فيهن أرب ولا يوجب جرمي أكثر ممّا بذلته).

فوالله ما لقاه عبدالله إلّا بدموعه تجري على لحيته.

ثم قال له أتعرفني؟ قال لا والله، قال (أنا عبدالله بن طاهر وقد امن الله روعتك وحقن دمك وصان حرمك وحرس نعمتك، وعفا عن ذنبك وما تعجلت إليك وحدي إلّا لتأمن من قبل هجوم الجيش، ولئلا يخالط عفوي روعة تلحقك) فبكى الحصني وقام فقبّل رأسه، فضمّه عبدالله بن طاهر وأدناه.

ثم قال أما فلابد يا أخي من عتاب جعلني الله فداك قلت شعراً في قومي أفخر بهم ولم أطعن فيه على حسبك ولا ادّعيت فضلاً عليك، وفخرت بقتل رجل هو وان كان من قومك إلّا انّه من القوم الذين ثارك عندهم فكان يسعك السكوت أو ان لم تسكت لا تعرق ولا تسرف فقال (ايها الأمير قد عفوت فاجعله العفو الذي لا يخالطه تثريب ولا يكدر صفوه تأنيب) قال قد فعلت، ثم دعا بدواة فكتب له بتسويغه خراجه ثلاث سنين وقال له ان نشطت لنا فالحق بنا وإلّا فأقم بمكانك، فقال فأنا أتجهّز والحق بالأمير، ففعل ولحق به بمصر ولم يزل معه حتى رحل عبدالله إلى العراق فودعه وقام ببلده).

وفي كامل الجزري لمّا ظفر عماد الدولة علي بن بابويه على ياقوت وملك شيراز وجد في ما غنم برانس لبود عليها أذناب الثعالب، ووجدوا قيوداً وأغلالاً فسأل أصحاب ياقوت عنها فقالوا ان هذه اعدّت لكم لتجعل عليكم ويطاف بكم في البلاد فأشار أصحاب ابن بويه ان يفعل بهم مثل ذلك فأبى وقال انّه بغي ولوم وظفرت ولقد لقي ياقوت بغيه ـ ثم أحسن إلى الاسارى وأطلقهم وقال هذه نعمة والشكر عليها واجب يقتضي المزيد وخيّر الاسارى بين المقام عنده واللحوق بياقوت فاختاروا المقام عنده فخلع عليهم.

وفي السير ضرب الحجاج أعناق أسرى ثم قدم رجلاً ليضرب عنقه، فقال والله لئن كنّا أسأنا في الذنب فما أحسنت في العفو فقال الحجاج أف لهذه الجيف أما كان فيها يحسن مثل هذا وأمسك عن القتل وقال أبو تمام:

إذا سيفه أضحى على الهام حاكماً غدا العفو منه وهو في السيف حاكم

٣
الحكمة (١٩)

وقال عليه السلام:

أَقِيلُوا ذَوِي الْمُرُوءَاتِ عَثَرَاتِهِمْ، فَمَا يَعْثُرُ مِنْهُمْ عَاثِرٌ إِلَّا وَيَدُ اللهِ بيده يَرْفَعُهُ.

أقول: وروى المصنف في مجازاته النبوية قريباً منه عن النبي صلى الله عليه وآله فقال ثمة «ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم فان أحدهم ليعثر ويده بيد الله يرفعها» وقال هذا القول منه صلى الله عليه وآله مجاز والمراد بذكر يد الله ههنا معونة الله تعالى ونصرته فكأنّه صلى الله عليه وآله أراد أن أحدهم ليعثر وان معونة الله لمن وراءه تنهضه من سقطته وتقيله من عثرته، الا انّه صلى الله عليه وآله لمّا جاء بلفظ العثار أخرج الكلام بعده على عرف العادات لأن العادة جارية أن يكون المنهض

للعاثر والمقيم للواقع انما يستنهضه بيده، ويستعين عليه بجلده، والمراد بذي الهيئات هنا ذوو الأديان لا ذوو والملابس الحسنة، كما يظن من لا علم له لأن هيئة الدين وظاهره أحسن الهيئات والظواهر وأفخم المعارض والملابس، بل الظاهر كون أصلهما واحداً ومثل ذاك الاختلاف اليسير يقع في الروايات لكلام واحد قطعي كما لا يخفى إلّا ان المصنف لم يتفطّن ثمة، وهنا لذلك حتى يشير إليه كما أشار غير مرّة إلى مثله ثمة وهنا.

ورواه زكاة (الكافي) مسنداً عن الصادق عليه السلام هكذا «أقيلوا لأهل المعروف عثراتهم، واغفروها لهم فان كفّ الله عزوجل عليهم هكذا ـ قال سيف بن عميرة وأومأ عليه السلام بيده كأنّه يظلّ بها شيئاً ـ» وعلم الائمة عليهم السلام من أمير المؤمنين عليه السلام وعلمه من النبي صلى الله عليه وآله وعلمه من الله تعالى ثم التعبير (بالمروءات) كما هنا أحسن من التعبير (بالهيئات) كما في المخابرات.

«أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم» الأصل في الإقالة إقالة البيع، والمراد الغض عمّا صدر من أهل المروءة كان لم يكن وفي الخصال ست من المروءات ثلاث منها في الحضر وثلاث منها في السفر، فأما التي في الحضر: فتلاوة كتاب الله تعالى، وعمارة مساجد الله واتخاذ الاخوان في الله تعالى، وأما التي في السفر: فبذل الزاد، وحسن الخلق، والمزاح في غير معاصي الله.

وقال ابن أبي الحديد «لام معاوية ابنه يزيد على سماع الغناء وحب القيان وقال له اسقطت مروءتك، فقال يزيد: أتكلم بلساني كلّه؟ قال نعم، وبلسان أبي سفيان بن حرب وهند بنت عتبة مع لسانك، قال: والله لقد حدّثني عمرو بن العاص واستشهد ـ على ذلك ابنه عبدالله بن عمرو بن العاص فصدقة ـ ان أبا سفيان كان يخلع على المغني الفاضل المضاعف من ثيابه: ولقد حدّثني ان جاريتي عبدالله بن جدعان غنتاه يوماً فأطربتاه فجعل يخلع

عليهما أثوابه ثوباً ثوباً حتى تجرّد تجرد العير، ولقد كان هو وعفان بن أبي العاص ربما حملا جارية العاص بن وائل فمرا بها على الأبطح، وجلّة قريش ينظرون إليهما مرّة على ظهر أبيك ومرّة على ظهر عفان، فما تنكر مني فقال معاوية اسكت لحاك الله ما أحد الحق بأبيك.

هذا، الا ليفزك ويفضحك وان كان أبو سفيان ما علمت لثقيل الحكم يقظان الرأي، عازب الهوى، طويل الاناءة، بعيد القعر، وما سودته قريش إلّا لفضله» قلت فعلى نقل عمرو بن العاص كان يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد بن يزيد اقتديا في طربهما المعروف أولاً بشيخيهما أبي سفيان والد معاوية وعفان والد عثمان وثانياً بيزيد بن معاوية جدّهما لأُمهما وانكار معاوية في أبيه دفعاً للعار عنه غير مسموع بعد البيّنة ويأتي في (٨) ماله ربط.

«فما يعثر منهم عاثر» العثرة الزلّة.

«إلّا ويد الله بيده» هكذا في (المصرية): (إلّا ويده بيد الله) كما في غيرها.

«يرفعه» وقد عرفت من مجازات المصنف المراد من ذلك، وفي (الخصال) مسنداً عن السجاد عليه السلام قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم وصلّى الفجر ثم قال: معاشر الناس أيكم ينهض إلى ثلاثة نفر قد حلفوا باللات والعزى ليقتلوني. وقد كذبوا ورب الكعبة؟ فأحجم الناس وما تكلّم أحد فقال النبي صلى الله عليه وآله ما أحسب ان علي بن أبي طالب فيكم، فقام إليه عامر بن قتادة فقال انّه وعك في هذه الليلة ولم يخرج يصلّي معك فتأذن لي أن أخبره، فقال النبي صلى الله عليه وآله شأنك فمضى فأخبره فخرج أمير المؤمنين عليه السلام وكأنّه نشط من عقال وعليه ازار قد عقد طرفيه على رقبته فقال يا رسول الله ما الخبر؟ فقال هذا رسول ربي يخبرني عن ثلاثة نفر قد نهضوا اليّ ليقتلوني وقد كذبوا وربّ الكعبة فقال عليه السلام: أنا لهم سرية وحدي هذا البس على ثيابي فقال النبي صلى الله عليه وآله بل

هذه ثيابي وهذا درعي وهذا سيفي فألبسه ودرّعه وعمّمه وقلّده وأركبه فرسه، وخرج عليه السلام فمكث ثلاثة أيام لا يأتيه جبرئيل بخبر السماء ولا خبر من الأرض، فأقبلت فاطمة عليها السلام بالحسن والحسين عليهما السلام تصحبهما وتقول أوشك أن يؤتم هذان الغلامان فاسبل النبي صلى الله عليه وآله عينه يبكي ثم قال معاشر الناس من يأتيني بخبر علي ابشره بالجنّة، وافترق الناس في الطلب لعظيم ما رأوا بالنبي صلى الله عليه وآله وأقبل عامر بن قتادة يبشر به عليه السلام، ودخل عليه السلام ومعه اسيران ورأس وثلاثة أبعرة، وثلاثة أفراس، وهبط جبرئيل عليه السلام فخبّر النبي عليه السلام بما كان.

فقال له عليه السلام تحب أن أخبرك بما كنت فيه؟ فقال: المنافقون هو منذ الساعة قد أخذه المخاض وهو الساعة يريد أن يحدثه، فقال النبي صلى الله عليه وآله: بل تحدّث أنت يا أبا الحسن لتكون شهيداً على القوم؟ فقال نعم، لمّا صرت في الوادي رأيت هؤلاء ركباناً على الأباعر فنادوني من أنت فقلت أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله، فقالوا ما نعرف لله من رسول، سواء علينا وقعنا عليك أو على محمّد وشد على هذا المقتول ودار بيني وبينه ضربات وهبت ريح حمراء وسمعت صوتك فيها وأنت تقول قد قطعت لك جربان درعه فاضرب حبل عاتقه فضربته ثم هبّت ريح سوداء سمعت صوتك فيها وأنت تقول: (قد قلبت لك الدرع عن فخذه فاضرب فخذه) فضربته فقطعته ووكزته وقطعت رأسه ورميت به، وقال لي هذان الرجلان بلغنا ان محمداً رفيق شفيق واحملنا إليه ولا تعجل علينا وصاحبنا كان يعد بألف فارس فقال النبي صلى الله عليه وآله أما الصوت الأول الذي صك مسامعك فصوت جبرئيل، وأما الصوت الآخر فصوت ميكائيل قدم إلى حد الرجلين فقدم فقال: قل لا إله إلّا الله واني رسوله فقال: لنقل جبيل أبي قبيس أحب إليّ من أن أقول هذه الكلمة، فقال: اخره

واضرب عنقه ثم قال: قدم الآخر فقدم فقال؛ قل لا إله إلّا الله واني رسوله فقال الحقني بصاحبي قال: أخّره يا أبا الحسن واضرب عنقه فأخره وقام عليه السلام ليضرب عنقه فهبط جبرئيل عليه السلام فقال يا محمّد ان ربّك يقرِئُك السلام ويقول لك: لا تقتله فانّه حسن الخلق سخي في قومه، فقال الرجل -وهو تحت السيف- هذا رسول ربك يخبرك؟ قال: نعم، فقال والله ما ملكت درهماً مع اخ لي ولا قطبت وجهي في حرب وأنا أشهد ان لا إله إلّا الله وانك رسوله، فقال النبي صلى الله عليه وآله: هذا ممّن جرّه حسن خلقه وسخاؤه إلى جنات النعيم.

٤
الحكمة (٢٣)

وقال عليه السلام:

مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ، وَالتَّنَفسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ.

أقول: في الخبر «كفارة عمل السلطان قضاء حوائج الاخوان» وفي المعجم في كتاب هلال بن المحسن ان رجلاً اتصلت عطلته فزوّر كتاباً عن الوزير أبي الحسن بن الفرات إلى أبي زنبور المادراني عامل مصر يتضمن الوصاية به والتأكيد في الاقبال عليه والاحسان إليه، وخرج إلى مصر فلقيه به فارتاب أبو زنبور في أمره لتغيّر الخطاب على ما جرت به العادة وكون الدعاء أكثر ممّا يقتضيه محله فراعاه مراعاة قريبة ووصله بصلة قليلة، واحتبسه عنده على وعد وعده به.

وكتب إلى أبي الحسن بن الفرات يذكر الكتاب الوارد عليه وأنفذه بعينه إليه واستثبته فيه، فوقف ابن الفرات على الكتاب المزوّر فوجد فيه ذكر الرجل وانّه من ذوي الحرمات والحقوق الواجبة عليه فعرض الكتاب على كتّابه وعرّفهم الصورة فيه وعجب إليهم منها وممّا أقدم عليه الرجل وقال لهم ما

الرأي في أمر الرجل؟ فقال بعضهم بتأديبه أو حبسه، وقال آخر اقطع ابهامه لئلا يعاود مثل هذا ولئلا يقتدي به غيره وقال أحسنهم محضراً يكتب إلى أبي زنبور بطرده وحرمانه، فقال ابن الفراد ما أبعدكم عن الحرية رجل توسل بنا المشقة إلى مصر في تأميل الصلاح بجاهنا ويكون أحسن أحواله عند أحسنكم محضراً تكذيب ظنّه لا كان هذا أبداً، ثم انّه أخذ القلم من دواته ووقع على الكتاب المزوّر.

«هذا كتابي ولست أعلم لِمَ أنكرت أمره واعترضتك فيه شبهة وليس كلّ من خدمنا تعرفه وهذا رجل خدمني في أيام نكبتي فأحسن تفقده ووفّر رفده» ورد الكتاب إلى أبي زنبور، فلما مضت مدّة دخل يوماً على ابن الفرات رجل ذو هيئة مقبولة وأقبل يدعو له ويبكي ويقبّل الأرض فقال ابن الفرات من أنت بارك الله فيك وهذه ـ كانت كلمته ـ قال أنا صاحب الكتاب المزوّر إلى عامل مصر الذي صححه كرم الوزير وتفضله، فضحك ابن الفرات وقال له كم وصل إليك منه؟ قال: وصل الي من ماله وتقسيط قسطه على عمّاله عشرون ألف دينار، فقال ابن الفرات الحمد لله الزمنا فانّا نعرضك لمّا يزداد به صلاح حالك ثم اختبره فوجده كاتباً سديداً[1] الخ.

وفي (الخصال) عن الباقر عليه السلام «ثلاث منجيات: خوف الله في السر والعلن، والقصد في الغنى والفقر، وكلمة العدل في الرضا والسخط.

وثلاث موبقات: شح مطاع، وهوىً متبع، واعجاب المرء بنفسه. وثلاث درجات: افشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة والناس نيام. وثلاث كفارات: اسباغ الوضوء في السبرات، والمشي بالليل والنهار إلى الصلوات، والمحافظة على الجماعات».

---

(١) معجم الأدباء للحموي ١٩: ٢٩٥ ـ ٢٩٧ دار الفكر . بيروت .

«وفي (ثواب الأعمال) عن الصادق عليه السلام من أغاث أخاه المؤمن اللهفان عند جهده فنفّس كربته وأعانه على نجاح حاجته كانت له بذلك عند الله اثنان وسبعون رحمة من الله يعجل له منها واحدة تصلح بها معيشته، ويدخر له أحدى وسبعين رحمة لافزاع يوم القيامة وأهوالها» وعنه عليه السلام من نفّس عن مؤمن كربة نفّس الله عنه كرب الآخرة وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد ومن أطعمه من جوع أطعمه الله ثمار الجنّة، ومن سقاه شربة سقاه الله من الرحيق المختوم.

٥
الحكمة (١٠١)

وقال عليه السلام:

لَا يَسْتَقِيمُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ إِلَّا بِثَلَاثٍ: بِاسْتِصْغَارِهَا لِتَعْظُمَ، وَبِاسْتِكْتَامِهَا لِتَظْهَرَ، وَبِتَعْجِيلِهَا لِتَهْنُو.

أقول: اما استصغارها لتعظم ففي (كامل المبرد): مر يزيد بن المهلب باعرابية في خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز يريد البصرة، فقرته غنماً فقبلها وقال لابنه معاوية ما معك من النفقة؟ فقال: ثمانمائة دينار قال: فادفعها إليها قال له ابنه انك تريد الرجال ولا يكون الرجال إلّا بالمال وهذه يرضيها اليسير وهي بعد لا تعرفك، فقال ان كانت ترضى باليسير فانا لا أرضى، إلّا بالكثير وان كانت هي لا تعرفني فأنا أعرف نفسي ادفعها إليها.

وزعم الأصمعي ان حرباً كانت بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتفاقم الأمر فيها ثم مشى بين الناس بالصلح فاجتمعوا في المسجد الجامع فبعثت وأنا غلام إلى ضرار بن الفقاع من بني دارم فاستأذنت عليه فاذن لي فاذا به في شملة يخلط بزراً لعنز له حلوب.

فخبرته بمجتمع القوم فامهل حتى أكلت العنز ثم غسل الصفحة وصاح يا جارية غدينا فأتته بزيت وتمر فدعاني فقذرته ان آكل معه حتى إذا قضى من أكله حاجته وثب إلى طين ملقى في الدار فغسل به يده ثم صاح يا جارية اسقينا. فأتته بماء فشربه ومسح فضله على وجهه ثم قال الحمد لله ماء الفرات بتمر البصرة بزيت الشام متى نؤدي شكر هذه النعم، ثم قال يا جارية عليَّ بردائي فأتته برداء عدني فارتدى به على تلك الشملة فتجافيت عنه استقباحاً لزيه فلما دخل المسجد صلّى ركعتين، ثم مشى إلى القوم فلم تبق حبوة إلّا حلت إعظاماً له ثم جلس فتحمل جميع ما كان بين الأحياء في ماله وانصرف.

وفي (وزراء الجهشياري) كان الماء قد زاد في أيام الرشيد وكان الرشيد غائباً في بعض متصيداته ويحيى بن خالد مقيم ببغداد فركب يحيى ومعه القوات ليفرّقهم على المواضع المخوفة من الماء يحفظونها ففرّق القوات وأمر باحكام المسنيات وصار إلى الدور فوقف ينظر إلى قوّة الماء وكثرته فقال قوم ما رأينا مثل هذا المد فقال يحيى قد رأيت مثله في سنة كان أبي قد وجّهني فيها إلى عمارة ابن حمزة في أمر رجل كان يعنى به من أهل خراسان وكانت له ضياع بالري فورد عليه كتابه يعلمه ان ضياعه تحيفت فخربت وان نعمته قد نقصت وان صلاح أمره في تأخيره بخراج سنة وكان مبلغه مائتي ألف درهم ليتقوى بها على عمارة ضيعته، ويؤديه في السنة المستقبلة فلما قرأ الكتاب غمّه وبلغ منه وكان بعقب ما ألزمه المنصور من المال الذي خرج عليه فخرج به عن كلّ ما يملكه واستعان بجميع اخوانه فيه.

فقال لي يا بني من ههنا يفزع إليه في أمر هذا الرجل فقلت لا أدري، فقال بلى عمارة بن حمزة فصر إليه وعرّفه حال الرجل فصرت إليه وقد مد دجلة وكان ينزل في الجانب الغربي فدخلت عليه وهو مضطجع على فراشه،

فأعلمته ذلك فقال قف لي غداً بباب الجسر ـ ولم يزد على ذلك ـ فنهضت ثقيل الرجلين وعدت إلى أبي بالخبر فقال يا بني تلك سجيته فاذا أصبحت فاغد لموعد فغدوت فوقفت بباب الجسر وقد جاءت تلك الليلة بمد عجيب قطع الجسور وانتظم الناس من الجانبين جميعاً ينظرون زيادة الماء فبينا أنا واقف أقبل زورق والموج يخفيه مرة ويظهره أُخرى والناس يقولون: «غرق غرق نجا نجا» حتى دنا من الشط فاذا عمارة بن حمزة وملّاح معه في الزورق وقد خلف دوابه وغلمانه في الموضع الذي ركب منه فلما رأيته نبل في عيني وملأ صدري، فنزلت فعدوت إليه وقلت جعلت فداك في مثل هذا اليوم ـ وأخذت بيده ـ.

فقال أعدك واخلف يا ابن أخي اطلب لي برذوناً اتكاراه فقلت له فاركب برذوني قال فأي شيء تركب؟ قلت برذون الغلام فقال هات فقدمت إليه برذوني فركبه وركبت برذون غلامي وتوجه يريد أبا عبيدالله وهو إذ ذاك على الخراج والمهدي ببغداد خليفة للمنصور والمنصور في بعض أسفاره فلما طلع على حاجب أبي عبيدالله دخل بين يديه إلى نصف الدار ودخلت معه فلما رآه أبو عبيدالله قام من مجلسه وأجلسه فيه وجلس بين يديه فأعلمه عمارة حال الرجل وسأله اسقاط خراجه وهو مائتا ألف درهم واسلافه من بيت المال مائتي الف درهم يردّها في العام المقبل، فقال: هذا لا يمكنني ولكني اؤخره بخراجه إلى العام المقبل. فقال: لست أقبل غير ما سألت فقال: أبو عبيدالله فاقنع بدون هذا لتوجدني السبيل إلى قضاء الحاجة فأبى عمارة وتلوم أبو عبيدالله قليلاً فنهض عمارة فأخذ أبو عبيدالله بكمه.

وقال اني أتحمّل ذلك من مالي فعاد لمجلسه وكتب أبو عبيدالله إلى عامل الخراج باسقاط خراج الرجل لسنته والاحتساب به على أبي عبيدالله

واسلافه مائتي ألف درهم يرتجع منه إلى العام المقبل فأخذت الكتاب وخرجنا فقلت لو أقمت عند أخيك ولم تعبر في هذا المد فقال لا أجد بداً من العبور فصرت معه إلى الموضع ووقفت حتى عبر.

واما استكتامها لتظهر (ففيه) «قال علي بن الجنيد كانت بيني وبين يحيى البرمكي مودة وأُنس فكنت أعرض عليه الرقاع في الحوائج فكثرت رقاع الناس عندي واتصل شغله فقصدته يوماً وقلت له: يا سيدي قد كثرت الرقاع وامتلأ خفي وكمي فأما تطوّلت بالنظر واما رددتها فقال لي أقم عندي حتى أفعل ما سألت فأقمت عنده وجمعت الرقاع في خفي وأكلنا وغسلنا أيدينا وقمناإلى النوم واستحييت من اذكاره إيّاها ويأست من عرضها لأنني قد علمت نقوم فنتشاغل بالشرب فنمت أنا ودعا هو بالرقاع من خفي فوقّع في جميعها وردها إليه ونام وانتبه فدخلت إليه في مجلس الشرب وقد أعدت آلته فيه فلم استجز ذكر الرقاع له وشربت وانصرفت بالعشي فبكر إلى أصحاب الرقاع لمّا وقفوا على اقامتي عنده فاعتذرت إليهم وضاق صدري بهم فدعوت بالرقاع لأميّزها واخفف منها ما ليس بمهمّ فوجدت التوقيعات في جميعها فلم يكن لي همة إلّا تفريقها والركوب إليه لشكره، فلما رأيته قلت يا سيدي قد تفضّلت وقضيت حاجتي فلم علقت قلبي ولم تعرّفني حتى يتكامل سروري، فقال لي سبحان الله أردت مني أن أمنّ عليك بأن أخبرك بما لايجوز أن يخفى عليك.

(وفيه) قال ثمامة كان أصحابنا يقولون لم يكن يرى لجليس خالد البرمكي دار إلّا خالد بناها له ولا ضيعة إلاّ وخالد حمله عليها وكان أوّل من سمّى المستميحين ومن يقصد العمّال لطلب البرّ الزوار وكانوا قبل ذلك يسمّون السوال فقال خالد انا استقبح لهم هذا الاسم وفيهم الاحرار

والاشراف وفي ذلك يقول بعض زوّاره.

حذا خالد في جوده حذو برمك فجود له مستطرف وأثيل
وكان بنو الاعدام يدعون قبله باسم على الاعدام فيه دليل
يسمّون بالسوال في كلّ موطنٍ وان كان فيهم تافه وجليل
فسماهم الزوّار سرّاً عليهم فاستاره في المجتدين سدول

واما تعجيلها لتهنؤ، ففي الخبر «لكلّ شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح» وعن الجاحظ كتب إلى بعضهم «ان سحاب وعدك قد برقت فليكن وبلها سالماً عن صواعق المطل والاعتلال» وقال ابن حمدان: «عجل النجح فان المطل بالوعد وعيد» وقال العتبي:

لا خير في عدة ان كنت ماطلها وللوفاء على الاخلاف تفضيل
الخير أنفعه للناس أعجله وليس ينفع خير فيه تطويل

وقال البحتري في خضر بن أحمد.

عجّل بالذي تنيل يداه ان بطء النوال من تنكيده
كاد ممتاحه لسابق جدواه يكون الاصدار قبل وروده

وفي اللسان (اكري العشاء) اخره قال الحطيئة.

(وأكريت العشاء إلى سهيلٍ أو الشعرى فطال بي الاناء)

قيل: هو يطلع سحراً وما أكل بعده فليس بعشاء يقول انتظرت معروفك حتى أيست هذا وفي المعجم: «كان بالكوفة امرأة موسرة لها على الناس ديون كثيرة بالسواد فأتت ابن عبدل الشاعر وعرضت له بأنها تتزوجه إذا اقتضى لها ديونها فقام بها حتى اقتضاها ثم طالبها ـ وكان ابن عبدل يأتي ابن بشر بن مروان بالكوفة فيسأله فيقول له: اخمسمائة العام أحبّ إليك أم ألف في قابل فيقول ألف في قابل فإذا أتاه من قابل قال له ألف في العام أحب إليك أم

الفان في قابل؟ فيقول ألفان في قابل، فلم يزل كذلك حتى مات ابن بشر ولم يعطه شيئاً ـ فكتبت المرأة إليه:

«سيخطيك الذي حاولت مِنّي فيقطعُ حبل وصلك من حبالي
كما اخطاك معروف ابن بشر وكنت تعد ذلك رأس مال

ثم دخل ابن عبدل بعد على عبد الملك فقال له عبد الملك: ما أحدثت بعدي قال خطبت امرأة من قومي فردت على ببيتي شعر ـ وذكر له البيتين ـ فضحك عبد الملك وقال له لحاك الله اذكرت بنفسك وأمر له بألفي درهم[١].

٦
الحكمة (٢٢٢)

وقال عليه السلام:

مِنْ أَشْرَفِ أَفْعالِ ٱلْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ.

أقول: ونقلت (المصرية) (اعمال) بدل (افعال) تحريف وفي بيان الجاحظ جمع محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام صلاح شأن الدنيا بحذافيرها في كلمتين فقال «صلاح شأن جميع التعايش والتعاشر ملأ مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل» قال الجاحظ: «فلم يجعل عليه السلام لغير الفطنة نصيباً من الخير ولا حظّاً في الصلاح لأن الانسان لا يتغافل إلّا عن شيء قد فطن له وعرفه»[٢].

وفي الطبري قال محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان كان بالبصرة رجل من بني تميم ـ وكان شاعراً ظريفاً خبيثاً منكراً وكنت أنا والي البصرة آنس به واستحليه ـ فقلت له: أنت شاعر ظريف والمأمون أجود من السحاب الحافل فما يمنعك منه فعمل ارجوزة وخرج إلى الشام لمّا كان المأمون هنالك

---

(١) معجم الادباء للحموي ١: ٢٣٣ ـ ٢٣٥، ترجمة الحكم بن عبدل.

(٢) البيان والتبيان للجاحظ ١: ٨٤ مكتبة الخانجي، القاهرة.

قال الرجل: فبينا أنا قد ركبت نجيبي ولبست مقطعاتي وأنا أروم العسكر فإذا أنا بكهل على بغل فارة ما يقرّ قراره، فتلقاني مواجهة وأنا أُردد نشيد ارجوزتي.

فقال: سلام عليكم بكلام جهوري فقلت وعليكم، قال قف ان شئت فوقفت فتضوعت منه رائحة العنبر والمسك الأذفر فقال ما أولك؟ قلت: رجل من مضر قال ونحن من مضر.

ثم ماذا، قلت: من تميم، قال: ثم قلت: من سعد قال فما أقدمك هذا البلد قلت قصدت هذا الملك الذي ما سمعت بمثله أندى راحة قال: فما الذي قصدته به؟ قلت: شعر طيب يلذ على الأفواه، وتقتفيه الرواة قال: فأنشدنيه فغضبت وقلت يا ركيك أخبرتك اني قصدت الخليفة بشعر قلته وتقول انشدنيه ـ فتغافل والله عنها وتطامن لها وألغى عن جوابها.

قال: وما الذي تأمل منه؟ قلت ان كان على ما ذكر منه فألف دينار قال فأنا أعطيكها ان رأيت الشعر جيّداً والكلام عذباً واضع عنك العناء وطول الترداد ومتى تصل إلى الخليفة وبينك وبينه عشرة آلاف رامح ونابل قلت فلي الله عليك أن تفعل قال: نعم قلت: ومعك الساعة مال؟ قال: «هذا بغلي وهو خير من ألف دينار» فغضبت أيضاً وعارضني نزق سعد وخفة أحلامه، فقلت ما يساوي هذا البغل هذا النجيب؟ قال: «فدع عنك البغل ولك الله على أن أعطيك الساعة ألف دينار» فأنشدته:

مأمون يا ذا المنن الشريفة	وصاحب المرتبة المنيفة
وقائد الكتيبة الكثيفة	هل لك في ارجوزةٍ ظريفة
أظرف من فقه أبي حنيفة	لا والذي أنت له خليفة
ما ظلمت في أرضنا ضعيفة	أميرنا مؤنة خفيفة

وما أجتبى شيئاً سوى الوظيفة فــالذئب والنـعجة فـي سـقيفة
واللص والتاجر في قطيفة

فوالله ما عدا ان أنشدته فاذا زهاء عشرة الآف فرس قد سدوا الأُفق يقولون: السلام عليك أيها الخليفة فأخذني أفكِّر ونظر اليّ بتلك الحال، فقال: لا بأس عليك أي أخي قلت جعلت فداك أتعرف لغات العرب؟ قال: أي قلت فمن جعل منهم (الكاف) مقام (القاف) قال: حمير قلت: «لعنها الله ولعن من استعمل هذه اللغة بعد اليوم» فضحك وعلم ما أردت ـ أي ان مرادي بالركيك الرقيق ـ والتفت إلى خادم إلى جانبه فقال: اعطه ما معك فأخرج اليّ كيساً فيه ثلاثة الآف دينار فقال هاك، ثم قال: السلام عليك ومضى.

وفي (تاريخ بغداد)، قال أبو الصلت: أوقفني المأمون ليلة عنده فكنّا نتحدث حتى ذهب من الليل ما ذهب وأُطفئ السراج، ونام القيم الذي كان يصلح السراج فدعاه فلم يجبه فأصلحه هو ثم انتبه الخادم فظننت انّه يعاقبه فقال ربما أكون في المتوضأ فيشتموني ولا يدرون اني أسمع فأعفو عنهم، وقال ابن البواب كان المأمون يحلم في بعض الأوقات حتى يغيظنا جلس يوماً يستاك على دجلة من بغداد من وراء ستيرة ونحن قيام بين يديه فمر فلّاح وهو يقول بأعلى صوته:

«أتظنون ان هذا المأمون ينبل في عيني وقد قتل أخاه» فوالله ما زاد على أن تبسّم وقال لنا ما الحيلة عندكم حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل[1] وفي السير كان صلاح الدين الأيوبي جالساً يوماً وعنده جماعة فرمى بعض المماليك بعضاً بسرموز فأخطأته ووقعت بالقرب من صلاح الدين فالتفت إلى

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٠: ١٨٩ ـ دار الفكر ـ بيروت.

الجهة الأُخرى يكلّم جليسه ليتغافل عنها»[١] وقال الشاعر:

«ليس الغبي بسيّدٍ في قومه ... لكن سيّدَ قومه المتغابي»

٧
الحكمة (٢٣٢)

وقال عليه السلام:

مَنْ يُعْطِ بالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطَ بالْيَدِ الطَّوِيلَةِ

«ومَعْنى ذَلِكَ أنَّ ما يُنْفِقُهُ المَرْءِ مِن مالِهِ في سَبيلِ الخيرِ والبرِّ وإنْ كان يَسِيراً فإنَّ الله تعالى يَجْعَلُ الجَزاءَ عَلَيه عظيما كَثيراً، والْيَدَانِ هـهنا عِبارَتان عَنِ النِّعْمَتيْنِ فَفَرَقَ بَيْنَ نِعْمَةِ الْعَبْدِ ونِعْمَةِ الرَّبِّ تَعَالى ذِكْرُهُ، بالقصيرء والطويلة فجَعلَ تِلْكَ قَصِيرَةً وهَذِهِ طَوِيلَةً لأنَّ نِعَمَ اللهِ سبحانه أبَداً تُضْعَفُ على نِعَمِ المَخْلُوقِينَ أضْعَافاً كَثيَرةً، إذْ كانتْ نِعَمه تعالى أصْلَ النِّعَمِ كلها فَكُلُّ نِعْمَةٍ إلَيْها تَرْجِعُ ومنها تُنْزَعُ».

أقول: هو نظير قول النبي صلى الله عليه وآله «اليد العليا خير من اليد السفلى» نقله المصنف في مجازاته النبوية ثم قال: «هذا القول مجاز لأنّه صلى الله عليه وآله أراد باليد العالية يد المعطي، وباليد السافلة يد المستعطي، ولم يرد على الحقيقة ان هناك عالياً وسافلاً وصاعداً ونازلاً وانما أراد ان المعطي في الرتبة فوق الأخذ لأنّه المفضل والمحسن المجمل، وليس هذا في معطي الحق، وانما هو في معطي الرفد ومسترفده، وليس المراد انّه خير في الدين، بل المراد انّه خير في النفع للسائلين وانما كنى النبي صلى الله عليه وآله عن هاتين الحالتين باليدين، لأن الأغلب أن يكون بهما الاعطاء والبذل وبهما القبض والأخذ».

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٢: ٩٦ ـ دار صادر ـ بيروت.

وفي (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله «الأيدي ثلاثة: سائلة ومنفقة وممسكة، وخير الأيدي المنفقة» وعن معلى بن خنيس «خرج أبو عبدالله عليه السلام في ليلة قد رشّت وهو يريد ظلّة بني ساعدة فاتبعته فاذا هو قد سقط منه شيء فقال: «اللّهم رد علينا» فأتيته وسلمت فقال: معلى؟ قلت نعم، قال: «التمس لي بيدك فما وجدت فادفعه اليّ» فاذا أنا بخبز كثير منتشر، فجعلت ادفع إليه ما أجد فاذا أنا بجراب أعجز عن حمله من خبز فقلت جعلت فداك أحمله على رأسي، فقال لا، أنا أولى به منك ولكن امض معي فأتينا ظلة بني ساعدة فاذا نحن بقوم نيام فجعل يدسّ الرغيف والرغيفين تحت رؤوسهم حتى أتى على آخرهم ثم انصرفنا فقلت: جعلت فداك يعرف هؤلاء الحق؟ فقال لو عرفوه لواسيناهم بالدقة ـ أي الملح ـ ثم قال عليه السلام: ان الله تعالى لم يخلق شيئاً إلّا وله خازن يخزنه إلّا الصدقة فان الربّ تعالى يليها بنفسه، وكان أبي عليه السلام إذا تصدّق بشيء وأعطاه السائل ارتده منه فقبّله وشمّه ثم ردّه في يد السائل ـ الخبر ـ.

قلت: وقوله عليه السلام «ان الله تعالى» إلى قوله «في يد السائل» اشارة إلى قوله تعالى «ويأخذ الصدقات» ثم في ذيل الخبر «مر عيسى عليه السلام على شاطئ البحر، فرمى بقرص من قوته في الماء فقال له بعض الحواريين يا روح الله لِمَ فعلت هذا وانما هو من قوتك فقال فعلت هذا لدابة تأكله من دواب الماء وثوابه عند الله عظيم.

هذا، وكما ان قوله عليه السلام «من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة» وقول النبي صلى الله عليه وآله «اليد العليا خير من اليد السفلى» كناية واستعارة كقول النبي صلى الله عليه وآله لأزواجه «اسرعكنّ لحاقاً بي أطولكنّ يداً» فلم يفهمن مراده صلى الله عليه وآله وظنن انّه صلى الله عليه وآله أراد بطول اليد الجارحة حتى ماتت أولاهن زينب بنت جحش ـ وكانت امرأة كثيرة الصدقة وكانت صناعاً تصنع بيدها وتبيعه وتتصدّق

به ـ ففهمن مراده صلى الله عليه وآله وكانت أطولهن جارحة عايشة على قول الجاحظ[١] وسودة على قول البلادري فروي عن الشعبي: «ان النبي صلى الله عليه وآله قال لنسائه: «أطولكن يداً أسرعكنَّ بي لحاقاً» فكانت سودة أطولهنَّ يداً فلما تُوفّيت زينب قلن صدق رسول الله صلى الله عليه وآله كانت زينب أطولنا يداً في الخير».

وعن عايشة «لقد نالت زينب شرفاً لا يبلغه شرف، زوّجها الله نبيه ونطق بذلك كتابه، وقال النبي صلى الله عليه وآله: ونحن حوله «أسرعكن لحوقاً بي اطولكنَّ يداً» فبشّرها بسرعة لحاقها به وانها زوجته في الجنّة.

٨
الحكمة (٢٥٧)

وقال عليه السلام لكميل بن زياد النخعي:

يا كُمَيْلُ مُرْ أَهْلَكَ أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ المَكَارِمِ، وَيُدْلِجُوا فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ، فَوَالذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، ما مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُرُوراً إِلَّا وَخَلَقَ ٱللهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ لُطْفاً. فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَى إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي ٱنْحِدَارِهِ حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تُطْرَدُ غَرِيبَةُ ٱلْإِبِلِ».

«**يا كميل مر أهلك أن يروحوا في كسب المكارم**» في (ذيل الطبري) «قال النبي عليه السلام لسائب بن أبي السائب: ألم تكن شريكي في الجاهلية؟ قال نعم بأبي أنت وأُمي نعم الشريك كنت لا تماري ولا تباري فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: ياسائب انظر الأخلاق الحسنة التي كنت تصنعها في الجاهلية، فاصنعها في الاسلام اقر الضيف واحسن إلى اليتيم واكرم الجار[٢] وقال صلى الله عليه وآله: بعثت لأُتمم مكارم الأخلاق.

---

(١) البيان والتبيان للجاحظ ٣: ١٤٥، والحديث «اسرعكنّ بي لحوقاً أطولكن يداً».

(٢) ذيل المذيل للطبري، من كتاب الطبري: ٦٠ ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام «المكارم عشر، فان استطعت أن تكون فيك فلتكن فانها تكون في الرجل ولا تكون في ولده وتكون في الولد ولا تكون في أبيه وتكون في العبد ولا تكون في الحر، قيل وما هن؟ قال: صدق البأس، وصدق اللسان، واداء الامانة، وصلة الرحم، واقراء الضيف، واطعام السائل، والمكافاة على الصنائع، والتذمم للجار، والتذمم للصاحب، ورأسهن الحياء».

وروى نوادر معيشة (الكافي) عن معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام لا تمانعوا قرض الخمير والخبز واقتباس النار فانه يجلب الرزق على أهل البيت مع ما فيه من مكارم الأخلاق.

وروي عن الصادق عليه السلام ان الله تعالى خص الأنبياء بمكارم الأخلاق فمن كانت فيه فليحمد الله على ذلك والا تكن فيكم فاسألوا الله فيها وذكرها عشرة اليقين والقناعة والصبر والشكر والحلم وحسن الخلق، والسخاء والغيرة والشجاعة والمروة ـ وزاد في خبر ـ صدق الحديث واداء الامانة».

«**ويدلجوا في حاجة من هو نائم**» من (أدلج) إذا سار من أول الليل.

«**فوالذي وسع سمعه الأصوات**» (يسمع السر وأخفى).

«**ما من أحد أودع قلباً سروراً إلّا وخلق الله له من ذلك السرور لطفاً**» في ثواب الأعمال عن النبي صلى الله عليه وآله ما من عبد يدخل على أهل بيت مؤمن سروراً إلّا خلق الله له من ذلك السرور خلقاً يجيئه يوم القيامة كلّما مرت عليه شديدة يقول: يا ولي الله لا تخف فيقول له من أنت فلو ان الدنيا كانت لي ما رأيتها لك شيئاً فيقول أنا السرور الذي ادخلت على آل فلان.

«**فاذا نزلت به نائبة**» من نوائب الدهر ومصائبه.

«**جرى**» ذلك اللطف.

«**إليها**» أي: إلى تلك النائبة.

«كالماء في انحداره» أي: في سرعته.

«يطردها عنه» من (اطردت الابل).

«كما تطرد غريبة الابل» في المعجم «قدم علي ابن مروان ـ صاحب ديار بكر ـ شاعر من العجم يعرف بالغساني، وكان من عادة ابن مروان إذا قدم عليه شاعر يكرمه وينزله، ولا يجتمع به إلى ثلاثة أيام ليستريح من سفره ويصلح شعره ثم يستدعيه. واتفق ان الغساني لم يكن أعد شيئاً في سفره ثقة بقريحته فأقام ثلاثة أيام فلم يفتح عليه يعمل بيتاً واحداً وعلم انّه يدعى ولا يليق أن يلقى الأمير بغير مديح فأخذ قصيدة من شعر الحسن بن أسد الفارقي لم يغيّر فيها إلّا اسمه.

واعلم ابن مروان بذلك فغضب وقال يجيءُ هذا العجمي فيسخر منّا ثم أمر بمكاتبة ابن اسد، وأمر أن يكتب القصيدة بخطّه ويرسلها إليه فخرج بعض الحاضرين فانهى القضية إلى الغساني ـ وكان هذا بآمد ـ وكان له غلام جلد فكتب من ساعته إلى ابن اسد كتاباً بأني قدمت على الأمير فارتج على قول الشعر مع قدرتي عليه فادّعيت قصيدة من شعرك استحساناً لها وعجباً بها ومدحت بها الأمير، ولا أبعد أن تسأل عن ذلك فان سألت فرأيك الموفق في الجواب».

فوصل غلام الغساني قبل كتاب ابن مروان، فأجاب ابن مروان بأني لا أعرف هذه القصيدة، ولا قائلها فلما ورد الجواب عليه عجب من ذلك وشتم الساعي وقال انما قصدكم فضيحتي بين الملوك حسداً منكم لمن احسن إليه ثم ازداد في الاحسان إلى الغساني وانصرف الغساني إلى بلاده فلم يمض على ذلك إلّا مديدة حتى اجتمع أهل ميافارقين إلى ابن أسد ودعوه إلى أن يؤمروه عليهم ويساعدوه على العصيان واقامة الخطبة للسلطان ملكشاه

وحدهُ اسقاط اسم ابن مروان من الخطبة فأجابهم إلى ذلك وبلغ ذلك ابن مروان فحشد له ونزل على ميافارقين فأعجزه أمرها فأنفذ إلى نظام الملك والسلطان يستمدهما فأنفذا إليه جيشاً ومدداً مع الغساني المذكور، وكان قد تقدم عند نظام الملك والسلطان وصار من أعيان الدولة وصدقوا في الزحف على المدينة حتى أخذوها عنوة وقبض على ابن أسد وجيءَ به إلى ابن مروان فأمر بقتله فقام الغساني وشدّد العناية في الشفاعة فيه فامتنع ابن مروان امتناعاً شديداً من قبول شفاعته وقال: ان ما اعتمده في شق العصا يوجب أن يعاقب بالقتل.

فقال: بيني وبين هذا الرجل ما يوجب قبول شفاعتي فيه، وأنا أتكفل به الا يجري منه بعد شيء يكره فاستحيى منه وأطلقه له فاجتمع به الغساني وقال: أتعرفني؟ قال: لا والله ولكني أعرف انّك ملك من السماء من الله بك على بقاء مهجتي فقال له: أنا الذي ادّعيت وسترت عليّ وما جزاء الاحسان إلّا الاحسان، فقال ابن أسد: ما رأيت قصيدة جحدت فنفعت صاحبها أكثر من نفعها إذا ادّعاها، غير هذا فجزاء الله عن مروءتك خيراً، وانصرف الغساني من حيث جاء.

(أيضاً) حبس أحمد بن طولون، ابن داية فاجتمع زهاء ثلاثين رجلاً ممّن يمونهم ودخلوا على بن طولون وقالوا ليس لنا أن نسأل الأمير مخالفة ما يراه في ابن داية وانما نسأله ان آثر قتله ان يقتلنا قال: ولِمَ؟ فقالوا لنا ثلاثون سنة ما فكّرنا في ابتياع شيء ممّا احتجنا إليه ولا وقفنا بباب غيره ونحن والله نرفض البقاء بعده وعجّوا بالبكاء بين يديه فقال لهم: بارك الله عليكم فقد كافأتم احسانه وجازيتم إنفاقه، ثم قال: احضروه فاحضر، فقال لهم: خذوا

بيد صاحبكم وانصرفوا فخرجوا معه وانصرف إلى منزله[١].

(أيضاً) بعث ابن طولون في الساعة التي توفي فيها ابن داية المذكور بخدم فهجموا الدار، وطالبوا بكتبه مقدرين ان يجدوا فيها كتاباً من أحد ممّن ببغداد فحملوا صندوقين وقبضوا على ابنيه وصاروا بهما إلى داره وادخلا إليه، وعنده رجل من أشراف الطالبيّين فأمر بفتح أحد الصندوقين وادخل خادم يده على دفتر جراياته على الاشراف وغيرهم فأخذ الدفتر بيده وتصفحه ـ وكان جيد الاستخراج ـ فوجد اسم الطالبي الذي عنده في الجراية فقال: كانت عليك جراية ليوسف بن داية؟ قال: نعم أيها الأمير دخلت هذه المدينة وأنا مملق فأجري عليّ في كلّ سنة مائتي دينار اسوة بابن الأرقط والعقيقي وغيرهما.

ثم امتلأت يداي من طول الأمير فاستعفيته منها فقال لي: نشدتك الله الا قطعت سبباً لي برسول الله صلى الله عليه وآله ـ وتدمع الطالبي ـ فقال ابن طولون: رحم الله يوسف، ثم قال لولده: انصرفوا إلى منازلكم فلا بأس عليكم فانصرفوا ولحقوا جنازة أبيهما، وحضر ذلك العلوي وأحسن مكافأة أبيهم في خلفه[٢].

وفي (مستجاد التنوخي) عن علي بن صالح البلخي عن بعض شيوخه عن شيبة الدمشقي، قال كان في أيام سليمان بن عبد الملك رجل يقال له خزيمة بن بشر من بني أسد بالرقة وكانت له مروءة ونعمة حسنة وفضل وبر بالاخوان فلم يزل على تلك الحال حتى احتاج إلى اخوانه الذين كان يتفضل عليهم فواسوه حيناً ثم ملّوه، فلما لاح له تغيّرهم أتى امرأته فقال لها قد رأيت من اخواني ـ تغيّراً وقد عزمت على لزوم بيتي إلى أن يأتيني الموت

---

(١) معجم الادباء للحموي ٣: ١٥٦.

(٢) المصدر نفسه ٣: ١٥٨ ـ ١٥٩.

وأغلق بابه عليه وأقام يتقوّت بما عنده حتى نفد وبقي حائراً في أمره وكان عكرمة الفياض الربعي والياً على الجزيرة فبينما هو في مجلسه وعنده جماعة من أهل البلد إذ جرى ذكر خزيمة بن بشر فقال عكرمة ما حاله؟ فقالوا صار من سوء الحال إلى أن أغلق بابه ولزم بيته فقال فما وجد مواسياً ولا مكافياً قالوا لا فأمسك.

ثم لمّا كان الليل عمد إلى أربعة آلاف دينار فجعلها في كيس ثم أمر باسراج دابته وخرج سرّاً من أهله فركب ومعه غلام من غلمانه يحمل المال ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فأخذ الكيس من الغلام.

ثم أبعده وتقدّم إلى الباب فدقّه بنفسه فخرج إليه خزيمة فناوله الكيس وقال له اصلح بهذا شأنك فتناوله خزيمة فرآه ثقيلاً فوضعه ثم أمسك لجام الدابة وقال له من أنت؟ جعلت فداك قال: ما جئتك هذه الساعة وأنا أريد أن تعرفني قال خزيمة فما أقبله إلّا وتخبرني من أنت قال أنا جابر عثرات الكرام قال زدني قال لا ثم مضى ودخل خزيمة بالكيس فقال لامرأته ابشري فقد أتى الله بالفرج ولو كانت فلوساً فهي كثيرة قومي فاسرجي، قالت لا سبيل إلى السراج فبات يلمسها فيلمس خشونة الدنانير ولا يصدّق ورجع عكرمة إلى منزله فوجد امرأته قد افتقدته وسألت عنه فأخبرت بركوبه منفرداً فارتابت لذلك فشقّت جيبها ولطمت خدّها فلما رآها قال لها ما دهاك؟ قالت غدرت بابنة عمك قال وما ذاك؟ قالت أمير الجزيرة يخرج بعد هدأةٍ من الليل منفرداً من غلمانه في سر من أهله والله ما يخرج إلّا إلى زوجة أو سرية قال لقد علم الله اني ما خرجت إلى واحدة منهما قالت فخبرني فيم خرجت؟ قال يا هذه لم أخرج في هذا الوقت وأنا أريد أن يعلم بي أحد قالت لابد قال فاكتميه اذن قالت أفعل فأخبرها بالقصة على وجهها وما كان من قوله ورده عليه.

قال ثم أصبح خزيمة فصالح الغرماء وأصلح من حاله.

ثم تجهز يريد سليمان بن عبد الملك بفلسطين وبلا وقف ببابه دخل الحاجب فأخبره بمكانه. وكان مشهور المروة وكان سليمان به عارفاً فاذن له فلما دخل عليه قال ما أبطأك عنّا؟ قال سوء الحال، قال فبم نهضت؟ قال: لم أعلم بعد هدأة من الليل إلّا ورجل طرق بابي فكان منه كيت وكيت ـ وأخبره بقصته فقال له هل تعرفه؟ قال: لا قال: كان متنكراً إلّا أن سمعت منه انّه جابر عثرات الكرام فتلهف سليمان على عدم معرفته وقال لو عرفنا لأعناه على معرفته.

ثم قال عليّ بقناة فأتى بها فعقد لخزيمة على الجزيرة على عمل عكرمة الفياض فخرج خزيمة إلى الجزيرة فلما قرب منها خرج عكرمة وأهل البلد للقائه فسلّم عليه.

ثم سارا جميعاً إلى أن دخلا باب خزيمة إلى دار الامارة وأمر أن يؤخذ عكرمة وان يحاسب فحوسب فوجدت عليه فضول كثيرة فطلبه بادائها قال ما هي عندي فاصنع ما أنت صانع فأمر به إلى الحبس ثم بعث إليه يطالبه فأرسل اني لست ممّن يصون ماله بعرضه فاصنع ما شئت فأمر به فكبّل بالحديد واقام كذلك شهراً أو أكثر فأضناه ذلك وبلغ ابنة عمّه ضرّه فجزعت ثم دعت مولاة لها ذات عقل وقالت امضي الساعة إلى باب هذا الأمير فقولي عندي نصيحة فاذا طلبت منك فقولي لا أقولها إلّا للأمير فاذا دخلت عليه فسليه ان يخليك فاذا فعل فقولي له ما كان هذا جزاء جابر عثرات الكرام منك كافأته بالحبس والضيق والحديد ففعلت ذلك فلما سمع خزيمة قولها قال واسوأتاه وانّه لهو قالت نعم فأمر من وقته بدابته فاسرجت وبعث إلى رؤوس أهل البلد فجمعهم وأتى بهم إلى باب الحبس ففتح ودخل خزيمة ومن معه فألفى عكرمة

في قاع الحبس متغيّراً قد أضناه الضر فلما نظر إليه عكرمة وإلى الناس احشمه ذلك ونكس رأسه فأقبل خزيمة حتى أكبّ على رأسه فقبّله فرفع عكرمة رأسه إليه وقال ما أعقب هذا منك؟ قال كريم فعلك وسوء مكافأتي قال يغفر الله لنا ولك.

ثم أمر الحداد ففك القيد عنه وأمر خزيمة أن يوضع في رجل نفسه فقال عكرمة تريد ماذا؟ قال: أُريد أن ينالني من الضر مثل ما نالك فقال اقسم عليك بالله ألا تفعل فخرجا جميعاً إلى أن وصل دار خزيمة فودّعه عكرمة وأراد الانصراف قال ما أنت ببارح حتى أُغير من حالك وحيائي من ابنة عمك أشد من حيائي منك.

ثم أمر بالحمام فأخلي ودخلا جميعاً ثم قام خزيمة فتولى خدمته بنفسه ثم خرجا فخلع عليه وحمل عليه مالاً كثيراً ثم سار ومعه إلى داره واستاذنه في الاعتذار إلى ابنة عمه فاذن له فاعتذر لها وتذمم من فعله ذلك ثم سأله أن يسير معه إلى سليمان فأنعم له بذلك فسارا حتى قدما عليه فدخل الحاجب فأخبره بقدوم خزيمة فراعه ذلك وقال والي الجزيرة يقدم بغير أمرنا ما هذا إلّا لحادث عظيم فلما دخل عليه قال له قبل أن يسلّم ما وراك يا خزيمة ؟

قال خير، قال فما الذي أقدمك؟ قال ظفرت بجابر عثرات الكرام فأحببت ان أسرك به لمّا رأيت من تلهفك وشوقك إلى رؤيته قال ومن هو؟ قال: عكرمة الفياض فاذن له في الدخول فدخل فرحب به وأدناه من مجلسه وقال يا عكرمة ما كان ضرّك له إلّا وبالاً عليك.

ثم قال اكتب حوائجك كلّها في رقعة قال أو يعفيني الخليفة قال لابد ثم دعا بدواة وقرطاس وقال اعتزل واكتب ففعل فأمر بقضائها جميعاً من ساعة وأمر له بعشرة الآف دينار وسفطين من ثياب ثم دعا بقناة وعقد له على

الجزيرة وارمينية واذربيجان وقال له أمر خزيمة إليك ان شئت أبقيته وان شئت عزلته قال بل أرده إلى عمله ثم انصرفا ولم يزالا عاملين لسليمان بن عبد الملك مدّة خلافته(١).

وفي (تاريخ بغداد)، قال أبو خليفة: كان في جوارنا رجل حدّاد فاحتاج في أمر له أن يتظلّم أيام الواثق فشخص إلى سر من رأى ثم عاد فحدّثنا انّه رفع قصته إلى الواثق فأمر برد أمره إلى ابن داود وأمر جماعة المتظلمين فحضروا فنظر في أمورهم وتشوفت لينظر في أمري ورقعتي بين يديه فأومأ اليّ بالانتظار فانتظرت حتى لم يبق أحد دعاني فقال أتعرفني فقلت لا أنكر القاضي أعزّه الله فقال ولكني أعرفك مضيت يوماً في الكلأ فانقطعت نعلي فأعطيتني شسعاً لها، فقلت لك اني أحبوك بثواب ذلك فتكرهت قولي وقلت وما مقدار ما فعلت امضِ في حفظ الله.

ثم قال والله لاصلح زمانك كما أصلحت نعلي ثم وقع لي في ظلامتي ووهب لي خمسمائة دينار، وقال زرني في كلّ وقت. قال أبو خليفة فرأيناه متسع الحال بعد ان كان مضيقاً(٢).

وفي (الأغاني) عن إبراهيم بن المدبر قال جاءني يوماً محمد بن صالح الحسني بعد أن أُطلق من حبس المتوكل فقال: اني أُريد المقام عندك اليوم على خلوة لأبثك من أمري شيئاً لا يصح ان يسمعه غيرنا فقلت افعل فصرفت من كان بحضرتي وخلوت معه وأمرت برد دابته وأخذ ثيابه فلما اطمأن وأكلنا واصطبحنا قال أعلمك اني خرجت في سنة كذا وكذا ومعي أصحابي على القافلة الفلانية فقاتلنا من كان فيها فهزمناهم وملكنا القافلة فبينا أنا أحوزها

---

(١) التوخي، المستجاد من فعلات الأجواد : ٢٦ ـ ٣٢.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤ : ١٤٦ ترجمة أحمد بن أبي داود.

وانيخ الجمال إذ طلعت عليّ امرأة من العمارية ما رأيت قط أحسن وجهاً منها ولا أحلى منطقاً فقالت يا فتى ان رأيت أن تدعو لي بالشريف المتولي أمر هذا الجيش فقلت قد رأيته وسمع كلامك فقالت سألتك بحق الله وحق رسوله أنت هو؟ فقلت نعم فقالت:

«أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحري ولأبي محل من السلطان ولنا منعة ان كنت ممّن سمع بها وان كنت لم تسمع فسل غيري ووالله لا استأثرت عنك بشيء أملكه، ولك بذلك عهد الله وميثاقه عليّ وما أسألك إلّا أن تصونني وتسترني وهذه ألف دينار معي لنفقتي فخذها حلالاً وهذا حلي عليّ من خمسمائة دينار فخذه وضماني ما شئت بعده اخذه لك من تجار المدينة أو مكة أو أهل الموسم فليس منهم أحد يمنعني شيئاً أطلبه، وادفع عني واحمني من أصحابك ومن عار يلحقني» فوقع قولها من قلبي موقعاً عظيماً فقلت قد وهب الله مالك وجاهك وحالك ووهبت لك القافلة بجميع ما فيها.

ثم خرجت فناديت في أصحابي فاجتمعوا فقلت اني قد اجرت هذه القافلة وأهلها وخفرتها وحميتها ولها ذمة الله وذمة رسوله وذمتي فمن أخذ منها خيطاً أو عقالاً فقد أذنته بحرب فانصرفوا معي، فلما أخذت وحبست بينا أنا ذات يوم في محبسي إذ جاءني السجّان وقال لي ان بالباب امرأتين تزعمان انهما من أهلك وقد حظر عليّ أن يدخل عليك أحد إلّا انّهما اعطتاني دملج ذهب ان أوصلهما إليك وها هما في الدهليز فأخرج إليهما ان شئت ففكّرت في من يجيئني في هذا البلد وأنا غريب لا أعرف أحداً ثم قلت لعلهما من ولد أبي أو بعض نساء أهلي، فخرجت إليهما فاذا بصاحبتي فلما رأتني بكت لمّا رأت من تغيّر خلقي وثقل حديدي، فأقبلت عليها الأخرى فقالت أهو هو؟! فقالت أي والله

انّه لهو هو ثم أقبلت عليّ فقالت: فداك أبي وأُمي والله لو استطعت أن أقيك ممّا أنت فيه بنفسي وأهلي لفعلت وكنت بذلك مني حقيقاً، ووالله لا تركت المعاونة لك والسعي في حاجتك وخلاصك بكلّ حيلة ومال وشفاعة وهذه دنانير وثياب وطيب فاستعن بها على موضعك ورسولي يأتيك كلّ يوم بما يصلحك حتى يفرّج الله عنك، ثم أخرجت إليّ كسوة وطيباً ومائتي دينار، وكان رسولها يأتيني في كل يوم بطعام نظيف ويتواصل برها بالسجّان فلا يمتنع من كلّ شيء أُريده حتى منّ الله عليّ بخلاصي ثم راسلتها فخطبتها فقالت أما من جهتي فأنا لك متابعة مطيعة والأمر إلى أبي فأتيته فخطبتها إليه فردني وقال ما كنت لأحقق عليها ما قد شاع في الناس عنك في أمرها وقد صيرتنا فضيحة فقمت من عنده منكساً مستحيياً وقلت له في ذلك:

رموني وإياها بشنعاء هم بها أحق أدال الله منهم معجلا
بأمر تركناه وربّ محمد عيانا فأما عفة أو تجملا

قال إبراهيم ابن المدبر فقلت له ان عيسى صنيعة أخي وهو لي مطيع وأنا أكفيك أمره فلما كان من الغد لقيت عيسى في منزله وقلت له جئتك في حاجة فقال مقضية فقلت جئتك خاطباً إليك ابنتك.

فقال هي لك امة وأنا لك عبد وقد أجبتك فقلت اني خطبتها على من هو خير مني أباً وأُماً وأشرف صهراً ومتصلاً محمد بن صالح العلوي فقال لي يا سيدي هذا رجل قد لحقنا بسببه ظنّة وقيلت فينا أقوال فقلت أفليست باطلة؟ قال: بلى، قلت فكأنّها لم تقل وإذا وقع النكاح زال كلّ قول وشنيع،ولم أزل أرفق به حتى أجاب، وبعثت إلى محمد بن صالح فأحضرته وما برحت حتى زوجته وسقت الصداق عنه[1] وفيه بعث ابن الزبير ابن الأزرق المخزومي على بعض

(١) الأغاني لأبو الفرج الاصفهاني ١٦: ٣٦٤ ـ ٣٦٧.

أعمال اليمن فأعطى أعطية سنية وبث في قريش منها أشياء جزيلة فأثنت عليه قريش ووفدوا إليه فأسنى لهم العطايا وبلغ ذلك ابن الزبير فحسده وعزله بابراهيم بن سعد بن أبي وقاص فلما قدم عليه أراد أن يحاسبه.

فقال له مالك عندي حساب ولا بيني وبينك عمل وقدم مكة فخافت قريش ابن الزبير عليه أن يفتشه أو يكشفه فلبست السلاح وخرجت إليه لتمنعه فلما لقيهم نزلت إليه قريش فسلمت عليه وبسطت له أرديتها وتلقته امائهم وولائدهم بمجامر الالوة والعود المندلي يبخرون بين يديه حتى انتهى إلى المسجد وطاف بالبيت.

ثم جاء إلى ابن الزبير فسلّم عليه وهم معه مطيفون به فعلم ابن الزبير انّه لا سبيل له إليه فما عرض ولا صرّح له بشيء ومضى إلى منزله.

وفي الجهشياري «كان عبدالله بن أبي فروة، وعبد الملك بن مروان، ومصعب بن الزبير في حداثتهم اخلّاء لا يكادون يفترقون، وكان إذا اكتسى عبد الملك كسوة اكتسى الخليلان مثلها فاكتسى عبد الملك حلة، واكتسى ابن أبي فروة مثلها، وبقي مصعب لا يجد ما يكتسي به ـ وكان أقلّهم شيئاً ـ فذكر ابن أبي فروة ذلك لأبيه فكساه مثل حلتيهما على يد ابنه فلما ولّى مصعب العراق استكتب ابن أبي فروة فكان عنده يوم إذ أتى مصعب بعقد جوهر قد أُصيب في بعض بلاد العجم لبعض ملوكهم لا يدري ما قيمته، فجعل مصعب يقلبه ويعجب منه.

ثم قال لابن أبي فروة ايسّرك ان أهبه لك قال نعم والله أيها الأمير فدعه إليه فرآه قد سر به سروراً شديداً فقال مصعب: والله لأنا بالحلة يوم كسوتنيها أشدّ سروراً منك بهذا، الآن، وكان العقد سبب غناء ابن أبي فروة وغنا عقبه، وذكر مصعب الزبيري ان عامل خراسان وجد كنزاً فيه نخلة كانت

مصنوعة من الذهب لكسرى عثاكيلها من لؤلؤ وجوهر وياقوت أحمد وأحضر فحملها إلى مصعب فجمع لها المقوّمين فقوّموها بألفي ألف دينار فقال إلى من أدفعها؟ فقيل إلى نسائك وأهلك فقال لا بل أرفعها إلى رجل قدم عندنا يداً وأولانا جميلاً أدعوا عبدالله بن أبي فروة فدفعها إليه فلما قتل مصعب كاتب عبد الملك وبذل له مالاً فسلم منه بماله ـ وكان أيسر أهل المدينة ـ.

٩
الحكمة (٢٧)

وقال عليه السلام:

أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ.

أقول: فاذا أشاعه فهو دليل حرصه على الدنيا لازهده فيها فالزهد ليس ترك التنعم من نعمه تعالى بل ترك التعلّق بالدنيا كما قال تعالى: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم...﴾[1] فقالوا عليهم السلام جمع الله تعالى الزهد في هاتين الكلمتين، وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال: بينا أنا في المطاف وإذا برجل يجذّب ثوبي، وإذا هو عباد بن كثير البصري.

فقال يا جعفر بن محمد تلبس مثل هذه الثياب!! وأنت فيهذا الموضع مع المكان الذي أنت فيه من عليّ فقلت ثوب قرقبي اشتريته بدينار وكان علي عليه السلام في زمان يستقيم له ما لبس ولو لبست مثل ذلك اللباس في زماننا لقال الناس هذا مراء مثل عباد وروى ايضاً اعتراض سفيان الثوري عليه عليه السلام في لباسه، وقال له ما لبس النبي صلى الله عليه وآله مثل ذلك فقال عليه السلام: ان النبي صلى الله عليه وآله كان في زمان قتر مقتر وان الدنيا أرخت بعد ذلك عزاليها فأحق أهلها بها أبرارها

(١) الحديد: ٢٣.

ـ ثم تلا عليه السلام ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق...﴾[١] ـ ونحن أحق من أخذ منها ما أعطاه الله غير اني يا ثوري ما ترى عليّ من ثوب لبسته للناس ـ ثم اجتذب يد سفيان إليه ورفع الثوب الأعلى وأخرج ثوباً تحت ذلك على جلده غليظاً ـ فقال هذا لبسته لنفسي وما رأيته للناس.

ـ ثم جذب ثوباً على سفيان أعلاه غليظ جشن وداخل ذلك ثوب لين ـ فقال لبست أنت هذا الأعلى للناس ولبست هذا لنفسك تسترها.

١٠
الحكمة (٣٣)

وقال عليه السلام :

كُنْ سَمِحاً وَلا تَكُنْ مُبَذِّراً، وَكُنْ مُقَدِّراً وَلَا تَكُنْ مُقَتِّراً.

أقول: التبذير والتقتير مذمومان أما الأول فقال تعالى: ﴿... ولا تبذر تبذيرا * ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا﴾[٢].

وأما الثاني فقال تعالى: ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي اذن لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً﴾[٣] وانما الممدوح السمح المقدر فقال تعالى: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾[٤].

وفي الخبر أخذ الصادق عليه السلام قبضة من حصى وقبضها بيده فقال هذا «الاقتار» الذي ذكره الله تعالى.

---

(١) الاعراف: ٣٢.

(٢) الاعراف: ٣٢.

(٣) الاسراء: ٢٦ ـ ٢٧.

(٤) الاسراء: ١٠٠.

ثم أخذ قبضة أُخرى وأرخى كفّه كلّها ثم قال هذا «الاسراف» الذي ذكره تعالى ثم أخذ قبضة أُخرى فأرخى بعضها وأمسك بعضها وقال هذا «القوام» الذي ذكره تعالى.

وفي (الكافي) جاء سائل إلى الصادق عليه السلام فقام إلى مكتل فيه تمر فملأ يده فناوله ثم جاء آخر فسأله فقام فأخذ بيده فناوله، ثم جاء آخر فسأله فقام فأخذ فناوله بيده ثم جاء آخر فقال عليه السلام: الله رازقنا وإياك ثم قال ان النبي صلى الله عليه وآله كان لا يسأله أحد إلّا أعطاه فأرسلت امرأة ابنها إليه يسأله وقالت له: فإن قال ليس عندنا شيء فقل اعطني قميصك، ففعل فأخذ صلى الله عليه وآله قميصه فرمى به إليه فأدبه الله تعالى على القصد فقال: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾[1] وروي ان الكاظم عليه السلام سئل عن النفقة على العيال فقال بين المكروهين الاسراف والاقتار.

١١
الحكمة (٤٢٥)

وقال عليه السلام:

إِنَّ لِلّٰهِ عِباداً اَخْتَصَّهُمُ اللهُ بالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ اَلْعِبَادِ، يُقِرُّهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ.

«ان لله عباداً اختصهم الله بالنعم لمنافع العباد» هكذا في (المصرية) والصواب: ان «لله عباداً يختصهم بالنعم» الخ كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) ويشهد لكونه «يختصهم» السياق فبعده «فيقرّها» ولزيادة لفظ الجلالة تقدمه هذا وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام «ان من بقاء المسلمين وبقاء الاسلام ان تصير

---

(١) الاسراء: ٢٩.

الأموال عند من يعرف فيها الحق يصنع فيها المعروف وان من فناء الاسلام وفناء المسلمين ان تصير الأموال في أيدي من لا يعرف فيها الحق ولا يصنع فيها المعروف» وعن الباقر عليه السلام: «ان الله تعالى جعل للمعروف أهلاً من خلقه حبّب إليهم فعاله ووجّه لطلّاب المعروف الطلب إليهم ويسّر لهم قضاءه كما يسّر الغيث للأرض المجدبة ليحييها ويحيي به أهلها وانّه تعالى جعل للمعروف أعداء من خلقه بغّض إليهم المعروف وبغّض إليهم فعاله وحظر على طلاب المعروف الطلب وحظر عليهم قضاءه كما حرّم الغيث على الأرض المجدبة ليهلكها ويهلك أهلها» وعن الصادق عليه السلام: «ان للجنّة باباً يقال له المعروف لا يدخله إلّا أهل المعروف» وعنه عليه السلام «أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة يقال لهم ان ذنوبكم قد غفرت لكم فهبوا حسناتكم لمن شئتم» وعنه عليه السلام قالوا للنبي صلى الله عليه وآله ان أهل المعروف يعرفون بمعروفهم في الدنيا فبم يعرفون في الآخرة؟ فقال إذا ادخل الله تعالى أهل الجنة الجنّة أمر ريحاً عبقة طيبة فلزقت بأهل المعروف فلا يمر أحد منهم بملأ من أهل الجنّة إلّا وجدوا ريحه فقالوا هذا من أهل المعروف.

وفي (وزراء الجهشياري) دعا الرشيد صالحاً صاحب المصلّى حين تنكّر للبرامكة فقال له: أخرج إلى منصور بن زياد، فقل له قد صحت عليك عشرة آلاف الف درهم فاحملها الي في يومك هذا فان هو دفعها إليك كاملة قبل مغيب الشمس من يومك هذا وإلّا فاحمل رأسه اليّ وإيّاك ومراجعتي في شيء من أمره قال صالح: فخرجت إلى منصور وهو في الدار فعرفته الخبر.

فقال: انّا لله وانّا إليه راجعون ذهبت والله نفسي ثم حلف انّه لا يعرف موضع ثلاثمائة ألف درهم فكيف عشـرة آلاف الف درهـم فقال له صالح جد في عملك فقال له امض بي إلى منزلي حتى أوصي واتقدّم في أمري فمضى فما هو ان دخل حتى ارتفع الصـراخ مـن منازله وحجر نسائه فأوصى وخرج ومـا فـيه لحـم ولا دم، فـقال صالح: امض بنا إلى أبي علي يحيى بن خالد لعل الله أن يأتينا بفرج من جهته فمضى معه فدخل على يحيى وهو يبكي فقال يحيى مـا وراءك؟ فقص عليه القصة فقلق يحيى بأمره وأطرق مفكّراً ثم دعا خازنه فقال كم عندك من المال؟ قال: خمسة آلاف ألف درهم، قال احضرني مفاتيحها فأحضرها ثم وجّه إلى الفضل انّك أعلمتني ان عندك ـ فداك أبوك ـ ألفي ألف درهم قدرت أن تشتري بها ضيعة وقد أصبت لك ضيعة يبقى ذكرها وشكرها وتحمدن ثمرتها فوجّه إلينا بالمال فوجّه به.

ثم قال للرسول امض إلى جعفر فقل له ابعث الي ـ فداك أبوك ـ ألف ألف درهم بحق لزمني، فوجّه إليه فقال صالح هذه ثمانية آلاف ألف درهم ثم أطرق أطراقة لأنّه لم يكن بقي عنده شيء ثم رفع رأسه إلى خادم على رأسه وقال له امض إلى دنانير فقل لها وجهي الي بالعقد الذي كان الخليفة وهبك إيّاه فجاء بـه فـاذا عـقد كـعظم الذراع فقال لصالح: اشتريت هذا للخليفة بمائة ألف وعشـرين ألف دينار فوهبه لدنانير وقد حسبناه عليك بألفي ألف درهم وهذا تمام المال فانصرف وخل عن صاحبنا قال صالح فأخذت ذلك ورددت منصوراً معي فلما صرنا بالباب انشد منصور متمثلاً:

فما بقيا علـيَّ تـركتماني ولكن خفتما صرد النبال

فقال صالح: ما على ظهر الأرض كلّها رجل هو أنبل من رجل خرجنا من عنده ولا سمعت بمثله في من مضى ولا يكون مثله في من بقي، ولا على ظهر الأرض رجل أخبث سريرة ولا أردء طبعاً من هذا النبطي إذ لم يشكر من أحياه، قال وصرت إلى الرشيد فقصصت عليه قصة المال وطويت عنه ما قاله المنصور لأني خفت ان سمعه ان يقتله.

فقال لي الرشيد اما اني قد علمت انّه ان نجا لم ينج إلّا بأهل هذا البيت وقال اقبض المال واردد العقد على (دنانير) فاني لم أكن لأهب هبة وترجع اليّ قال صالح: فلم أطب نفساً ترك تعريف يحيى ما قال منصور فقلت له لمّا رأيته -بعد أن أطنبت في شكره ووصف ما كان منه -لقد أنعمت على غير شاكر قابل أكرم فعل بالأم قول قال وكيف ذاك فأخبرته بما قال فجعل والله يطلب له المعاذير ويقول «يا أبا علي ان المتحوب القلب ربما سبقه لسانه بما ليس في ضميره وقد كان الرجل في حال عظيم» فقلت والله ما أدري من أي أمر بك أعجب أمن الأول أم من الثاني ولكني أعلم ان الدهر لا يخلف مثلك.

(أيضاً) حكي ان المأمون قال يوماً لمحمد بن عباد المهلبي بلغني ان فيك سرفاً فقال له «ان البخل مع الوجود سوء ظن بالله تعالى واني لأهمّ بالإمساك فاذكر قول اشجع السلمي في جعفر البرمكي:

يحب الملوك نـدى جـعفر ولا يصنعون كما يـصنع

وليس بأوسعهم في الغنى ولكـن مـعروفه أوسع

وكـيف يـنالون غـاياته وهم يجمعون ولا يـجمع»

فأمر له المأمون بمأة ألف دينار وقال له استعن بـها عـلى مروءتك.

«يقرها في أيديهم ما بذلوها فاذا منعوها نزعها منهم ثم حولها إلى غيرهم» والأصل فيه قوله تعالى: ﴿... ان الله لا يغيّر ما بـقوم حـتى يغيّروا ما بأنفسهم ...﴾[1] وقال ابن أبي الحديد قال الشاعر:

«لم يعطك الله ما أعطاك من نعمٍ إلّا لتوسع من يرجوك احسـانا

فان منعت فاخلق ان تـصادفها تطير عنك زرافـات ووحـدانـا»

١٢
الخطبة (١٦١)

ومن خطبة له عليه السلام:

لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ؛ وَلْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ؛ وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ؛ وَلَا عَنِ اللهِ يَعْقِلُونَ؛ كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ، يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً، وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرّاً.

«ليتأس صغيركم بكبيركم» الصدوق في (ثواب أعماله) عن النـبي صلى الله عليه وآله (من عرف فضل شيخ كبير فوقّره لسنّه آمنه الله من فزع يوم القيامة، ومـن تعظيم الله عزوجل إجلال ذي الشيبة المؤمن).

«وليرأف كبيركم بصغيركم» جـاء (رأف) بـالضم والفـتح والكسـر قـال الجوهري «قال أبو زيد» «رؤفت بالرجل ورأفت به ارأف ورئفت به كـلّ ذلك من كلام العرب» وعلى الأول فليقل (وليرؤف) كما في (ابن أبي الحديد) وعلى الأخيرين (فليرأف) كما في (المصرية) هذا وفي أدب الشرع معاملة الكبير مع

(١) الرعد: ١١.

الصغير معاملته مع ولده كما ان الصغير عليه أن يعامل الكبير معاملة والده وان من كان في سنّه يجعله كأخيه.

«ولا تكونوا كجفاة الجاهلية» في (الأغاني) قتلت بنو سهم ـ وهم بطن من هذيل ـ عمرو بن عاصية السلمي فاستسقاهم ماء فمنعوه ثم قتلوه فقالت أُخته

هلا سقيتم بني سهم أسيركم نفسي فدائك من ذي غلة صادي

فغزا أخوه هذيلاً يطلبهم بدم أخيه فقتل منهم نفراً وسبى امرأة فجرّدها ثم ساقها معه عارية إلى بلاد بني سليم فقالت أُخته:

الا مت سليم في السياق وأفحشت وتفرط في سوق العنيف اسارها

لعلّ فتاة منهم ان يسوقها فوارس منّا وهي باد شوارها[1]

وقد صاروا أجفى منهم فقتلوا أهل بيت نبيّهم في الشهر الحرام مع تحريم أهل الجاهلية القتال فيه «لا في الدين يتفقهون» ﴿... فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون﴾[2].

«ولا عن الله يعقلون» ﴿وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون﴾[3] ﴿وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون﴾[4] ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمي الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾[5] ﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماءً فأحيىَ به

(١) الأغاني لأبو الفرج الاصفهاني ١٢ : ١٠٨.

(٢) التوبة: ١٢٢.

(٣) القصص: ٦٠.

(٤) المؤمنون: ٨٠.

(٥) الحج: ٤٦.

الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾[١] و(يتفقهون) و (يعقلون) ان كانا بالخطاب كما في (ابن أبي الحديد) فالمراد المخاطبون المشبهون بجفاة الجاهلية وان كانا بالغيبة فالمراد بهما المشبه بهم.

«**كقيض بيض في اداح يكون كسرها وزراً ويخرج حضانها شرّاً**» في نهاية ابن الأثير «في حديث علي عليه السلام (لا تكونوا كقيض بيض في أداح يكون كسرها وزراً ويخرج حضانها شرّاً القيض قشر البيض، ومنه حديث ابن عباس «إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم فاذا كان ذلك قيضت هذه السماء الدنيا عن أهلها»: أي شقت من (قاض الفرخ البيضة فانقاضت) ـ الخ ـ.

قال ابن أبي الحديد في معنى الكلام «شبههم ببيض الأفاعي في الأعشاش يظن بيض القطا فلا يحل لمن رآه أن يكسره لأنّه يظنّه بيض القطا وحضانه يخرج شراً لأنّه يفقص عن أفعى، واستعار لفظة الاداحي للأعشاش لأن الاداحي لا تكون إلّا للنعام تدحو بأرجلها وتبيض فيه ودحوها توسيعها من (دحوت الأرض) والقيض: الكسر» ـ الخ ـ وتبعه ابن ميثم و الخوئي ولم أدر من أين خص البيض ببيض الأفاعي فالبيض مطلق والقيض غير دال عليه ولعلّه استند إلى وصف (ويخرج حضانها شرّاً) إلّا انّه لابد في اللفظ من إيماء وليس كما ان قوله القيض الكسر بلا وجه لأنّه يصير المعنى (ككسر بيض يكون كسرها وزراً) وانما القيض القشر كما عرفته من النهاية وفي (القاموس) «القيض القشرة العليا اليابسة على البيضة أو هي التي خرج ما فيها من فرخ أو ماء وموضعها المقيض» وقال أوس بن حجر يصف قوساً ـ كما في اللسان في ملك.

---

(١) العنكبوت: ٦٣.

فملك باللیط التي تحت قشرها ـ كغرقی بیض كنه القیض من عل كما ان قوله «استعار لفظة الأداحي للأعشاش» لأن الأداحي لا تكون إلّا للنعام» أيضاً بلا وجه فالقطا الذي يفحص في الأرض أيضاً له أدحى قال الجوهري «عش الطائر موضعه في افنان الشجر فاذا كان في بجل أو جدار فهو وكر ووكن وإذا كان في الأرض فهو أفحوص وأدحى» فتراه صرح بأن الطير قد يكون له عش وقد يكون له وكر وقد يكون له أدحى وانما توهم ابن أبي الحديد ما قال من قول الجوهري «مدحى النعامة موضع بيضها، وادحيها موضعها الذي تفرخ فيه وهو أفعول من (دحوت) لأنّها تدحو برجلها ثم تبيض فيه وليس للنعام عش» فتراه انما قال ليس لها عش بل ادحي ولم يقل ان الأدحى منحصر بها وبالجملة كون المراد بالكلام ما ذكر غير معلوم والحقيقة فيه لم أقف عليها بعد نسأل منه تعالى الإرشاد انّه ولي الرشاد ولا يبعد أن يكون المراد بالقيض التشقق فانشدوا ـ كما في اللسان ـ لأبي ذؤيب:

فراق كقيض السن فالصبر انّه لكلّ اناس عثرة وجبور

هذا وفي الدميري يقال للقطاة أم ثلاث لأنها أكثر ما تبيض ثلاث قال الشاعر

وام ثلاث ان شببن عققنها وان متن كان الصبر منها على نصب

أي ان شبت فراخها فارقتها فكان ذلك عقوقاً لها وان متن لم تصبر إلّا وهي قلقة والنصب والتعب وقال «النعامة تترك بيضها وتخرج لتحصيل طعم فان وجدت بيض نعامة أُخرى تحضنه وتنسى بيضها ولعلّها ان تصاد فلا ترجع ولذا يضرب بها المثل في ذلك قال ابن هرمة:

فاني وتركي ندى الأكرمين وقدحي بكفي زناداً شحاحا
كتاركة بيضها بالعراء وملبسة بيض أُخرى جناحا

وفي (ديوان معاني) شعر العسكري من أجود ما قيل في بيض الحديد من قديم الشعر قول سلامة بن جندل.

إذا ما علونا ظهر نشز كانما على الهام منا قيض بيض مفلق

والمفهوم منه انّه شبّه بيض الحديد ببيض الطير.

١٣
الحكمة (٥٥)

وقال عليه السلام:

الصَّبْرُ صَبْرَان صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ، وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ.

أقول: وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنّة فيضربونه فيقال لهم من أنتم؟ فيقولون أهل الصبر فيقال لهم على ما صبرتم فيقولون كنّا نصبر على طاعة الله ونصبر عن معاصي الله فيقول تعالى صدقوا ادخلوهم الجنّة وهو قوله تعالى ﴿... انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[1].

وعن النبي صلى الله عليه وآله الصبر ثلاثة صبر عند المصيبة وصبر على الطاعة وصبر على المعصية فمن صبر عند المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء والأرض ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش».

وعن الصادق عليه السلام «من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد».

---

(١) الزمر: ١٠.

وعنه عليه السلام «انّه تعالى أنعم على قوم فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً، وابتلي قوماً بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة».

وعنه عليه السلام «ان الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالصبر والرفق فقال ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً وذرني والمكذبين أولي النعمة ...﴾[1] وقال ﴿... ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه ولي حميم * وما يلقاها إلّا الذين صبروا وما يلقاها إلّا ذو حظ عظيم﴾[2] فصبر حتى نالوه بالعظائم فضاق صدره فانزل تعالى ﴿ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون * فسبّح بحمد ربك وكن من الساجدين﴾[3] ثم كذّبوه ورموه فأنزل ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ...﴾[4] فالزم النبي صلى الله عليه وآله نفسه الصبر، فتعدوا وذكروا الله فقال لا صبر لي على ذكر ربي فانزل تعالى ﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسّنا من لغوب * فاصبر على مايقولون ...﴾[5] فصبر في جميع أحواله ثم بشّر في عترته بالائمة ووصفوا بالصبر فقال ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾[6].

فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وآله «الصبر من الايمان كالرأس من الجسد فشكر تعالى ذلك له فأنزل ﴿... وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما

---

(١) المزمل: ١٠ ـ ١١.

(٢) فصلت: ٣٤ ـ ٣٥.

(٣) الحجر: ٩٧ ـ ٩٨.

(٤) الانعام: ٣٤.

(٥) ق: ٣٨.

(٦) السجدة: ٢٤.

صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾[١].

فقال النبي صلى الله عليه وآله بشرى وانتقام فأباح الله تعالى له قتال المشركين فأنزل ﴿... فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كلّ مرصد ...﴾[٢] فقتلهم الله على أيدي النبي صلى الله عليه وآله واحبائه وعجّل له ثواب صبره، مع ما ادّخر له في الآخرة، فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدنيا حتى يقر الله تعالى عينه في أعدائه مع ما يدّخر له في آخرته.

١٤
الحكمة (٥٧) و (٤٧٥)

وقال عليه السلام :

الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ.

أقول: هذا من المواضع التي كررها المصنف كما عرفت سهواً وأما قوله وقد روى بعضهم هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وآله فانما هو في الموضع الثاني اتفق عليه الكلّ ابن أبي الحديد وابن ميثم و(الخطّية) ونقل (المصرية) تحريف.

وأما في الموضع الأول فانما تفرّد بنقله ابن أبي الحديد وليس في (ابن ميثم) الذي نسخته بخط المصنف.

وكيف كان فسر الحياة الطيبة في قوله تعالى ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أُنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ...﴾[٣] بالقناعة ولبعضهم (إذا شئت أن تحيا سعيداً فلا تكن على حالة إلّا رضيت بدونها ومن طلب العليا من العيش لم يزل حقيراً وفي الدنيا أسير غبونها) وقال بعض الحكماء لابنه

---

(١) الاعراف: ١٣٧.

(٢) التوبة: ٥.

(٣) النحل: ٩٧.

«العبد حرّ إذا قنع والحر عبد إذا طمع» وعنه عليه السلام «من رضي في الدنيا بما يجزيه كان أيسر ما فيها يكفيه ومن لم يرض من الدنيا بما يجزيه لم يكن فيها شيء يكفيه» وعن الباقر عليه السلام «اياك أن تطمح بصرك إلى من هو فوقك فكفى بما قال الله لنبيّه صلى الله عليه وآله ﴿ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ...﴾[1] ﴿ولا تمدن عينك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا ...﴾[2] فان دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسوله فانما كان قوته الشعير وحلوه التمر ـ الخبر ـ.

١٥
الحكمة (١٢٣)

وقال عليه السلام :

طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ؛ وَطَابَ كَسْبُهُ؛ وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ؛ وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ؛ وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ؛ وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ؛ وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ؛ وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَى بِدْعَةٍ.

قَالَ الرَّضِيّ أقولُ: ومِنَ الناسِ مَن يَنسُبُ هذا الكلامَ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وآله وَكَذلِكَ الّذي قبله.

أقول: «وقال عليه السلام» هكذا في (المصرية) والصواب اسقاطه لكون العنوان جزء قول المصنف قبل هذا «وتبع جنازة» ـ الخ ـ كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية).

«طوبى لمن ذل نفسه» بمعنى ألا يكون خشناً شموساً لا أن يكون ذليلاً العزّة للمؤمنين فقال عليه السلام في وصف شيعته (عليهم غبرة الخاشعين).

«وطاب كسبه» بأن يجتنب المكاسب المحرّمة ولا يخون في

---

(١) التوبة: ٨٥.

(٢) طه: ١٣١.

المكاييل والموازين.

«وصلحت سريرته» بحسب طينته فالمؤمن خلق من طينة الأنبياء.

«وحسنت خليقته» فعن الصادق عليه السلام «الخلق الحسن يميت الخطيئة كما تميت الشمس الجليد» وعنه عليه السلام «هلك رجل على عهد النبي صلى الله عليه وآله فأتى صلى الله عليه وآله الحفارين فاذا بهم لم يحفروا شيئاً وشكوا ذلك إليه صلى الله عليه وآله وقالوا ما يعمل حديدنا في الأرض فكأنما يضرب به في الصفاء فقال صلى الله عليه وآله ولم ان صاحبكم كان حسن الخلق ائتوني بقدح من ماء فأتوه به فادخل يده فيه ثم رشه على الارض رشاً ثم قال احفروا فحفروا فكأنما كان رملاً ينهال عليهم».

«وأنفق الفضل من ماله» في (الكافي) عن الباقر عليه السلام «ان الشمس لتطلع ومعها أربعة أملاك ملك ينادي يا صاحب الخير أتمّ وأبشر وملك ينادي يا صاحب الشر انزع واقصر وملك ينادي اعط منفقاً خلفاً وآت ممسكاً تلفاً وملك ينضحها بالماء ولولا ذلك اشتعلت الأرض. وعن الصادق عليه السلام «من يضمن أربعة بأربعة أبيات في الجنة انفق ولا تخف فقراً وانصف الناس من نفسك وافش السلام في العالم واترك المراء وان كنت محقاً.

«وامسك الفضل من لسانه» في الخبر قال النبي صلى الله عليه وآله لرجل ألا أدلّك على أمر يدخلك الله به الجنّة قال بلى قال انل ممّا أنالك الله قال فان كنت أحوج ممّن أنيله قال فانصر المظلوم قال افأن كنت أضعف ممّن أنصره قال فاصنع للاخرق - يعني أشر عليه - قال فان كنت أخرق ممّن اصنع له قال فاصمت لسانك إلّا من خير أما يسرك أن تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرّك إلى الجنّة.

«وعزل عن الناس شره» «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وشر الناس من أكرموه اتقاء شره وأفضل الجهاد من أصبح لا يهم بظلم أحد»

وقال حاتم كما في كتاب سيبويه:

واغفر عوراء الكـريم ادخـاره　　　واصفح عن شتم اللئيم تكرما

وفي (الكافي) بينا النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم عند عايشة إذ استأذن عليه رجل فقال صلى الله عليه وآله هو بئس اخو العشيرة فدخلت عايشة البيت فدخل الرجل فأقبل عليه النبي صلى الله عليه وآله بوجهه وبشره يحدّثه حتى إذا فرغ وخرج قالت عايشة للنبي صلى الله عليه وآله ذكرت هذا الرجل بما ذكرت ثم أقبلت عليه بوجهك وبشرك فقال صلى الله عليه وآله ان من شرار العباد من تكره مجالسته لفحشه.

«ووسعته السنة ولم ينسب إلى البدعة» هكذا في (المصرية) والصواب (إلى بدعة) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية) ثم وجّه كلامه عليه السلام ان حسنة المبتدع لا تقبل وسيئة الملتزم بالسنّة تغفر ومن مشى إلى مبتدع فوقره فقد سعى في هدم الاسلام.

«قال الرضي أقول» هكذا في (المصرية) وكلمة (أقول) زائدة فليست في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية).

«ومن الناس من ينسب هذا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله» روى أول انصاف (الكافي) عن السجاد عليه السلام قال كان النبي صلى الله عليه وآله يقول في آخر خطبته، طوبى لمن طاب خلقه وطهرت سجيته وصلحت سريرته وحسنت علانيته وانفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله وأنصف الناس من نفسه».

ورواه (الكافي) عن الصادق عليه السلام أيضاً ولا غرو فما يقوله أوّلهم يقوله آخرهم.

«وكذلك الذي قبله» هكذا في (المصرية) وهو أيضاً زائده فليس في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية) وان كان يقال ان الرضي قال في الذي قبله انّه أيضاً نسب إلى النبي صلى الله عليه وآله حيث عرفت ان هذا وقبله عنوان واحد في النهج

على الصحيح فيشمل ذاك ما قاله في هذا.

١٦
الحكمة (١٤٠)

وقال عليه السلام:

مَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ.

أقول: هكذا في (المصرية) والصواب ما في (ابن ميثم) «ما عال امرؤ اقتصد» وكذا ابن أبي الحديد (ما عال) يعني ما افتقر واما (ما أعال) فمعناه ما كثرت عياله ولا معنى له هنا والمقتصد لا يفتقر ويمكنه إعانة آخرين بخلاف غير المقتصد فانّه مع عدم تيسر نفع منه إلى غيره يصير معسراً يوماً والاقتصاد محمود حتى في الانفاق في سبيل الله قال تعالى ﴿والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾[1] وكذا في باقي العبادات ففي (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله «ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباده فتكونوا كالراكب المنبت الذي لا سفراً قطع ولا ظهراً أبقى.

١٧
الحكمة (١٥٣)

وقال عليه السلام:

لا يَعْدَمُ الصَّبُورُ الظَّفَرَ وإنْ طَالَ بِهِ الزَّمانُ.

مصداق قوله عليه السلام وشاهد كلامه عليه السلام قصّة يوسف عليه السلام مع اخوته قال تعالى ﴿قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذا أنتم جاهلون * قالوا ءانك لأنت يوسف قال انا يوسف وهذا أخي قد منَّ الله علينا انّه من يتّق ويصبر فان

(١) الفرقان: ٦٧.

الله لا يضيع أجر المحسنين، قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنّا لخاطئين﴾[1]

ولنعم ما قيل بالفارسية:

صبر وظفر هر دو دوستان قديم‌اند بر اثر صبر نوبت ظفر آيد

١٨
الحكمة (٢٠٦)

وقال عليه السلام:

أَوَّلُ عِوَضِ الحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَاهِلِ.

أقول: رواه ابن قتيبة في (عيونه) عنه عليه السلام إلّا انّه قال بدل (على الجاهل) (على الجهول) وروي عن الصادق عليه السلام ان الملائكة أيضاً أنصاره على الجاهل فروي عنه عليه السلام «إذا وقع بين رجلين منازعة نزل ملكان فيقولان للسفيه منهما قلت وقلت وأنت أهل لمّا قلت وستجزى بما قلت ويقولان للحليم منهما صبرت وحلمت سيغفر الله لك ان أتممت على ذلك» فان رد الحليم عليه ارتفع الملكان».

١٩
الحكمة (٤١٨)

وقال عليه السلام:

الْحِلْمُ عَشِيرَةٌ.

أقول: قال الأحنف «اصبت الحلم انصر لي من الرجال» وفي (الطبري) كانت في فارس امرأة لم تلد إلّا الملوك الأبطال فدعاها كسرى أبرويز فقال اني أُريد أن أبعث إلى الروم جيشاً واستعمل عليهم رجلاً من بنيك فاشيري عليّ أيّهم استعمل قالت هذا فلان وهو اروغ من ثعلب وأحذر من صقر، وهذا فرخان وهو أنفذ من سنان وهذا شهربراز وهو أحلم من كذا، فاستعمل أيّهم

---

(١) يوسف: ٨٩ ـ ٩١.

شئت قال فاني قد استعملت الحليم فاستعمل شهربراز الحليم فسار إلى الروم وظهر عليهم ـ الخبر ـ.

وفي (العيون) كان المتمشمش بن معاوية عم الأحنف يفضل في حلمه على الأحنف قيل فأمره أبو موسى أن يقسم خيلاً في بني تميم فقسّمها فقال رجل من بني سعد ما منعك أن تعطيني فرساً ـ ووثب عليه فمرش وجهه ـ فقام إليه قوم ليأخذوه فقال دعوني وإيّاه اني لا اعان على واحد ثم انطلق به إلى أبي موسى فلما رآه سأله عمّا بوجهه فقال دع هذا ولكن ابن عمي ساخط فاحمله على فرس فحمله».

هذا وفيه قال معاوية لا ينبغي أن يكون الهاشمي غير جواد ولا الزبيري غير شجاع ولا المخزومي غير تياه ولا الأُموي غير حليم فبلغ ذلك الحسن عليه السلام فقال قاتله الله أراد أن يجود بنو هاشم فينفد ما بأيديهم ويتشجّع آل الزبير فيفنوا ويتيه بنو مخزوم فيبغضهم الناس ويحلم بنو أُميه فيتحببوا إلى الناس.

٢٠
الحكمة (٢٢٤)

وقال عليه السلام :

بِكَثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ الهيْبَةُ؛ وبالنَّصَفَةِ يَكْثُرُ المُوَاصِلُونَ؛ وَبِالإفْضالِ تَعْظُمُ الأقْدارُ؛ وبالتَّوَاضُعِ تَتِمُّ النِّعْمةُ؛ وباحْتمال المُؤَنِ يَجِبُ السُّؤْدَدُ؛ وبالسِّيرَةِ الْعادِلَةِ يُقْهَرُ المُناوِئُ، وبالْحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ الأنْصارُ عَلَيْهِ.

«**بكثرة الصمت تكن الهيبة**» في (الكافي) عن الرضا عليه السلام «ان الصمت باب من أبواب الحكمة ان الصمت يكسب المحبة انّه دليل على كلّ خير» وعن

عيسى عليه السلام «لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله فان الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون» وعن الرضا عليه السلام كان الرجل من بني اسرائيل إذا أراد العبادة صمت قبل ذلك عشر سنين» وقال ابن أبي الحديد قال يحيى البرمكي ما رأيت أحداً قط صامتاً إلّا هبته حتى يتكلّم فاما أن تزداد تلك الهيبة أو تنقص.

«وبالنصفة يكثر المواصلون» هكذا في (المصرية) والصواب (الواصلون) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية) قيل لقيس بن عاصم بِمَ سدت قومك قال ببذل الندى وكف الأذى ونصر المولى) وفي (الكافي) عنه عليه السلام «الا انّه من ينصف الناس من نفسه لم يزده الله إلّا عزّاً» وعن النبي صلى الله عليه وآله ـ وهو يريد غزوة وجاءه أعرابي وأخذ بغرز راحلته وقال علّمني عملاً ادخل به الجنّة ـ قال «ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فاته إليهم وما كرهت أن يأتيه الناس إليك فلا تأته إليهم، خل سبيل الراحلة».

وعنه صلى الله عليه وآله «ثلاث من كن فيه أو واحدة منهن كان في ظلّ عرش الله يوم لا ظل إلّا ظلّه رجل أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم ورجل لم يقدّم رجلاً ولم يؤخر رجلاً حتى يعلم ان ذلك لله رضا ورجل لم يعب أخاه المسلم بعيب حتى ينفي ذلك العيب عن نفسه وانّه لا ينفي منها عيباً إلّا بدا له عيب وكفى بالمرء شغلاً بنفسه من الناس» وعن الصادق عليه السلام «من أنصف الناس من نفسه رضي به حكماً لغيره».

وعن النبي صلى الله عليه وآله «من واسى الفقير من ماله وأنصف الناس من نفسه فذلك المؤمن حقاً» وعن الصادق عليه السلام ثلاثة هم أقرب الخلق إلى الله يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب رجل لم تدعه قدرته في حال غضبه إلى أن يحيف على من تحت يده ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع احدهما على الآخر

بشعيرة ورجل قال بالحق في ماله وعليه» وعنه عليه السلام «ما ابتلى المؤمن بشيء أشدّ عليه من ثلاث خصال المواساة في ذات يده والانصاف من نفسه وذكر الله كثيراً أما اني لا أقول «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر» ولكن ذكر الله عندما أحل له وما حرم عليه» ـ وفي خبر آخر ـ ولكن ذكر الله إذا هجمت على طاعة أو معصية «وبالافضال تعظم الأقدار»

«إذا المرء أثرى ثم قال لقومه أنا السيد المقضي إليه المعمم
ولم يعطهم شيئاً أبوا أن يسودهم وهان عليهم رغمه وهو ألوم»

«وبالتواضع تتم النعمة» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام أوحى الله تعالى إلى موسى تدري لِمَ اصطفيتك بكلامي دون خلقي قال يا رب ولِمَ ذاك، فأوحى إليه «اني قلبت عبادي ظهر البطن فلم أجد فيهم أحداً أذلّ لي نفساً منك انك إذا صليت وضعت خدّك على التراب.

«وباحتمال المؤن يجب السودد» قال الشاعر:

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وفي أخلاق أبي حيان قيل لعدي بن حاتم من السيد قال الأحمق في ماله الذليل في عرضه المطرح لحقده المعني بأمر جماعته[1] وفيه قال أبو الأسود الدؤلي لعبيد الله بن زياد انك لن تسود حتى تصبر على سرار الشيوخ البخر[2].

وفي (العيون) «قال قتيبة بن مسلم أرسلني أبي إلى ضرار بن القعقاع بن معبد ابن زرارة فقال: قل له: قد كان في قومك دماء وجراح وقد أحبوا أن تحضر المسجد في من يحضر فأتيته فأبلغته فقال يا جارية غديني فجاءت بأرغفة خشن فثردتهن في مريس ثم برقهن فأكل فجعل شأنه يصغر في

---

(١) أخلاق الوزيرين لأبو حيان التوحيدي: ٩٢ تحقيق الطنجي، المجمع العلمي، دمشق.

(٢) المصدر نفسه: ٩١ ـ ٩٢. تحقيق الطنجي، المجمع العلمي، دمشق.

عيني ونفسي ثم مسح يده وقال الحمد لله حنطة الأهواز وتمر الفرات وزيت الشام ثم أخذ نعليه وارتدى ثم انطلق معي وأتى المسجد الجامع فصلّى ركعتين ثم احتبى فما رأته حلقة إلّا تقوضت إليه فاجتمع الطالبون والمطلوبون فأكثروا الكلام فقال إلى ماذا صار أمرهم قالوا إلى كذا وكذا من ابل قال هي عليّ ثم قام» (فيه) «مدح شاعر الحسن بن سهل فقال له احتكم - وظن ان همّته قصيرة ـ فقال ألف ناقة فوجم ولم يمكنه وكره ان يفتضح وقال يا هذا ان بلادنا ليست بلاد ابل ولكن ما قال امرؤ القيس:

إذا لم يكن ابل فمعزى　　　كان قرون جلتها العصى

قد أمرت لك بألف شاة فالق يحيى بن خاقان فأعطاه بكلّ شاة ديناراً (فيه) كان عبدالله بن جدعان التيمي حين كبر أخذ بنو تيم على يده أن يعطي شيئاً من ماله فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه قال ادن مني فاذا دنا منه لطمه ثم قال له اذهب بلطمتك أو ترضى فترضيه بنو تيم من ماله فقال ابن قيس الرقيات:

والذي ان أشار نحوك　　　لطماً تبع اللطم نائل

(فيه) كان سعيد بن العاص إذا أتاه سائل فلم يك عنده ما سأل قال اكتب على سجلاً إلى أيام يسري.

«**وبالسيرة العادلة يقهر المناوي**» أي: المعادي ولمّا قال النبي صلى الله عليه وآله لليهود في مقاسمة الأشجار أما تأخذوا الخرص وأما آخذه قالوا بالعدل قامت السماوات والأرض.

«**وبالحلم عن السفيه تكثر الأنصار عليه**» في (الاستيعاب) قدم قيس بن عاصم في وفد تميم على النبي صلى الله عليه وآله في سنة تسع فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله قال هذا سيد أهل الوبر وقيل للأحنف ممّن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم رأيته

يوماً قاعداً بفناء داره محتبياً بحمائل سيفه يحدث قومه إذ أتى برجل مكتوف وآخر مقتول فقيل له «هذا ابن أخيك قتل ابنك» فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه فلما أتمه التفت إلى ابن أخيه فقال يا ابن اخ بئس ما فعلت أثمت بربك وقطعت رحمك وقتلت ابن عمك ورميت نفسك بسهمك» ثم قال لابن له آخر قم يا بني فوار أخاك وحل كتاف ابن عمك وسق إلى امك مائة ناقة دية ابنها فانها غريبة.

٢١
الحكمة (٢٠٧)

وقال عليه السلام :

وَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيماً فَتَحَلَّمْ، فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ.

قال ابن أبي الحديد «التكلف للخلق كالطبع له ألا ترى ان الأعرابي الجلف الجافي إذا دخل المدن والقرى وخالط أهلها وطال مكثه فيهم انتقل عن خلق الاعراب الذي نشأ عليه وتلطف طبعه وصار شبيهاً بساكني المدن بل قد شاهدناه من الحيوانات حتى الأسد الذي أبعدها انساً، ذكر ابن الصابي ان عضد الدولة كانت له اسود يصطاد بها الصيد كالفهود فتمسكه عليه حتى يدركه فيذكيه» قلت وقالوا كسرى ابرويز ربّى فيلاً فكان يسجد له إذا رآه.

٢٢
الحكمة (٢٢٣)

وقال عليه السلام :

مَنْ كَسَاهُ ٱلْحَيَاءُ ثَوْبَهُ، لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ.

في توحيد المفضل «قال الصادق عليه السلام له «انظر إلى ما خص به الانسان

دون جميع الحيوان من هذا الخلق الجليل قدره العظيم شأنه أعني الحياء فلولاه لم يقرّ ضيف ولم يوف بعدة ولم تقض الحوائج ولم يتحر الجميل ولم يتنكب القبيح في شيء من الأشياء حتى ان كثيراً من الأُمور المفترضة أيضاً انما تفعل للحياء فان من الناس من لولا الحياء لم يرع حق والديه ولم يصل ذا رحم ولم يؤد امانة ولم يعف عن فاحشة أفلا ترى كيف وفي الانسان جميع الخلال التي فيها صلاحه وتمام أمره» وفي الخبر الحياء والايمان مقرونان في قرن فاذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه».

٢٣
الحكمة (٢٢٩)

وقال عليه السلام :

كَفَى بِالْقَنَاعَةِ مُلْكاً، وَبِحُسْنِ الْخُلُقِ نَعِيماً.

أما الأول ففي (الكافي) كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «يا ابن آدم ان كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فان أيسر ما فيها يكفيك وان كنت تريد ما لا يكفيك فان كلّ ما فيها لا يكفيك» ومر النبي صلى الله عليه وآله براعي ابل فبعث إليه يستسقيه فقال اما ما في ضروعها فصبوح الحي واما ما في آنيتنا فغبوقهم فقال النبي صلى الله عليه وآله اللّهم اكثر ماله وولده.

ثم مر براعي غنم فبعث إليه يستسقيه فحلب له ما في ضروعها واكفا ما في انائه في اناء النبي صلى الله عليه وآله وبعث إليه صلى الله عليه وآله بشاة فقال هذا ما عندنا وان أحببت ان نزيدك زدناك فقال النبي صلى الله عليه وآله «اللّهم ارزقه الكفاف» فقال له بعض أصحابه «دعوت للذي ردّك بدعاء، عامتنا نحبه، ودعوت للذي أسعفك بحاجتك بدعاء كلّنا نكرهه» فقال صلى الله عليه وآله «ما قل وكفى خير ممّا كثر وألهى اللّهم ارزق محمّداً وآل محمّد الكفاف».

وأما الثاني ففي (الكافي) عن الصادق عليه السلام «هلك رجل على عهد النبي صلى الله عليه وآله فأتى الحفارين فاذا بهم لم يحفروا شيئاً وشكوا ذلك إليه قالوا ما يعمل حديدنا في الأرض فكانما يضرب به في الصفاء فقال صلى الله عليه وآله ولم ان كان صاحبكم حسن الخُلق ائتوني بقدح من ماء فأتوه به فأدخل يده فيه ثم رشّه على الأرض رشاً ثم قال احفروا فحفروا، فكانما كان رملاً ينهال عليهم» (وعنه عليه السلام) «ما يقدم المؤمن على الله تعالى بعمل بعد الفرائض أحبّ إلى الله تعالى من ان يسع الناس بخلقه».

(وعنه عليه السلام) «البر وحسن الخُلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار».

(وعنه عليه السلام) «الخلق الحسن يميت الخطيئة كما يميت الشمس الجليد».

وعن النبي صلى الله عليه وآله «أكثر ما يلج به أُمتي الجنّة تقوى الله وحسن الخلق».

(وعنه صلى الله عليه وآله) «ان صاحب الخلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم».

(وعنه صلى الله عليه وآله) لبني عبد المطلب انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم».

(وعنه عليه السلام) نزل على الروح الأمين من عند رب العالمين وقال عليك يا محمد بحسن الخلق فانّه ذهب بخير الدنيا والآخرة.

وقال صلى الله عليه وآله أشبهكم بي أحسنكم خلقاً «وفي الخبر عجبت من يشتري العبيد بماله كيف لا يشتري الأحرار بحسن خلقه».

٢٤
الحكمة (٣٩٦)

وقال عليه السلام :

أَلْمَنِيَّةُ ولاَ الدَّنِيَّةُ؛ وَالتَّقَلُّلُ ولاَ التَّوَسُّلُ؛ وَمَنْ لَمْ يُعْطَ قاعِداً لَمْ يُعْطَ قائِماً، وَالدَّهْرُ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ، فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلاَ تَبْطَرْ؛

وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ.

«المنية ولا الدنية» في كنايات الجرجاني لمّا تواترت النكبات على قيس ابن زهير خرج هو وصاحب له من بني أسد يسيحان وعليهما المسوح يتقوتان بما تنبته الأرض إلّا ان دفعا في ليلة قرة إلى أخبية فوجدا رائحة القتار ـ وهما جائعان ـ فسعيا يريدانه فلما قاربناه أدركت قيسا شهامة النفس وعزّة الانفة فرجع وهو يقول:

أعشبت في الأرض حتى كاد يطردني

إلى الصغار شجاع النفس بالعنف

ثم قال:

«ان كان في ترك الأغذية التلف فان في النزاهة الخلف».

فانفتل عن صاحبه وقال له «دونك وما تريد فان لي لبثاً على هذه الأجارع أرقب داهية القرون الماضية» فمضى صاحبه ورجع من الغد فوجده قد لجأ إلى شجرة الوادي فنال من ثمرها شيئاً ثم مات ففي ذلك يقول الحطيئة:

ان قيساً كان ميتته ... أسفاً والحر منطلق

شام ناراً بالحشا فسعى ... وشجاع النفس يختنق

جاء حتى كاد ثم نمى ... اسفل الوادي له ورق

فجشا في فمه حشوقه ... ثم أغضى وهو مطرق

في دريس ما تعيبه ... رب حر ثوبه خلق[1]

وفي (البحار) عن المناقب وكذا (تحف العقول) و(اللهوف) و(الاحتجاج) ان الحسين عليه السلام قال يوم الطف في خطبته «الا ان الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين القتلة والذلة وهيهات ماخذ الدنية أبى الله ذلك ورسوله وجدود طابت

---

(١) المنتخب من كنايات الأدباء للجرجاني: ١١٥ ،مطبعة السعادة، مصر ١٩٠٨م.

وحجور طهرت وأُنوف حمية ونفوس أبية لا نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام الا قد أعذرت وأنذرّت ألا اني زاحف بهذه الأُسرة على قلّة العتاد وخلة الأصحاب ـ ثم أنشأ يقول ـ:

«فان نهزم فهزامون قدما وان نهزم فغير مهزمينا
وما ان طبناجين ولكن منايانا ودولة آخرينا

الا ثم لا تلبثون بعدها إلّا كريث ما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرحا»[1] ـ الخ ـ وفي (الطبري) ـ في كتاب عمر بن سعد إلى عبيدالله ـ «ان الحسين أعطاني ان يرجع» فقال له شمر لينزل على حكمك فكتب إليه «اعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي فان فعلوا ابعث إليهم سلما وان أبوا فقاتلهم».

فلما جاء ابن سعد كتابه قال «لا يستسلم الحسين والله ان نفسا أبيه لبين جنبيه» الخ ولمّا عرض على مصعب الأمان أبى وقال:

«وان الاولى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا»

«والتقلل ولا التوسل» في المعجم «وجه سليمان بن علي ـ والي الأهواز ـ إلى الخليل لتأديب ولده فأخرج الخليل لرسول سليمان خبزاً يابساً وقال ما دمت أجده فلا حاجة بي إلى سليمان وقال:

أبلغ سليمان اني عنه في سعة وفي غنى غير اني لست ذا مال[2]

وكان النضر بن سليمان يقول:

أكلت الدنيا بعلم الخليل وهو في خص لا يشعر به

(١) نقله المجلسي في «بحار الأنوار» عن «المناقب» لابن شهرآشوب في ٤٥ / ٨ (تاريخ الحسين بن علي عليه السلام) لكن لا وجود لهذا النص في المناقب، انظر الجزء ٤ في (امامة أبي عبدالله..): ٤٦.

(٢) معجم الأُدباء للحموي ٦: ٧٦، ط ٣، دار الفكر، بيروت.

وفي (ابن أبي الحديد) قال الشاعر:

اقسم بالله لمص النوى وشرب ماء القلب المالحة
أحسن بالإنسان من ذلّة ومن سؤال الأوجه الكالحة
فاستغن بالله تكن ذا غنى مغتبطاً بالصفقة الرابحة
فالزهد عز والتقى سؤدد وذلّة النفس لها فاضحة»

(أيضاً)

لمص الثماد وخرط القتاد وشرب الاجاج اوان الظماء
على المرء أهون من أن يرى ذليلاً لخلق إذا أعدما
وخير لعينيك من منظر إلى ما بأيدي اللئام

قلت: فهلا قال «ما بأيدي الكرام».

«ومن لم يعط قاعداً لم يعط قائماً» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام من أصبح وأمسى والدنيا أكبر همه جعل الفقر بين عينيه وشتت أمره ولم ينل من الدنيا إلا ما قسم له ومن أصبح وأمسى والآخرة أكبر همّه جعل الغنى في قلبه وجمع له أمره».

«والدهر يومان يوم لك ويوم عليك» في (المروج) كان بزرجمهر وزير ابرويز والغالب عليه إلى ثلاث عشرة سنة من ملكه ثم اتهمه بالميل إلى بعض الزنادقة من الثنوية فأمر بحبسه وكتب إليه «كان من ثمرة علمك وعقلك ان صرت أهلاً للقتل» فأجابه «اما ان كان معي الجد كنت انتفع بثمرة عقلي فالآن إذ لا جد معي انتفع بثمرة الصبر وان فقد كثير الخير فقد استرحت من كثير من الشر» فدعا ابرويز به وأمر بكسر فمه فقال «فمي أهل لمّا هو شرّ» قال لِمَ قال «لأني كنت أصفك للناس بما ليس فيك لا تقتلني بالشك مع اليقين الذي قد علمته مني فمن الذي يثق بك بعد» فغضب وأمر بضرب عنقه.

«فاذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر» زاد التحف بعد الفقرتين «وبكليهما ستختبر» قيل في كامل «إذا سر لم يبطر وليس لنكبة المت به بالخاشع المتضائل» هذا ابن أبي الحديد جعل العنوان ثلاثة عناوين فجعل من لم يعط قاعداً لم يعط قائماً» عنواناً ثانياً والباقي ثالثاً واما ابن ميثم فكما هنا جعل الكل واحداً.

٢٥
الحكمة (٤١٠)

وقال عليه السلام :

التُّقَى رَئيسُ الأخْلاقِ.

لان التقوى لا تصدق الا بعد اجتماع جميع مكارم الاخلاق وهو في مقابل حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة.

٢٦
الحكمة (٤٦٠)

وقال عليه السلام :

الْحِلْمُ والأناةُ تَوْأَمانِ يُنْتِجُهُما عُلُوُّ الهِمَّةِ.

أقول: نسبه إليه عليه السلام ابن المعتز في بديعه وروي انّه عليه السلام قال ذلك لمّا اخبر عن انو شروان بأنّه كان فيه الحلم والاناة وفي (طبقات كاتب الواقدي) - في عنوان وفد عبد القيس في عام الفتح ان النبي صلى الله عليه وآله قال لرأسهم عبدالله بن عوف الأشج - «فيك خصلتان يحبهما الله الحلم والاناة» ويقال انّه لم يغضب قط.

وفي (كامل المبرد) حدث ابن عايشة عن أبيه ان رجلاً من أهل الشام دخل المدينة فقال رأيت رجلاً على بغلة لم أرَ أحسن وجهاً ولا أحسن لباساً

ولا أقره مركباً منه فسألت عنه فقيل لي الحسن بن علي بن أبي طالب فامتلأت له بغضاً فصرت إليه فقلت انت ابن أبي طالب فقال أنا ابن ابنه فقلت له بك وبأبيك ـ أسبهما فقال احسبك غريباً قلت أجل فقال «ان لنا منزلاً واسعاً ومعونة على الحاجة وما لا نواسي به» فانطلقت وما على وجه الأرض أحبّ اليّ منه.

وقال رجل لرجل من آل الزبير كلاماً أقذع له فيه فأعرض الزبيري عنه، ثم دار كلام فسبّ الزبيري علي بن الحسين عليه السلام فأعرض عنه فقال الزبيري ما يمنعك من جوابي فقال عليه السلام «ما منعك من جواب الرجل» وقال رجل لرجل ـ وكان سبّه ولم يك التفت إليه ـ «اياك أعني» فقال له الرجل وعنك اعرض.

وفي (الطرائف) الموضوع لمدح الأشياء وذمّها، أما مدح الاناة فقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة﴾[1] وقال حكيم ينبغي للوالي ان يتثبت في ما أنهى إليه ويأخذ بأدب سليمان عليه السلام حيث قال ﴿قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين﴾[2] وقال النبي صلى الله عليه وآله «من تأنى أصاب أو كاد ومن تعجّل أخطأ أو كاد»[3] واما ذمّه فقيل لأبي العيناء لا تعجل فان العجلة من الشيطان فقال لو كانت من الشيطان لمّا قال كليم الله ﴿... وعجلت إليك ربِّ لترضى﴾[4] وقال محمد بن بشير:

كم من مضيع فرصة قد أمكنت لغد وليس غد له بموات
حتى إذا فاتت وفات طلابها ذهبت عليها نفسه حسرات

قلت: ما نقله في ذم الاناة تخليط ومغالطة فان ما نقله أولا من الاستباق

---

(١) الحجرات: ٦.

(٢) النمل: ٢٧.

(٣) الطرائف واللطائف للمقدسي: ٦٤، طبع حجري كتابة الخوانساري ١٢٨٦ هـ

(٤) طه: ٨٤.

إلى الخيرات وما نقله ثانياً من تضييع الفرصة وليس واحد منهما من الاناة في شيء فان الاناة وتركها في أمر لم يعلم عاقبته كعقوبة من لم يعلم جنايته ولعلّه يكشف بعد ترك الاناة فيه وعقوبته برائته فيكون قتل نفساً بغير حق وكما قال عليه السلام (الحلم والاناة نتيجة علو الهمة) قال عليه السلام (فان الفقر نتيجة الكسل والعجز. روى (الكافي) في كراهة كسل معيشته عنه عليه السلام ان الأشياء لمّا ازدوجت ازدوج الكسل والعجز فنتجا بينهما الفقر)[1].

٢٧
الخطبة (٢٣٦)

ومن كلام له عليه السلام يحثّ فيه أصحابه على الجهاد:

وَٱللهُ مُسْتأْدِيكُمْ شُكْرَهُ؛ وَمُورِّثُكُمْ أَمْرَهُ؛ وَمُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمارٍ مَحْدُودٍ لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ؛ فَشُدُّوا عُقَدَ المَآزِرِ؛ وَٱطْوُوا فُضُولَ الخَوَاصِرِ؛ وَلَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ؛ مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ، وَأَمْحَى الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ ٱلْهِمَمِ.

وَصَلَّى ٱللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّد ٱلنَّبِيّ الأُمّي وَعَلى آله مَصَابِيحُ ٱلدُّجى وَٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثقى، وَسَلَّمَ تَسْليماً كَثيراً.

أقول: من الغريب عدم ذكر العنوان في (ابن أبي الحديد) هنا بل بعد (٢١٥).

«والله مستاديكم شكره» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام مكتوب في التوراة «اشكر من أنعم عليك وانعم على من شكرك فانّه لا زوال للنعماء إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت والشكر زيادة في النعم وامان من الغير» وقال

---

(١) المصدر السابق: ٦٥.

تعالى﴿ وأما بنعمة ربك فحدّث﴾[١].

«وموركم أمره» ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قَبلِهِم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ...﴾[٢].

«وممهلكم في مضار محدود» هكذا في (المصرية) والصواب (وممهلكم في مضمار ممدود) كما في (ابن ميثم والخطّية).

«لتتنازعوا سبقه» ﴿... فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً ...﴾ ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها كعرض السماء والأرض ...﴾[٣] هذا وفي كامل الجزري لمّا ولّى المعتز يعقوب الصفار وعلي بن شبل كرمان ليغلب احدهما الآخر أقبل يعقوب وطوّق بن المفلس من قبل علي بن شبل إليها ولم يقاتلا وارتحل يعقوب بعد شهرين وأظهر الارتحال إلى سجستان فقعد طوق للأكل والشرب والملاهي وإذا هو بيعقوب قد قطع مرحلتين في يوم ففر أصحاب طوق وأسر هو فنزع خفه فتساقط منه كسر خبز يابسة فقال يا طوق هذا خفي لم أنزعه منذ شهرين من رجلي وخبزي فيه آكل منه وأنت جالس في الشراب.

«فشدوا عقد المآزر» «قوم إذا حاربوا شدّوا مآزرهم دون النساء ولو بانت باطهار» في (الطبري) لمّا كُشف أمر إبراهيم بن عبدالله بن الحسن اهديت إلى المنصور امرأتان من المدينة احديهما فاطمة بنت محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيدالله والأُخرى ام الكريم بنت عبدالله من ولد خالد بن أسيد بن أبي

---

(١) الضحى: ١١.

(٢) النور: ٥٥.

(٣) الحديد: ٢١.

العيص فلم ينظر إليهما فاتته رسالة فقالت ان هاتين المرأتين قد خبثت أنفسهما وساءت ظنونهما لمّا ظهر من جفائك لهما فنهرها وقال ليست هذه الأيام من أيام النساء لا سبيل لي إليهما حتى أعلم ارأس إبراهيم لي أم رأسي لإبراهيم[1].

«والطووا فضول الخواصر» الخصر وسط الانسان وطي فضل الخواصر كناية عن ترك الافراط في الأكل في الكامل مات يعقوب بن الليث الصفار بجنديسابور من القولنج سنة (٢٦٥) كان الأطباء أمروه بالاحتقان فاختار الموت وكان المعتمد انفذ إليه رسولاً يستميله ويقلده أعمال فارس فجعل عنده سيفاً ورغيفاً من الخبز الخشكار وبصلاً وقال للرسول قل للمعتمد اني عليل فان مت استرحت أنا منك وأنت مني وان عوفيت ليس بيني وبينك إلّا هذا السيف أما آخذ ثأري وأما ارجع إلى هذا الخبز والبصل.

«ولا تجتمع عزيمة ووليمة» هكذا في (المصرية) والصواب (لا تجتمع عزيمة ووليمة) كما في (ابن ميثم) فليس المقام مقام الوصل لأنّه كالتعليل لشدّ عقد المآزر وطي فضول الخواصر وفي الجمهرة الوليمة طعام العرس والوضيمة طعام المأتم وفي الخبر إذا دعيتم إلى جنازة ووليمة أجيبوا الجنازة لأنها تذكّر الآخرة دون الوليمة فانها تذكر الدنيا.

«ما أنقض النوم لعزائم اليوم» كرره المصنف سهواً في (٤٣٠) ٣ / هو وسابقه ولاحقه كالامثال.

«وأمحى الظلم لتذاكير الهمم» وقالوا في عكسه «كلام الليل يمحوه النهار».

«وصلّى الله على سيّدنا محمّد النبي الامي وعلى آله مصابيح الدجى

---

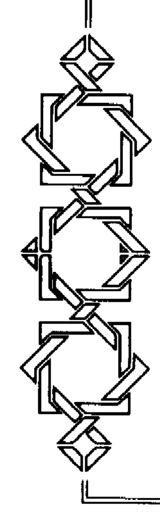
(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤: ٤٧٢، دار الكتب العلمية ـ ط ٢، ١٩٨٨، بيروت.

والعروة الوثقى وسلم تسليماً كثيراً» هكذا في (المصرية) ولكن في (الخطّية) بدله «والحمد لله كثيراً» وفي (ابن ميثم) «وهذا آخر الخطب والأوامر ويتلوه المختار من الكتب والرسائل انشاء الله تعالى بمعونته وعصمته وتوفيقه وهدايته» والظاهر صحته حيث انّه المناسب وان نسخته بخط مصنفه لكن ابن أبي الحديد لم ينقل عن المصنف شيئاً أصلاً فختم الخطب بعنوان (هم عيش العلم) (٢٣٤).



الفصل الرابع والاربعون

في ذمائم الصفات





١
الحكمة (٢)

وَقَالَ عليه السلام:

أَزْرَى بِنَفْسِهِ مَنْ اسْتَشْعَرَ الطَّمَعَ، وَرَضِيَ بِالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ عَنْ ضُرِّهِ، وَهَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَّرَ عَلَيْهَا لِسانَهُ.

أقول: قال عليه السلام هذا الكلام مع زيادات، للأشتر. ففي (تحف العقول لابن أبي شعبة الحلبي) قال عليه السلام للأشتر: يا مالك احفَظ عنّي هذا الكلام وَعِـه، يا مالكُ بَخَسَ مُروَّتَهُ مَن ضَعُفَ يَقينه، وأزرى بنفسِهِ مَن استشعر الطّمعَ. وَرَضي الذُّلَّ مَنْ كَشَفَ ضُرَّه، وَهانَتْ عليه نَفسهُ مَنْ اطلع على سِرِّه، وأهْلكها من أمَّر عليه لِسانه[1].

«**أزرى بنفسه**» أي: تهاون بها.

«**من استشعر الطمع**» أي: جعله شعاراً له.

---

(١) تحف العقول لابن أبي شعبة: ٢٠١ ـ ٢٠٢.

في (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام : بئس العبد عبدٌ له طمعٌ يقوده، وبئس العبد عبدٌ له رغبةٌ تذلهُ[١].

وعن السجاد عليه السلام : رأيت الخير كلّه قد اجتمع في قطع الطمع عمّا في أيدي النّاس[٢].

وفي (الأغاني): لمّا ولي خالد بن عتاب الرياحي إصبهان خرج إليه أعشى همدان ـ وكان صديقه بالكوفة ـ فلم يجد عنده ما يحبّ، فقال يهجوه:

وما كنت ممّن ألجأته خصاصة ... إليك ولا ممّن تغر المواعد
ولكنّها الأطماع وهي مذلّة ... دنت بي وأنت النازح المتباعد[٣]

في (الحلية): مر فتح الموصلي بصبيين مع أحدهما كسرة عليها عسل ومع الآخر كسرة عليها كامخ، فقال للذي على خبزه العسل: أطعمني من خبزك. قال: إن كنت كلباً لي. قال: نعم. فأطعمه وجعل في فمه خيطاً وجعل يقوده، فقال فتح: لو رضيت بخبزك ما كنت كلباً[٤]. لهذا قال الشاعر:

كلفني حبي للدراهم ... وقلّة البقوى على المغارم
خدمة من لست له بخادم

ولبعضهم:

إنّ الجديدين في طول اختلافهما ... لا يفسدان ولكن يفسد الناس
لا يطمعا طمعاً يدني إلى طبع ... إنّ المطامع فقر والغنى الياس
للناس مال ولي مالان ما لهما ... إذا تحارس أهل المال حراس
مالي الرضا بالذي أصبحت أملكه ... ومالي اليأس ممّا يملك الناس

(١) الكافي للكليني ٣: ٣٢٠.
(٢) الكافي ٢: ١٤٨ ح ٣.
(٣) الأغاني ٦: ٤٥.
(٤) حلية الأولياء ٨: ٢٩٣.

«ورضي بالذل من كشف عن ضرّه» قال ابن أبي الحديد: سمع الأحنف رجلاً يقول: لم أنم الليلة من وجع ضرسي ـ وجعل يكثر ـ فقال: يا هذا لِمَ تُكثر؟ فوالله لقد ذهبت عيني منذ ثلاثين سنة فما شكوت ذلك إلى أحد ولا أعلمت بها أحدا[1].

«وهانت عليه نفسه من أمَّر عليها لسانه» في (الأغاني): مر مروان بن أبي حفصة برجل من تيم اللات بن ثعلبة يعرف بالجني، فقال له مروان: زعموا أنّك تقول الشعر. فقال له: إن شئت عرفتك ذلك. فقال له مروان: ما أنت والشعر؟! ما أرى من طريقك ولا مذهبك ولا تقوله. فقال له الجني: اجلس واسمع. فجلس، فقال له الجني يهجوه:

ثوى اللؤم في العجلان يوماً وليلة ... وفي دار مروان ثوى آخر الدهر

غدا اللؤم يبغي مطرحاً لرحاله ... فنقب في بر البلاد وفي البحر

فلما أتى مروان خيم عنده ... وقال رضينا بالمقام إلى الحشر

وليس لمروان على العرس غيرة ... ولكن مرواناً يغار على القدر

فقال له مروان: ناشدتك الله إلّا كففت، فأنت أشعر الناس. فحلف الجني بالطلاق ثلاثاً انّه لا يكفّ حتى يصير إليه بنفر من رؤساء أهل اليمامة ثم يقول بحضرتهم: «قاق في استي بيضة»، فجلبهم إليه مروان وفعل ذلك بحضرتهم؛ فانصرفوا وهم يضحكون من فعله. وقال بعضهم: اللّسان أجرح جوارح الإنسان[2].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٨٤.

(٢) الأغاني ١٠: ٩٢ ـ ٩٣.

٢
الكتاب (٧٩)

وَمن كتاب لَه عليه السلام لمّا استخلف إلى أُمراء الأجناد:

أَمّا بَعْدُ، فَإِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ، وَأَخَذُوهُمْ بِالبَاطِلِ فَاقْتَدَوْه.

كتب عليه السلام ذلك إليهم لأن أُمراء الأجناد كانوا أيام عثمان مقتدرين على منع حق الناس وأخذهم بالباطل.

«**أمّا بَعْدُ فَإِنّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ**» يعني إن كنتم كذلك؛ تهلكون كما هلك من كان قبلكم بذلك. والمراد أنّ النّاس صاروا مضطرين إلى شراء حقوقهم منهم.

«**وَأَخَذُوهُمْ بِالبَاطِلِ فَاقْتَدَوْه**» هكذا «فاقتدوه» بالقاف في النسخ، وقال ابن أبي الحديد: المراد أنّ الخلف اقتدوا بآبائهم الذين أخذوا بالباطل في ارتكاب الباطل ظنّاً انّه حق لما نشؤوا عليه[١].

قلت: اللفظ لا يفيد ما قال والمعنى لا يجيزه، لأنّه عليه السلام في مقام ذم الأُمراء دون الرعايا، والصواب: أن يقال: «اقتدوه» محرّف «افتدوه» بالفاء، أي: أعطوا الفدية لئلا يؤخذ بالباطل. ومنه يظهر أيضاً ما في قول ابن أبي الحديد وروي «فاستروه» بالسين أي: اختاروه والفاعل الظلمة[٢].

أي: منعوا النّاس حقّهم من المال واختاروه لأنفسهم، فإنّ ما قاله كالمثلة للكلام والمرام.

هذا، وفي (اليعقوبي): قال الزهري: كنت يوماً عند عمر بن عبد العزيز إذ أتاه كتاب من عامل له كتب أنّ مدينته تحتاج إلى مرمة، فقلت له: إنّ بعض

(١) (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٧٧.

عمّال عليّ عليه السلام كتب إليه بمثل هذا، فكتب عليه السلام في جوابه: «أمّا بعد فحصّنها بالعدل ونقِّ طرقها من الجور» فكتب عمر بن عبد العزيز أيضاً ذلك في جواب عامله[1].

٣
الحكمة (٣)

وَقَالَ عليه السلام:
الْبُخْلُ عَارٌ، وَٱلْجُبْنُ مَنْقَصَةٌ، وَالْفَقْرُ يُخْرِسُ ٱلْفَطِنَ عَنْ حُجَّتِهِ، وَالْمُقِلُّ غَرِيبٌ فِي بَلْدَتِهِ، وَالْعَجْزُ آفَةٌ، وَالصَّبْرُ شَجَاعَةٌ، وَالزُّهْدُ ثَرْوَةٌ، وَالْوَرَعُ جُنَّةٌ.

أقول: نقله (التحف) كالأول جزء وصيته للأشتر مع زيادات، وفيه بدل قوله «والزهد ثروة»: «والشكر ثروة»[2].

ثم ان ابن أبي الحديد جعل هذا عنوانين، الأول إلى قوله «في بلدته» وبالعكس جعل ابن ميثم ستة من عناوين المتن من الثاني إلى السابع عنواناً واحداً، وهو الأصح حيث إنّ نسخة ابن ميثم بخط المصنّف، ولأنّ الجميع وصيته عليه السلام للأشتر كما يفهم من (التحف)[3].

«البخل عار» قال الرضا عليه السلام: البخيل بعيد من الله بعيد من الجنّة قريب من النار[4].

كان محمد بن يحيى البرمكي بخيلاً بخلاف باقي بيته، وقال أبوه لأحد خواصّه سوءة له: أنت خاص به وثوبك مخرق؟ قال: والله ما أقدر على إبرة

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٠٦.

(٢) التحف: ١٣٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨ : ٨٧ الحكمة (٣)، وابن ميثم ٥ : ٢٣٨ (جزء من الحكمة ٢).

(٤) بحار الأنوار للمجلسي ٧١ : ٣٥٢، ح ٧.

أخيطه بها، ولو ملك محمد بيتاً من بغداد إلى النوبة مملواً إبراً ثم جاءه جبرئيل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي يضمنان له عنه إبرة ويسألانه إعارته إيّاها ليخيط بها قميص يوسف الذي قُدّ من دبره، ما فعل. قال: فصف مائدته. قال: هي فتر في فتر، وصحافه منقورة من حب الخشخاش وبين نديمه وبين الرغيف نقدة جوزة. قال: فمن يحضره؟ قال: الكرام الكاتبون. قال: فمن يأكل معه؟ قال: الذباب.

وفي (العيون): كان عمر بن يزيد الأُسدي على شرطة الحجاج فأصابه قولنج فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل بطنه في الطست، فقال الغلام: ما تصنع به؟ قال: أصبه. قال: لا، ولكن ميِّز منه الدهن، واستصبح به[١].

وقيل: لو لم يكن في ذمّه إلّا قوله تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شرّ لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة...﴾[٢] لكفى.

وقالوا: أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه.

وقال عبد الملك لمصعب: لا يسود أخوك لثلاث: لبخله وعجبه واستبداده[٣].

وقال الشاعر:

لا يسود امرؤ بخيل ولو مس بيافوخه عنان السماء[٤]

وفي (بخلاء الجاحظ) بعد ذكر حبّ الناس للجواد ومدحهم له وإفراطهم فيه: ثم وجدنا هؤلاء بأنعاتهم للبخيل على ضدّ هذه الصفة وعلى خلاف هذا

(١) لا وجود له في عيون الأُخبار، بل هو موجود في البخلاء للجاحظ: ٣١٥.

(٢) آل عمران: ١٨٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٣٢٨.

(٤) الظرائف واللطائف للثعلبي: ٧٢.

المذهب، وجدناهم يبغضونه مرّة، ويحقرونه مرّة، ويبغضون بفضل بغضه ولده، ويحتقرون بفضل احتقارهم له رهطه ويضيفون إليه من نوادر اللؤم ما لم يبلغه، ومن غرائب البخل مالم يفعله، وحتى ضاعفوا عليه من سوء الثناء بقدر ما ضاعفوا للجواد من حسن الثناء[1].

وفي (تاريخ بغداد) عن إسحاق الموصلي: دخلت على الرشيد يوماً فقال: أنشدني من شعرك، فأنشدته :

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري ... فذلك شيء ما إليه سبيل

أرى الناس خلّان الجواد ولا أرى ... بخيلاً له في العالمين خليل

ومن خير حالات الفتى لو علمته ... إذا نال خيراً أن يكون ينيل

عطائي عطاء المكثرين تكرّماً ... ومالي كما قد تعلمين قليل

وإنّي رأيت البخل يزري بأهله ... ويحقر يوماً أن يقال بخيل

إلى أن قال : فقال الرشيد: يا فضل، أعطه مائة ألف درهم لله در أبيات تأتينا بها، ما أحسن فصولها وأثبت أُصولها! فقلت: كلامك أجود من شعري. قال: أحسنت يا فضل، أعطه مائة ألف أُخرى .

هذا، وكان عباس بن محمد عمّ أبي الرشيد مكيناً عنده، وكان أراد أن يخطب إليه ابنته، فجاءه يوماً وقال له: هجاني ربيعة الرقي، فغضب وأمر بإحضاره وقال له: أتهجو عمّي؟ فقال: قد مدحته بقصيدة ما قيل مثلها في أحد من الخلفاء، فإن رأيت أن تأمره بإحضارها، فأمره فتلكّأ فعزم عليه فعلم أنّه أخطأ، فأُحضرت فنظر الرشيد فيها فقال: صدق ربيعة. ثم قال للعباس: بِمَ أثبته؟ فسكت وتغيّر لونه. قال ربيعة: بدينارين. فظنّ الرشيد أنّه قال ذلك موجدة. قال له: بحياتي كم أثابك؟ قال: وحياتك بدينارين. فغضب الرشيد

(١) البخلاء للجاحظ ٢: ٩٧ ـ ٩٨ من رسالة أبي العاص الثقفي، نسخة دار الكتب المصرية.

وقال للعباس: فضحت آباءك وفضحتني ونفسك. فنكس رأسه، فأمر الرشيد بإعطائه ثلاثين ألف درهم وخلعة وحمله على بغلة، وقال له: بحياتي لا تذكره في شعرك تصريحاً أو تلويحاً. وفتر عمّا كان همّ به من التزوج إليه واطرحه بعد. ولا يزال ربيعة بعده يعبث به في حضرة الرشيد، فجاء العباس يوماً إلى الرشيد ببرنية غالية وقال: هذه غالية صنعتها لك بيدي اختير عنبرها من بحر عمان ومسكها من مفاوز التبت وبانها من ثغر تهامة، فالفضائل كلّها مجموعة فيها، والنعت يقصر عنها. فاعترضه ربيعة فقال: ما رأيت أعجب منك، إنّ تعظيمك هذا عند من تجبى إليه خزائن الأرض وتذلّ له جبابرة الملوك وتتحفه ببدائع ممالكها حتى كأنّك قد فقت به ما عنده، أو أبدعت له ما لا يعرفه، لا تخلو فيه من ضعف عقل أو قصر همّة، أنشدتك أيّها الخليفة إلّا جعلت حظي من كلّ جائزة سنتي هذه الغالية حتى أوفيها حقّها. فقال: ادفعوها إليه. فدفعت إليه فأدخل يده فيها وأخرج ملئها وحلّ سراويله وأدخل يده فلطّخ بها استه وأخذ حفنة أُخرى فطلى بها ذكره وأنثييه وأخرج حفنتين فطلى بها إبطيه، ثم قال للرشيد: تأمر غلامي يدخل إليّ؟ فأدخل فدفع إليه البرنية غير مختومة وقال له: اذهب بها إلى جاريتي فلانة وقل لها: طيّبي بها حرّك واستك حتى أجيء الساعة وأنيكك، فأخذها الغلام ومضى، فضحك الرشيد حتى غُشي عليه، وكاد العباس يموت غيظاً[١].

«والجبن منقصة» في (الظرائف): يقال: الشجاع محبب حتى إلى عدوّه، والجبان مبغض حتى إلى الله[٢]، وقال الشاعر:

(١) تاريخ بغداد ١: ١٠.

(٢) الظرائف والطرائف للثعلبي: ٦٧.

يـــفرّ الجـــبان مـــن أبــيه وأمـــه ويحمي شجاع القوم من لايناسبه[١]

ولمّا قال المتنبي:

يــرى الجبناء أنّ الجـبن عـقل وتــلك خـديعة الطـبع اللـئيم

وكلّ شجاعة فـي المـرء تـغني ولا مثل الشجاعة في الحكيم[٢]

قيل له أنّى يكون الشجاع حكيماً وهما على طرفي النقيض؟ قـال: هـذا علي ابن أبي طالب شجاع وحكيم[٣].

«والفقر يخرس الفطن عن حجّته».

في (كامل المبرد) قال أعرابي من باهلة:

سأعمل نص العيص حتى يكفّني غنى المال يوماً أو غنى الحدثان

فلَلْموتُ خير من حياة يـرى لهـا على الحر بـالإقلال وسـم هـوان

مـتى يـتكلّم يـلغ حكـم كـلامه وإن لم يــقل قــالوا عـديم بـيان

كأن الغنى عن أهله بـورك الغـنا بــغير لســان نــاطق بـلسان[٤]

وقيل:

إذا قــلّ مــال المـرء قـلّ حـياؤه وضـاقت عـليه أرضـه وسـماؤه

وأصبح لا يدري وإن كان حازماً أقـــدّامــه خـير له أم وراؤه[٥]

وقال صالح بن عبد القدوس:

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الكامل في الأدب لأبي العباس المبرد ١: ٢١٧، وذكره الجاحظ في البيان والتبيان ١: ٢٣٤ بلفظ العيس (بدلاً من العيص). وذكره ابن أبي الحديد ١٨: ٨٨، وذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار ١: ٢٣٩.

(٥) (٣) الظرائف واللطائف: ٥٢.

بلوت أُمور الناس سبعين حجّة
وجرّبت صرف الدهر في العسر واليسر
فلم أرَ بعد الدين خيراً من الغنى
ولم أرَ بعد الكفر شرّاً من الفقر(١)

وفي (كامل المبرد): لمّا ولى عبيدالله بن زياد حارثةَ بن بدرٍ رامهرمز، وسرق؛ قال له أنس بن أبي أنيس:

أحار بن بدر قد وليت إمارة — فكن جرزاً فيها تخون وتسرق
ولا تحقرن يا حار شيئاً وجدته — فحظّك من ملك العراقين سرق
وباه تميماً بالغنى إنّ للغنى — لساناً به المرء الهيوبة ينطق(٢)

وفي (بيان الجاحظ): قال عروة بن الورد:

ذريني للغنى أسعى فإنّي — رأيت الناس شرّهم الفقير
وأهونهم وأحقرهم لديهم — وان أمسى له نسب وخير
ويقصي في الندى أو يزدريه — حليلته وينهره الصغير
ويلفى ذو الغنى وله جلال — يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جسم — ولكن للغنى ربّ غفور(٣)

وفي (عيون القتيبي): قال النمر بن تولب:

فالمال فيه تجلّة ومهابة — والفقر فيه مذلّة وقبوح

ولآخر:

رزقت لباً ولم أُرزق مروّته — وما المروة إلّا كثرة المال
إذا أردت مساماة يقعدني — عمّا ينوه باسمي رقّة الحال

---

(٢) الكامل للمبرد ١: ٢٧٢.

(٣) البيان للجاحظ ١: ٢٣٤.

ولآخر:

يغطي عيوب المرء كثرة ماله   يصدَّق فيما قال وهو كذوب
ويزري بعقل المرء قلة ماله   يحمقه الأقوام وهو لبيب[(١)]

وقال حسان:

ربّ حلم أضاعه عدم المال   وجهل غطى عليه النعيم[(٢)]

«والمقل غريب في بلدته» قال ابن أبي الحديد: يقال: مالك نورك، فإن أردت أن تنكسف ففرّقه وأتلفه. وقال خلف الأحمر: لا تظنني أنّ الغريب هو النائي، ولكنّما الغريب المقلّ[(٣)].

قلت: وقال الشاعر:

ألم تر بيت الفقر يهجر أهله   وبيت الغنى يهدى له ويزار[(٤)]

وقال أيضاً:

إذا ما قلّ مالك كنت فرداً   وأي الناس زوار المقلِّ[(٥)]

وقال أيضاً:

ومن يكن له نشب يحبب   ومن يفتقر يعش عيش ضُرِّ
ويجنب سر النجى ولكن   أخا المال محضر كلّ سر[(٦)]

وقال أيضاً:

---

(١) العيون للقتيبي ١٢: ٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه ١: ٢٤٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٨٨.

(٤) عيون الأخبار ١: ٢٤٢.

(٥) المصدر نفسه ١: ٢٤٢.

(٦) المصدر نفسه ١: ٢٤٢، والشعر لزيد بن عمرو بن نفيل.

ولم أرَ مثل الفقر أوضع للفتى ولم أرَ مثل المال أرفع للرذل[١]

ولابن فارس:

قد قال فيما مضى حكيم ما المرء إلّا بأصغريه

فقلت قول امرئٍ لبيب ما المرء إلّا بدرهميه

من لم يكن معه درهماه لم تلتفت عرسه إليه

وكان من ذلّه حقيراً تبول سنوره عليه

ولآخر:

فلو كنت ذا مال لقرَّبَ مجلسي

وقيل إذا أخطأت أنت رشيد

رأيت الغنى قد صار في الناس سؤدداً

وكان الفتى بالمكرمات يسود

وإن قلت لم يسمع مقالي وإنني

لمبدئ حق بينهم ومعيد

«وفي العجز آفة» في (عيون القتيبي) قال أبو المعافي:

وإن التواني أنكح العجز بنته وساق إليها حين زوّجها مهرا

فراشاً وطيئاً ثم قال لها اتكي قصاراهما لابد أن يلدا الفقرا[٢]

وقال الأصمعي: دخلت على هارون الرشيد وبين يديه بدرة، فقال: إن حدثتني بحديث في العجز فأضحكتني، وهبتك هذه البدرة. فقلت: نعم، بينا أنا في صحاري الأعراب في يوم شديد البرد والريح وإذا بأعرابي قاعد على أجمة وهو عريان قد احتملت الريح كساءه فألقته على الأجمة، فقلت: يا أعرابي ما

---

(١) ديوان المعاني ١: ١٤١، ونهاية الارب ٣: ٢٣٦.

(٢) عيون القتيبي ١: ٢٤٤.

أجلسك ههنا على هذه الحالة؟ فقال: جارية وعدتها يقال لها سلمى أنا منتظر لها. فقلت: وما يمنعك من أخذ كسائك؟ فقال: العجز يوقفني عن أخذه. فقلت له: فهل قلت في سلمى شيئاً؟ فقال: نعم. فقلت: أسمعني ـ لله أبوك ـ فقال: لا أسمعك حتى تأخذ كسائي وتلقيه عليّ. فأخذته وألقيته عليه فأنشا يقول:

لعلّ الله أن يأتي بسلمى ... فيبطحها ويلقيني عليها

ويأتي بعد ذاك سحاب مزن ... تطهرنا ولا نسعى إليها

فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهره وقال: أعطوه البدرة[1].

وفي (ديوان معاني العسكري): وأكسل بيت سمعناه عن يحيى بن سعيد الأموي لبعضهم:

سألت الله أن يأتي بسلمى ... وكان الله يفعل ما يشاء

فيأخذها ويطرحها بجنبي ... ويرقدها وقد كشف الغطاء

ويأخذني ويطرحني عليها ... ويرقدها وقد قضي القضاء

ويرسل ديمةً سحباً علينا ... فيغسلنا ولا يلقى عناء[2]

«والصبر شجاعة» لأنّه من قوّة القلب؛ قال الشاعر:

تصبّر ولا تبد التضعضع للعدى ... ولو قطّعتْ في الجسم منك البواتر

سرور الأعادي أن تراك بذلّة ... ولكنّها تغتمّ إذ أنت صابر[3]

وفي (مقاتل الطالبيين): أُخذ عمرو بن شداد ـ من أصحاب ابراهيم بن عبدالله ابن الحسن ـ بعد قتله، فأتي به ابن دعلج ـ من قبل المنصور ـ فأمر بقطع يده، فمدّها فقطعت، ثم مدّ اليسرى فقطعت، ثم رجله اليمنى فقطعت، ثم

---

(١) المصدر نفسه ٣: ٣٠٠.

(٢) ديوان معاني العسكري ١: ١٩٧.

(٣) الظرائف والطرائف للثعلبي: ٥٩.

مدّ اليسرى فقطعت وما يقربه أحد ولا يمسّه. ثم قال له: مدّ عنقك. فمدّها فضربه ضارب بسيف كليل فلم يصنع شيئاً، فقال: اطلبوا سيفاً صارماً. فعجل الضارب فنبا فلم يصنع شيئاً. فقال عمر: وسيف أصرع من هذا. فسلّ ابن دعلج سيفاً كان عليه فدفعه إلى رجل فضربه، وقال ابن دعلج لعمرو بن شداد: أنت والله الصارم[1].

وفي (الطبري): قال ابن إسحاق : لما انهزم المشركون في حنين أدرك رجل من المسلمين دريد بن الصمة فأخذ بخطام جمله وهو يظنّ أنّه امرأة وذلك أنّه كان في شجار له، فأناخ به وإذا هو شيخ كبير فقال له: ماذا تريد بي؟ قال: أقتلك. قال: ومن أنت؟ قال: ربيعة بن رفيع السلمي. ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئاً. فقال: بئسما سلحتك أُمك، خذ سيفي هذا من مؤخر الرحل في الشجار ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فإنّي كذلك كنت أقتل الرجال، ثم إذا أتيت أُمك فأخبرها أنّك قتلت دريداً فزبّ يوم والله قد منعت نساءك. فزعمت بنو سليم أنّ ربيعة قال: لما ضربته فوقع تكشّف الثوب عنه فإذا عجانه وبطون فخذيه مثل القرطاس عن ركوب الخيل أعراء، فلما رجع إلى أمه أخبرها بقتله فقالت: والله لقد أعتق أُمّهات لك ثلاثاً[2].

«والزهد ثروة» قال تعالى : ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم...﴾[3] قالوا: جمع تعالى في هاتين الكلمتين ، وقال الشاعر :

إذا ما شئت أن تحيا حياة حلوة المحيا
فلا تحسد ولا تحقد ولا تأسف على الدنيا[4]

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٢٢٠ .

(٢) تاريخ الملوك والأُمم للطبري ٢: ٣٥٠.

(٣) الحديد: ٢٣ .

(٤) الظرائف والطرائف للثعلبي: ٥٣ .

«والورع جنة» : ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً* ثُمَّ ننجي الّذين اتّقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾[١].

وفي الخبر: «الصوم جنّة من النار»[٢] ووجهه أنّ الصوم علّة للورع والتقوى قال تعالى: ﴿...كُتِبَ عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلهم لعلّكم تتّقون﴾[٣]. والورع جنّة وسبب السبب سبب.

٤
الحكمة (١٤٩)

وقال عليه السلام :

هَلَكَ امْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ.

أقول: قال الشعبي كما روى (الخصال): إنّ أمير المؤمنين عليه السلام تكلّم بتسع كلمات ارتجلهن ارتجالاً فقأن عيون البلاغة وأيتمن جواهر الحكمة وقطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحدة منهن، ثلاث منها في المناجاة وثلاث منها في الحكمة وثلاث منها في الأدب ـ إلى أن قال ـ: وأما اللاتي في الحكمة فقال: «قيمة كلّ امرئٍ ما يحسنه» و «ما هلك امرؤ عرف قدره»[٤].

ولفظ الخبر مع العنوان مختلف لكن المعنى واحد، وصدق الشعبي في كون كلمته عليه السلام مما ليس له قيمة، فمن لم يعرف قدره بالنسبة إلى الدنيا أو الآخرة هلك، أمّا الآخرة فمعلوم وأمّا الدّنيا فلأنّه يعمل عملاً لم يكن له أن يعمله أو يتكلّم بكلام لم يكن له أن يقوله.

وفي (الأغاني) : قال المهدي يوماً لمروان بن أبي حفصة: أين ما تقوله

---

(١) مريم: ٧١ ـ ٧٢.

(٢) الكافي ٢: ١١٩ الرواية (٥).

(٣) البقرة: ١٨٣.

(٤) الخصال: ١٨٦.

فينا من قولك في أبينا:

له لحظات عن حفافي سريره اذاكرها فيها عقاب ونائل

فاعترضه آدم بن عبد العزيز فقال: هيهات أن يقول هذا ولا ابن هرمة كما قال الأخطل فينا:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا[1]

فغضب المهدي حتى استشاط وقال: كذب والله ابن النصرانية العاض بظر أُمّه، وكذبت يا عاض بظر أُمّك، والله لولا أن يقال إنّي خفرت بك لفرقتك من أكثرك شعراً، خذوا برجل ابن الفاعلة. فأخرجوه على تلك الحالة وجعل المهدي - وهو يجر - يشتمه ويقول: يابن الفاعلة أراها في رؤوسكم ونفوسكم.

وفي (المقاتل): كان الرشيد يسأل عمّن له ذكر ونباهة من آل أبي طالب، فذكر له عبدالله بن الحسن بن علي الأصغر المعروف بابن الأفطس، فوجّه من أخذه وأُدخل عليه فقال له: بلغني أنّك تجمع الزيدية وتدعوهم إلى الخروج معك. قال: والله ما أنا من هذه الطبقة، أنا غلام نشأت بالمدينة وفي صحاريها أسعى على قدمي وأتصيّد بالبواشق، ما هممت بغير ذلك قط. قال: صدقت ولكنّي أُنزلك داراً وأُوكل بك رجلاً واحداً يكون معك ولا يحجبك أحداً يدخل عليك. فقال: نشدتك بالله في دمي، فوالله لئن فعلت ذلك بي لأوسوسن وليذهبن عقلي. فلم يقبل ذلك منه وحبسه فلم يزل يحتال لأن تصل رقعة إلى الرشيد حتى قدر على ذلك فأنفذ إليه رقعة مختومة فيها كلّ كلام قبيح وكلّ شتم شنيع، فلما قرأها طرحها وقال: قد ضاق صدر هذا الفتى فهو يتعرّض للقتل وما يحملني فعله على ذلك. ثم دعا جعفر بن يحيى فأمره أن يحوله إليه

---

(١) الأغاني ٨: ٣٠١، كذا ورد في ديوان الاخطل: ١٠٦.

ويوسع عليه في محبسه، فلما كان يوم عيد ـ وهو يوم نيروز ـ قدمه جعفر بن يحيى فضرب عنقه وغسل رأسه وجعله في منديل وأهداه إلى الرشيد مع هدايا فقبلها وقدمت إليه، فلما نظر إلى الرأس أفظعه وقال له: ويحك لِمَ فعلت هذا؟ قال: لإقدامه على ما كتب به إلى الخليفة وبسط لسانه بما بسط. فقال له: ويحك قتلك إيّاه بغير أمري أعظم من فعله. ثم أمر بغسله ودفنه. فلما كان من أمره ما كان في جعفر قال لمسرور إذا أردت قتله فقل له: هذا بعبد الله بن حسن بن حسن ابن عمي الذي قتلته بغير أمري. فقال مسرو له ذلك عند قتله[1].

٥
الحكمة (٣٦٣)

وقال عليه السلام:

مِنَ الْخُرْقِ الْمُعَاجَلَةُ قَبْلَ الْإِمْكَانِ وَالْأَنَاةُ بَعْدَ الْفُرْصَةِ.

أما أصل «الخرق» ففي (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله: لو كان الخرق خلقاً يرى ما كان شيء من خلق الله تعالى أقبح منه.

وعن أبي جعفر عليه السلام: من قسم له الخرق حجب عنه الايمان[2].

وأمّا المعاجلة فقال تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأٍ فتبيّنوا أن تُصيبوا قوماً بجهالةٍ فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[3] وقال تعالى حاكياً عن سليمان: ﴿...سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين﴾[4] وقال: ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾[5]، وقال: ﴿خُلِقَ الإنسان من عجلٍ سأُريكم آياتي

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٢٨.

(٢) الكافي ٢: ٣٢١ ح ٢.

(٣) الحجرات: ٦.

(٤) النمل: ٢٧.

(٥) الاسراء: ١١.

فلا تستعجلون﴾[١]، وأمّا الأناة بعد الفرصة فقالوا: الفرصة تمر مر السحاب.

وقيل لأبي العيناء: لا تعجل فإنّ العجلة من الشيطان. فقال: لو كانت من الشيطان لما قال كليم الله تعالى: ﴿وعجلت إليك ربِّ لترضى﴾[٢]، يقال: الآفات في التأخيرات[٣]، وقال شاعر:

كم من مضيع فرصة قد أمكنت لغد وليس غد له بموات
حتى إذا فاتت وفات طلابها ذهبت عليها نفسه حسرات[٤]

أيضاً:

وإنْ فرصة أمكنت في العدا فلا تبد فعلك إلّا بها
فان لم تلج بابها مسرعاً أتاك عدوك من بابها
وإيّاك من ندم بعدها وتأميل أُخرى وأنّى بها[٥]

وبالجملة: العجلة قبل الإمكان، والتأنّي بعد الإمكان كلاهما مذمومان وهما من الخرق كما قال عليه السلام، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: من تأنّى أصاب أو كاد، ومن تعجّل أخطأ أو كاد[٦]. وقال القطامي:

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل
وربما فات قوماً بعض نجحهم من التأني وكان الحزم لو عجلوا[٧]

---

(١) الأنبياء: ٣٧.

(٢) طه: ٨٤.

(٣) الطرائف: ٦٥.

(٤) الطرائف للثعلبي: ٦٥.

(٥) الطرائف للثعلبي: ٦٥، وهو لابن المعتز.

(٦) الطرائف: ٦٥.

(٧) ذكره الثعلبي في الطرائف: ٦٥، والبيهقي في المحاسن والمساوئ ٢: ١٣٢، وكذا نهج البلاغة ٧: ٨٧، وكذا في ديوان القطامي: ٢.

٦
الحكمة (٣٧٨)

وقال عليه السلام :

البَخيل جَامعٌ لِمَساوئ الْعُيُوبِ وَهُوَ زِمامٌ يُقادُ بِهِ إلى كُلِّ سوءٍ.

أقول: هكذا في (المصرية)[١] ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) «البخل جامع...» وهو الصحيح[٢].

«البخل جامع لمساوئ العيوب» عنه عليه السلام : إذا لم يكن لله في عبد حاجة ابتلاه بالبخل[٣].

وفي خبر: لا يجتمع الشحّ والإيمان في قلب عبد أبداً[٤].

وفي (الجهشياري): كان محمد بن يحيى البرمكي قبيح البخل، فدخل يوماً أبو الحارث جمير ـ وكان يألفه ـ على أبيه فقال له أبوه: صف لي مائدة محمد. فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش وبين نديمه وبين الرغيف نقدة جوزة. قال: فمن يحضره؟ قال: الكرام الكاتبون. قال: فمن يأكل معه؟ قال: الذباب. فقال: سوءة له أنت خاص به وثوبك مخرق. قال: والله ما أقدر على إبرة منه أخيطه بها، ولو ملك محمد بيتاً من بغداد إلى النوبة مملوأ إبراً ثم جاءه جبرئيل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي يضمنان له عنه إبره ويسألانه إعارته إيّاها ليخيط بها قميص يوسف الذي قدّ من دبر ما فعل[٥]

وقال الشاعر:

---

(١) الطبعة المصرية المصححة بلفظ «البخل»: ٧٤٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣١٦.

(٣) الكافي ٤: ٤٤ ح ٢٢، وكذا الفقيه ٢: ٦٣ ح ١٧١٧.

(٤) بحار الأنوار للمجلسي ٧٣: ٣٠٢ ح ١٠.

(٥) الجهشياري: ٢٤٢.

خير من البخل للفتى عدمه ومن بنين أعقة عقمه

وروى الخطيب[١] عن أبي العيناء قال: قال الفضل بن سهل رأيت جملة البخل سوء الظنّ بالله تعالى، وجملة السخاء حسن الظنّ بالله تعالى. قال عزوجل: ﴿الشيطان يعدكم الفقر...﴾[٢] وقال عزوجل: ﴿...وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه...﴾[٣].

«وهو زمام يقاد به إلى كلّ سوء» عنه عليه السلام لرجل سمعه يقول: «الشحيح أعذر من الظالم»: كذبت، إنّ الظالم يتوب ويستغفر الله ويردّ الظلامة على أهلها، والشحيح إذا شحّ منع الزكاة والصدقة وصلة الرحم وإقراء الضيف والنفقة في سبيل الله وأبواب البرّ، وحرام على الجنّة أن يدخلها شحيح[٤].

٧
الحكمة (٤٥٤)

وقال عليه السلام:

مَا لِابْنِ آدمَ وَالْفَخر، أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ، وَلا يَرزُقُ نَفْسَهُ وَلاَ يَدْفَعُ حَتْفَهُ.

أقول: لما سمع الصاحب بن عباد قول المتنبي:

أيّ محل أرتقي أي عظيم أتّقي
وكلّ ما خلق الله وما لم يخلق
محتقر في همّتي كشعرة في مفرقي[٥]

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٢: ٣٤٢ ـ ٣٤٣.

(٢) البقرة: ٢٦٨.

(٣) سبأ: ٣٩.

(٤) الكافي ٤: ٤٤ الرواية ١.

(٥) المتنبي: ١٧٤.

قال: قبيح بمن أوّله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو فيما بينهما حامل بول وعذرة أن يقول مثل هذا الكلام الذي لا تسعه معذرة.

«ما لابن آدم والفخر» في (نسب قريش مصعب الزبيري): كان علي بن يزيد بن ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب أشدّ الناس فخراً، ويضرب به المثل للشيء إذا كان ثقيلاً فيقال «أثقل من فخر ابن ركانة»[١].

وممن أفرط في الفخر قابوس بن وشمكير فقال في وصف نفسه ـ كما في (ديوان معاني العسكري) ـ ملك عنان الدهر فهو طوع قياده وتبع مراده، ينتظر أمره ليمتثل ويرقب نهيه ليعتزل، تضاءلت الأرض تحت قدمه فصارت له في الانقياد كبعض خدمه، إذا رأت منه هشاشة أعشبت، وإن أحسّت منه بجفوة أجدبت، خيله الغرمات والأوهام، وأنصاره الليالي والأيام، من هرب منه أدركه بمكائدها؛ ومن طلبه وجده في مراصدها، تعرض رفاهية العيش بإعراضه، وتنقبض الأرزاق بانقباضه، أضاء نجم الإقبال إذا أقبل، وأهّل هلال المجد إذا تهلل، تحقر في عينه الدّنيا، وترى تحته السماء العليا، قد ركب عنق الفلك واستوى على ذات الحبك، تبرّجت له البروج وتكوكبت لعبادته الكواكب، واستجارت بعزّته المجرة، وآثرت لمحاسنه أوضاع الثريا، لو شاء عقد الهواء وجسم الهباء، وفصل تراكيب الأشياء، وألف بين النار والماء، وأخمد ضياء الشمس والقمر، وكفاهما عناء السير والسفر، وسد مناخر الرياح الزعازع، وأطبق أجفان البروق اللوامع وقطع ألسنة الرعود بسيف الوعيد، ونظم صوب الغمام نظم الفريد، وقضى ما يراه على القضاء النازل، ورفع عن الأرض سطوة الزلازل، وعرض الشيطان بمعرض الإنسان، وكحل العيون بصور الغيلان، وأنبت العشب على البحار، وألبس الليل ضوء النهار،

(١) نسب قريش لمصعب الزبيري: ٩٦.

ومهاجرة من هذه قدرته ضلال، ومنابذة من هذه سورته خبال، ومن له هذه المعجزات يشترى رضاه بالنفس والحياة، ومن يأتي بهذه الآيات يبتغى هواه بالصوم والصلاة، ومن لم يتعلّق بحبل منه كان بهيماً لاشية به، ومن لم يأو منه إلى ظلّ ظليل ظل صريعاً لا عصمة له، لو علمت أنّ الأرض لا تسف تراب قدمي لما وضعت عليها جانباً، وأنّ السماء لا تتوق إلى تقبيل هامتي لما رفعت إليها طرفاً[1] ـ الخ.

قبّحه الله قبّحه ما أسفهه، ما أسفهه، ولنعم ما قال الصاحب فيه، لقب نفسه شمس المعالي وكان كسوفها.

وفي (المعجم) لم يكن قابوس يعرف حدّاً في التأديب غير ضرب الأعناق، فتبرّم به عسكره ـ وكان خرج إلى قصرٍ بناه وسمّاه شه آباد ـ فتعاهدوا أن يتسلقوا عليه ويغتالوه، وقد واطأهم على الأمر جميع من كان معه في الحصن، فتعذّر عليهم الصعود إليه، فنعوه إلى الناس، فانتهت اصطبلاته وسيقت دوابّه وبغاله، وقلّدوا ابنه الأمر، فخرج قابوس إلى بسطام مع خزائنه فحصره ابنه وامتنع هو عليه، ثم أمكن من نفسه عند الضرورة فقبض عليه وحمل إلى بعض القلاع وذكر أنّه اغتيل ...[2].

وممّن فخر عضد الدولة فقال في نفسه:

عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلّاب القدر

وفي (اليتيمة)[3]: يحكى أنّ عضد الدولة لما احتضر لم ينطق لسانه إلّا بتلاوة ﴿ما أغنى عنّي ماليه * هلك عنّي سلطانيه﴾[4].

---

(١) ديوان معاني العسكري ١: ٨٦ ـ ٨٧.

(٢) المعجم ١٦: ٢٣٢.

(٣) اليتيمة ٢: ٢٥٩.

(٤) الحاقّة: ٢٨ ـ ٢٩.

ومن الفخورين جذيمه الأبرش، كان مع برصه لا ينادم أحداً ذهاباً بنفسه وكان يقول: أنا أعظم من أن أنادم إلّا الفرقدين، فكان يشرب كأساً ويصبّ لكلّ واحد من الفرقدين كأساً في الأرض، فلما أتاه مالك وعقيل بابن اخته الذي استهوته الشياطين، قال لهما: احتكما. فقالا له: منادمتك. فنادماه أربعين سنة يحادثانه فيها وما أعادا عليه حديثاً[١].

هذا، وفي (ديوان المعاني): أفخر بيت قالته العرب قول جرير:

إذا غضبت عليك بنو تميم　　　حسبْتَ الناس كُلَّهُمُ غضابا[٢]

وقول الفرزدق:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا　　وإن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا[٣]

وفي (نسب قريش ابن بكار): جلس محمّد بن هشام المخزومي إذ كان على مكّة في الحجر، فاختصم إليه عيسى بن عبدالله وعثمان بن أبي بكر الحميديان ـ أي: من ولد حميد بن زهير بن الحارث بن أسد ـ فقال محمّد: أنا ابن الوحيد لأقضين فيكما بقضاء يتحدّث به أهل القريتين قضاءً مغيرياً. فقال عثمان: صه صه حبواً أتدري من الرجل معك؟ أزهر لزهر المتسربل المجد معه إزاره ورداؤه. وقال عيسى: نوّهت بما جد لما جد بكر لبكر، والله ما أنا بنافخ كير ولا ضارب زير لو ثقبت قدماي لانتثرت منهما بطحاء مكّة، أنا بن زهير دفين الحجر. فقال محمّد: قوموا كنتم وحشاً في الجاهلية وما استأنستم في الإسلام[٤].

«أوّله نطفة وآخره جيفة» في (العيون): قال الأحنف: عجبت لمن جرى في

---

(١) عيون الأخبار ١: ٢٧٤.

(٢) ديوان المعاني: ٧٦.

(٣) ديوان الفرزدق: ٣٢.

(٤) نسب قريش: ٤٤٧ ـ ٤٤٨.

مجرى البول مرّتين كيف يتكبّر[١]، وقال شاعر:

يا مظهر الكبر إعجاباً بصورته	انظر خلاءك إنّ النتن تثريب
لو فكّر الناس فيما في بطونهم	لما استشعر الكبر شبّان ولا شيب
هل في ابن آدم غير الرأس مكرمة	وهو لخمس من الأقذار مضروب
أنف يسيل وأذن ريحها سهك	والعين مرمصة والثغر ملعوب
يابن التراب ومأكول التراب غداً	أقصر فإنّك مأكول ومشروب[٢]

«لا يرزق نفسه» وما في (المصرية): «ولا يرزق نفسه»[٣] تحريف.

في (العيون): قال المدائني: رأيت مولى باهلة يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ثمّ رأيته بعد ذلك راجلاً في سفر، فقلت له: أراجل في هذا الموضع؟ قال: نعم إنّي ركبت حيث يمشي الناس فكان حقّاً على الله أن يرجلني حيث يركب الناس[٤].

«ولا يدفع حتفه» أي: موته ﴿الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾[٥]، ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم...﴾[٦].

وفي الخبر: إذا جزع أحد من أهل الميت يقول له ملك الموت: فادرأ عن نفسك الموت إن كنت صادقاً.

---

(١) العيون ١: ٢٧٢.

(٢) العيون ١: ٢٧٣.

(٣) الطبعة المصرية المصححة «لايرزق نفسه»: ٧٦١.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٢٧٣.

(٥) آل عمران: ١٦٨.

(٦) آل عمران: ١٥٤.

وقال ابن قتيبة : قال لي رجل: سمعت رجلاً ينشد :

ألا رب ذي أجل قد حضر طويل التمني قليل الفكر

إذا هزّ في المشي أعطافه تبينت في منكبيه البطر[١]

فغدوت عليه لأكتب تمام القصيدة، فوجدته قد مات .

٨
الحكمة (٤٦١)

وقال عليه السلام :

الْغِيبَةُ جُهْدُ الْعَاجِزِ .

قالوا : وشرّ عداوة المرء السباب.

وقالوا : الغيبة إدام كلاب النار[٢].

وقال ابن أبي الحديد: قيل للأحنف : من أشرف الناس؟ قال: من إذا حضر هابوه وإذا غاب اغتابوه[٣].

٩
الخطبة (١٣٨)

ومن كلام له عليه السلام في النهى عن غيبة الناس:

وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ ٱلْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلاَمَةِ أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ ٱلذُّنُوبِ وَٱلْمَعْصِيَةِ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ ٱلْغَالِبَ عَلَيْهِمْ وَالحاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ، فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخاً وَعَيَّرَهُ، أَما ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ ٱلَّذِي عَابَهُ بِهِ، وَكَيْفَ يَذُمُّهُ

---

(١) العيون ١: ٢٧٣ .

(٢) بحار الأنوار ٧٥: ٢٤٨ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ١٧٩ .

بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى ٱللهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَايْمُ ٱللهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي ٱلْكَبِيرِ وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ لَجُرْأَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ. يَا عَبْدَ ٱللهِ لاَ تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَلاَ تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ. فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلاً لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ٱبْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ.

أقول: قول المصنّف: «في النهي عن غيبة الناس» قال الجوهري: اغتابه اغتياباً إذا وقع فيه، والاسم الغيبة، وهو ان يتكلّم خلف إنسان مستور بما يغمّه لو سمعه، فإن كان صدقاً فهو غيبة، وإن كذباً سمّي بهتاناً[1].

وفي (الكافي): عن أبي الحسن عليه السلام: من ذكر رجلاً من خلفه بما هو فيه ممّا عرفه الناس لم يغتبه، ومن ذكره بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه[2].

وعن الصادق عليه السلام: الغيبة أن تقول في أخيك ممّا ستره الله عليه، أما الأمر الظاهر مثل الحدّة والعجلة فلا[3].

قوله عليه السلام: «**وإنما ينبغي لأهل العصمة**» أي: من عصمه الله بلطفه من معصيته.

«**والمصنوع إليهم**» أي: المنعم عليهم من الله تعالى في السلامة من الذنوب والعيوب.

«**أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية**» حيث أعدّوا لأنفسهم العقوبة ولمثلهم يحق الترحّم ﴿يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلّا

---

(١) الصحاح للجوهري ١: ١٩٦، مادة (غيب).

(٢) الكافي ٢: ٣٥٨ح٦.

(٣) الكافي للكليني ٢: ٣٥٨ ح ٧.

كانوا به يستهزئون﴾[١].

«ويكون الشكر هو الغالب عليهم» حيث عصمهم الله تعالى ولم يتيسر لهم أسباب المعصية مثل أولئك ﴿...الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله...﴾[٢]، ﴿...لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا...﴾[٣].

«والحاجز» أي: المانع.

«لهم عنهم» أي: عن أهل الذنوب بترك ذمّهم.

ومع ذلك فالغيبة من الكبائر، ويكفي في ذمّها قوله تعالى: ﴿...ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه...﴾[٤].

وقال ابن أبي الحديد: قال النبيّ صلى الله عليه وآله في خطبته في حجّة الوداع: أيّها الناس إنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا[٥].

وسمع علي بن الحسين عليه السلام رجلاً يغتاب آخر فقال: لكلّ شيء إداماً وإدام كلاب النار الغيبة[٦].

وفي حديث ابن عباس: إنّ رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله اغتابا بحضرته رجلاً ـ والنبيّ صلى الله عليه وآله يمشي وهما معه ـ فمر على جيفة فقال لهما: انهشا منها. فقالا: أو ننهش الجيفة. فقال صلى الله عليه وآله لهما: ما أصبتما من

---

(١) يس: ٣٠.

(٢) الأعراف: ٤٣.

(٣) القصص: ٨٢.

(٤) الحجرات: ١٢.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٦٢.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٦٢، وهو حديث طويل ذكره المجلسي في بحار الأنوار ٧٥: ٢٤٦ ح ٨.

أخيكما أنتن من هذه[١].

وفي حديث البراء بن عازب: خطبنا النبيّ ﷺ حتى أسمع العواتق في خدورهن: ألا لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنّه من اتبع عورة أخيه يتتبع الله عورته، ومن يتتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته[٢].

وفي حديث أنس: قال النبيّ ﷺ في يوم صوم: إنّ فلانة وفلانة كانتا تأكلان اليوم شحم امرأة مسلمة ـ يعني بالغيبة ـ فلتقيئا . فقاءت كلّ واحدة منهما علقة دم[٣].

وروى جابر وأبو سعيد عن النبي ﷺ : إيّاكم والغيبة فإنّ الغيبة أشدّ من الزنا، إنّ الرجل يزني فيتوب الله عليه، وإنّ صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر صاحبه...[٤].

وروى (الكافي) عن نوف البكالي قال: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام وهو في رحبة مسجد الكوفة ـ فقلت له : عِظني. فقال: اجتنب الغيبة فإنّها إدام كلاب النار، يا نوف كذب من زعم أنّه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة[٥].

وعن النبيّ ﷺ : الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الآكلة في جوفه[٦].

وعن الصادق عليه السلام : من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أُذناه فهو

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٦١.

(٢) الكافي ٢: ٣٥٤ ح ٢، وذكره ابن أبي الحديد ٩: ٦٠.

(٣) الفقيه ٣: ٨٥ ح ٣٣٨٤، ذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٩: ٦١.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٦١، وكذا بحار الأنوار ٧٥: ٢٢٢ ح ١.

(٥) ذكره المجلسي في بحار الأنوار عن الأمالي ٧٥: ٢٤٨ ح ١٣ باب ٦٦.

(٦) الكافي للكليني ٢: ٣٥٦ ح ١.

من الذين قال تعالى ﴿إنّ الّذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم﴾[١].

وقال ابن أبي الحديد: وروي أن أبا بكر وعمر ذكرا رجلاً عند النبي ﷺ فقال أحدهما: إنّه لنؤوم، ثم اخرج النبيّ ﷺ خبزاً فقاراً فطلبا منه أدماً فقال: قد ائتدمتما. قال: ما نعلمه؟ قال: بلى أكلتما من لحم صاحبكما[٢].

قال ابن أبي الحديد: كان أحدهما قائلاً والآخر مستمعاً، والمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلّا بأن ينكر[٣].

وبلغ الحسن أنّ رجلاً اغتابه، فأهدى إليه طبقاً من رطب، فجاء الرجل معتذراً وقال : اغتبتك وأهديت لي؟ قال: إنّك أهديت إليّ حسناتك فأردت أن أُكافئك[٤].

«فكيف بالعائب الذي عاب أخاه» يعني إذا كان العائب أخاه سالماً مما عابه كان فعل قبيحاً، فكيف إذا كان مثله. وفي (العيون): كان رجل من المتزمتين لا يزال يعيب النبيذ وشربه فإذا وجده سرّاً شربه، فقال فيه بعض جيرانه :

وعيابة للشرب لو أنّ أمّه ... تبول نبيذاً لم يزل يستبيلها[٥]

«وعيره ببلواه» أي: بابتلائه.

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام : من عيّر مؤمناً بذنب لم يمت حتى يركبه. وعنه عليه السلام من لقي أخاه بما يؤنبه أنّبه الله تعالى في الدُّنيا والآخرة[٦].

---

(١) بحار الأنوار ٧٥: ٢٤٠ ح ٢، والآية ١٩ من سورة النور.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٦٨ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٦٩ .

(٤) بحار الأنوار ٧٥: ٢٤٣ الرواية (٤) الباب ٦٦ .

(٥) العيون ٢: ١٩ .

(٦) الكافي ٢: ٣٥٦ ح ٣.

«اما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه ممّا» هكذا في (المصرية)[١] والصواب «ما» كما في (ابن أبي الحديد[٢] و ابن ميثم والخطية).

«هو أعظم من الذنب الّذي عابه به» في الخبر لولا منّ الله تعالى على عباده بالستر عليهم لما دفن الناس كثيراً منهم لشنائع أعمالهم.

وفي (الكافي) ـ في خبر في إقرار امرأة بالزنا عند أمير المؤمنين عليه السلام وأمره بجمع الناس لحدّها ـ: «أيّها الناس إنّ إمامكم خارج بهذه المرأة إلى هذا الظهر ليقيم عليها الحد، فعزم عليكم لما خرجتم وأنتم متنكرون ومعكم أحجاركم لا يتعرّف أحد منكم إلى أحد حتى تنصرفوا إلى منازلكم» فلما أصبح أمير المؤمنين عليه السلام بكرة خرج بالمرأة وخرج الناس متنكرين متلثمين بعمائمهم وبأرديتهم والحجارة في أيديهم وفي أكمامهم، حتى انتهى بها والناس معه إلى الظهر بالكوفة، فأمر لها أن يحفر حفيرة ثم دفنها فيها ثم ركب بغلته وأثبت رجليه في غزر الركاب ثم وضع إصبعيه السبابتين في أذنيه ثم نادى بأعلى صوته: أيّها الناس إنّ الله عزوجل عهد إلى نبيّه صلى الله عليه وآله أنّه لايقيم الحدّ من له عليه حد، فمن كان له عليه مثل ما له عليها فلايقيم الحد. فانصرف الناس يومئذ كلّهم ما خلا أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهما السلام ...[٣].

«فإن لم يكن ركب الذنب بعينه فقد عصى الله في ما سواه مما هو أعظم منه» في (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام: كفى بالمرء عيباً أن يتعرّف من عيوب الناس ما يعمى عليه من أمر نفسه، أو يعيب على الناس أمراً هو فيه لا يستطيع

---

(١) الطبعة المصرية المصححة: ٣١٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٥٩، النسخة الخطية ورد النص بلفظ «أما» بخلاف ما ذكره العلامة لأن اعتماد العلامة على شرح ابن ميثم على اعتبار أنّه بخط المصنّف.

(٣) الكافي ٧: ١٨٥ ح١.

التحوّل عنه إلى غيره، أو يؤذي جليسه بما لا يعنيه[١].

وقال الشاعر:

اسكت ولا تنطق فإنّك خياب   كلك ذو عيب وأنت عياب

وقال أيضاً:

كل عياب له منظر   مشتمل الثوب على العيب

وفي (كامل المبرّد): كان أبو الهندي غلب عليه الشراب على كرم منصبه، فجلس إليه رجل يعرف ببرزين المناقير ـ وكان أبوه صلب في خرابة ـ والخرابة عندهم سرق الإبل خاصة ـ فأقبل يعرض لأبي الهندي بالشراب، فلما أكثر عليه قال أبو الهندي: أحدهم يرى القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في است أبيه[٢].

«وايم الله لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير لجرأته على عيب الناس أكبر» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقطه من أعين الناس أخرجه الله تعالى من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان[٣].

«يا عبد الله لا تعجل على عيب أحد فلعلّه مغفور له، ولا تأمن على صغير معصيتك فلعلّك معذّب عليه» في الخبر: أنّ الله تعالى يحبّ العبد أن يطلب إليه في الجرم العظيم، ويبغض العبد أن يستخف بالجرم الصغير، فلعلّ الأول استغفر من كبير ذنبه ولا ذنب مع الاستغفار، وهو أصرّ على صغير ذنبه ولا صغيرة مع الإصرار، ومما لا يغفر ذنب تستصغره[٤].

---

(١) الكافي ٢: ٤٦٠ ح٣.

(٢) الكامل للمبرّد ٢: ٧٥٤.

(٣) الكافي ٢: ٣٥٨ ح١.

(٤) الكافي ٢: ٤٢٧ ح٦.

«فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه، وليكن شاغلاً له على معافاته مما ابتلي به غيره» في الخبر: التقى حكيمان فقال أحدهما للآخر: إنّي لأحبك في الله. فقال له الآخر: لو علمت مني ما أعلمه من نفسي لأبغضتني في الله، فقال له صاحبه: لو علمت منك ما تعلم من نفسك لكان لي في ما أعلمه من نفسي شغل[١].

وفي (الكافي): خطب أمر المؤمنين عليه السلام فقال: أيّها الناس إنّ الذّنوب ثلاثة ذنب مغفور وذنب غير مغفور وذنب يرجى لصاحبه ويخاف عليه: أمّا الذنب المغفور فعبد عاقبه الله تعالى على ذنبه في الدّنيا والله تعالى أكرم من أن يعاقب عبده مرتين، وأمّا الذنب الذي لا يغفره الله فظلم العباد بعضهم لبعض. إنّ الله تعالى إذا برز للخليقة أقسم قسماً على نفسه فقال: وعزّتي وجلالي لا يجوز في ظلم ظالم ولو كفاً بكف ولو مسحة بكفّ لو نطحة ما بين القرناء والجماء فيقتص للعباد بعضهم من بعض حتى لا يبقى لأحد على أحد مظلمة ثم يبعثهم الله للحساب، وأمّا الذنب الثالث فذنب ستره الله تعالى على خلقه ورزقه التوبة منه فأصبح خائفاً من ذنبه راجياً لربّه[٢].

١٠
الحكمة (٢١٢)

وقال عليه السلام:

عُجْبُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَّادِ عَقْلِهِ.

أقول: روى ميمون بن علي عن الصادق عليه السلام قال: قال أمير

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) الكافي ٢: ٤٤٣ ح١.

المؤمنين عليه السلام: إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله[1].

في (المروج): قال العروضي مؤدب الراضي: قيل لقتيبة بن مسلم ـ وكان على خراسان من قبل الحجاج وكان محارباً للترك ـ لو وجهت فلاناً ـ أحد أصحابه ـ إلى الحرب؟ فقال: إنّه رجل عظيم الكبر، ومن عظم كبره اشتدّ عجبه ولم يشاور أحداً وكان من الخذلان قريباً، وما تكبّر أحد على صاحب حرب إلّا كان منكوباً لا والله حتى يكون أسمع من فرس وأبصر من عقاب وأهدى من قطاة وأحذر من عقعق وأشدّ إقداماً من أسد وأوثب من فهد وأحقد من جمل وأروغ من ثعلب وأسخى من ديك وأشحّ من ظبي وأحرس من كركي وأحفظ من كلب وأصبر من ضب وأجمع من النمل، وإنّ النفس إنّما تسمح بالعناية على قدر الحاجة وتتحفّظ على قدر الخوف وتطمع على قدر السبب، وقد قيل على وجه الدهر ليس لمعجب رأي ولا لمتكبّر صديق[2].

أيضاً: تنازع أهل السير في كيفية قتل عبد الملك عمرو بن سعيد الأشدق: فمنهم من رأى أنّ عبد الملك قال لحاجبه أتستطيع إذا دخل عمرو أن تغلق الباب؟ قال: نعم. قال: فافعل ـ وكان عمرو رجلاً عظيم الكبر لا يرى لأحد عليه فضلاً ولا يلتفت ـ وهو يظن أنّ أصحابه قد دخلوا معه كما كانوا يدخلون، فعاتبه عبد الملك طويلاً ـ وقد كان وصّى صاحب حرسه أبا الزعزعة بأن يضرب عنقه ـ فكلّمه عبد الملك وأغلظ له القول فقال: يا عبد الملك أتستطيل عليّ كأنّك ترى عليّ فضلاً، إن شئت نقضت العهد بيني وبينك ثم نصبت لك الحرب. فقال عبد الملك: قد شئت ذلك. فقال: وأنا قد فعلت. فقال عبد الملك: يا أبا الزعزعة شأنك به. فالتفت عمرو إلى أصحابه فلم يرهم في الدار، فدنا من عبد

---

(١) الكافي ١: ٢٧ الرواية ٣١.

(٢) المروج ٤: ٢٣٧.

الملك فقال: ما يدنيك؟ قال: ليمسّني رحمك. فضربه أبو الزعزعة فقتله.

وقيل إنّ عمراً لما خرج من منزله يريد عبد الملك عثر بالبساط، فقالت له امرأته: أُنشدك الله ألا تأتيه. فقال: دعيني عنك فوالله لو كنت نائماً ما أيقظني.

وقالوا: كانت نخوة عمارة بن حمزة في الغاية، فأراد المنصور أن يعبث به، فخرج يوماً من عنده فأمر بعض الخدم أن يقطع حمائل سيفه لينظر أيأخذه أم يتركه، ففعل ذلك فسقط السيف فمضى عمارة لوجهه ولم يلتفت. وكان إذا أخطأ تكبّر عن الرجوع ويقول: نقض وإبرام في ساعة واحدة؟ الخطأ أهون عليّ من هذا[١].

١١
الحكمة (١٦٧)

وقال عليه السلام:

الْاعْجَابُ يَمْنَعُ مِنَ الْازدِيادِ.

وما في (المصرية)[٢]: «يمنع الازدياد» تحريف.

في (المروج): ذكر ابن رآب عن عيسى بن علي قال: ما زال المنصور يشاورنا في جميع أُموره حتى امتدحه ابن هرمة بقوله:

إذا ما أراد الدهر ناجى ضميره
فناجى ضميراً غير مختلف العقل
ولم يشرك الأُذنين في سر أمره
إذا انتقضت بالإصبعين قوى الحبل[٣]

(١) مروج الذهب للمسعودي ٤: ٢٣٧.

(٢) النسخة المصرية المصححة كما جاء عند المصنف: ٦٩٨.

(٣) المروج ٣: ٢٨٩.

١٢
الحكمة (٢٢٥)

وقال عليه السلام:

اَلْعَجَبُ لِغَفْلَةِ الْحُسَّادِ عَنْ سَلاَمَةِ الأَجْسادِ.

قالوا: تذكر قوم من ظرفاء البصرة الحسد، فقال رجل منهم: إنّ الناس ربما حسدوا على الصلب. فأنكروا عليه ذلك. ثم جاءهم بعد أيام فقال: إنّ الخليفة أمر بصلب الأحنف ومالك بن مسمع وحمدان الحجام. فقالوا: هذا الخبيث ـ يعنون حمدان ـ يصلَب مع هذين الرئيسين ـ يعنون الأحنف ومالك ـ فقال: ألم أقل لكم إنّ الناس يحسدون على الصَلب[١].

وحُكي أنّ امرأة قالت لزوجها ـ وكان أصلع ـ لست أحسد إلّا شعرك حيث فارقك واستراح منك.

وفي (تاريخ بغداد): عن الأصمعي قال: مررت بأعرابية تمدح غزلها وهي تقول:

رأيتك بعد الله تجبر فاقتي	إذا ما جفاني الأقربون تعود
دراهم بيض لا تزال ترى لنا	وثوب إذا ما شئت مثل حديد
فلو كنت عبداً يستغل حسدتني	وأنت على كسب العبيد تزيد[٢]

وفي (كنايات الجرجاني): حكى بعضهم أنّه قال للمأمون: أنت أحسد الناس. فغضب من ذلك. فقال له: تحسد على المكارم فلا تدع لأحد مكرمة إلّا سبقت إليها. فأعجبه ذلك ووصله[٣].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٣١٧.

(٢) تاريخ بغداد ٦: ١٧٩، والشعر لأبي بكر الحسن العلاف.

(٣) كنايات الجرجاني: ٧٠.

وفي (الطبري): انصرف أبو أحمد ـ أبو المعتضد ـ من الجبل إلى العراق في سنة (٢٧٨) وقد اشتد به وجع النقرس حتى لم يقدر على الركوب، فاتخذ له سرير عليه قبة، فكان يقعد عليه ومعه خادم يبرّد رجله بالأشياء الباردة حتى بلغ من أمره أنّه كان يضع عليها الثلج، ثم صارت علّة رجله داء الفيل وكان يحمل سريره أربعون حمّالاً يتناوب عليه عشرون عشرون، وربما اشتد به أحياناً فيأمرهم أن يضعوه، فذكر أنّه قال يوماً للذين يحملونه: قد ضجرتم بحملي وددت أنّي أكون كواحد منكم أحمل على رأسي وآكل وأنا في عافية، وقال: أُطبق دفتري على مائة ألف مرتزق ما أصبح فيهم أسوأ حالاً مني[1].

هذا، ومما يناسب المقام من الأدب قول بعضهم: فلان جسد كلّه حسد، وعقد كلّه حقد. وقالوا: كلّ نعمة محسود عليها إلّا التواضع.

هذا، واضح أنّ مراده عليه السلام من قوله: «العجب لغفلة الحسّاد عن سلامة الأجساد» أن الناس يحسدون غيرهم على رؤية مال أو جاه عندهم وهما من نعم الله تعالى، وسلامة الأجساد لو لم تكن فوق المال والجاه فليست بدونهما، فكيف غفلوا عن حسدهم عليها؟

ولم يفهم ابن أبي الحديد مراده عليه السلام فخبط فقال: إنّما لم يحسد الحاسد على صحّة الجسد لأنّه صحيح الجسد فقد شارك في الصحّة وما شارك الإنسان غيره لا يحسده عليه[2].

فترى شرحه بما يكون ردّاً عليه عليه السلام مع أنّه أتى بتعليل عليل، فالحاسد يحسد غيره على المال والجاه وإن كان هو ذا مال وجاه.

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: ويجوز أن يريد تعجّبه عليه السلام من غفلة

---

(١) تاريخ الطبري ٨: ١٥٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤٩.

الحسّاد على أنّ الحسد مقتضى سقمهم[١].

وهو أيضاً خبط، فإنّ ما قاله إنّما هو معنى قوله عليه السلام الآخر «صحة الجسد من قلّة الحسد» الآتي، لا هذا القول.

١٣
الحكمة (٢٥٦)

وقال عليه السلام:

صِحَّةُ الْجَسَدِ مِنْ قِلَّةِ الْحَسَدِ.

في (العيون): قال الشعبي: الحسود منغص بما في يد غيره.

وقال بزرجمهر: ما رأينا أشبه بالمظلوم من الحاسد.

وقال الأحنف: لا راحة لحسود[٢].

وكان يقال: ستة لا يخلون من الكآبة: طالب مرتبة لا يبلغها قدره، ومخالط الأُدباء بغير أدب، ورجل افتقر بعد غنى، وغني يخاف على ماله التوى، وحقود وحسود[٣].

وقال الأصمعي: رأيت أعرابياً قد أتت له مائة وعشرون سنة، فقلت له: ما أطول عمرك؟ فقال: تركت الحسد فبقيت[٤].

وقال زيد بن الحكم الثقفي:

تملأتَ من غيظ علي فلم يزل ... بك الغيظ حتى كدت بالغيظ تنشوي

وما برحت نفس حسود غشيتها ... تذيبك حتى قيل هل أنت مكتوي

وقال النطاسيون إنّك مشعر ... سلالا لا بل أنت من حسد دوي

(١) المصدر نفسه.

(٢) عيون الأخبار ٢: ١٠.

(٣) (٥) عيون الأُخبار ٢: ١١، شرح نهج البلاغة ١: ٣١٧.

(٤) المصدر نفسه.

بـدا مـنك غش طـالما قـد كـتمته كـما كـتمت داء ابـنها أم مـدوي
جـمعت ـ وفـحشاً ـ غـيبة ونـميمة خـلالاً ثـلاثاً لست عـنها بـمرعوي

وقوله «وفحشاء» من تقدم المعطوف ضرورة، والأصل جمعت غيبة وفحشاء ونميمة(١).

وروى أبو الفرج أنّه أنشد لبشّار قول حمّاد عجرد:

أخي كفّ عن لومي فإنّك لا تدري بما فعل الحبّ المبرح في صدري

الأبيات. فطرب ثم قال: ويلكم لمن هذه الأبيات أحسن والله. قالوا: حماد عجرد. قال: أُوه والله وكلتموني بقية يومي بهمّ طويل، والله لا أطعم بقية يومي طعاماً ولا أصوم غمّاً بما يقول النبطي ابن الزانية مثل هذا(٢).

١٤
الحكمة (٤٦)

وقال عليه السلام:

سَيِّئَةٌ تَسُوءُكَ خَيْرٌ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ.

أقول: في خبرٍ: صام رجل أربعين سنة ثم دعا الله تعالى في حاجة فلم يستجب له، فرجع إلى نفسه فقال: منك أتيت. فكان اعترافه أفضل من صومه.

وقيل لرابعة الفيسية: هل عملت عملاً قط ترين أنّه يقبل منك؟ قالت: إنْ كان شيء فخوفي من أن يردّ عليّ(٣).

وفي (الكافي) عن النبيّ صلى الله عليه وآله: بينا موسى عليه السلام جالس إذ أقبل إبليس وعليه برنس ذو ألوان، فلما دنا منه خلع البرنس وسلّم عليه، فقال له موسى:

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ١١.

(٢) الأغاني ١٤: ٣٦٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٩٥.

ومن أنت؟ قال: أنا ابليس. قال: لا قرّب الله دارك. قال: إنّي جئت لأُسلّم عليك لمكانك من الله تعالى. فقال له موسى عليه السلام: فما هذا البرنس؟ قال: به اختطف قلوب بني آدم. فقال له: ما الذنب الذي إذا فعله ابن آدم استحوذت عليه؟ فقال: إذا أعجبته نفسه استكثر عمله وصغر في عينه ذنبه[١].

وعن الصادق عليه السلام: إنّ الله تعالى علم أنّ الذنب خير للمؤمن من العجب، ولولا ذلك ما ابتلى مؤمناً بذنب [٢].

وعنه عليه السلام: إنّ الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه ويعمل العمل فيسّره ذلك فيتراخ عن حاله تلك، فلأن يكون على حاله تلك خير له ممّا دخل فيه[٣].

وعنه عليه السلام: أتى عالم عابداً فقال له: كيف صلاتك؟ فقال: مثلي يسأل عن صلاته وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا. قال: فكيف بكاؤك؟ قال: أبكي حتى تجري دموعي.قال: فإنّ ضحكك وأنت خائف أفضل من بكائك وأنت مدلّ إنّ المدلّ لا يصعد من عمله شيء[٤].

وعنه عليه السلام دخل رجلان المسجد أحدهما عابد والآخر فاسق، فخرجا من المسجد والفاسق صدّيق والعابد فاسق، وذلك أنّ العابد دخل المسجد مدلاً بعبادته فكرته في ذلك، والفاسق دخل وفكرته في التندّم على فسقه وكان يستغفر الله تعالى من ذنوبه[٥].

وعنه عليه السلام: قال تعالى لداود: بشّر المذنبين وأنذر الصدّيقين. قال: كيف ذلك يارب؟ قال تعالى: بشّر المذنبين أنّي أقبل التوبة وأعفو عن المذنب، وأنذر الصدّيقين ألّا يعجبوا بأعمالهم فليس عبد أنصبه للحساب إلّا هلك[٦].

---

(١) الكافي ٢: ٣١٤ ح٨.

(٢) (٣) (٤) الكافي ٢: ٣١٣.

(٥) الكافي ٢: ٣١٤ ح ٦.

(٦) الكافي ٢: ٣١٤ الرواية (٢).

وفي (الحلية) عن وهيب بن الورد: بلغنا أنّ عيسى عليه السلام مرَّ هو ورجل من حواريه بلصّ في قلعة له، فلما رآهما اللص قال لنفسه: هذا روح الله وكلمته وهذا حواريه ومن أنت يا شقي؟ لصّ قطعت الطريق وأخذت الأموال وسفكت الدماء. ثم هبط إليهما نادماً على ما كان منه، فلما لحقهما قال لنفسه: تريد أن تمشي معهما لست بذلك بأهل. امش خلفهما كما يمشي المذنب مثلك. فالتفت إليه الحواري فعرفه فقال في نفسه: انظر إلى هذا الخبيث ومشيه وراءنا. فاطّلع الله على ما في قلوبهما من ندامة اللّص ومن ازدراء الحواري إيّاه وتفضيله نفسه، فأوحى الله تعالى إلى عيسى أنْ مر الحواري واللص أن يستأنفا العمل، أمّا اللص فقد غفرت له ما مضى لندامته وتوبته، وأمّا الحواري فقد حبط عمله لعجبه بنفسه وازدرائه هذا التائب[١].

وفيه: عن محمد بن النضر: بلغني أنّ عابداً يعبد ثلاثين سنة ويعبد آخر عشرين، فأظلّت صاحب الثلاثين غمامة واستظلّ صاحب العشرين في ظلّه، فقال له صاحب الثلاثين: لولا أنا ما أظلتك. قال: فانحازت إلى صاحب العشرين وبقي صاحب الثلاثين لا غمامة له[٢].

وعنه: انّ عابداً من بني اسرائيل عبد الله ثمانين سنة، فكان له مصلّى لا يجترئ أحد منهم أن يقوم مقامه إعظاماً له، فقدم رجل غريب فنظر إلى موضع خال فقام يصلّي فيه إذ جاء العابد فقام إلى جنبه فغمزه بمنكبه ينحيه عن موضعه، فأوحى تعالى إلى نبيّه أن مر فلاناً يستأنف العمل ـ أي: لعجبه.

وفيه: قال أبو تراب النخشبي: قال حاتم الأصم: العجب أشدّ من الرياء عليك، ومثلهما أن يكون كلبك في البيت كلب عقور وكلب آخر خارج البيت

---

(١) الحلية ٨ : ١٤٧.

(٢) الحلية ٨ : ٢٢٣.

فأيّهما أشدّ عليك الداخل معك أو الخارج؟ قال: العجب داخل فيك والرياء يدخل عليك[١].

وعن (تنبيه خواطر ورام): روى أنّ عابداً من بني اسرائيل كان يأوي إلى جبل، فقيل في النوم: ائت فلان الإسكاف فاسأله أن يدعو لك. فأتاه فسأله عن عمله فأخبره أنّه يصوم النهار ويكتسب فيتصدّق ببعضه ويطعم عياله بعضه. فرجع وقال: إنّ هذا لحسن ولكن ليس كالتفرّغ في العبادة. فأتي في النوم ثانياً أن يأتيه. فأتاه فسأله عن عمله. فقال الإسكاف: ما رأيت أحداً من الناس إلّا وقع في نفسي أنّه سينجو وأهلك أنا. فقال العابد: هذه العبادة[٢].

١٥
الحكمة (٦٠)

وقال عليه السلام:

اللِّسانُ سَبْعٌ إنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ.

أي: جرح. في (الحلية): قيل لقيس بن سكن: ألا تتكلّم؟ قال: لساني سبع من السباع أخاف أن أدعه فيعقرني[٣].

وفي (الموشى) عن ثعلب: كان بكر بن عبدالله المزني يقلّ الكلام، فقيل له في ذلك. فقال: لساني سبع إن تركته أكلني. وأنشد:

لسان الفتى سبع عليه شذاية[٤] ... فإلّا يزع من غربه فهو آكله
وما الغيّ إلّا منطق متبرع ... سواء عليه حق أمر وباطله[٥]

(١) الحلية لأبي نعيم ٨: ٧٦ ـ ٧٧.

(٢) تنبيه الخواطر، لورام ١: ٢٠٩.

(٣) الحلية ١٠: ١٤٠.

(٤) شذاية: أي حدة.

(٥) الموشى: ٨.

ولبعضهم:

حتف امرئ لسانه	في جدّه أو لعبه
بين اللها مقتله	ركب في مركبه
ورب ذي مزح أميتت	نفسه في سببه[١]

ولامرئ القيس:

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان[٢]

وقيل: أجرح جوارح الإنسان لسانه. أيضاً: اللسان سبع صغير الجرم كبير الجرم[٣].

وفي (الأغاني): عن الزبير بن بكار عن عمّه وغيره أنّ سبب قتل بني أُمية أنّ السفاح أنشد قصيدة مُدح بها، فأقبل على بعضهم فقال: أين هذا مما مدحتم به؟ فقال: هيهات لا يقول فيكم أحد والله مثل قول ابن قيس الرقيات فينا:

ما نقموا من بني أُمية إلّا	أنّهم يحلمون إن غضبوا
وإنّهم معدن الملوك ولا	تصلح إلّا عليهم العرب

فقال: يا ماص كذا وكذا من أُمّه أو أن الخلافة لفي نفسك بعد، فأُخذوا فَقُتِلوا ودعا بالغداء حين قتلوا وأمر ببساط فبسط عليهم وجلس فوقه يأكل وهم يضطربون تحته، فلما فرغ من الأُكل قال: ما أعلمني أكلت أكلة قط أهنأ لنفسي ولا أطيب منها. فلما فرغ قال: جروا بأرجلهم فأُلقوا في الطريق يلعنهم الناس أمواتاً كما لعنوهم أحياءً، فرأيت الكلاب تجر بأرجلهم وعليهم

---

(١) الموشى: ١٠.

(٢) امرئ القيس: ١٧٣.

(٣) الطرائف: ٦٥.

سراويلات الوشى حتى انتنوا، ثم حفرت لهم بئر فأُلقوا فيها.

أيضاً: كان الحارث بن أبي ربيعة على البصرة أيام ابن الزبير، فخاصم إليه رجل من بني تميم يقال له مرّة بن محكان رجلاً فلما أراد إمضاء الحكم عليه أنشأ مرة يقول:

أحارِ تثبت في القضاء فإنّه ... إذا ما إمام جار في الحكم أقصدا

وإنّك موقوف على الحكم فاحتفظ ... ومهما تصبه اليوم تدرك به غدا

فإني مما أدرك الأمر بالأنا ... وأقطع في رأس الأمير المهندا[١]

فلّما ولّي مصعب دعاه فأنشده الأبيات فقال: أما والله لأقطعن السيف في رأسك قبل أن تقطعه في رأسي، وأمر به فحبس ثم دس إليه فقتله.

أيضاً: كان عند المهدي رجل من بني مروان فأتى بعلج، فأمر المرواني بضرب عنقه، فأخذ السيف وقام فضربه فنبا السيف عنه، فرمى به المرواني وقال: لو كان من سيوفنا ما نبا. فسمع المهدي الكلام فغاظه حتى تغيّر لونه وبان فيه، فقام يقطين فأخذ السيف وحسر عن ذراعيه ثم ضرب العلج فرمى برأسه ثم قال للمهدي: إنّ هذه سيوف الطاعة لا تعمل إلّا في أيدي الأولياء ولا تعمل في أيدي أهل المعصية. ثم قام أبو دلامة فقال للمهدي: قد حضرني بيتان أفأقولهما؟ قال: قل. فأنشده :

أيُّها ذا الامام سيفك ماضٍ ... وبكفّ الوليّ غير كهام

فإذا ما نبا بكفٍّ علمنا ... أنّها كفُّ مبغضٍ للإمام

فسرى عن المهدي، فقام عن مجلسه وأمر بقتل المرواني فقتل[٢].

أيضاً: قال المدائني: قال المهدي يوماً وبين يديه مروان بن أبي حفصة:

---

(١) الأغاني ٢٢: ٣٢٢.

(٢) الأغاني ١٠: ٢٧٣.

أين ما تقوله فينا من قولك في أبي:

له لحظات عن حفافي سريره اذاكرها فيها عقاب ونائل

فاعترضه آدم بن عمر بن عبد العزيز فقال: هيهات والله أن يقول هذا، ولا ابن هرمة كما قال الأخطل فينا:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا[١]

فغضب المهدي حتى استشاط وقال: كذب والله ابن النصرانية العاض بظر أُمّه وكذبت يا عاض بظر أُمك، والله لولا أن يقال خفرت لعرفتك، خذوا برجل ابن الفاعلة فاخرجوه وهو يجر.

أيضاً: كان عبدالله بن موسى الهادي معربداً ـ وكان قد أحفظ المأمون مما يعربد عليه إذا شرب معه ـ فأمر بأن يحبس في منزله فلا يخرج، وأقعد على بابه حرساً ثم تذمّم من ذلك فصرف الحرس عن بابه ثم نادمه فعربد عليه أيضاً وكلّمه بكلام أحفظه، فأمر المأمون خادماً من خواصّ خدمه فسمّه[٢].

أيضاً: قال عمارة بن بلال بن جرير: ما هاجيت شاعراً قط إلّا كفيت مؤنته في سنة أو أقلّ من سنة إما بموت أو قتل وإما أفحمه حتى هاجني أبو الرديني العكلي فقال:

أتوعدني لتقتلني نمير متى قتلت نمير من هجاها[٣]

فلقيته بنو نمير فقتلوه، فقتلت به بنو عكل ـ وهم يومئذ ثلاثمائة رجل ـ أربعة آلاف رجل من بني نمير وقتلت لهم شاعرين رأس الكلب وشاعراً آخر.

---

(١) ديوان الأخطل: ١٠٦.

(٢) الأغاني ١٠: ١٩٧.

(٣) الأغاني ٢٤: ٢٤٦، وهو عمّار بن عقيل بن بلال، واللفظ هو «أتوعدني» بدلاً من «أيوعدني».

وفي (عيون القتيبي) اجتمع ملك فارس وملك الهند وملك الروم وملك الصين فكلّهم قالوا كلمة واحدة: قال أحدهم إذا تكلّمت بالكلمة ملكتني ولم أملكها، وقال الآخر: قد ندمت على ما قلت ولم أندم على ما لم أقل، وقال آخر: أنا على ردّ ما لم أقل أقدر مني على ردّ ما قلت، وقال آخر: ما حاجتي إلى أن أتكلّم بكلمة إن وقعت عليّ ضرتني وإن لم تقع عليّ لم تنفعني[١].

قلت: ما قالوه غالبي حيث إنّ الكلام خطأه أكثر من صوابه.

أيضاً: قال ابن إسحاق: النسناس خلق باليمن لأحدهم عين ويد ورجل يقفز بها وأهل اليمن يصطادونهم، فخرج قوم في صيدهم فرأوا ثلاثة نفر منهم فأدركوا واحداً فعقروه وذبحوه وتوارى اثنان في الشجر، فقال الذي ذبحه: إنّه لسمين، فقال أحد الاثنين: انّه أكل ضروا. فأخذوه وذبحوه، فقال الذي ذبحه: ما أنفع الصمت؟ قال الثالث: فها أنا الصميت. فأخذوه وذبحوه[٢].

وفي خطبة زياد لمّا ولّي البصرة من قبل معاوية ـ وكان قبل واليها من قبله عليه السلام ـ فليشتمل كلّ امرئ منكم على ما في صدره ولا تكون لسانه شفرة تجري على أوداجه.

هذا وكلامه عليه السلام قريب من كلام النبيّ صلى الله عليه وآله «البلاء موكل بالمنطق»[٣].

فأخذه شاعر فقال:

احفظ لسانك أن تقول فتبتلي   إنّ البلاء موكل بالمنطق[٤]

وقال ابن هرمة:

وامسك بأطراف الكلام فإنّه   نجاتك ممّا خفت أمراً مجمجما

---

(١) عيون الأخبار للقتيبي ٢: ١٧٩.

(٢) عيون الأخبار ٢: ١٧٦.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٧٩ ح ٥٧٩٧ الباب ٢.

(٤) المحاسن ٢: ٦٣.

فلست على رجع الكلام بقادر إذ القول عن زلّاته فارق الفما
وكائن ترى من وافر العرض صامتاً وآخر أردى نفسه إن تكلّما

وقال آخر:

يموت الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه ترمي برأسه وعثرته بالرجل تبرا على مهل[١]

هذا، وقالوا: كان حسان بن ثابت يضرب بلسانه روثة أنفه من طوله وكان يقول: والله لو وضعته على شعر لحلقه أو على صخرة لفلقه. والظاهر أنّه قاله استعارة، أي: من حدّة شعره في هجاه.

وفي (المروج): كان الأمين في نهاية الشدّة والقوّة إلّا انّه كان عاجز الرأي غير مفكّر في أمره، وحكي أنّه اصطبح يوماً وقد كان خرج أصحاب اللبابيد والحراب على البغال ـ وهم الذين كانوا يصطادون السباع ـ إلى سبع كان بلغهم خبره بناحية كوثى والقصر، فاحتالوا في السبع إلى أن أتوا به في قفص من خشب على جمل بختي فحط بباب القصر وأُدخل فمثل في صحن القصر والأمين مصطبح فقال: خلوا عنه وشيلوا باب القفص. فقيل له: إنّه سبع هائل أسود وحش. فقال: خلوا عنه. فشالوا باب القفص فخرج سبع أسود له شعر عظيم مثل الثور فزأر وضرب بذنبه الأرض فتهارب الناس وغلقت الأبواب في وجهه، وبقي الأمين وحده جالساً موضعه غير مكترث بالأسد، فقصده الأسد حتى دنا منه فضرب الأمين بيده إلى مرفقة أرمنيه، فامتنع منه بها ومد السبع يده إليه فجذبها الأمين وقبض على أصل أُذنيه وغمزه ثم هزّه ودفع به إلى خلف فوقع السبع ميّتاً على مؤخره، وتبادر الناس الأمين فإذا أصابعه ومفاصل يديه قد زالت عن مواضعها، فأتى بمجبّر فردّ عظام أصابعه

---

(١) المحاسن والأضداد للبيهقي ٢: ٦١.

إلى مواضعها فشقوا بطن الأسد فإذا مرارته انشقّت عن كبده[١].

وفي الخبر: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: أوصني. قال: احفظ لسانك. قال: أوصني. قال: احفظ لسانك. قال: أوصني. قال: احفظ لسانك ويحك وهل يكبّ الناس على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم[٢].

وعنهم عليهم السلام : يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذّب به شيئاً من الجوارح. فيقول: أي: رب عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئاً من الجوارح. فيقال له: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها فسفك وانتهك به الأموال والفروج[٣].

١٦
الحكمة (١٧٩)

وقال عليه السلام :

اللَّجَاجَةُ تُسِلُّ الرَّأْيَ.

«تسل» بضمّ التاء ـ من السل .

وعنه عليه السلام : من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق بأن لا ينزل به مكروه أبداً. قيل: وما هن؟ قال: العجلة، والتواني، واللجاج، والعجب[٤].

وفي (المروج): قال معاوية: قبّح الله اللجاج إنّه لعقور، ما ركبته قط إلّا خذلت[٥].

وفي (أنساب البلاذري) كان ابن الزبير رجلاً إذا عرض له الرأي أمضاه

---

(١) مروج الذهب ٣: ٢٠.

(٢) الكافي ٢: ١١٣ الرواية ٣.

(٣) الكافي ٢: ١١٥ الرواية ١٦.

(٤) بحار الأنوار للمجلسي ٧٨: ٤٣ الرواية ٣٤ الباب ١٦، و ٧٨: ٦٥ الرواية ١٤٤ الباب ١٦.

(٥) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢٠.

من غير روية ولا مشاورة، فكتب إلى عبدالله بن مطيع في نفي بني أُمية عن المدينة إلى الشام ومروان يومئذ شيخهم وابنه عبد الملك ناسكهم ومن يصدرون عن رأيه، وكان بعبد الملك جدري ظهر به، فأشخصهم ابن مطيع، فحمل مروان ابنه عبد الملك على جمل وشدّه عليه شدّاً، فدخلهم من إخراجهم من المدينة أمرٌ عظيم، فاجتمع وجوه قريش إلى ابن الزبير فقالوا: إنّما بعثت أفاعي لا يبل سليمها، أمثل مروان وبني أُمية يشخصون إلى الشام. فوجّه ابن الزبير رسولاً إلى ابن مطيع بكتاب يأمره فيه بإقرار بني أُمية بالمدينة وترك إشخاصهم، فأتبعهم حتى وافاهم بأداني أرض الشام، فعرض عليهم الإنصراف فأبوا، وقال عبد الملك ـ وقد نقه من مرضه ـ للرسول: قل لأبي خبيب: إنّا نقول «لا حول ولا قوّة إلّا بالله» يصنع الله لنا[1].

١٧
الحكمة (١٨١)

وقال عليه السلام:

ثَمَرَةُ التَّفرِيطِ النَّدامَةُ، وَثَمَرَةُ الْحَزْمِ السَّلامَة.

في (العقد): قالوا: لا ينبغي للعاقل أن يستصغر شيئاً من الخطأ والزلل، فانه متى استصغر الصغير يوشك أن يقع في الكبير، فقد رأينا الملك يؤتى من العدو المحتقر، ورأينا الصحة تؤتى من الداء اليسير، ورأينا الأنهار تندفق من الجداول الصغار[2].

وقالوا: لا يكون الذم من الرعية لراعيها إلّا لإحدى ثلاث: كريم قصر به عن قدره فاحتمل لذلك ضغناً، أو لئيم بلغ ما لا يستحق فأورثه ذلك بطراً،

---

(١) الأنساب، للبلاذري.

(٢) لم نعثر عليه في العقد الفريد.

ورجل منع حظّه من الإنصاف فشكا تفريطاً.

وقيل لرجل سلب ملكه: ما الذي سلبك ملكك؟ قال: دفع شغل اليوم إلى غد، والتماس عدّة بتضييع عدد، واستكفاء كلّ مخدوع عن عقله.

١٨
الحكمة (١٨٢) و (٤٧١)

وقال عليه السلام :

لاَ خيْرَ في الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ كَما أَنَّهُ لاَ خَيْرَ في الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ.

أقول: رواه (الروضة) وأكثروا الكلام في أفضلية الصمت والكلام[١]، ففي (ديوان المعاني): عن أبي تمام قال: تذاكرنا الكلام والصمت في مجلس سعيد بن عبدالعزيز، فقال: ليس النجم كالقمر، إنّك إنّما تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت[٢].

وقال بعضهم:

لئن ندمت على سكوتي مرة لقد ندمت على الكلام مراراً[٣]

وقيل : لو كان بعض الكلام من ورق لكان جلّ السكوت من ذهب[٤].

إلّا أنّ الصواب : أنّ الكلام من حيث هو أفضل، فقد قال تعالى ﴿خلق الإنسان﴾[٥]، ﴿علّمه البيان﴾[٦] وقال عزوجل ﴿...فلما كلّمه قال إنّك اليوم

---

(١) روضة الكافي للكليني ٨ : ٢ح ٤.

(٢) ديوان المعاني ١: ١٤٩.

(٣) الظرائف: ٥٨، كذلك المستطرف ١: ١٨٧، لملك في الفرس.

(٤) الظرائف: ٥٨.

(٥) الرحمن: ٣.

(٦) الرحمن: ٤.

لدينا مكين أمين﴾[١].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله : المرء بأصغريه قلبه ولسانه[٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : المرء مخبوء تحت لسانه[٣].

فإن كان للكلام مقتض فلا خير في السكوت، وان لم يكن فلا خير في الكلام، كما قال عليه السلام. فكلامه عليه السلام هو القول الفصل في المقام. ولبعضهم :

عجبت لإزراء العيي بنفسه وصمت الذي [قد] كان بالقول أعلما

وفي الصمت ستر في العيي وإنّما صحيفة لب المرء أن يتكلّما

وأراد جمع ذم الحجاج وشتمه لسليمان بن عبد الملك لأنّ الحجاج أراد خلعه، فقال بعضهم: انّه قنور بن قنور ـ وأتى بكلمات من هذا القبيل ـ فقال سليمان: ما هذا الشتم. فقال آخر: إنّ عدو الله كان يتزيّن تزيّن المومسة ويصعد المنبر فيتكلّم بكلام أولياء الله وينزل فيعمل عمل الجبابرة. فقال سليمان: هذا الكلام.

هذا و ابن أبي الحديد لم ينقل العنوان إلّا من الأخير، مع أنّ الأول في جميع النسخ، وصدقه ابن ميثم فهو مما كرّره المصنف سهواً[٤].

١٩
الحكمة (١٨٦)

وقال عليه السلام :

لِلظَّالِمِ الْبَادِي غَداً بِكَفِّهِ عَضَّةٌ.

أقول: إنّما قال عليه السلام «للظالم البادي» لأن المنتقم لا لوم عليه، قال

(١) يوسف: ٥٤.

(٢) بحار ٧: ٤ ح١.

(٣) بحار ٤٠: ١٦٣ ح ٥٤.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٩.

تعالى﴿...فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم...﴾[١] وقال تعالى﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها...﴾[٢] وقالوا: البادئ أظلم.

وأما الظالم البادئ فقد قال تعالى ﴿ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا﴾[٣].

وفي (الكامل) في قصة قتل المقتدر وحرب مونس معه: كان المقتدر قد أمر فنودي: من جاء بأسير فله عشرة دنانير ومن جاء برأس فله خمسة دنانير. فلما انهزم أصحابه لقيه جمع من أصحاب مونس فشهروا عليه سيوفهم فقال: ويحكم أنا الخليفة. قالوا قد عرفناك يا سفلة أنت خليفة إبليس تبذل في كلّ رأس خمسة دنانير وفي كلّ أسير عشرة دنانير، فضرب على عاتقه وذبح وأخذوا عليه جميع ما عليه حتى تركوه مكشوف العورة فستره بعضهم بحشيش[٤].

هذا و ابن أبي الحديد قدّم العنوان من هنا قريباً من ثلاثين عنواناً[٥].

٢٠
الحكمة (٢١٥)

وقال عليه السلام:

الْخِلاَفُ يَهْدِمُ الرَّأْيَ.

أقول: إنّ الرأي كبنيان، والخلاف هدم له، والشواهد له كثيرة، ومنها قصّة جذيمة الأبرش ومخالفته رأي قيصر. ومنها قصّة هوازن في حنين

---

(١) البقرة: ١٩٤.

(٢) الشورى: ٤٠.

(٣) الفرقان: ٢٧.

(٤) الكامل ٨: ٢٤٢.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٦٩، عنونه برقم (١٥٢).

ومخالفة رئيسهم دريد في رأيه.

٢١
الحكمة (٢٤٣)

وقال عليه السلام :

إِذَا ازْدَحَمَ الْجَوَابُ خَفِيَ الصَّوابُ .

قالوا: الغلط يوجب اللغط. وقال المأمون ـ لهاشمي رفع صوته على آخر ـ: الصواب : في الأسدّ لا الأشدّ.

وقال العتابي : لو سكت من لا يعلم عمّا لا يعلم سقط الاختلاف.

وكان المفضل الضبي إذا لم يرض الجواب أنشد الذي أجابه قول الفرزدق:

أعد نظراً يا عبد قيس فإنّما أضاءت لك النار الحمار المقيدا[١]

٢٢
الحكمة (٢٢١)

وقال عليه السلام :

بِئسَ الزّادُ إلى المَعادِ العُدْوانُ عَلَى العِبادِ.

أقول: وقال النبيّ صلى الله عليه وآله : اتّقوا الظلم فإنّه ظلمات يوم القيامة[٢]. وقال تعالى﴿إنّ ربّك لبالمرصاد﴾[٣]. قال الصادق عليه السلام : المرصاد قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة وكما أنّ عدوان العباد بئس الزاد للمعاد بئس الرياش للمعاش[٤].

---

(١) ديوان الفرزدق : ١٨٠ وفيه «فربما» بدلاً من «فإنما».

(٢) الكافي ٢ : ٣٣٢.

(٣) الفجر: ١٤ .

(٤) الكافي ٢: ٣٣١.

قال النبيّ ﷺ: ما أتاني جبرئيل قط إلّا وعظني وآخر قوله لي «إيّاك ومشارّة الناس فإنّها تكشف العورة وتذهب بالعزّ ـ وفي خبر ـ فإنّها تورث المعرة وتظهر المعورة[1].

وعن الصادق عليه السلام : من زرع العداوة حصد ما بذر[2].

٢٣
الحكمة (٢٤١)

وقال عليه السلام :

يَوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنَ الظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ.

والحكمة (٣٤١)

وقال عليه السلام :

يَومُ الْعَدْلِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلُومِ.

أقول: الأصل فيهما واحد، وقد غفل المصنّف في الثاني عن الأول وإلّا لقال بعد الأول: «وروي بلفظ آخر»، أو نبّه في الثاني على مرّه بلفظ آخر.

وكيف كان ففي (الكافي): دخل رجلان على الصادق عليه السلام في مداراة بينهما، فلما سمع كلامهما قال: أما إنّه ما ظفر أحد بخير من ظفر بالظلم، أما إنّ المظلوم يأخذ من دين الظالم أكثر ممّا يأخذ الظالم من مال المظلوم، ومن يفعل الشرّ فلا ينكر الشرّ إذا فُعل به، إنّما يحصد ابن آدم ما يزرع، وليس يحصد أحد من المرّ حلواً ولا من الحلو مرّاً. فاصطلح الرجلان قبل أن يقوما[3].

وعنه عليه السلام : من ظلم سلّط الله عليه من يظلمه أو سلّط على عقبه أو على

---

(١) بحار الأنوار ٧٣: ٤٠٨ الرواية ١٣.

(٢) البحار ٧٣: ٤٠٩ الرواية ١٥.

(٣) الكافي ٢: ٣٣٤ ح ٢٢.

عقب عقبه، يقول تعالى ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذريّة ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾[١].

وعنه عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى نبي في مملكة جبّار أن ائته وقل له: إنّي لم أستعملك على سفك الدماء واتخاذ الأموال، وإنّما استعملتك لتكفّ عني أصوات المظلومين، وإنّي لم أدعْ ظلامتهم وإن كانوا كفّاراً[٢].

وعن الباقر عليه السلام: ما انتصر الله من ظالم إلّا بظالم، قال تعالى: ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾[٣].

في (تذكرة سبط ابن الجوزي): عن (كتاب العبر): كان المعروف ببكبوش وزر لجلال الدولة بن بويه واستولى على أمره، فقبض بكبوش على رجل من نباه البصرة وصادره واستأصله وخلاه كالميت، فلما كان في بعض الأيام ركب بكبوش في مركب عظيم فصادف الرجل فقال له الرجل: الله بيني وبينك، والله لأرمينك بسهام الليل. فأمر بكبوش بالإيقاع به فضُرب حتى تُرك ميتاً وقال له: هذه سهام النهار قد أصابتك. فلما كان بعد ثلاثة أيام قبض جلال الدولة على بكبوش وأُجلس في حجرة على حصير ووكّل به من يسيء إليه، فدخل الفرّاشون لكنس الحجرة وشيل الحصير الذي تحته فوجدتْ رقعة فأخذها الفراشون وسلّموها إلى ابن الهدهد (فراش سالار) فقال: من طرحها؟ فقال: ما دخل أحد ولا خرج. وقُرئت فإذا فيها:

سهام الليل لا تخطي ولكن ... لها أمد وللأمد انقضاء
أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... تأمّل فيك ما صنع الدعاء

(١) الكافي ٢: ٣٣٤ ح ١٣، والآية ٩ من سورة النساء.

(٢) بحار الانوار ١٤: ٤٦٤ ح ٣٦ باب ٣١.

(٣) الكافي ٢: ٣٣٤ الرواية ١٩، والآية ١٢٩ من سورة الأنعام.

فأُخبر جلال الدولة بشرح القصة، فأمر الفراشين بضرب فكّه حتى تقع أسنانه وعُذِّب بكلّ نوع حتى هلك[١].

٢٤
الحكمة (٢٧٥)

وقال عليه السلام :

إنَّ الطَّمَعَ مُورِدٌ غَيْرُ مُصْدَرٍ وَضَامِنٌ غَيْرُ وَفِيٍّ وَرُبَّما شَرِقَ شَارِبُ المَاءِ قَبْلَ رَيِّهِ، وَكُلَّمَا عَظُمَ قَدْرُ الشَّيءِ الْمُتَنَافَسِ فِيهِ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ لِفَقْدِهِ، وَالأَمَانِيُّ تُعْمِي الأَعْيُنَ البَصَائِرَ وَالْحَظُّ يَأتِي مَنْ لاَ يَأْتِيهِ.

«الطمع مورد غير مصدر وضامن غير وفي» شبّه عليه السلام الطمع تارة بمن يوردك الماء ولا يصدرك فتهلك وأُخرى بمن يضمن لك نيلك المقصود ولا يفي لك فتخيّب. ويُصدِّق ما قاله عليه السلام طمع وافد البراجم فأورده ولم يصدره وضمن له ولم يف. وشرْحه أنّ أسعد بن المنذر ـ كان مسترضعاً في بني دارم ـ انصرف ذات يوم من صيده وبه نبيذ، فعبث كما تعبث الملوك، فرماه رجل من بني دارم بسهم فقتله، فغزاهم أخوه عمرو بن هند ملك الحيرة فقتلهم يوم القصيبة ويوم أوارة، ثم أقسم ليحرقن منهم مائة فأخذ تسعة وتسعين رجلاً منهم فقذفهم في النار ثم أراد أن يبرّ قسمه فأتى بعجوز فقالت: ألا فتى يفدي هذه العجوز ثم قالت: هيهات صارت الفتيان حمماً. ومر وافد البراجم ـ وهم بنو مالك بن حنظلة ـ فاشتم رائحة اللحم فظنّ أنّ الملك يتّخذ طعاماً، فعرج إليه فأُتي به إليه فقال له: من أنت؟ قال: وافد البراجم. فقال: الشقي وافد البراجم. ثم أمر به فقذف في النار، فعيّرت بنو تميم لطمع البرجمي في أكل الشواء بحب الطعام، فقال بعضهم:

---

(١) التذكرة، لسبط ابن الجوزي: ٣٩٠ ـ ٣٩١.

ألا أبـلـغ لديك بـنـي تـمـيم بآيـة مـا يـحبّون الطـعاما
إذا ما مـات مـيت مـن تـمـيم فسرك أن يعيش فجئ بـزاد
بـخبز أو بـتمر أو بـلـحم أو الشيء الملفف في البجاد
تـراه يـنقب البـطحاء حـولاً ليأكل رأس لقمان بن عاد[١]

«وربما شرق شارب قبل ريه» مسكين ابن آدم مكتوم الأجل مكنون العلل محفوظ العمل تؤلمه البقة وتنتنه العرقة وتقتله الشرقة.

«وكلّما عظم قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده» في (الكافي): كتب الجواد عليه السلام إلى رجل: ذكرت مصيبتك بابنك الذي كان أحب ولدك إليك، إنّما يأخذ الله تعالى من الولد وغيره أزكى ما عند أهله ليعظم به أجر المصاب بالمصيبة[٢].

«والأماني تعمي أعين البصائر»، ﴿...وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله...﴾[٣]، ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوء يجز به...﴾[٤].

وفي (أمالي الشيخ): عن أبي المفضل عن رجل عن ابن السكيت عن الهادي عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إيّاكم والإيطال بالمُنى فإنّها من بضائع العجزة.

وأنشد ابن السكيت:

إذا ما رمى بي الهمّ في ضيق مذهب رمت بالمنى عنه إلى مذهب رحب[٥]

«والحظ يأتي من لا يأتيه» في (الكامل) ـ بعد ذكر استيلاء علي بن بويه في

---

(١) الأغاني ٢٢: ١٩٢، وهو لابن الصعق العامري.
(٢) الكافي ٣: ٢٠٥ ح١٠.
(٣) الحديد: ١٤.
(٤) النساء: ١٢٣.
(٥) الأمالي للشيخ: ٥٨.

سنة (٣٢٢) على شيراز ـ: طلب الجند أرزاقهم فلم يكن عنده ما يعطيهم، فكاد ينحل أمره فقعد في غرفة دار الإمارة يفكّر في أمره، فرأى حيّة خرجت من موضع في سقف تلك الغرفة ودخلت في ثقب هناك، فدعا الفرّاشين ففتحوا الموضع فرأوا وراءه باباً فدخلوه إلى غرفة أُخرى وفيها عشرة صناديق مملوة مالاً ومصوغاً وكان فيها ما قيمته خمسمائة ألف ديناراً فأنفقها وثبت ملكه إن كان قد أشرف على الزوال.

وحكى أنّه أراد أن يفصل ثياباً فدلّوه على خيّاط كان لياقوت ـ صاحب شيراز قبله ـ فأحضره فحضر خائفاً وكان أصم، فقال له عماد الدولة علي بن بويه: لا تخف فإنّما أحضرناك لتفصّل ثياباً. فلم يفهم ما قال، فابتدأ وحلف بالطلاق إنّ الصناديق التي عنده لياقوت ما فتحتها. فتعجّب من هذا الاتفاق فأمره بإحضارها فأحضر ثمانية صناديق فيها مال وثياب قيمته ثلاثمائة ألف دينار، ثم ظهر له من ودائع ياقوت يعقوب وعمرو ابني ليث جملة كثيرة فامتلأت خزائنه وثبت ملكه[1].

٢٥
الحكمة (٢٨٥)

وقال عليه السلام:

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمَوْعِظَةِ حِجابٌ مِنَ الْغِرَّةِ.

أي: فلا تتعظون، كمن لا يستضيء بالنور إذا كان بينه وبينه حجاب، والمراد حثّهم على إزالة حجاب الغرة ﴿يا أيها الناس إنّ وعد الله حق فلا تغرّنّكم الحياة الدُّنيا ولا يغرّنّكم بالله الغرور﴾[2] فان لم يسعوا في رفع

(١) الكامل ٨: ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

(٢) فاطر: ٥.

الحجاب يضرب لهم حجاب في القيامة ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب* ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرّتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغرّكم بالله الغرور﴾[1].

٢٦
الحكمة (٣٤٧)

وقال عليه السلام:

الثَّناءُ بِأَكْثَرَ مِنَ الاسْتِحْقَاقِ مَلَقٌ.

قالت بنو تميم لسلامة بن جندل ـ كما في (العيون) ـ: اثن علينا بشعرك. فقال: افعلوا حتى أُثني[2].

وقال عمرو بن معد يكرب:

فلو أنّ قومي أنطقتني رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت

وتقول العرب: لا تهرف قبل أن تعرف، أي: لا تطنب في الثناء قبل الاختبار[3].

«والتقصير عن الاستحقاق عي أو حسد» مدح رجل من أشراف تميم آخر منهم عند النبيّ صلى الله عليه وآله في وفدهم عليه، فقال الممدوح: قصّر في وصفي. فذمّه المادح ثم قال: ما كذبت في مدحي الأول وصدقت في ذمّي الثاني. رضيت عنه فقلت فيه أحسن ما أعرفه؛ وأغضبني فقلت فيه شرّ ما أعرفه. فأعجب

(١) الحديد: ١٣ ـ ١٤.

(٢) العيون ٣: ١٦٩.

(٣) عيون الأخبار ٣: ١٦٩.

النبيّ ﷺ كلامه وقال: إنّ من البيان لسحراً[١].

٢٧
الحكمة (٣٤٨)

وقال عليه السلام:
أَشَدُّ الذُّنُوبِ ما اَسْتَهانَ بِهِ صَاحِبُهُ.

الحكمة (٤٧٧)

وقال عليه السلام:
أَشَدُّ الذُّنوبِ ما اسْتَخَفَّ بِهِ صاحِبُهُ.

أقول: الأصل فيهما واحد، وقد غفل المصنف في الثاني عن الأوّل حتى ينبّه على ذلك كما هو دأبه، ومفادهما واحد. والمراد أنّ كلّ ذنب عدّه صاحبه هيّناً وخفيفاً يصير أشدّ ذنب ولو كان ذنباً صغيراً.

قال النبي ﷺ ـ كما روي في (الكافي) ـ: اتّقوا المحقرات من الذنوب فإنّها لا تغفر بأن يذنب ويقول طوبى لي لو لم يكن لي غير ذلك[٢].

وقال الصادق عليه السلام ـ كما روي أيضاً ـ إنّ النبيّ ﷺ نزل بأرض قرعاء فقال لأصحابه: إيتوني بحطب. فقالوا: نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب. قال: فليأت كلّ إنسان بما قدر عليه. فأتوا بما صار بعضه على بعض. فقال ﷺ: هكذا تجتمع الذنوب، إيّاكم والمحقرات من الذنوب، فإنّ لكلّ شيء طالباً. يقول تعالى ﴿...ونكتب ما قدّموا وآثارهم وكلّ شيءٍ أحصيناه في إمام مبين﴾[٣].

---

(١) الفقيه ٤: ٣٧٩ الرواية ٥٨ الباب ٢.

(٢) الكافي ٢: ٢٨٧ ح ١.

(٣) الكافي ٢: ٢٨٨ ح ٣، والآية ١٢ من سورة يس.

وفي دعاء أبي حمزة: إلهي ما عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد، ولا بأمرك مستخف، ولا لوعيدك متهاون، ولا لعقوبتك متعرّض، ولكن خطيئة عرضت وسوّلت لي نفسي وغلبني هواي وأعانني عليها شقوتي[١].

وتارك الصلاة كافر دون الزاني، لأن الزاني يزني من غلبة الشهوة وتارك الصلاة يتركها استخفافاً بها. وقالوا عليهم السلام: لاتنال شفاعتنا مستخفاً بالصلاة[٢]. هذا، ونقل ابن المعتز في (بديعه) العنوان بلفظ آخر فقال: قال علي عليه السلام: «إنّ أعظم الذنوب ما صغر عند صاحبه»[٣].

٢٨
الحكمة (٣٦٢)

وقال عليه السلام:

مَنْ ضَنَّ بِعِرْضِهِ فَلْيَدَعِ الْمِرَاءَ.

في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله: ثلاث من لقي الله تعالى بهنّ دخل الجنّة من أي باب شاء: مَنْ حَسُنَ خُلقه، وخشي الله في المغيب والمحضر، وترك المراء وإن كان محقّاً[٤].

وعن ابن أبي ليلى: لا أُماري أخي فإمّا أن أُكذبه وإمّا أن أُغضبه[٥].

٢٩
الحكمة (٨٤)

وَاعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الْهَوَى مَنْسَأَةٌ لِلْإِيمَانِ

(١) مفاتيح الجنان: ٣٤٥.

(٢) فقيه من لا يحضره الفقيه ١: ٢٠٦ ح٦١٨، وهو للإمام الصادق عليه السلام.

(٣) البديع لابن المعتز: ٣٧.

(٤) الكافي ٢: ٣٠٠ ح٢.

(٥) العقد الفريد ٣: ٢٠.

وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ، جَانِبُوا ٱلْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ، وَالصَّادِقُ عَلَى شُرُفِ مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ، وَٱلْكَاذِبُ عَلَى شَفَا مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ، وَلَا تَحَاسَدُوا فَإِنَّ ٱلْحَسَدَ يَأْكُلُ ٱلْايمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ ٱلْحَطَبَ، وَلَا تَبَاغَضُوا فَإِنَّهُ الْحَالِقَةُ، وٱعْلَمُوا أَنَّ الأمَلَ يُسْهِي ٱلْعَقْلَ وَيُنْسِي الذِّكْرَ، فَأَكْذِبُوا ٱلْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ.

«واعلموا أنّ يسير الرياء شرك» روى باب رياء (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال: كلّ رياء شرك، ومن عمل للناس كان ثوابه على الناس، ومن عمل لله كان ثوابه على الله[1].

وعنه عليه السلام: قال تعالى: أنا خير شريك، من أشرك معي غيري في عمل عمله لم أقبل منه إلّا ما كان خالصاً[2].

«ومجالسة أهل الهوى منسأة للايمان» فسر ابن أبي الحديد[3] «منسأة» بالنسيان وتبعه ابن ميثم والخوئي. والصواب: كونه من «نسيئة البيع» ومن قولهم «نسأت الإبل عن الحوض» إذا أخّرتها ودفعتها عنه، ويقال للعصا منسأة لكونها آلة دفع المكروه وتأخيره. قال شاعر:

أمن أجل حبل لا أباك ضربته ... بمنسأة قد جر حبلك أحبلا[4]

وقال آخر:

إذا دببت على المنساة من هرم ... فقد تباعد عنك اللهو والغزل

وبالجملة المراد بالمنسأة العصا، قال تعالى في سليمان عليه السلام ﴿...تأكل منسأته...﴾.

---

(١) الكافي ٢: ٣٠١ ح٣.

(٢) الكافي: ٢٩٥ ح٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٥٦ الخطبة ٨٥.

(٤) لسان العرب ١٤: ١١٨، والبيت منسوب لأمير المؤمنين عليه السلام.

«ومحضرة للشيطان» روى مجالسة أهل معاصي (الكافي) عن الجعفري قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام : مالي رأيتك عند عبد الرحمان بن أبي يعقوب فقلت: إنّه خالي. فقال: إنّه يقول في الله قولاً عظيماً، يصف الله ولا يوصف، فإما جلست معه وتركتنا وإمّا جلست معنا وتركته. فقلت: هو يقول ما شاء، أي شيء علي منه إذا لم أقل بقوله. فقال: أما تخاف أن تنزل به نقمة فتصيبكم جميعاً؟ أما علمت بالذي كان من أصحاب موسى ـ وكان أبوه من أصحاب فرعون ـ فتخلّف ليعظ أباه ويلحقه بموسى فمضى أبوه وهو يراغمه حتى بلغا طرفاً من البحر فغرقا جميعاً، فأتى موسى عليه السلام الخبر فقال: هو في رحمة الله ولكن النقمة إذا نزلت لم يكن لها عمّن قاربت المذنب دفاع[١].

«جانبوا الكذب فإنّ الكذب مجانب للايمان» قال تعالى ﴿إنّما يفتري الكذب الذين لايؤمنون...﴾[٢] وروى باب كذب (الكافي) عنه عليه السلام : لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجدّه[٣].

وعن الباقر عليه السلام : إنّ الكذب هو خراب الإيمان[٤].

«الصادق على شرف منجاة وكرامة» هكذا في (المصرية)[٥]، ولكن في (ابن أبي الحديد[٦] وابن ميثم والخوئي والخطية): «الصادق على شفا منجاة وكرامة» فهو الصحيح.

---

(١) الكافي ٢: ٣٧٤ ح٢.

(٢) النحل: ١٠٥.

(٣) الكافي ٢: ١٠٥ ح٨.

(٤) الكافي ٢: ٣٣٩ الرواية ٤.

(٥) الطبعة المصرية: ٢٠٣.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٥٤، الخطبة (٨٥)، شرح الخوئي ٦: ١٢٤ الخطبة (٨٥)، وشرح ابن ميثم البحراني ٢: ٢٨١ الخطبة (٨٣) أما الخطية النسخية فكما ذكر العلّامة انظر ص ٥٧ في النسخة الخطية.

وروى باب صدق (الكافي) عن الباقر عليه السلام: إنّ الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صديقاً[١].

وعن الصادق عليه السلام: إنّ العبد ليصدق حتى يكتب عند الله من الصادقين ويكذب حتى يكتب عند الله من الكاذبين، فإذا صدق قال تعالى: صدق وبرّ، وإذا كذب قال تعالى: كذب وفجر[٢].

وفي (تاريخ بغداد): كان لربعي بن خراش ابنان عاصيان زمن الحجاج، فقيل للحجاج إنّ أباهما لم يكذب قط فلو أرسلت إليه فسألته عنهما، فأرسل إليه أين ابناك؟ فقال: هما في البيت. قال: قد عفونا عنهما لصدقك[٣].

وفي السير: إنّ الحجاج أراد قتل أحد من أسارى أصحاب ابن الأشعث، فقال له: لا تقتلني كان ابن الأشعث يوماً يسبّك وأنا نهيته. فقال: لك شاهد. قال نعم، ودعا أحداً من الأسارى فشهد له، فقال الحجاج: أنت نهيته. قال: لا. قال: لِمَ. قال: لأني كنت مبغضك. فقال الحجاج: عفوت عنكما الأول لدفاعه عنّي والثاني لصدقه[٤].

«والكاذب على شفا» هكذا في (المصرية)[٥] ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية والخوئي) : «على شرف»[٦] فهو الصحيح، وإنما «شفا» كان في السابقة، و(المصرية) عكست.

---

(١) الكافي ٢: ٣٣٨ الرواية ٢.

(٢) الكافي ١ : ١٠٥ ح ٩.

(٣) تاريخ بغداد ٨ : ٤٣٣.

(٤) لم نعثر عليه في تراجم الحجاج ولا في كتب التاريخ الشهيرة.

(٥) الطبعة المصرية لمحمّد عبده: ٢٠٣.

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٣٥٤، ابن ميثم ٢ : ٢٨١ والنسخة الخطية كذلك انظر ص ٥٧ من النسخة الخطية، وشرح الخوئي كذلك ٦ : ١٢٤.

«مهواة» أي: هوي وسقوط.

«ومهانة» أي: حقارة مصدر «مهن».

في (أمالي القالي): خرج أوفى بن مطر الخزاعي وجابر الرزامي ومالك الرزامي ـ من مازن ـ ليغيروا على بني أسد بن خزيمة، فلقوهم فقتل مالك وأرتث أوفى جريحاً، فقال لجابر: احملني. قال: إنّ بني أسد قريب وأنت ميت لا محالة، وأن يقتل واحد خير من أن يقتل اثنان. قال: فازحف بي إلى عماية. قال: فضاء لا يسترك منها شيء. قال: فانهض بي إلى قساس. قال: ما قساس إلّا حرملة لبني أسد. قال: في أوان. قال إنّما ذلك تحت أيديهم. فأتى الحي فأخبرهم أنّ أوفى ومالكاً قد قتلا ثم أن أوفى تحامل إلى بعض المياه فتعالج به حتى برئ، ثم أقبل فقال رجل من القوم وجابر فيهم ـ لولا أن الموتى لم يأن بعثها لأنبأتكم أنّ هذا أوفى ـ قال أبو عبيدة: فانسل جابر من القوم فما يدرى أين وقع ولا ولده إلى الساعة استحياءً من القوم من الكذبة التي كذبها[1].

وعنه عليه‌السلام: الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار، ولا يزال أحدكم يكذب حتى لا يبقى في قلبه موضع ابرة صدق فيسمّى عند الله كذّاباً[2].

وفي (كامل المبرد): روي أنّ أشراف الكوفة كانوا يظهرون بالكناسة فيتحدّثون على دوابهم حتى تطردهم الشمس، فوقف عمرو بن معد يكرب الزبيدي وخالد بن الصعقب النهدي، فأقبل عمرو يحدّثه فقال: أغرنا مرة على بني نهد فخرجوا مستزعقين ـ أي مقدمين ـ لخالد بن الصعقب فحملت عليه فطعنته فأرديته ثم ملت بالصمصامة فأخذت رأسه، فقال خالد خلل ـ أي:

---

(١) ذيل الأمالي: ٩١.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ٧٢: ٢٥٩ ح ٢٤.

استتر ـ أبا ثور ان قتيلك هو المحدّث[١].

وقال ابن أبي الحديد: قال الشاعر:

لا يكذب المرء إلّا من مهانته　　أو عادة السوء أو [من] قلّة الأدب

لعض جيفة كلب خير رائحة　　من كذبة المرء في جدٍّ و[في] لعب[٢]

«ولا» وفي (ابن ميثم والخطية): «لا»[٣].

«تحاسدوا فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب» في (معارف ابن قتيبة): كان أُمية بن أبي الصلت قرأ الكتب المتقدّمة ورغب عن عبادة الأوثان ـ وكان يخبر أن نبيّاً قد أطلّ زمانه وكان يؤمل أن يكون هو ـ فلما بلغه مبعث النبيّ صلى الله عليه وآله كفر به حسداً، قالوا: ولما أنشد النبيَّ شعره قال صلى الله عليه وآله: آمن بلسانه وكفر بقلبه[٤].

وحسد قابيل هابيل فقتله.

وقال الخوئي: روي أنّ رجلاً كان يغشى بعض الملوك ويقوم بحذائه ويقول له: أحسن إلى المحسن بإساءته فإن المسيء سيكفيك اساءته. فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به إلى الملك، فقال: إن هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول يزعم أنّ الملك أبخر. فقال الملك: وكيف يصحّ ذلك عندي؟ قال: تدعوه إليك فإنّه إذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشمّ ريحة البخر. فقال له: انصرف حتى أنظر. فخرج الحاسد ودعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاماً فيه ثوم، فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك على عاداته

---

(١) الكامل للمبرّد ٢: ٥٦٢ ـ ٥٦٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٣٦٠.

(٣) في شرح ابن ميثم ورد لفظ «ولا» بخلاف ما ذكره، أما الخطية فقد ورد «لا»: انظر شرح ابن ميثم ٦: ٢٨٨ الخطبة ٥٧

(٤) المعارف لابن قتيبة: ٦٠.

فقال ذلك المقال، فقال له الملك: ادن مني. فدنا ووضع يده على فيه حذراً من أن يشمّ الملك منه رائحة الثوم. فقال الملك في نفسه: ما أرى فلاناً إلّا صدق ـ وكان الملك لا يكتب بخطّه إلّا لجائزة أو صلة ـ فكتب له كتاباً بخطه إلى عامل من عمّاله «إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه وحش جلده تبناً وابعث به إلي»، فأخذ الكتاب وخرج، فلقيه الرجل الذي سعى به فقال: ما هذا الكتاب؟ قال: خط الملك بجائزة لي. قال: هبه لي. فوهبه له وأخذه ومضى إلى العامل، فقال العامل: في كتابك أن أذبحك وأسلخك. قال: إنّ الكتاب ليس هو لي فالله الله في أمري حتى تراجع الملك. فقال: ليس لكتاب الملك مراجعة، فذبحه وسلخه وحشّى جلده تبناً وبعث به. ثم دعا الرجل كعادته إلى الملك وقال مثل مقالته، فتعجب الملك وقال: ما فعلت بالكتاب؟ فقال: لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له. قال: إنّه ذكر لي أنّك تزعم أنّي أبخر. قال: ما قلت ذلك. قال: فلِمَ وضعت يدك على فيك؟ قال: لأنّه أطعمني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تشمّه. قال: صدقت ارجع إلى مكانك فقد كفاك المسيء إساءته[١].

«ولا تباغضو فإنّها الحالقة» أي: الخصلة التي من شأنها أن تحلق الدين كما يحلق الموسى الشعر.

وفي قطيعة رحم (الكافي): قال النبيّ صلى الله عليه وآله: ألا وإنّ في التباغض الحالقة، لا أعني حالقة الشعر ولكن حالقة الدين[٢].

وقال الصادق عليه السلام: اتقوا الحالقة فإنّها تميت الرجال. قلت: فما الحالقة؟ قال: قطيعة الرحم[٣].

---

(١) شرح الخوئي: ١٦١ ـ ١٦٢.

(٢) الكافي ٢: ٣٤٦ح١.

(٣) الكافي ٢: ٣٤٦ح ٢.

«واعلموا أنّ الأمل يُسهي العقل» في (النهاية): السهو في الشيء تركه عن غير علم، والسهو عنه تركه مع العلم، ومنه قوله تعالى: ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾[١].

«ويُنسي الذكر» وقال تعالى: ﴿فاعرض عمَّن تولّى عن ذكرنا ولم يرد إلّا الحياة الدّنيا﴾[٢].

«فأكذبوا الأمل فإنّه غرور وصاحبه مغرور» وفي المثل: «أغر من ظبي مقمر»[٣] لأنّه يخرج في الليلة المقمرة يرى أنّه النهار فتأكله السباع.

٣٠
الحكمة (١٨٠)

وقال عليه السلام:

الَّطَمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّد.

أقول: قال ابن أبي الحديد قال الشاعر:

تعفف وعش حرّاً ولا تك طامعاً فما قطع الأعناق إلّا المطامع[٤]

....

وقالوا: العبد حر إذا قنع، والحر عبد إذا طمع[٥].

---

(١) النهاية لابن الاثير ٢: ٤٣٠ مادة (سهى) والآية ٥ من سورة الماعون.

(٢) النجم: ٢٩.

(٣) المنجد في اللغة للويس معلوف: ١٠٣٠.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٤١٣.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٢١٣.

٣١
الحكمة (٢٢٦)

وقال عليه السلام :

الطَّامِعُ فِي وِثَاقِ الذُّلِّ .

أقول: قال الشاعر :

رأيت مخيلة فطمعت فيها ... وفي الطمع المذلّة للرقاب[١]

وقال آخر :

طمعت بليلى أن تريع وإنّما ... تقطع أعناق الرجال المطامع[٢]

وقال أعرابي: إنّ الآمال قطعَتْ أعناق الرجال كالسراب غرَّ من رآه وأخلف من رجاه.

٣٢
الحكمة (٢١٩)

وقال عليه السلام :

أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ .

أقول: قالوا: ما الخمر صرفها بأذهب لعقول الرجال من الطمع .

وسئل عليه السلام : ما ثبات الإيمان ؟ فقال: الورع. فقيل له: وما زواله؟ قال: الطمع[٣].

وقال ابن أبي الحديد: قال الشاعر:

إذا حدّثتك النفس أنّك قادر ... على ما حوت أيدي الرجال فكذّبِ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٨٥ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤١ .

(٣) عن الصادق عليه السلام عن الحسين بن علي ذكره المجلسي في بحار الأنوار ٧: ٣٠٥ الرواية ٢٣ .

وإيّـاك والأطـماع إنّ وعـودها ... رقـارق آلٍ أو بـوارق خـلَّبِ[١]

هذا، وقالوا: رأى أشعب الطماع سلّالاً يصنع سلّة فقال: أوسعها. قال له: ما لك وذاك؟ قال: لعلّ صاحبها يهدي لي فيها شيئاً يوماً.

٣٣
الحكمة (٢٥٥)

وقال عليه السلام:

الْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُوْنِ لأنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ فَـإِنْ لَـمْ يَـنْدَمْ فَـجُنُوْنُهُ مُسْتَحْكِمٌ.

«الحدة» بالكسر من حد يحد ـ بالكسر ـ.

وفي الخبر: الغضب جمرة توقد في جوف ابن آدم، ألم تروا إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه[٢].

أيضاً: إذا غضب أحدكم ليقعد إن كان قائماً ويضطجع إن كان قاعداً[٣].

وقال شاعر:

احـذر مـغايظ أقـوام ذوي أنـف ... إنّ المغيظ جهول السيف مجنون

هذا، وفي (العيون): كان المنصور ولّى سلمة بن قتيبة البصرة، وولّى مولى له كور البصرة والإبلة، فورد كتاب مولاه أنّ سلماً ضـربه بـالسياط، فاستشاط المنصور وقال: عليّ تجرأ سلم لأجعلنه نكالاً، فقال له ابن عياش ـ وكان جريئاً عليه ـ إنّ سلماً لم يضرب مولاك بقوّته ولا قوّة أبيه ولكنّك قلّدته سيفك وأصعدته منبرك فأراد مولاك أن يطأطئ منه مـا رفـعت ويـفسد مـا

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤١.

(٢) في الكافي ٢: ٣٠٤ ح ١٢، الغضب جمرة من الشيطان ونقل المجلسي ما يماثله عن النبي صلى الله عليه وآله انظر ٧٣: ٢٧٢ ح ٢٣ الباب ١٣٢.

(٣) ذكره المجلسي عن دعوات الراوندي ٨٠: ٣١٢ بلفظ آخر.

صنعت فلم يحتمل ذلك، إنّ غضب العربي في رأسه فإذا غضب لم يهدأ حتى يخرجه بلسان أو يد، وإنّ غضب النبطي في استه فإذا غضب وخرئ ذهب غضبه. فضحك المنصور وقال: فعل الله بك يا منتوف وفعل، وكف عن سلم.

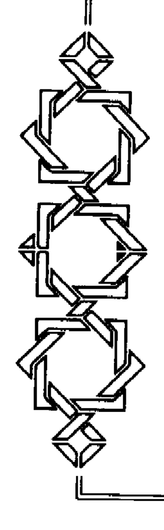
هذا مثل الحدّة في أعقاب الندامة العجلة، وكانت العرب تكني العجلة أُم الندامة، قالوا: إنّ صاحب العجلة يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم ويعزل قبل أن يفكّر، ويقطع قبل أن يقدر، ويحمد قبل أن يجرب، ويذمّ قبل أن يختبر، ومن كان معه أحد هذه الخلال يندم البتة فكيف مع الجميع[1].

---

(١) العيون، للقتيبي ١: ٢٩٠ ـ ٢٩١.

الفصل الخامس والاربعون

في آداب المعاشرة





١
الحكمة (٩)

وقال عليه السلام :

خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إنْ مُتُّمْ مَعَها بَكَوْا عَلَيْكُمْ وَإنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إلَيْكُمْ.

أقول: في (تذكرة سبط بن الجوزي): قال أبو حمزة الثمالي: حدّثنا إبراهيم بن سعيد عن الشعبي عن ضرار بن ضمرة قال: أوصى أمير المؤمنين عليه السلام بنيه فقال: يا بني عاشروا النّاس بالمعروف معاشرة إن عشتم حنّوا إليكم وإن متّم بكوا عليكم ثم قال:

يُريد بذاكم أن يهشوا لطاعتي
وأن يكثروا بعدي الدعاء على قبري

وأن يمنحوني في المجالس ودّهم
وان كنت عنهم غائباً أحسنوا ذكري[1]

(١) التذكرة لسبط ابن الجوزي: ١٥٢ .

ومثله عن (مناقب ابن الجوزي).

وفي (أمالي الشيخ) عن أبي المفضل مسنداً عن الباقر عليه السلام: لما احتضر أمير المؤمنين عليه السلام جمع بنيه حسناً وحسيناً وابن الحنفية والأصاغر من ولده، فوصّاهم وكان في آخر وصيته «عاشروا النّاس عشرة إن غبتم حنّوا إليكم وإن فقدتم بكوا عليكم، يا بني إنّ القلوب جنود مجنّدة تتلاحظ بالمودة وتتناجى بها وكذلك هي في البغض، فاذا أحببتم الرجل من غير خير سبق منه إليكم فارجوه، وإذا أبغضتم الرجل من غير سوء سبق منه إليكم فاحذروه»[1].

«خالطوا النّاس مخالطة» قد عرفت أنّ في رواية أُخرى: «عاشروا الناس بالمعروف معاشرة»[2].

في (قرب الاسناد): عن الصادق عليه السلام أنّ علياً عليه السلام صاحَبَ ذمّياً فقال له الذّمي: أين تريد؟ قال عليه السلام: الكوفة. فلما عدل الطريق بالذّمي عدل معه عليّ عليه السلام، فقال له الذّمي: ألست زعمت أنّك تريد الكوفة فقد تركت الطريق. فقال له: قد علمت. فقال: ولِمَ عدلت معي؟ قال عليه السلام من تمام الصحبة أن يشيّع الرجل صاحبه إذا فارقه، كذلك أمرنا نبيّنا. فقال: لا جرم إنّما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة، أُشهدك أنّي على دينك. فرجع الذّمي معه عليه السلام، فلما عرفه أسلم[3].

وقال بعضهم: إنّما الناس أحاديث، فإن استطعت أن تكون أحسنهم حديثاً فافعل.

«إن متّم معها بكوا عليكم» في (تاريخ بغداد): كان ابن أبي دؤاد مؤلفاً لأهل

---

(١) الأمالي للشيخ: المجلس السادس والعشرون: ٥٩٥ ح ١٢٣٢ المجلس (٢٦).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ٧٨: ٧٦ ح ٤٧.

(٣) قرب الاسناد للحميوي القمي: ١٠.

الأدب من أي بلد كانوا، وقد كان ضمّ إليه جماعة يعولهم ويموّنهم، فلما مات اجتمع ببابه جماعة منهم فقالوا: أيدفن من كان على ساقة الكرم وتاريخ الأدب ولا يتكلّم فيه إنّ هذا لوهن وتقصير. فلما طلع سريره قام ثلاثة منهم فقال أحدهم:

اليوم مات نظام الفهم واللسن ... ومات من كان يستدعى على الزمن
واظلمت سبل الآداب إذ حجبت ... شمس المعارف في غيم من الكفن

وتقدّم الثاني فقال:

ترك المنابر والسرير تواضعاً ... وله منابر لو يشا وسرير
ولغيره يجبى الخراج وإنّما ... يجبى إليه محامد وأجور

وقام الثالث فقال:

وليس نسيم المسك ريح حنوطه ... ولكنّه ذاك الثناء المخلف
وليس صرير النعش ما يسمعونه ... ولكنّها أصلاب قوم تقصف[1]

وفي (الأغاني): عن مسرور خادم الرشيد: لما أمرني بقتل جعفر دخلت عليه وعنده أبو زكار الأعمى وهو يغنيه بصوت لم أسمع بمثله:

فلا تبعد فكلّ فتى سيأتي ... عليه الموت يطرق أو يغادي
وكلّ ذخيرة لابدّ يوماً ... وإن بقيت تصير إلى نفاد
ولو يفدى من الحدثان شيء ... فديتك بالطريف وبالتلاد

فقلت له: في هذا والله أتيتك، فأخذت بيده فأقمته وأمرت بضرب عنقه. فقال لي أبو زكار: نشدتك الله إلا ألحقتني به. فقلت له: وما رغبتك في ذلك؟ قال: إنّه أغناني عمّن سواه بإحسانه فما أُحبّ أن أبقى بعده[2]...

---

(١) تاريخ بغداد ٤: ١٥٠.

(٢) الأغاني ٧: ٢٢٧.

وفيه : كان الفضل الرقاشي منقطعاً إلى آل برمك مستغنياً بهم عمّن سواهم وكانوا يصولون به على الشعراء ويروون أولادهم شعره ويدونونها القليل منها والكثير تعصباً له وحفظاً لخدمته وتنويهاً باسمه وتحريكاً لنشاطه، فحفظ ذلك لهم، فلما نكبوا صار إليهم في حبسهم فأقام معهم مدّة أيّامهم ينشدهم حتى ماتوا، ثم رثاهم فأكثر من رثائهم[١]، وكان فنى في حبّهم حتى خيف عليه، فمن قوله في جعفر:

كم هاتف بك من باك وباكية ... يا طيّب للضيف إذ تدعى وللجار

إن يعدم القطر كنت المزن بارقة ... لمع الدنانير لا ما خيل الساري[٢]

ومنه قوله :

فلا يبعدنك الله عني جعفراً ... بروحي ولو دارت عليّ الدوائر

فآليت لا أنفك أبكيك ما دعت ... على فنن ورقاء أو طار طائر[٣]

وقال المدائني : لما دارت الدوائر على آل برمك وأمر بقتل جعفر بن يحيى وصلب اجتاز به الرقاشي، فوقف يبكي أحرّ بكاء ثم أنشأ يقول:

أما والله لولا خوف واش ... وعين للخليفة لا تنام

لطفنا حول جذعك واستلمنا ... كما للناس بالحجر استلام

فما أبصرت قبلك يابن يحيى ... حساماً حتفه السيف الحسام

على اللذات والدنيا جميعاً ... ودولة آل برمك السلام

فكتب أصحاب الأخبار بذلك إلى الرشيد فأحضره، فقال له: ما حملك على ما قلت؟ فقال: كان إليّ محسناً فلما رأيته على الحال التي هو عليها

---

(١) الأغاني ١٦: ٢٤٥.

(٢) الأغاني ١١: ٢٣٥، نسبه (ليلى بنت عبد الله).

(٣) الأغاني ١٦: ٢٤٨.

حرّكني إحسانه فما ملكت نفسي حتى قلت الذي قلته. قال: وكم كان يجري عليك؟ قال: ألف دينار في كلّ سنة. قال: قد أضعفناها لك[1].

وفي كتاب (أخبار بني العباس) عن خادم المأمون قال: طلبني الخليفة ليلاً ـ وقد مضى من الليل ثلثه ـ فقال: بلغني أنّ شيخاً يحضر ليلاً إلى آثار دور البرامكة وينشد شعراً ويذكرهم ويندبهم ويبكي عليهم، فاذهب مسرعاً إلى ذاك الموضع واستتر خلف بعض الجدر، فإذا رأيت الشيخ قد جاء وبكى وندبه وأنشد أبياتاً فائتني به. فأتيته فإذا بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسي حديد وإذا شيخ قد جاء وله جمال وعليه مهابة، فجلس على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول:

ولمّا رأيت السيف جندل جعفراً ونادى مناد للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسفي عليهم وقلت الآن لا تنفع الدّنيا

مع أبيات. فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا أجب الخليفة، ففزع وقال: دعني أُوصي. فأخذ من بعض الدكاكين ورقة وكتب وصيّته وسلّمها إلى غلامه فأدخلته على الخليفة فقال له: بما استوجب البرامكة معك ما تفعله في خرائب دورهم. قال: كنت من أولاد الملوك وكنت في دمشق فزالت الدولة عنّي وركبني الدين حتى احتجت إلى بيع بيتي، فأشاروا عليّ بالخروج إلى البرامكة، فخرجت مع نيف وثلاثين امرأة وصبياً وصبيّة حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد فدعوت ببعض ثياب كنت أعددتها فلبستها وخرجت وتركتهم جياعاً، فاذا أنا بمسجد مزخرف وفي جانبه شيخ بأحسن زي وعلى الباب خادمان وفي الجامع جماعة جلوس، فطمعت في القوم ودخلت وأنا أُقدّم رجلاً وأؤخر أُخرى والعرق يسيل مني، وإذا بخادم قد أقبل

---

(١) الأغاني ١٦: ٢٤٩.

ودعاهم فقاموا فدخلوا دار يحيى بن خالد فدخلت معهم وإذا يحيى جالس على دكّة له وسط بستان، فسلّمنا وهو يعدنا مائة وواحداً وبين يديه عشرة من ولده، وإذا بأمرد نبت العذار في خديه قد أقبل من بعض المقاصير وبين يديه مائة خادم متمنطقون في وسط كلّ منهم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال، ومع كلّ منهم مجمرة من ذهب في كلّ مجمرة قطعة من العود والعنبر السلطاني، فوضعوه بين يدي الغلام وجلس إلى جنب يحيى، فقال يحيى للقاضي: تكلّم وزوّج ابنتي فلانة من ابن أخي هذا. فخطب خطبة النكاح وزوّجه وشهد أولئك الجماعة وأقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت ملء كمي ونظرت فإذا نحن بين يحيى وولده والغلام مائة واثنا عشر نفراً وإذا بمائة واثنا عشر خادماً قد أقبلوا ومع كلّ خادم صينية من فضّة على كلّ صينية ألف دينار، فوضعوا بين يدي كلّ رجل منّا صينية، فرأيت القاضي والمشائخ يضعون الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم وقاموا وبقيت لا أجسر على أخذ الصينية، فغمزني الخادم فأخذتها وجعلت أتلفت إلى ورائي مخافة أن أمنع من الذهاب ويحيى يلاحظني فقال: ما لي أراك تتلفت يميناً وشمالاً؟ فقصصت عليه قصتي فقال للخادم: إيتني بولدي موسى. وقال له: يا بني هذا رجل غريب فخذه إليك واحفظه بنعمتك. فأخذ يدي وأدخلني داره وأقمت عنده يومي وليلتي في ألذّ عيش، فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال له: أمرني الوزير بالعطف على هذا الفتى وقد علمت اشتغالي في بيت الخليفة فاقبضه إليك وأكرمه. ففعل ثم تسلمني في الغد أخوه أحمد، ثم تداولوا بي في عشرة أيام ولا أعرف خبر عيالي وصبياني.

فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم وقال: اخرج إلى عيالك

بسلام. فقلت: إنا لله وإنّا إليه راجعون سلبت الصينية والدنانير، فرفع الخادم ستراً ثم آخر ثم آخر إلى خمسة، فلما رفع الأخير رأيت حجرة كالشمس حسناً ونوراً واستقبلني منها رائحة العود ونفحات المسك، وإذا بعيالي وصبياني يتقلبون في الحرير والديباج، وحمل إليّ مائة ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشور لضيعتين وتلك الصينية التي كنت أخذتها بما فيها من الدّنانير والبنادق، وأقمت مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أنا من البرامكة أم غريب، فلما جاءتهم البلية أجحفني عمرو بن مسعدة وألزمني في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي دخلهما به، فلما تحامل عليّ الدهر كنت أقصد في آخر الليل خرابات دورهم فأندبهم وأذكر حسن صنيعهم وأبكي عليهم. فقال الخليفة: عليّ بعمرو بن مسعدة، فأتى به فقال له: تعرف هذا؟ قال: بعض صنائع البرامكة. قال: كم ألزمته في ضيعته؟ قال: كذا وكذا. فقال له: رد إليه كلّ ما أخذته منه وأفرغهما له ليكونا له ولعقبه من بعده.

فعلا نحيب الرجل، فلما رأى الخليفة كثرة بكائه قال له: يا هذا قد أحسنّا إليك فما يبكيك؟ قال: وهذا أيضاً من صنيع البرامكة لو لم آت خراباتهم فأبكيهم وأندبهم حتى اتصل خبري بالخليفة من أين كنت أصل إلى الخليفة، فدمعت عينا الخليفة وقال: لعمري هذا أيضاً من البرامكة فأبكهم واشكرهم(١).

وفي (العيون): كان سعيد بن عمرو مؤاخياً ليزيد بن المهلب، فلما حبس عمر ابن عبد العزيز، يزيد ومنع من الدخول عليه، أتاه سعيد فقال له: لي على يزيد خمسون ألف درهم وقد حلت بيني وبينه فإن رأيت أن تأذن لي فأقتضيه. فأذن لي فدخل عليه فسر به يزيد وقال له: كيف وصلت إليّ. فقال: بهذا التدبير.

---

(١) لم نعثر على كتاب اخبار بني العباس في المطبوعات والمخطوطات، ويقول حاجي خليفة عن الكتاب إنّه لأحمد بن يعقوب المصري ولعبد الله بن الحسين بن بدر المتوفى سنة ٣٧٢، انظر كشف الظنون ١: ٢٦.

فقال يزيد: والله لا تخرج إلّا وهي معك. فامتنع سعيد فحلف يزيد ليقبضها. فقال ابن الرقاع:

لم أرَ محبوساً من الناس واحداً حبا زائراً في السجن غير يزيد
سعيد بن عمرو إذ أتاه أجازه بخمسين ألف عجلت لسعيد[1]

«وان عشتم حنّوا إليكم» من (حنا) أي: عطف ومال.

في (مستجاد التنوخي): مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ إخوانه فقيل: إنّهم يستحيون مما لك عليهم من الدين. فقال: أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة. ثم أمر منادياً فنادى: من كان لقيس عليه حقّ فهو منه في حلّ. فكسرت درجته بالعشي لكثرة من عاده[2].

وفي (الجهشياري): ذكر مخلد بن إبان قال: كنت أكتب لمنصور بن زياد، فشخص منصور مع الرشيد إلى خراسان -وكان ابنه محمد بن منصور سخياً سرياً وكان الرشيد يسمّيه فتى العسكر- فأمرني بحفظ الأموال والمقام معه على السواد بحضرة محمد الأمين ببغداد، فكنت مع محمد بن منصور وعمل على تزويج ابنه زياد بن محمد بن منصور، فسأل محمد الأمين أن يزوره في أصحابه وقوّاده وكتّابه من غير أن يقدم في هذا قولاً إليّ، فأجابه الأمين ثم دعاني فخبّرني الخبر فقلت له: هذا أمر علينا فيه غلظة ونحتاج إلى مال جليل. فقال: قد وقع هذا ولا حيلة في إبطاله -وكان موضع بابه يضيق عن عشر دواب- فقلت له: فإن لم تنظر في المال والنفقة فمن أين لنا رحبة تقوم فيها دواب الناس. فقال: لا والله ما أدري والتدبير والأمر إليك. ففكّرت في إحسانهم إلى جيرانهم، فخرجت إلى مسجد على بابه فجمعتهم

---

(١) عيون الاخبار ١ : ٣٤٤، وذكره ابن قتيبة ايضاً في الشعر والشعراء: ٤١٠، طبع دارالكتب العلمية.
(٢) المستجاد في أخبار الأجواد للتنوخي: ١٧٦.

وأعلمتهم ما عزم عليه محمد ابن منصور من أمر ابنه واستزارته الأمين وأنّه لا رحبة له، وسألتهم تفريغ منازلهم وإعارتنا إيّاها جمعة أو عشرة أيام حتى نهدمها ثم نبنيها إذا استغنينا عنها أحسن بناء. قلت لهم هذا القول وأنا خائف ألّا يجيبوني. فقالوا جميعاً بلسان واحد: نعم كرامة ومسرة، غداً نفرغها. فشكرت ذلك لهم وقاموا من حضرتي وأخذوا في تفريغها ـ وكان أكثرها باللبن والاخصاص ـ فهدمناها وجعلنا مكانها رحبة وأتانا الأمين وأنفقنا أموالاً جليلة، وكانت الغوالي في تغارات فضة وأكثر الشمع من عنبر في طساس ذهب، ثم انقضى العرس فبنيت للجيران منازلهم بالجص والآجر[1].

وفي (كامل المبرد): كان القعقاع بن شور إذا جالسه أحد وعرفه بالقصد إليه جعل له نصيباً في ماله وأعانه على عدوّه له في حاجته وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً له حتى شهر بذلك، وفيه يقول القائل:

وكنت جليس قعقاع بن شور ... ولا يشقى بقعقاع جليس

ضحوك السن إن أمروا بخير ... وعند السوء مطراق عبوس

وجالس رجل قوماً من مخزوم، فأساؤوا عشرته وسعوا به إلى معاوية، فقال:

شقيت بكم وكنت لكم جليساً ... فلستُ جليس قعقاع بن ثور[2]

ومن جهلٍ أبو جهل أخوكم ... غزا بدراً بمجمرة وتور

وفي (تاريخ بغداد) عن عون بن محمد الكندي قال: لعهدي بالكرخ ببغداد وان رجلاً لو قال ابن أبي دؤاد مسلم لقتل في مكانه، ثم وقع الحريق في الكرخ ـ وهو الذي ما كان مثله قط، كان الرجل يقوم في صينية شارع الكرخ

---

(١) الجهشياري: ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

(٢) الكامل للمبرّد ١٠: ١٥٢.

فيرى السفن في دجلة ـ فكلّم ابن أبي دؤاد المعتصم في الناس وقال له: رعيتك في بلد آبائك ودار ملكهم نزل بهم هذا الأمر فاعطف عليهم بشيء يفرّق فيهم يمسك أرماقهم ويبنون به ما انهدم عليهم ويصلحون به أحوالهم. فلم يزل ينازله حتى أطلق لهم خمسة آلاف ألف درهم. فقال له: إن فرقها عليهم غيري خفت ألا يقسم بينهم بالسوية فائذن لي في تولي أمرها ليكون الأجر أوفر والثناء أكثر. قال: ذلك إليك. فقسّمها على مقادير الناس وما ذهب منهم بنهاية ما يقدر عليه من الاحتياط واحتاج إلى زيادة، فازدادها من المعتصم وغرم من ماله في ذلك غرماً كثيراً. فكانت هذه من فضائله التي لم يكن لأحد مثلها. فلعهدي بالكرخ لو إنّ إنساناً قال «زر ابن أبي دؤاد وسخ» لقتل.

فيه أيضاً: اعتلّ ابن أبي دؤاد فعاده المعتصم وقال له: إنّي نذرت إن عافاك الله أن أتصدّق بعشرة آلاف دينار. فقال له: اجعلها لأهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الأسعار عنفاً. فقال: نويت أن أتصدّق بها ههنا وأنا أُطلق لأهل الحرمين مثلها. فقيل للمعتصم في ذلك ـ لأنّه عاده وليس يعود إخوته وأجلّاء أهله ـ فقال: وكيف لا أعود رجلاً ما وقعت عيني عليه قط إلّا ساق إليّ أجراً أو أحب لي شكراً أو أفادني فائدة تنفعني في دنياي وديني، وما سألني حاجة لنفسه قط[1].

وبالعكس من أساء معاشرة الناس يجتنبه الناس في حياته ويشمتون بموته بعد وفاته، قالوا: لما مات أبو عبيدة معمّر بن المثنى ـ مع كثرة تآليفه في الفنون المختلفة حتى قيل فيه إنّ علم الجاهلية والاسلام كان عنده ـ لم يحضر جنازته أحد لأنّه لا يسلم منه شريف ولا غيره.

وفي (تاريخ بغداد): ولّي معاذ بن معاذ ـ وكان له منزلة من الرشيد ـ

---

(١) تاريخ بغداد ٤: ١٤٩.

قضاء البصرة، فلم يحمدوا أمره وكثر الكارهون له والرقائع عليه، فلما صرف عن القضاء أظهر أهل البصرة السرور به ونحروا الجزور وتصدّقوا بلحمها واستتر في بيته خوف الوثوب عليه ثم شخص مختفياً[١].

وقالوا: لما نكب المعتصم الفضل بن مروان شمت به الناس لرداءة أفعاله وأخلاقه، فقيل فيه:

لتبك على الفضل بن مروان نفسه ... فليس له باك من الناس يعرف
لقد صحب الدّنيا منوعاً بخيرها ... وفارقها وهو الظلوم المعنف
إلى النار فليذهب ومن كان مثله ... على أي شيء فاتنا منه نأسف[٢]

وفي (اليعقوبي): سخط المتوكل بعد أربعين يوماً من خلافته على محمد بن عبد الملك الزيات واستصفى أمواله وعذّبه حتى مات، كان شديد القسوة قليل الرحمة كثير الاستخفاف بهم لا يعرف له إحسان إلى أحد ولا معروف عنده وكان يقول: الحياء والرحمة ضعف، والسخاء حمق. فلما نكب لم ير إلّا شامت به وفرح بنكبته[٣].

وفي (الطبري): قيل في الأمين بعد قتله:

لم نبكيك لماذا للطرب ... يا أبا موسى وترويج اللعب
ولترك الخمس في أوقاتها ... حرصاً منك على ماء العنب
وشنيف انا لا أبكي له ... وعلى كوثر لا أخشى العطب
لم تكن تعرف ما حدّ الرضا ... لا ولا ما حد الغضب[٤]

وفي (أنساب البلاذري): كان عمرو بن الزبير عظيم الكبر شديد العجب،

---

(١) تاريخ بغداد ٤: ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٢) تاريخ بغداد لليعقوبي ٤: ١٣٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ٤٨٤.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٩٤.

وله يقال: «عمرو لا يكلّم، من يكلّمه يندم».

٢
الحكمة (٣٦٠)

وقال عليه السلام:

لَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُوءاً وأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلاً.

أقول: روى (الكافي) عن الصادق عليه السلام: إنّ المؤمن إذا اتّهم أخاه المؤمن انماث الإيمان من قلبه كانمياث الملح في الماء[1].

هذا، وقال ابن أبي الحديد: قال ثمامة: نكب الرشيد علي بن عيسى بن ماهان وألزمه مائة ألف دينار أدّى منها خمسين ألف دينار وبلج بالباقي، فأقسم الرشيد إن لم يؤد اليوم قتله، وكان ابن ماهان عدوّاً للبرامكة مكاشفاً، فلما علم أنّه مقتول سأل أن يمكّن من الناس يستنجدهم فـفسح له في ذلك، فمضى ومعه وكيل الرشيد إلى باب يحيى وجعفر فأسبلا عليه وصححا من صلب أموالهما خمسين ألف دينار واستخلصاه، فنقل بعض المنتصحين لهما إليهما أنّ ابن ماهان قال في آخر ذاك اليوم متمثلاً:

فما بقيا عليّ تركتماني ولكن خفتما صرر النبال

فقال يحيى للناقل: إنّ المرعوب ليسبق لسانه إلى ما لم يخطر بقلبه. وقال جعفر: ومن أين لنا أنّه عنانا ولعلّه أراد أمراً آخر في تمثّله[2]...

قلت: نقله (الجهشياري) بطريق آخر كما مر في فصل المكارم، والكلام فيما كان المقال محتملاً للخير لا في مثله وانّما حمله يحيى عليه تكرّماً[3].

---

(١) الكافي ٢: ٣٦١ ح١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٢٧٧.

(٣) الجهشياري: ٢٢٨.

٣
الحكمة (٣٥)

وقال عليه السلام :

مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرِهُونَ قَالُوا فِيهِ بِما ـ هكذا في (المصرية)[١] والصواب: «ما» كما في غيرها ـ لَا يَعْلَمُون.

أقول: كان المغيرة بن الأسود المعروف بالأقيشر يغضب إذا قيل له أقيشر. فمرّ يوماً بقوم من بني عبس فقال رجل منهم: يا أقيشر، فسكت ساعة ثم قال:

أتدعوني الأقيشر ذاك اسمي ... وأدعوك ابن مطفئة السراج

تناجي خدنها بالليل سرّاً ... وربّ الناس يعلم ما تناجي[٢]

فسمّى الرجل «ابن مطفئة السراج» وولده يسبون بذلك إلى اليوم.

ودسّ جرير رجلاً إلى الأقيشر وقال قل له: إنّي جئت لأهجو قومك وتهجو قومي، فصار إليه فقال له ذلك، فقال له: ممّن أنت؟ قال: من تميم. فقال:

فلا أسداً أسبّ ولا تميماً ... وكيف يحلّ سب الأكرمينا

ولكن التقارض حل بيني ... وبينك يابن مضرطة العجينا

فسمّي الرجل «ابن مضرطة العجين»[٣].

وقالوا: شهد أعرابي عند معاوية بشيء كرهه، فقال له معاوية: كذبت. فقال له الأعرابي: الكاذب والله متزمل في ثيابك. فقال معاوية: هذا جزاء من عجل.

---

(١) الطبعة المصرية: ٦٦٦ ح ٣٥.

(٢) الأغاني ١١: ٢٥٣.

(٣) الشعر والشعراء: ٤٧٢ طبعة دار الكتب العلمية.

وقالوا: قل خيراً تسمع خيراً. قل خيراً تغنم[1].

ومن العجب أنّ ذلك مؤثر حتى في العشّاق، فقالوا: كان ذو الرمة المعروف بعشق مية قائلاً فيها أشعاراً كثيرة، فمكثت مية زماناً طويلاً لا تراه وتسمع شعره، فجعلت لله عليها أن تنحر بدنة إن رأته، فلما رأته رأت رجلاً أسود دميماً. فقالت: واسوأتاه ـ كأنّها لم ترضه ـ فقال ذو الرمة:

على وجه مي مسحة من ملاحة ... وتحت الثياب الشين لو كان بادياً

ألم تر أنّ الماء يخبث طعمه ... وإن كان لون الماء أبيض صافيا[2]

وقالوا: وفد ملاعب الأسنة مع إخوته ومعهم لبيد ـ وهو غلام ـ على النعمان ابن المنذر، فوجدوا عنده الربيع بن زياد العبسي ـ وكان ينادم النعمان وكانوا له أعداء، فكان إذ خلا الربيع بالنعمان طعن فيهم وذكر معائبهم، ففعل ذلك بهم مراراً، فدخلوا عليه يوماً فرأوا منه تغيّراً وجفاء وقد كان يكرمهم قبل ذلك ـ إلى أن قال ـ غدوا بلبيد معهم إلى النعمان فوجدوه يتغدى ومعه الربيع وهما يأكلان ليس معه غيره، فلما فرغ من الغداء دخلوا عليه فذكروا له حاجتهم فاعترض الربيع في كلامهم فقام لبيد يرتجز ويقول:

ياربّ هيجا هي خير من دعه ... أكل يوم هامتي مقزّعه

نحن بنو أم البنين الأربعه ... ومن خيار عامر بن صعصعه

المطعمون الجفنة المدعذعه ... والضاربون الهام تحت الخيضعه

ياواهب الخير الكثير من سعه ... إليك جاوزنا بلاداً مسبعه

مخبر عن هذا خبيراً فاسمعه ... مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه

إنّ استه من برص ملمعه ... وإنّه يدخل فيها إصبعه

---

(١) نهج البلاغة ١٠: ١٣٧.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤: ٣٩.

يــدخلها حــتى يــوارى أشــجعه كأنّــما يــطلب شــيئاً أطــمعه[١]

فالتفت النعمان إلى الربيع شزراً يرمقه فقال: أكذا أنت؟ قال: لا والله لقد كذب عليّ وانصرف. فبعث إليه النعمان بضعف ما كان يحبوه به وأمره بالانصراف إلى أهله. فكتب إليه الربيع: إنّي قد تخوفت أن يكون قد وقر في صدرك ما قال لبيد ولست برائم حتى تبعث من يجردني فيعلم من حضرك من الناس أني لستُ كما قال. فأرسل إليه: إنّك لست صانعاً بانتفانك مما قال لبيد شيئاً ولا قادراً على ما زلّت به الألسن فالحق بأهلك[٢].

٤
الحكمة (١٥٨)

وقال عليه السلام:

عَاتِبْ أَخَاكَ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَارْدُدْ شَرَّهُ بِالْإِنْعامِ عَلَيْهِ.

أقول: في (المعجم) عن أبي الفضل بن ثوابة قال: قدم البحتري النيل على أحمد الاسكافي مادحاً له فلم يثبه، فهجاه بقصيدة أوّلها «قصّة النيل فاسمعوها عجاب» وجمع إلى هجائه إيّاه هجاء بني ثوابة، وبلغ ذلك أبي فبعث إليه بألف درهم وثياباً ودابة بسرجها ولجامها، فردّه وقال: قد أسلفتكم إساءة فلا يجوز معه قبول صلتكم. فكتب إليه أبي: أما الإساءة فمغفورة والمعذرة مشكورة، والحسنات يذهبن السيئات، وما يأسو جراحك مثل يدك، وقد رددت إليك ما رددته عليّ، وأضعفته فإن تلافيت ما فرط منك أثبنا وشكرنا وإن لم تفعل احتملنا وصبرنا. فقبل البحتري: ما بعث به إليه. وكتب إلى أبي: كلامك والله أحسن من شعري، وقد أسلفتني ما أخجلني، وحملتني ما أثقلني،

---

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ١٥: ٣٦٣ ـ ٣٦٤، ذكر الأبيات في ديوان لبيد: ٩٢ ـ ٩٣ بدل أطمعه «ضيّعه».

(٢) ذكره الأصفهاني في الأغاني ١٥: ٣٦٣ ـ ٣٦٤.

وسيأتيك ثنائي. ثم غدا عليه بقصيدة أوّلها «ضلال لها ماذا أرادت من الصدّ» وقال فيه أيضاً ما أوّله «برق أضاء العقيق من صرمه» وما أوّله «إن دعاه داعي الهوى فأجابه» فلم يزل أبي بعد ذلك يصله ويتابع برّه لديه حتى افترقا[١].

وفي (شعراء القتيبي): كان بشر بن أبي حازم الأسدي في أوّل أمره يهجو أوس بن حارثة بن لام الطائي، فأسرته بنو نبهان من طي فركب إليهم أوس فاستوهبه منهم وأراد إحراقه، فقالت له سعدى أُمه: قبّح الله رأيك أكرم الرجل وأحسن إليه فانّه لا يمحو ما قال غير لسانه. ففعل فجعل بشر مكان كلّ قصيدة هجاء قصيدة مدح[٢].

وفي (كامل المبرد) : كان النعمان بن المنذر دعا بحلة وعنده وفود العرب من كلّ حي، فقال: احضروا في غد فإنّي ملبس هذه الحلة أكرمكم. فحضر القوم جميعاً إلّا أوس بن حارثة، فقيل له: لِمَ تخلفت؟ فقال: إن كان المراد غيري فأجمل الأشياء ألّا أكون حاضراً، وإن كنت أنا المراد فسأُطلب ويعرف مكاني. فلما جلس النعمان لم ير أوساً، فقال: اذهبوا إلى أوس فقولوا له: احضر آمناً ممّا خفت. فحضر فأُلبس الحلة، فحسده قوم من أهله فقالوا للحطيئة: اهجه ولك ثلاثمائة ناقة، فقال الحطيئة: كيف أهجو رجلاً لم يكن في بيتي أثاث ولا مال إلّا من عنده. ثم قال:

كيف الهجاء وما تنفكّ صالحة ... من آل لام بظهر الغيب تأتيني

فقال لهم بشر بن أبي حازم: أنا أهجوه لكم، فأخذ الإبل وفعل، فأغار أوس على الإبل فاكتسحها فجعل لا يستجير حيّاً إلّا قال قد أجرتك إلّا من أوس ـ وكان بشر في هجائه أوساً ذكر أُمّه ـ فأُتي به فدخل أوس على أُمّه فقال: قد

---

(١) معجم الأُدباء ٤: ١٥٥ ـ ١٥٦.

(٢) الشعراء للقتيبي: ٤٩.

أتينا ببشر الهاجي لك ولي فما ترين فيه؟ فقالت: أوتطيعني فيه؟ قال: نعم. قالت: أرى أن تردّ عليه ماله وتعفو عنه وتحبوه وأحبوه فإنّه لا يغسل هجاءه إلّا مدحه. فخرج إليه فقال له: إنّ أمي سعدى التي كنت تهجوها قد أمرت فيك بكذا وكذا. فقال: لا جرم والله لا مدحت أحداً حتى أموت غيرك، ففيه يقول :

إلى أوس بن حارثة بن لام　　　ليقضي حاجتي في من قضاها

وما وطئ الثرى مثل ابن سعدى　　　ولا لبس النعال ولا احتذاها[1]

وقال ابن أبي الحديد الأصل فيه قوله تعالى ﴿...ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليٌّ حميم﴾[2].

وفي (كامل المبرّد): عن ابن عائشة: قال رجل من أهل الشام : دخلت المدينة فرأيت رجلاً راكباً على بغلة لم أرَ أحسن وجهاً ولا ثوباً ولا مسمناً ولا دابة منه، فمال قلبي إليه، فسألت عنه فقيل: هذا الحسن بن علي. فامتلأ قلبي له بغضاً وحسدت علياً أن يكون له ابن مثله، فصرت إليه وقلت له: أنت ابن أبي طالب؟ فقال: أنا ابن ابنه. قلت: فبك وبأبيك ـ أسبّهما ـ فلما انقضى كلامي قال: أحسبك غريباً؟ قلت: أجل. قال: فمل بنا فإن احتجت إلى منزل أنزلناك أو إلى مال واسيناك أو إلى حاجة عاونّاك. فانصرفت عنه وما على الأرض أحد أحبّ إليّ منه[3].

وقال محمود الورّاق:

إنّي شكرت لظالمي ظلمي　　　وغفرت ذاك له على علم

ورأيته أسدى إليّ يداً　　　لما أبان بجهله حلمي

---

(١) الكامل للمبرّد ١: ١٩٨ ـ ١٩٩ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٧٨، والآية ٣٤ من سورة فصلت .

(٣) الكامل للمبرّد ١: ٣٥٠.

رجعت إساءته عليه وإحساني فعاد مضاعف الأجر
وغدوت ذا أجر ومحمدة وغدا بكسب الظلم والإثم
فكأنّما الاحسان كان له وأنا المسيء إليه في الحكم
مازال يظلمني وأرحمه حتى بكيت له من الظلم[1]

أُخذ هذا المعنى من قول رجل من قريش، قال له رجل منهم: إني مررت بآل فلان وهم يشتمونك شتماً رحمتك منه. قال: أفسمعتني أقول إلّا خيراً؟ قال: لا. قال: فايّاهم فارحم.

قلت: شعر الوراق وكلام القرشي غير مربوط بالمقام كما لايخفى[2].

٥
الحكمة (١٧٧)

وقال عليه السلام:

أَزْجُرِ الْمُسِيءَ بِثَوابِ الْمُحْسِنِ.

أقول: في (كنايات الجرجاني): كان المخبل السعدي في سفر، فأمّ بيتاً ضخماً في يوم حار، فلما وقف عليه سلّم فقيل له: أي الشراب أحبّ إليك؟ أنبيذ أم ماء أم لبن؟ قال: أيسره وأوجده. قالت: اسقوا الرجل ماء تمر، وأمرت فذبحت له شاة وصنعت فأكل وشرب، فلما راح قال: جزاك الله خيراً من منزل فما رأيت أكرم منك. قال: فإذا امرأة ضخمة فقال لها: ما اسمك يرحمك الله؟ قالت: رهواً. قال: سبحان الله أما وجد أهلك اسماً يسمّونك به أحسن من هذا؟ فقالت: سميتني أنت به. قال: إنّا لله أخليدة أنت؟ قالت: نعم. قال: واسوأتاه والله لا هجوت بعدك امرأة ـ أو قال تميمية ـ أبداً وأنشأ يقول:

لقد ضلّ حلمي في خليدة إنّني سأعتب ربي بعدها وأتوب

---

(١) و (٢) الكامل للمبرد ١: ٣٤٩، وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ١٨: ٣٧٨ ـ ٣٧٩.

وأُشهد ربَّ الناس أنْ قد ظلمتها وجُزْتُ عَليها والهجاء كذوب

والأصل فيه أنّ الزبرقان زوّج أُخته خليدة هزالاً من بني جشم بن عوف بعد أن قتل الهزال جاراً للزبرقان، فقال المخبل:

وأنكحت هزالاً خليدة بعدما زعمت لعمر الله أنّك قاتله

فأنكحته رهواً كأن عجانها مشيق أهاب أوسع السلح ناجله

يلاعبها فوق الفراش وجاركم بذي شبرمان تزال مفاصله

والرهو: الواسع[1].

وفي (تذكرة سبط بن الجوزي) قال الزهري: خرج علي بن الحسين عليه السلام يوماً من المسجد فتبعه رجل فسبّه، فلحقته العبيد والموالي فهمّوا بالرجل فقال: دعوه. ثم قال له: ما ستر الله عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيى الرجل، فألقى عليه السلام عليه خميصة كانت عليه وأعطاه ألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول: أشهد أنّك من أولاد الرسول[2].

وقال ابن سعد: كان هشام بن اسماعيل المخزومي والي المدينة، وكان يؤذي علي بن الحسين عليه السلام ويشتم علياً على المنبر وينال منه، فلما ولي الوليد عزله وأمر به ان يوقف للناس، فقال هشام «والله ما أخاف إلّا من علي بن الحسين إنّه رجل صالح يسمع قوله» فأوصى علي بن الحسين عليه السلام أصحابه ومواليه وخاصّته ألا يتعرّضوا له، ثم مرّ علي عليه السلام في حاجته عليه. فما عرض له. فناداه هشام ـ وهو واقف للناس ـ الله أعلم حيث يجعل رسالته[3].

(١) الكنايات للجرجاني: ٨٣ ـ ٨٤.

(٢) التذكرة لسبط بن الجوزي: ٢٤٠.

(٣) تذكرة الخواص: ٣٣٧ ـ ٣٣٨.

٦
الحكمة (١٧٨)

وقال عليه السلام:

احصدِ الشّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِن صَدْرِكَ.

أقول: قال ابن أبي الحديد هذا يفسر على وجهين: أحدهما يعني «لا تضمر لأخيك سوءاً فإنّك إلّا تضمر ذاك لا يضمر هو لك سوءاً لأنّ القلوب يشعر بعضها ببعض» والثاني يعني «لا تعظ الناس ولا تنههم عن منكر إلّا وأنت مقلع عنه فإنّ الواعظ الذي ليس يزكى لا ينجع وعظه ولا يؤثر نهيه»[١].

قلت: المعنى الثاني الذي قاله بمراحل عن المقام، وأما الأوّل وإن كان قريباً إلّا أنّه قاصر عن أداء المراد، فمجرد عدم إضمار الشرّ لغيرك لا يكفي في قلعه من صدر غيرك إذا كان مضمراً لشرّ لك، بل بإظهار آثاره له.

ومما يناسبه ما في (الأغاني): حضر حمّاد عجرد ومطيع بن أياس مجلس محمد بن خالد أمير الكوفة، فتمازحا فقال حمّاد:

يا مطيع يا مطيع أنت إنسان رفيع

وعن الخير بطيء وإلى الشرّ سريع

فقال مطيع:

إن حمّاداً لئيم الأصل عديم

لا ترى الدهر إلا بهن العير يهيم

فقال حمّاد: ويلك أترميني بدائك والله لولا كراهتي لتمادي الشرّ ولجاج الهجاء لقلت لك قولاً يبقى ولكن لا أفسد مودّتك ولا أكافئك إلّا بالمديح. فقال:

كلّ شيء لي فداء لمطيع بن أياس

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٤١١.

رجـــــل مســـــتملح فـــي ليـــن وشـــماس

عدل روحي بين جنبي وعـــــيني بـــرأســـي

غـــــرس الله له فـــــي كبدي أحـلى غـراس[١]

٧
الحكمة (٣١٤)

وقال عليه السلام :

رُدُّوا الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ فَإِنَّ الشَّرَّ لاَ يَدْفَعُهُ إِلَّا الشَّرُّ.

أقول: أمّا قوله عليه السلام «ردوا الحجر من حيث جاء» فذكره الكرماني في (أمثاله)[٢] وقال: «يعني لا تقبل الضيم وارم من رماك» إلّا أنّ كونه مثلاً لغيره عليه السلام غير معلوم أوّلاً، وإنّما المثل قولهم «رمى فلان بحجره» ذكره العسكري في (أمثاله)[٣] وقال: أي رمى بقرنه.

قال الأحنف لعلي عليه السلام ـ حين بعث معاوية عمراً حكماً ـ : إنّك قد رميت بحجر الأرض ومن كاد الإسلام وأهله عصراً وهو سن قريش وداهية العرب وقد رضيت بأبي موسى وهو رجل يمان وما تدرى نصيحته ضم به رجلاً من قريش واجعلني ثانياً فليس صاحب عمرو إلّا من دنا حتى يظنّ أنّه قد بالغه وهو منه بمنزلة النجم. فقال عليه السلام : والله ما أردت التحكيم ولا رضيت به وقد أبى الناس إلّا أبا موسى وغلبوني[٤].

وكون معناه ما ذكره غير معلوم ثانياً، بل الظاهر أنّ المعنى «ادفع الشر بشر من جنسه» .

---

(١) الأغاني ١٤: ٣٥٧ـ٣٥٨.

(٢) ذكره الميداني «رُدَّ الحجر» ١: ٣١٨.

(٣) جمهرة الأمثال للعسكري: ٣١٢.

(٤) تاريخ الخلفاء ١: ١٣١، ما تفق معه.

وفي (تاريخ بغداد) في محمد بن جعفر الادمي العماري عن ابن الاكفاني قال: قال أبي: حججت في بعض السنين وحجّ في تلك السنة البغوي والادمي القاري فلما صرنا بالمدينة جاءني البغوي فقال: ههنا رجل ضرير قد جمع حلقة في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله وقعد يقصّ ويروي الأخبار المفتعلة، فإن رأيت أن نمضي إليه لننكر عليه ونمنعه. فقلت له: أنّ كلامنا لا يؤثر مع هذا الجمع الكثير ولسنا ببغداد فيعرف موضعنا، ولكن ههنا أمر آخر وهو الصواب. وأقبلت على الادمي وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن وأجهرهم بالقراءة فما هو إلّا ان ابتدأ بالقراءة حتى انفلت الحلقة وانفصلوا عنه وأحاطوا بنا يسمعون قراءة الادمي وتركوا الضرير وحده، فسمعته يقول لقائده: خذ بيدي فهكذا تزول النعم(١).

هذا، ومن لطائف الصاحب أنّ ابن فارس لما أرسل إليه من همدان كتابه المترجم بالحجر قال: «ردوا الحجر من حيث جاء».

وأمّا قوله عليه السلام : «فإنّ الشر لا يدفعه إلّا الشرّ» فالمراد به واضح، ويوضح المراد من الأول ونذكر له أمثلة .

الأول: في (كامل الجزري): كان الحسن بن مخلد، وموسى بن عبد الملك قد انقطعا إلى عبيدالله بن يحيى بن خاقان ـ وزير المتوكل ـ وكان الحسن على ديوان الضياع وموسى على ديوان الخراج، فكتب نجاح بن سلمة الكاتب رقعة إلى المتوكل أنّهما خانا وأنّه يستخرج منهما أربعين ألف ألف، فقال له المتوكل: بكّر عليّ غداً حتى أدفعهما إليك. فغدا وقد رتب أصحابه لأخذهما، فلقيه عبيدالله وقال له: أنا أشير عليك بمصالحتهما وتكتب رقعة أنّك كنت شارباً وتكلّمت ناسياً وأنا أُصلح بينكما وأُصلح الحال عند المتوكل. ولم

---

(١) تاريخ بغداد ٢: ١٤٧ .

يزل يخدعه حتى كتب خطّه بذلك، فصرفه وأحضر الحسن وموسى وعرفهما الحال وأمرهما أن يكتبا في نجاح وأصحابه بألفي ألف دينار، ففعلا فأخذ عبيدالله الرقعتين وأدخلهما على المتوكل وقال: قد رجع نجاح عمّا قال وهذه رقعة موسى والحسن يتقبلان بما كتبا، فخذ ما ضمنا عليه ثم تعطف عليهما فتأخذ منهما قريباً منه. فأمر المتوكل بدفع نجاح إلى موسى والحسن، فأخذاه وأولاده فأقروا بنحو مائة وأربعين ألف دينار سوى الغلّات والغرس والضياع، فقبض ذلك أجمع وضرب ثم عصرت خصيتاه حتى مات[1].

الثاني: فيه أيضاً: بعث عثمان ابن الزبير لمدد عبدالله بن أبي سرح، فلما دخل العسكر لم ير في القتال ابن أبي سرح فقيل إنّه سمع منادي جرجير ـ خصمه ـ يقول «من قتل عبدالله فله مائة ألف دينار وأُزوّجه ابنتي» فيخاف الحضور، فذهب ابن الزبير عنده وقال له: تأمر منادياً ينادي «من أتاني برأس جرجير نفلته ماله وزوّجته ابنته واستعملته على بلاده». ففعل ذلك وصار جرجير يخاف أشدّ من ابن أبي سرح[2].

الثالث: في (وزراء الجهشياري): شخص عمر بن هبيرة إلى هشام بن عبد الملك، فتكلّم بكلام استحسنه هشام، فأقبل على سعيد بن الوليد الكلبي وقال: ما مات من خلف مثل هذا. فقال له سعيد: ليس هناك أما تراه يرشح جبينه يضيق صدره. فقال ابن هبيرة: ما لذلك رشحت يا سعيد ولكن لجلوسك ولست بأهلي[3].

الرابع: أيضاً: كان سعيد الكلبي يحبّ أن يفسد حال ابن هبيرة عند

---

(١) الكامل ٧: ٨٨ ـ ٨٩.

(٢) المصدر نفسه ٣: ٨٩ ـ ٩٠.

(٣) الوزراء للجهشياري: ٥٩.

هشام وكان يسير إذا ركب هشام بالبعد منه ـ وكان هشام معجباً بالخيل ـ فاتخذ سعيد عدّة خيل جياد وأضمرها وأمر المجرين لها أن يعارضوا هشاماً إذا ركب، فان سألهم قالوا: إنّها لابن هبيرة. فركب هشام يوماً فعورض بالخيل فنظر إلى قطعة من الخيل حسنة فقال: لمن هذه؟ فقالوا: لابن هبيرة. فاستشاط غضباً وقال: واعجباه اختان ما اختان ثم هو يباريني في الخيل، عليّ به. فدعي به من جانب الموكب، فجاء مسرعاً فقال: ما هذه ولِمن هي؟ ورأى الغضب في وجهه، فعلم أنّه قد كيد فقال: خيل لك علمت عجبك بها وانا عالم بجيادها فاخترتها وطلبتها من مظانّها فمر بقبضها. فأمر بقبضها، وكان ذلك سبب إقباله عليه ولم يتهيأ لسعيد أن يتكلّم وإنّما ظنّ أنّ هشاماً يغضب ولا يسأل فتتم الحيلة على صاحبه فانعكست الحيلة عليه حيلة له[1].

الخامس: في (المروج): ذكر رجل من الكتّاب أنّ إسحاق بن ابراهيم ـ أخا زيد بن ابراهيم ـ حدّثه أنّه كان يتقلّد الصيمرة والسيروان وأنّ إبراهيم بن العباس اجتاز به يريد خراسان والمأمون بها وقد بايع بالعهد لعلي بن موسى الرضا عليه السلام وقد امتدحه بشعر يذكر فيه فضل آل علي عليهم السلام وأنّهم أحقّ بالخلافة من غيرهم، فاستحسنت القصيدة وسألته أن ينسخها لي ففعل ووهبت له ألف درهم وحملته على دابة، وضرب الدهر من ضربه إلى أن ولّي ابراهيم ديوان الضياع مكان موسى بن عبد الملك ـ وكنت أحد عمّال موسى ـ وكان يحب أن يكشف أسباب موسى، فعزلني وأمرني أن تعمل مؤامرة فعملت وكثر عليّ فيها فحضرت للمناظرة عنها فجعلت أحتجّ بما لا يدفع فلا يقبله ويحكم لي الكتاب فلا يلتفت إلى حكمهم ويسمعني في خلال ذلك بدعاً من الكلام، إلى أن أوجب عليّ الكتّاب اليمين على باب من الأبواب فحلفت عليه

---

(١) الوزراء والكتاب للجهشياري: ٢٩.

فقال: ليست يمين السلطان عندك يميناً لأنّك رافضي. فقلت له: تأذن في الدنو منك. فاذن لي، فقلت: ليس مع تعريضك بمهجتي للقتل صبر وهاهو المتوكل ان كتبت إليه بما أسمع منك لم آمنه على نفسي، وقد احتملت كلّ ما جرى سوى الرفض، والرافضي من زعم أنّ علياً عليه السلام أفضل من العباس وأنّ ولده عليهم السلام أحقّ بالخلافة من ولد العباس. قال: ومن ذلك؟ قلت: أنت وخطك عندي به. وأخبرته بالشعر. فوالله ما هو إلّا أن قلت ذلك له حتى سقط في يده، ثم قال: أحضر الدفتر الذي بخطي. فقلت له: هيهات، لا والله أو توثق لي بما أسكن إليه أنّك لا تطالبني بشيء ممّا جرى على يدي وتخرق هذه المؤامرة ولا تنظر لي في حساب. فحلف لي على ذلك، وخرق العمل المعمول وأحضرته الدفتر فوضعه في خفّه وانصرفت وقد زالت عني المطالبة[1].

السادس: في (تاريخ بغداد): لمّا عزل شريك عن القضاء تعلّق به رجل ببغداد فقال: لي عليك ثلاثمائة درهم فأعطنيها. قال: ومن أنا؟ قال: شريك القاضي. قال: ومن أين هي لك؟ قال: ثمن هذا البغل الذي تحتك. قال: نعم تعال. فجاء يمشي معه حتى بلغ الجسر. قال: من ههنا. فقام إليه الشرط فقال: خذوا هذا فاحبسوه لئن اطلقتموه لأخبرنّ أبا العباس. فقالوا: إنّ هذا الرجل يتعلّق بالقاضي إذا عزل فيدعي عليه فيفتدى منه، وقد تعلّق بسلمة الأحمر حين عزل عن واسط فأخذ منه أربعمائة درهم فقال: هكذا. قالوا: نعم. فكلّم فيه، فأبى أن يطلقه. فقال له أبو العباس: إلى كم تحبس هذا الرجل؟ قال: حتى يرد على سلمة الأحمر أربعمائة درهم. فردّ على سلمة أربعمائة، فجاء سلمة إلى شريك فشكر له فقال له: يا ضعيف كلّ من سألك مالك أعطيته إيّاه[2].

---

(١) المروج ٤: ٢٣.

(٢) تاريخ بغداد، لم نعثر عليه في ترجمة شريك بن عبدالله القاضي ٩: ٢٧٩ وما بعده.

السابع: في (نسب قريش مصعب الزبيري): كان عبد الملك غضب غضبة فكتب إلى هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة عامله على المدينة وأبو أُمّ ابنه هشام أن أقم آل علي يشتمونه وآل ابن الزبير يشتمون ابن الزبير. فأبى الجميع وكتبوا وصاياهم فركبت أُخت له إليه وقالت: فان كان لابد من أمر فمر آل علي يشتمون آل الزبير ومر آل الزبير يشتمون آل علي. قال: هذه أفعلها. فاستبشر الناس بذلك ـ إلى أن قال بعد إباء الحسن بن الحسن لشتم آل الزبير وقبول أبي هاشم بن محمد بن الحنفية لذلك وعدم حضور عامر بن عبدالله بن الزبير لذلك حتى قيل لهشام إنّه لا يفعل أتقتله؟ وقال عامر: إنّ بني أُمية يغرون بشتم علي وما يريد الله بذلك إلّا رفعته، فإن الله لم يرفع شيئاً فاستطاع أحد خفضه. فقدم ثابت بن عبدالله بن الزبير ـ وكان غائباً وهو ابن خالة الحسن بن الحسن ـ على هشام وقال له: كنت غائباً فاجمع لي الناس آخذ بنصيبي. فقال له هشام: وما تريد فلود من حضر أنّه لم يحضر. قال: لتفعلن أو لأكتبن إلى عبدالملك، فجمع له الناس فقام فقال: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾[1] ـ إلى أن قال ـ لعن الله الأشدق لطيم الشيطان المتمني ما ليس له هو أقصر ذراعاً وأضيق باعاً، ألا لعن الله الأحول الأثعل المترادف الأسنان المتوثب في الفتنة وثوب الحمار المقيد محمد بن أبي حذيفة رامي أمير المؤمنين برؤوس الافانين، ألا لعن الله عبيدالله الأعور بن عبد الرحمن بن سمرة شرّ العصاة اسماً وألأمها مرعاً وأقصرها فرعاً لعنه الله ولعن التي تحته ـ يعرض بأُمّ هشام بن اسماعيل وكان عبيد الله خلف عليها بعد اسماعيل

(١) المائدة: ٧٨ ـ ٧٩.

ـ فلما بلغ ثابت هذا القول أمر به هشام إلى الحبس وقال: ما أراك تشتم إلّا رحم الخليفة. فقال له ثابت: إنّهم عصاة مخالفون فدعني حتى أشفي الخليفة منهم، فلم يزل ثابت في السجن حتى بلغ خبره عبد الملك فكتب أن اطلقوه فإنّه إنّما شتم أهل الخلاف[١].

قلت: إنّ ثابتاً لعن محمد بن أبي حذيفة لكونه من بني عبد شمس، ومراده بوثوبه في الفتنة إنكاره على عثمان بدعه وإعلانه شنائعه، كان من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر حقّاً حتى قتلوه على ذلك فكان ثابت أولى باللعن منه.

٨
الحكمة (١٥٩)

وقال عليه السلام :

مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَواضِعَ التُّهْمَةِ فَلاَ يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ.

أقول: رواه (الكافي) عن السكوني عن الصادق عليه السلام عنه عليه السلام[٢]، ورواه أمالي الصدوق[٣] عن أبي الجارود عن أبي جعفر عن أبيه عنه عليهم السلام ، وروى (الاختصاص) عن أبي الجارود قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام : «من أوقف نفسه موقف التهمة فلا يلومن من أساء به الظنّ، ومن كتم سرّه كانت الخيرة بيده»[٤].

وروى (أمالي ابن الشيخ) عن العقيلي أنّه عليه السلام قال لابنه الحسن «وإيّاك ومواطن التهمة والمجلس المظنون به السوء، فإنّ قرين السوء

---

(١) نسب قريش: ٤٧ ـ ٤٩ بتصرف.

(٢) الكافي للكليني ٨: ٥٢ ح ١٣٧.

(٣) الأمالي للصدوق: ١٨٢، رواه مسندة.

(٤) الاختصاص: ٢٢٦.

يغرّ جليسه»[١].

وفي (المستطرفات) عن جامع البزنطي عن الصادق عليه السلام: اتقوا مواقف الريبة، ولا يقفن أحدكم مع أمه في الطريق فإنّه ليس كلّ أحد يعرفها[٢].

وقال ابن أبي الحديد: رأى بعض الصحابة النبيّ صلى الله عليه وآله واقفاً في درب من دروب المدينة ومعه امرأة فسلّم عليه فرد عليه، فلما جاوزه ناداه فقال: هذه زوجتي فلانة. فقال: أوفيك يظن؟ فقال: إنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم[٣].

قلت: إنّما روى (سنن أبي داود) في باب (المعتكف يدخل البيت) عن صفية أتيت النبيّ صلى الله عليه وآله أزوره ليلاً ـ وكان معتكفاً ـ فحدّثته ثم قمت فانقلبت فقام معي ليقلبني فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبيّ صلى الله عليه وآله أسرعا فقال: على رسلكما إنّها صفية بنت حي. قالا: سبحان الله يا رسول الله. قال: إنّ الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم فخشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً[٤].

٩
الحكمة (٤٠١)

وقال عليه السلام:

مُقارَبةُ الناسِ فِي أَخْلاقِهِم أَمْنٌ مِنْ غَوائِلِهِمْ.

أقول: وعنه عليه السلام: إنّ أحسن ما يألف به الناس قلوب أودّائهم ونفوا به الضغن عن قلوب أعدائهم، حسن البشر عند لقائهم والتفقد عنهم في غيبتهم

---

(١) الأمالي للمفيد: ٣٣٥.

(٢) المستطرفات لابن إدريس: ٦٢ ورد بلفظ «الريب» وليس «الريبة»، عنه في البحار ٧٥: ٩١، والوسائل ٨: ٤٢٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٨٠.

(٤) السنن لأبي داود ٢: ٣٣٣ ح ٢٤٧٠.

والبشاشة عند حضورهم[١].

قلت: وكأن «والبشاشة...» كان نسخة بدلية من «حسن البشر...» مع التقديم والتأخير.

وفي (المعجم): كان الواثق يجري على المازني كلّ شهر مائة دينار لأنّه أجاب في قوله تعالى ﴿...وما كانت أُمّك بغيّاً﴾[٢] لِمَ لم يقل «بغيّة» جواباً صحيحاً. قال المازني: ولما مات الواثق ذكرت للمتوكل فأشخصني فلما دخلت إليه رأيت من العدّة والسلاح والأتراك ما راعني والفتح بن خاقان بين يديه، وخشيت إن سُئلتُ عن مسألة ألا أُجيب فيها، فلما مثلت بين يديه وسلّمت قلت: أقول كما قال الاعرابي :

لا تقلواها وأدلواها دلواً	إنّ مع اليوم أخاه غدوا

فلم يفهم عني ما أردت واستبردت فأُخرجت ـ والقلو رفع السير والدلو إدناؤه ـ ثم دعاني بعد ذلك فقال: انشدني أحسن مرثية قالت العرب. فأنشدته قول أبي ذؤيب «أمِنَ المنون وريبها تتوجّع» وقصيدة متمم «لعمري وما دهري بتأبين هالك» وقول كعب الغنوي «تقول سليمى ما لجسمك شاحباً» وقصيدة محمد بن مناذر «كل حيٍّ لاقى الحمام يودى» فكان كلّما أنشدته قصيدة يقول ليست بشيء. ثم قال: من شاعركم اليوم بالبصرة؟ قلت: عبد الصمد بن المعذل. قال: فأنشدني له. فأنشدته أبياتاً قالها في قاضينا ابن رباح:

أيا قاضية البصرة	قومي فارقصي قطرة
ومري بروشنك فماذا	البرد والفترة
اراك قد تثيرين	عجاج القصف يا حرّة

---

(١) بحار الأنوار ٧٨: ٥٧ ح ١٢٤ الباب (١٦).

(٢) مريم: ٢٨.

بـــتجذيفك خـــديك وتـــجعيدك للـــطرة

فاستحسنها واستطار لها وأمر لي بجائزة، فجعلت أتعمل له أن احفظ أمثالها فأنشده إذا وصلت إليه فيقبلني[١].

وفي (تاريخ بغداد): شهد أبو دلامة عند ابن أبي ليلى لامرأة على حمار هو ورجل آخر من أصحاب القاضي ، فعدل الرجل ولم يعدل أبا دلامة وقال للمرأة زيديني شاهداً، فأتت أبا دلامة فأخبرته، فأتى ابن أبي ليلى فأنشده:

إنِ الناس غطوني تـغطيت عـنهُمُ وإنْ بحثوا عـني فـفيهم مـباحثُ

وإن حفَروا بئري حفرْتُ بئارهم ليعلم قـومي كـيف تـلك النـبائثُ

فقال ابن أبي ليلى: أجزنا شهادتك يا أبا دلامة. وبعث إلى المرأة وقال لها: كم ثمن حمارك؟ قالت: أربعمائة. فأعطاه أربعمائة[٢].

وأيضاً: قدم مؤمل بن إهاب الرملة فاجتمع عـليه أصـحاب الحـديث ـ وكان ذعراً ممتنعاً ـ فألحّوا عليه فامتنع أن يحدّثهم، فمضوا بأجمعهم وألّفوا منهم فئتين فتقدّموا إلى السلطان فقالوا له: إنّ لنا عبداً خلاسياً له علينا حـق صحبة وتربية وقد كان أدَّبنا وأحسن لنا التأدّب وآلت بنا الحال إلى الإضافة بحمل المجرة وطلب الحديث، وإنا أردنا بيعه فامتنع علينا. فقال لهم السلطان: وكيف أعلم صحّة ما ذكرتم؟ قالوا: إنّ معنا بالباب جماعة من حـملة الآثـار وطلّاب العلوم وثقات الناس يكتفي بالنظر إليـهم دون المسألة عـنهم وهـم يعلمون ذلك، فتأذن بوصولهم إليك لتسمع منهم. فأدخلهم السلطان وسـمع مقالتهم ووجّه خلف (مؤمل) بالشرط والأعوان يدعونه إلى السلطان، فتعذّر فجذبوه وجرروه وقالوا: أُخبرنا أنّك قد استطعمت الإباق. فصار مـعهم إلى

(١) المعجم ٧ : ١٢٠.

(٢) تاريخ بغداد ٨ : ٤٩٠.

السلطان، فلما دخل عليه قال له: ما يكفيك ما أنت فيه من الاباق حتى تـتعزز على سلطانك؟ امضوا به إلى الحبس. فحبس، وكان مؤمل من هيئته أنّه أصفر طوال خفيف اللحية يشبه عبيد أهل الحجاز، فلم يزل في حبسه أيّاماً حتى علم بذلك جماعة من اخوانه فصاروا إلى السلطان وقالوا: هذا في حبسك مظلوم. فقال لهم: ومَن ظَلمه؟ قالوا: أنت.قال: ما أعرف من هذا شيئاً. قالوا: الشيخ الذي اجتمع عليه جماعة. فقال: ذاك العبد الآبق. فقالوا: ما هو بآبق بل هو إمام من أئمة المسلمين في الحديث. فأمر بإخراجه وسأله عن حاله فأخبره كما أخبره الذين جاؤوا يذكرون له حاله، فصرفه وسأله أن يحلّه، فلم ير مؤمل بعد ذلك ممتنعاً امتناعه الأول[١].

أيضاً: قدم شريك القاضي البصرة فأبى أن يحدّثهم، فاتبعوه حين خرج وجعلوا يرمونه بالحجارة.

في (الجهشياري): كان يحيى البرمكي إذا رأى من الرشيد شيئاً ينكره لم يستقبله بالإنكار وضرب له الأمثال وحكى له عن الملوك والخلفاء ما يوجب مفارقة ما أنكره ويقول «في النهي إغراء وهو من الخلفاء أحرى، فإنّك وإن لم تقصد إغراءه إذا نهيته أغريته»[٢].

وفي (المروج): إنّ الأمين لما حلف للرشيد بما حلف له به ـ أي فيما عهد إليه أبوه في أخيه ـ وأراد الخروج من الكعبة ردّه جعفر البرمكي وقال له: فان غدرت بأخيك خذلك الله ـ حتى فعل ذلك ثلاثاً ـ فاضطغنت بذلك أُم الأمين على جعفر، فكانت أحد من حرّض الرّشيد عليه وعلى ما نزل به.

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣ : ١٨٢ .

(٢) الجهشياري: ٢٠٣ .

ومن لا يصانع في أُمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم[١]

وفي (بيان الجاحظ): قال الشاعر:

تحامَقْ مع الحمقى إذا ما لقيتهم ولا تلقهم بالعقل إنْ كنت ذا عقل
فإنّي رأيت المرء يشقى بعقله كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل[٢]

وقال آخر:

وأنزلَني طول النوى دار غربة إذا شئت لاقيت امرأً لا أُشاكله
فحامقته حتى يقال سجيّة ولو كان ذا عقل لكنت أُعاقله[٣]

وأنشدني آخر:

وللدهر أيام فكن في لباسه
كلبسته يوماً أجدَّ وأخلقاً
وكن أكيس الناس إذا كنت فيهم
وإن كنت في الحمقى فكن أنت أحمقا[٤]

وقال شاعر:

إن تلقك الغربة في معشر قد أجمعوا فيك على بغضهم
فدارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم

وقال حمد الخطابي:

ما دمت حيّاً فَدارِ الناس كُلهُمُ
فإنّما أنت في دار المداراة

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٣٥٤.

(٢) بيان الجاحظ ١: ٢٤٥ مع تغيير.

(٣) المصدر نفسه ٤: ٢١.

(٤) بيان الجاحظ ٤: ٢١.

إنّ من يدر داري ومن لم يدر سوف يرى
عمّا قليل نديماً للندامات[١]

١٠
الحكمة (٣٦٢)

وقال عليه السلام:

مَنْ ضَنَّ بِعِرْضِهِ فَلْيَدَعِ الْمِرَاءَ.

أقول: في (الكافي): عن الصادق عليه السلام: قال جبرئيل للنبيّ صلى الله عليه وآله: إيّاك وملاحاة الرجال[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إيّاكم والمراء والخصومة، فانّهما يمرضان القلوب على الاخوان وينبت عليها النفاق[٣].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: ثلاث من لقي الله تعالى بهنّ دخل الجنّة من أي باب شاء: من حسن خلقه، وخشي الله في المغيب والمحضر، وترك المراء وإن كان محقّاً[٤].

هذا، وفي (كتاب سيبويه): «إيّاك الأسد» لا يجوز بدون واو بينهما. وعن ابن أبي إسحاق جوازه في الشعر لقوله:

إيّاك إياك المراء فإنّه
إلى الشرّ دعّاء وللشرّ جالب[٥]

(١) معجم الأدباء ١٠: ٢٧٢.

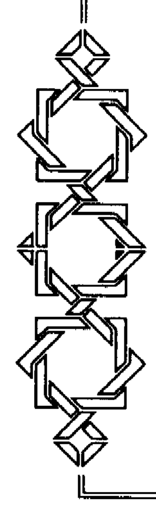
(٢) الكافي ٢: ٣٠١ ح٦.

(٣) و (٣) الكافي ٢: ٣٠٠ ح ١ ـ ٢.

(٥) الكتاب، لسيبويه ١: ٢٧٩.

الفصل السادس والاربعون

في الاصدقاء



١
الحكمة (١١)

قال عليه السلام:

أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الْإِخْوَانِ، وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفَرَ بِهِ مِنْهُمْ.

«أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان» نظيره ما في (العلل)، قال الأصبغ: كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أراد أن يوبّخ الرجل يقول له: «والله لأنت أعجز من تارك الغُسل يوم الجمعة، فإنّه لايزال في همّ إلى الجمعة الأُخرى»[1].

وكذا ما عنه عليه السلام: أسوأ الناس حالاً من لم يثق بأحد لسوء ظنّه ولم يثق به أحد لسوء فعله[2].

وفي (الظرائف واللطائف):

---

(١) العلل: ٢٨٥ ح ٢.

(٢) بحار الأنوار ٧٨: ٩٣ ح ١٠٤ من حديث مفصل الباب ١٦.

تكثّر من الاخوان ما استطعت انّهم عماد اذا ما استنجدتهم وظهير
وما يكثر ألف خل وصاحب وان عدواً واحداً لكثير[١]

الصديق عمدة الصديق وعدّته، ونصرته وعقدته، وربيعه وزهرته، ومشتريه وزهرته، ولقاء الصديق روح الحياة، وفراقه اسم الممات، والحاجة إلى الأخ المعين كالحاجة إلى الماء المعين[٢].

وقال ابن أبي الحديد قال الشاعر:

أخاك أخاك إنّ من لا أخاً له كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح
وإنّ ابن عم المرء ـ فاعلم ـ جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح
لعمرك ما مال الفتى بذخيرة ولكن اخوان الصفاءِ الذخائر[٣]

وكان أيوب السختياني اذا بلغه موت أخ له يقول: كأنّما سقط عضو منّي.

وقال جعفر بن محمد عليه‌السلام: لكلّ شيء حلية وحلية الرجل أودّاؤه[٤].

وفي الخبر: لما قتل بمؤتة جعفر بكى النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله وقال: المرء كثير بأخيه[٥].

«وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم» نظيره ما في (تاريخ بغداد) ان شعيب بن حرب أراد أن يتزوج بامرأة فقال لها: اني سيّىء الخلق. قالت: وأسوأ خلقاً منك من أحوجك إلى أن تكون سيّىء الخلق. فقال: أنت

(١) الظرائف واللطائف: ٧٥.
(٢) الظرائف واللطائف: ٧٦.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١١٣.
(٤) الكافي ٢: ٦١٥ ح ٩.
(٥) بحار الأنوار ٢١: ٥٧ ح ٨ الباب ٢٤.

اذن امرأتي[١].

٢
الحكمة (٢٣٩)

وقال عليه السلام:

مَنْ أَطَاعَ التَّوانِيَ ضَيَّعَ الْحُقُوقَ، وَمَنْ أَطَاعَ الْواشِيَ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ.

«من أطاع التّواني ضيّع الحقوق».

أبو المعافي:

ان التـوانـي أنكـح العـجز بـنته ... وساق إليها حـين زوّجـها مـهرا
فراشاً وطـيئاً ثـم قـال لهـا اتّكـي ... فقصركما عندي لأن تلدا الفقرا[٢]

قيل ـ لمّا قتل الصغد سعيد بن عثمان وكان عبد الرحمن بن ارطان بن سيحان معه في الدار فلم ينصره:

ان المؤاكـل لم تـصدق مـودته ... وفر عنه ابن ارطاة بن سـيحانا

وقال البحتري في اسماعيل بن شهاب:

ازرى بـه مـن غـدره بـصديقه ... وعـقوقه لأخـيه مـا ازرى بـه
فـي كـلّ يـوم وقـفة بـفنائه ... تـخزي الشـريف وردة عـن بـابه
اسـمع لغـضبان تـثبت سـاعة ... فـبداك قـبل هـجائه بـعتابه
الله يسـهر فـي مـديحك ليـله ... مـتململاً وتـنام دون ثـوابـه
يـقظان يـنتخب الكـلام كأنّـه ... جـيش لديـه يـريد أن يـلقى بـه
فأتى بـه كـالسيف رقـرق صـيقل ... مـا بـين قـائم سـنخه وذبـابه
وحـجبته حـتى تـوهّم انّـه ... هـاج اتـاك بشـتمه وسـبابه

(١) تاريخ بغداد ٩: ٢٤٠.

(٢) ربيع الأبرار للزمخشري ٣: ٦١٠.

واذا الفتى صحب التباعد واكتسى كبراً عليّ فلست من أصحابه[1]

«ومن أطاع الواشي ضيّع الحقوق» في (الأغاني): كان الحرث بن مارية الغساني ـ ملك الشام ـ مكرّماً لزهير بن جناب الكلبي ينادمه ويحادثه، فقدم على الملك رجلان من بني نهد بن زيد يقال لهما سهل وحزن ابنا رزاح وكان عندهما حديث من أحاديث العرب، فاجتباهما الملك ونزلا بالمكان الأثير منه فحسدهما زهير فقال: أيّها الملك والله هما عين لذي القرنين ـ يعني المنذر الأكبر ـ عليك وهما يكتبان إليه بعورتك وخلل ما يريان منك. قال: كلا. فلم يزل به زهير حتى أوغر صدره، وكان اذا ركب يبعث إليهما ببعيرين يركبان معه فبعث إليهما بناقة واحدة فعرفا الشرّ، فلم يركب أحدهما وتوقف فقال له الآخر:

فإلّا تجللها يعالوك فوقها وكيف توقى ظهر ما أنت راكبه

فركبها مع أخيه، ومضى بهما فقتلا ثم بحث عن أمرهما فوجده باطلاً، فطرد زهيراً وشتمه[2].

٣
الحكمة (٣٨)

وقال عليه السلام لابنه الحسن:

يَا بُنَيَّ احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعاً وَأَرْبَعاً لَا يَضُرُّكَ مَا عَمِلْتَ مَعَهُنَّ: أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ، وَأَكْبَرُ الْفَقْرِ الْحُمْقُ، وَأَوْحَشُ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ، وَأَكْرَمُ الْحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ. يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْأَحْمَقِ فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ،

---

(١) ديوان البحتري ٢: ١٣٨.

(٢) الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني ٥: ١١٨.

وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْفَاجِرِ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ وَيُبْعِدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ.

قول المصنّف: «وقال عليه السلام لابنه الحسن» وفي (الكافي):[1] إنّ السجاد عليه السلام وصّى ابنه الباقر عليه السلام بهذه الأربعة الأخيرة، وزاد: وإيّاك ومصاحبة القاطع لرحمه، فإنّي وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع، قال عزوجل: ﴿فهل عسيتم إن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم﴾[2]، ﴿... الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾[3]، ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾[4].

قوله عليه السلام : «احفظ عني أربعاً وأربعاً» لم يقل عليه السلام ثمانياً لأنّ الكلّ ليست من واد واحد بل أربع منها من واد وأربع من واد.

«لا يضرّك ما عملت معهن» هو دليل على أهمية تلك الأربع. وتلك الأربع:

«أغنى الغنى العقل» روى (الكافي) عن الباقر عليه السلام : لما خلق الله تعالى العقل استنطقه ثم قال له: أقبل. فأقبل، ثم قال له: أدبر. فأدبر، ثم قال: وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منك ولا أكملتك إلّا فيمن أحب، أما إنّي إيّاك آمر وإيّاك أنهى وإيّاك أُعاقب وإيّاك أُثيب[5].

---

(١) الكافي ٢: ٣٧٦ ح٧.

(٢) محمّد: ٢٢ ـ ٢٣.

(٣) الرعد: ٢٥.

(٤) البقرة: ٢٧.

(٥) الكافي ١: ١٠ ح١.

«وأكبر الفقر الحمق» روى (الكافي) عن الصادق عليه السلام: إنّ الثواب على قدر العقل، ان رجلاً من بني اسرائيل كان يعبد الله في جزيرة من جزائر البحر خضراء نضرة كثيرة الشجر ظاهرة المياه، وان ملكاً من الملائكة مر به فقال: ياربّ أرني ثواب عبدك هذا. فأراه الله فاستقلّه، فأوحى إليه ان اصحبه فأتاه في صورة انسي فقال له: من أنت؟ قال: رجل عابد بلغني مكانك وعبادتك في هذا المكان فأتيتك لأعبد الله معك، فكان معه يومه ذلك. فلما أصبح قال له: ان مكانك لنزه وما يصلح إلّا للعبادة. فقال العابد: ان لمكاننا هذا عيباً. قال: وماهو؟ قال: ليس لربّنا بهيمة، فلو كان له حمار لرعيناه في هذا الموضع فان هذا الحشيش يضيع. فأوحى تعالى إلى الملك: انّما أُثيبه على قدر عقله[1].

وعن (مناقب ابن الجوزي): قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا يزال العقل والحمق يتغالبان على الرجل إلى ثمانية عشر سنة، فاذا بلغها غلب عليه أكثرهما فيه[2].

وفي (عيون القتيبي): قال أعرابي: لو صوّر الحمق لأضاء معه الليل ـ يعني تكون ظلمة الليل بالنسبة إليه مضيئة[3].

وفي كتاب (كليلة ودمنة): الأدب يذهب عن العاقل السكر ويزيد الأحمق سكراً، كما أن النهار يزيد كلّ ذي بصر بصراً ويزيد الخفافيش سوء بصر[4].

---

(١) الكافي ١: ١١ ح ٨.

(٢) ذكره المجلسي في بحار الأنوار ١: ٩٦ ح ٢٩. أما كتاب مناقب الامام علي لابن الجوزي فهو غير موجود، ويبدو أنه كان موجوداً في عهد المجلسي حيث ذكر في ٧٨: ٦٤٠: أقول وجدت في مناقب ابن الجوزي مفصلاً في كلام أمير المؤمنين عليه السلام وأحببت إيراده.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣: ٢٨٠.

(٤) نقلها في كليلة ودمنة ورفعه ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣: ٢٨١. ويبدو أن العلّامة التستري نقلها من عيون الاخبار.

وفي (مجالس الشيخ) مسنداً عن الباقر عليه السلام قال: أردت سفراً فأوصى اليّ أبي فقال: وإيّاك أن تصاحب الأحمق أو تخالطه، ان الأحمق هجنة، غائباً كان أو حاضراً، ان تكلّم فضحه حمقه وان سكت قصر به عيه، وان عمل أفسد، وان استرعى أضاع، لا علمه من نفسه يغنيه ولا علم غيره ينفعه، لا يطيع ناصحه ولا يستريح مقارنه، تودّ أمّه انّها ثكلته وامرأته انّها فقدته، ويودّ جاره بُعد داره، وجليسه الوحدة من مجالسته، ان كان أصغر من في المجلس أعيى من فوقه وان كان أكبرهم أفسد من دونه[1].

هذا، وقالوا: أرسل عجل بن لجيم فرساً له في حلبة فجاء سابقاً، فقيل له سمّه يعرف به، فقام ففقأ عينه وقال: قد سمّيته أعور، فقال شاعر:

رمــتني بــنو عــجل بــداء أبــيهم
وأيُّ عــباد الله أنــوك مــن عــجل
أليس أبــوهم عــار عــين جــواده
فأضحت به الأمثال تضرب بالجهل[2]

وقالوا: قال أبو كعب القاص في قصصه: إنّ النبي قال: في كبد حمزة ما علمتم فادعوا الله أن يطعمنا من كبد حمزة. وقال مرّة في قصصه: اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا. فقيل له: ان يوسف لم يأكله الذئب. فقال: فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف[3].

وقالوا: خرج الخليفة يوم عيد إلى المصلّى والطبول تضرب بين يديه والأعلام تخفق على رأسه، فقال رجل: اللّهم لا طبل إلّا طبلك. فقيل له: لا تقل

---

(١) المجالس للشيخ ٢: ٢٢٦.

(٢) عيون الأخبار ٢: ٤٣.

(٣) عيون الأخبار ٢: ٤٦.

هكذا فليس لله طبل. فبكى وقال: أرأيتم يجيء هو وحده لا يضرب بين يديه طبل ولا ينصب على رأسه علم، فإذن هو دون الأمير.

«وأوحش الوحشة العجب» روى (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ان عيسى عليه السلام كان من شرائعه السيح في البلاد، فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى، فلما انتهى عيسى عليه السلام إلى البحر قال: «بسم الله» بصحّة يقين منه، فمشى على ظهر الماء. فقال الرجل القصير ـ حين نظر إلى عيسى عليه السلام جازه ـ «بسم الله» بصحّة يقين منه، فمشى على ظهر الماء ولحق بعيسى، فدخله العجب بنفسه فقال: هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء، فما فضله عليّ. فرمس في الماء فاستغاث بعيسى عليه السلام فتناوله فأخرجه ثم قال له: ما قلت يا قصير؟ قال: قلت كذا ودخلني عجب. فقال عليه السلام له: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك فتب إلى الله تعالى[1].

«وأكرم الحسب حسن الخلق» روى (الكافي) أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لبني عبد المطلب: إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فالقوهم بطلاقة وحسن البشر[2].

وعن الصادق عليه السلام: هلك رجل على عهد النبي صلى الله عليه وآله فأتى الحفارين فاذا بهم لم يحفروا شيئاً وشكوا ذلك إلى النبي فقالوا: ما يعمل حديدنا في الأرض فكأنما يضرب به في الصفاء. فقال: ولِمَ، ان كان صاحبكم حسن الخلق إيتوني بقدح من ماء، فأتوه به فأدخل يده فيه ثم رشّه على الأرض رشّاً ثم قال: احفروا فحفروا فكأنّما كان رملاً يتهايل عليهم[3].

---

(١) الكافي ٦: ٣٠٦ ح٣.

(٢) الكافي ٢: ١٠٣ ح١.

(٣) بحار الأنوار ٧١: ٣٧٦ ح ٨ الباب ٩.

وعنه عليه السلام : اذا خالطت الناس فان استطعت ألّا تخالط أحداً من الناس إلا كانت يدك العليا عليه فافعل، فان العبد يكون فيه بعض التقصير من العباد ويكون له حسن الخلق فيبلغه الله بحسن خلقه درجات الصائم القائم[1].

وفي خبر : ان قوماً لم يكن بأس في أحسابهم سُلبوها لسوء خلقهم، وان قوماً لم يكونوا ذوي أحساب أُعطوا لحسن خلقهم.

«يابني إيّاك ومصادقة الأحمق فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك» في (الكامل): كان أبو الحسن بن الفرات يقول : ان المقتدر يقتلني ـ فصحّ قوله ـ فمن ذلك انّه عاد من عنده يوماً وهو مفكّر كثير الهمّ، فقيل له في ذلك فقال: كنت عند المقتدر فما خاطبته في شيء من الأشياء إلّا قال لي: نعم. قلت له الشيء وضدّه، في كلّ ذلك يقول: نعم. فقيل له: هذا لحسن ظنّه بك وثقته بما تقول واعتماده على شفقتك. فقال: لا والله ولكنّه أذن لكلّ قائل، وما يؤمني أن يقال له مر بقتل الوزير فيقول: نعم. والله إنّه قاتلي :

اتّقِ الأحمق أن تنصحه ... انما الأحمق كالثوب الخلق
كلّما رقعت منه جانباً ... حرّكته الريح وهناً فانخرق
أو كصدع في زجاج بيّن ... أو كفتق وهو يعيى من رتق
واذا جالسته في مجلس ... أفسد المجلس منه بالخرق
واذا نهنهته كي يرعوي ... زاد جهلاً وتمادى في الحمق

وقال آخر :

فان النوك للاحساب غول ... وأهون دائه داء العياء
ومن ترك العواقب مهملات ... فأيسر سعيه سعي العناء
فلا تثقن بالنوكي لشيء ... ولو كانوا بني ماء السماء

---

(١) الكافي ٢: ١٠١ ح ٢٤.

وليسوا قابلي أدب فدعهم　　　وكن من ذاك منقطع الرجاء[١]

ومن أمثالهم «أنت شولة الناصحة» قال ابن السكيت: كانت (شوله) أمة لعدوان، رعناء وكانت تنصح لمواليها فتعود نصيحتها وبالاً عليها لحمقها[٢].

وفي (الأغاني): كان الوليد بن يزيد يوماً جالساً وعنده عمر الوادي وأبو رقية ـ وكان ضعيف العقل، وكان يمسك المصحف على أُم الوليد ـ فقال الوليد لعمر الوادي، وقد غنّاه صوتاً: أحسنت والله أنت جامع لذتي. وأبو رقية مضطجع وهم يحسبونه نائماً، فرفع رأسه إلى الوليد فقال له: وانا جامع لذات أُمّك. فغضب الوليد وهمّ به فقال له عمر الوادي: ما يعقل أبو رقية وهو صاح فكيف وهو سكران. فأمسك عنه[٣].

«**وإيّاك ومصادقة البخيل فإنّه يقعد**» ونقل الطبعة (المصرية)[٤] «يبعد» غلط.

«**عنك أحوج ما تكون إليه**» ألّف سهل بن هارون ـ متولي خزانة حكمة المأمون ـ رسالة في مدح البخل وأرسلها إلى الحسن بن سهل، فوقع الحسن عليها: لقد مدحت ما ذمّ الله وحسنت ما قبّح، وما يقوم صلاح لفظك بفساد معناك، وقد جعلنا ثواب عملك سماع قولك فما نعطيك شيئاً[٥].

«**وإيّاك ومصادقة الفاجر فانّه يبيعك بالتافه**» أي: الحقير اليسير.

كان ابراهيم الصولي صديقاً لابن الزيات، فولّى ابن الزيات الوزارة والصولي على الأهواز، فقصده ابن الزيات ووجّه إليه بأبي الجهم وأمره

(١) الكامل للمبرد: ٨: ١٥٣ ـ ١٥٤.

(٢) إصلاح المنطق لابن السكّين: ٣٢٢.

(٣) الأغاني ٧: ٨٦.

(٤) الطبعة المصرية: ٦٦٧ الحكمة (٣٨).

(٥) ذكرها الجاحظ في أول رسائل البخلاء الجزء الاول.

بكشفه فتحامل عليه تحاملاً شديداً، فكتب إليه يشكو أبا الجهم ويقول: هو كافر لا يبالي ما عمل. وكتب اليه :

وكنت أخي بإخاء الزمان ... فلما نبا حربت حرباً عوانا

وكنت أذم إليك الزمان ... فأصبحت فيك أذم الزمانا

وكنت أُعدّك للنائبات ... فما أنا أطلب منك الأمانا(١)

ثم وقف الواثق على تحامله عليه، فرفع يده عنه وأمره أن يقبل منه ما رفعه ويرد إلى الحضرة مصوناً، فلما أحس بذلك بسط في ابن الزيات وهجاه هجاءً كثيراً فقال:

قدرت فلم تضرر عدواً بقدرة ... وسمت بها إخوانك الذلّ والرغما

وكنت ملياً بالتي قد يعافها ... من الناس من يأبى الدنية والذما(٢)

وقال :

دعوتك في بلوى ألمّت صروفها ... فأوقدت من ضغن عليّ سعيرها

واني إذا أدعوك عند ملمّة ... كداعية بين القبور نصيرها

وفي (الأغاني): قال بشار :

وما تحرّك أير فامتلا شبقا ... الا تحرك عرق في آست

ثم قال : في آست من. ومر به تسنيم بن الحواري فسلّم عليه فقال «في است تسنيم» فقال له: أي شيء ويلك؟ فقال: لا تسل. فقال: قد سمعت ما أكره فاذكر لي سببه. فأنشده البيت. فقال: ويلك أي شيء حملك على هذا؟ قال: سلامك عليّ. قال: لا سلّم الله عليك ولا عليّ إن سلّمت عليك

---

(١) الأغاني ١٠: ٥٧ .

(٢) الأغاني ١٠: ٥٧ .

بعدها. وبشّار يضحك[١].

«وإيّاك ومصادقة الكذّاب، فإنّه كالسراب يقرّب عليك البعيد ويبعّد عليك القريب» السراب: الذي تراه نصف النهار كأنّه ماء.

في (المناقب): كتب ملك الروم إلى معاوية يسأله عن خصال، فكان فيما سأله: أخبرني عن لا شيء. فتحيّر فقال عمرو بن العاص: وجّه فرساً فارهاً إلى عسكر علي ليباع، فاذا قيل للذي معه: بكم؟ يقول: بلا شيء، فعسى أن تخرج المسألة. فجاء الرجل إلى عسكر أمير المؤمنين فمر عليه السلام به ومعه قنبر فقال: يا قنبر ساومه. فقال: بكم الفرس. قال: بلا شيء. قال: يا قنبر خذ منه. قال: اعطني لا شيء. فأخرجه إلى الصحراء وأراه السراب فقال: وكيف؟ قال: أما سمعت الله تعالى يقول ﴿... يحسبه الظمآن ماءً حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ...﴾[٢].

٤
الحكمة (٦٥)

وقال عليه السلام:

فَقْدُ الأَحِبَّةِ غُرْبَةٌ.

في (العيون): قال أيوب السختياني: اذا بلغ موت أخ لي فكأنّما سقط عضو مني. وفي الخبر «المرء كثير بأخيه» وقال:

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة ... ولكن اخوان الثقات الذخائر[٣]

وقال ابن أبي الحديد قال الشاعر:

فلا تحسبي ان الغريب الذي نأى ... ولكن من تناين عنه غريب

---

(١) الأغاني ٤: ١٤٢، بيت الشعر الذي يبدأ بـ «وما تحرك» غير كامل .. ولفظ (است) مضاف، وبعده عدة نقاط ... .

(٢) المناقب ٢: ٣٨٣ والآية (٣٩) من سورة النور.

(٣) العيون ٣: ١ .

اذا ما مضى القرن الذي كنت فيهم   وخلفت في قرن فأنت غريب[١]

ومثله قوله عليه السلام : «الغريب من ليس له حبيب» .

٥
الحكمة (١٣٤)

وقال عليه السلام :

لَا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقاً حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ في ثَلاثٍ : في نَكْبَتِهِ وَغَيْبَتِهِ وَوَفَاتِهِ.

أقول : في (كامل المبرد): قال علي عليه السلام ثلاثة لا يعرفون إلّا في ثلاث: لا يعرف الشجاع إلّا في الحرب، ولا الحليم إلّا عند الغضب، ولا الصديق إلّا عند الحاجة[٢].

وعن الصادق عليه السلام : الصداقة محدودة، فمن لم تكن فيه تلك الحدود فلا تنسبه إلى كمال الصداقة، ومن لم يكن فيه شيء من تلك الحدود فلا تنسبه إلى شيء من الصداقة، أوّلها: أن تكون سريرته وعلانيته لك واحدة، والثانية: أن يرى زينك زينه وشينك شينه، والثالثة: لا يغيّره عنك مال ولا ولاية، والرابعة: أن لا يمنعك شيئاً مما تصل إليه مقدرته، والخامسة: لا يسلّمك عند النكبات[٣].

وعنه عليه السلام : من غضب عليك ثلاث مرّات فلم يقل فيك شرّاً فاتخذه لنفسك صديقاً[٤].

وفي (العيون): قال علي كرّم الله وجهه :

أخوك الذي ان أحوجتك ملمة   من الدهر لم يبرح لها الدهر واجما

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢١٠ .

(٢) الكامل في الأدب للمبرد ١: ١٨٤ .

(٣) الكافي للكليني ٢: ١٣٩ ح ٦، وشروع الحديث: لا تكون الصداقة إلّا بحدودها ... .

(٤) بحار الأنوار، ٧٤: ١٧٣ ح ٢ الباب ١١ .

وليس أخوك الحق من إن تشعبت عليك أمور ظل يلحاك لائما[(١)]

«ولا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في نكبته» قال الشاعر:

احذر مودة ماذق شاب المرارة بالحلاوة

يحصي الذنوب عليك أيام الصداقة للعداوة[(٢)]

وقال آخر:

سعيد بن عثمان بن عفان لايرى لصاحبه قرضاً عليه ولا فرضا

وفي (نسب قريش ابن بكار): قال النبيّ صلى الله عليه وآله يوم بدر بعد ظفره: من لقي أبا البختري ـ وهو ابن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ـ فلا يقتله. وكان ممّن قام في الصحيفة وكان يُدخل الطعام على بني هاشم في الشعب. فقال المجذر بن زياد: فلقيته فقلت: ان النبيّ صلى الله عليه وآله أمرنا أن لا نقتلك. فقال: أنا وزميلي ـ ومعه رجل ـ فقلت: لا. فقال:

لا يسلم ابن حرّةٍ زميله حتى يموت أو يرى سبيله

فقتلهما[(٣)].

وفي (صداقة التوحيدي): قال الاسكندر لديوجانس: بم يعرف الرجل أصدقاءه؟ قال: بالشدائد، لأن كلّ أحد في الرخاء صديق[(٤)].

وفي (وزراء الجهشياري): طلبت دولة العباسية عبد الحميد الكاتب ـ كاتب الأُموية ـ وكان صديقاً لابن المقفع ـ ففاجأهما الطلب وهما في بيت، فقال الذين دخلوا عليهما: أيكما عبد الحميد. فقال كلّ واحد منهما: أنا. خوفاً من أن ينال صاحبه بمكروه. وخاف عبد الحميد أن يسرعوا إلى ابن المقفع فقال:

---

(١) عيون الأخبار لبن قتيبة ٣: ٥٠.

(٢) المصدر نفسه ٣: ١٠٧.

(٣) لمصعب بن الزبير نسب قريش: ٢١٣ وقد سها العلّامة التستري في ذكر اسم المؤلف الأصلي لكتاب نسب قريش.

(٤) الصداقة للتوحيدي: ٧٠.

ترفقوا فإنّ فيّ علامات وكلوا بنا بعضكم ويمضي بعض يذكر تلك العلامات لمن وجه بكم. ففعلوا ذلك، وأخذوا عبد الحميد[١].

أيضاً: كانت بين ابن المقفع وعمارة بن حمزة مودّة، فأنكر أبو جعفر على عمارة في وقت من الأوقات شيئاً ونقله إلى الكوفة ـ وكان ابن المقفع اذ ذاك بها ـ فكان يأتيه فيزوره، فبينا هو ذات يوم عنده إذ ورد على عمارة كتاب وكيله بالبصرة يعلمه أنّ ضيعة مجاورة لضيعته لا تصلح ان ملكها غيره وان أهلها قد بذلوا له ثلاثين ألف درهم وانّه ان لم يبتاعها فالوجه ان يبيع ضيعته. فقرأ عمارة الكتاب وقال: ما أعجب هذا، وكيلنا يشير علينا بالابتياع مع الاضاقة والإملاق ونحن إلى البيع أحوج. وكتب إلى وكيله ببيع ضيعته والانصراف إليه، وسمع ابن المقفع الكلام وانصرف إلى منزله وأخذ سفتجة إلى الوكيل بثلاثين الف درهم وكتب إليه على لسان عمارة اني قد كتبت إليك ببيع ضيعتي، ثم حضرني مال وقد أنفذت إليك سفتجة فابتع الضيعة المجاورة لك ولا تبع ضيعتي وأقم مكانك. وأنفذ الكتاب بالابتياع مع رسول قاصد، فورد على الوكيل وقد باع الضيعة، ففسخ البيع وابتاع الضيعة المجاورة، وكتب إلى عمارة يذكر الأمر وانّه قد صارت لك ضيعة نفيسة. فلما قرأ عمارة الكتاب أكثر التعجب ولم يعرف السبب وسأل عمّن حضر عند ورود كتاب الوكيل، فقيل له: ابن المقفع، فعلم أنّه من فعله، فلما صار إليه بعد أيّام وتحدّثا قال عمارة له: بعثت بتلك الثلاثين ألف درهم إلى الوكيل وكنّا إليها ههنا أحوج، قال: فان عندنا فضلاً. وبعث إليه بثلاثين ألفاً أُخرى[٢].

وحكى ان سفيان لمّا أمر بتقطيع ابن المقفع وطرحه في التنور ـ يعني

---

(١) الوزراء للجهشياري: ٨٠.

(٢) الوزراء والكتّاب للجهشياري: ١٠٩ ـ ١١٠.

من طرف المنصور ـ قال له: والله لتقتلني وتقتل بقتلي ألف نفس ولو قتل مائة مثلك ما وفوا بي لحد، ثم قال:

اذا ما مات مثلي مات شخص	يموت بموته خلق كثير
وأنت تموت وحدك ليس يدري	بموتك لا الصغير ولا الكبير[1]

وفي (تاريخ بغداد): قال محمد بن عبد الرحمن أبو جعفر الصيرفي: بعث إليّ الحكم بن موسى أنّه يحتاج إلى نفقة، ولم يك عندي إلّا ثلاثة آلاف درهم، فوجّهت بها إليه، فلما صارت في قبضته وجّه إليه خلاد بن أسلم أنّه يحتاج إلى نفقة، فوجّه بها كلّها إليه. واحتجت أنا إلى نفقة فوجّهت إلى خلاد أنّي أحتاج إلى نفقة فوجّه بها كلّها إليّ، فلما رأيتها مصرورة في خرقتها وهي الدراهم بعينها أنكرت ذلك، فبعثت إلى خلاد: ما قصة هذه الدراهم؟ فاخبرني ان الحكم بن موسى بعث بها إليه، فوجّهت إلى الحكم منها بألف ووجهت إلى خلاّد منها بألف وأخذت منها ألفاً[2].

وفي (المروج): عن الواقدي قال: كان لي صديقان أحدهما هاشمي وكنّا كنفس واحدة، فنالتني ضيقة شديدة وحضر العيد، فقالت امرأتي: أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدّة، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم، لأنّهم يرون صبيان الجيران قد تزيّنوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة، فلو احتلت بشيء تصرفه في كسوتهم. فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة عليّ لما حضر العيد، فوجّه إليّ كيساً مختوماً ذكر أن فيه ألف درهم، فما استقر قراره إذ كتب إليّ الصديق

---

(١) الوزراء والكتّاب: ١١٠.

(٢) تاريخ بغداد، لم نعثر عليه في ترجمة محمّد بن عبدالرحمن الصيرفي ٢: ٣١٢ و ترجمة الحكم ابن موسى القنطري ٨: ٢٢٦.

الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي، فوجّهت إليه الكيس بحاله وخرجت إلى المسجد، فأقمت فيه ليلي مستحيياً من امرأتي، فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنفني عليه، فبينا أنا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته فقال لي: اصدقني عمّا فعلت في ما وجهت إليك. فعرفته الخبر فقال: انك وجهت إليّ وما أملك على الأرض إلّا ما بعثت به إليك. وكتبت إلى صديقنا المواساة فوجّه بكيسي بخاتمي. فتواسينا الألف أثلاثاً، وأخرجنا إلى المرأة قبل ذلك مائة درهم، ونمى الخبر إلى المأمون فدعاني فشرحت له الخبر، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد ألفا دينار وللمرأة ألف دينار[1].

وفي (كامل المبرد): لبعضهم:

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلّت

رأى خلّتي من حيث يخفى مكانها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلّت[2]

وفي (المعجم) للصولي:

ولكن عبدالله لمّا حوى الغنى ... وصار له من بين اخوانه مال

رأى خلّة منهم تسدّ بماله ... فساهمهم حتى استوت بهم الحال[3]

«وغيبته» لا كما في اللسان. قال ابن بري: قال بجير بن عنمة الطائي:

وان مولاي ذو يعاتبني ... لا أحنة عنده ولا جرمه

ينصرني منك غير معتذر ... يرمي ورائي بأمسّهم واملمه

وقال الآخر:

---

(١) المروج: ٣٣ ـ ٣٤.

(٢) الكامل للمبرّد ١: ١٨٤.

(٣) المعجم ١: ١٦٧.

أنّـى يكـون أخـاً أو ذا محـافظة من كنت في غيبه مستشعراً وجلا
إذا تـغيّب لم تـبرح تـظنّ بـه سـوءاً وتسأل عمّا قال أو فعلا

وقيل:

وليس أخي من ودّني رأيَ عـينه ولكن أخي من ودّني وهو غـائب

وقيل:

وليس مـحبّاً مـن يـدوم وداده مع الوصل لكن من يدوم مع الصدِّ

هذا، وفي (الحلية): خرج أبو تراب الرملي سنة من مكّة فقال لأصحابه: خذوا اسم طريق الجادة حتى آخذ طريق تبوك. فقالوا له: الحرّ شديد. قال: لابدّ ولكن إذا دخلتم رملة فانزلوا عند فلان صديق لي. فنزلوا عليه فشوى لهم أربع قطع لحم، فلما وضع بين أيديهم جاءت الحدأة فأخذت قطعة منها. فقلنا: لم يكن رزقنا فأكلنا الباقي، فلما كان بعد يومين خرج أبو تراب من المفازة، فقلنا: هل وجدت في الطريق شيئاً. فقال: لا إلّا يوم كذا رمى إليّ حدأة بقطعة شواء حار. فقلنا له: قد تغذينا منه فانّه من عندنا أخذت الحدأة. فقال: كذا كانت الصداقة[1].

في المروج : ذكر للمنصور تدبير هشام في حرب كانت له، فبعث إلى رجل ينزل رصافة هشام يسأله عن تلك الحرب، فقدم عليه فقال له: أنت صاحب هشام. قال: نعم. قال: فأخبرني كيف فعل في حرب دبّرها سنة كذا وكذا. قال: فعل رضي الله عنه فيها كذا وكذا، وفعل رحمه الله كذا وكذا. فأغاظ ذلك المنصور فقال له: قم عليك غضب الله تطأ بساطي وتترحّم على عدوّي. فقام الشيخ وهو يقول: ان لعدوّك قلادة في عنقي لا ينزعها إلّا غاسلي. فأمر برده وقال له: كيف؟ قال: انّه كفاني الطلب وصان وجهي عن السؤال فلم أقف

(١) الحلية ١٠: ١٦٤ ـ ١٦٥.

على باب عربي ولا عجمي، أفلا يجب عليّ أن أذكره إلّا بخير. فقال المنصور: بلى والله، لله أُمّ نهضت عنك، أشهد أنّك نهيض حرّة[1].

وقال المدائني: قال المنصور صحبت رجلاً ضريراً إلى الشام وكان يريد مروان بن محمد بشعر قال فيه ـ إلى أن قال ـ وحججت في سنة (١٤١) فنزلت في جبلي زرور في الرمل أمشي لنذر كان عليّ، فإذا أنا بالضرير، فأومأت إلى من كان معي فتأخروا ودنوت منه فأخذت بيده، فقال: من أنت؟ قلت: رفيقك إلى الشام في أيام بني أُمية وأنت متوجه إلى مروان، فتنفّس وأنشأ يقول:

آمت نساء بني أُميّة منهم	وبناتهم بمضيعة أيتام
نامت جدودهم وأسقط نجمهم	والنجم يسقط والجدود تنام
خلت المنابر والأسرّة منهم	فعليهم حتى الممات سلام

فقلت له: كم أعطاك مروان؟ قال : أغناني فلا أسأل بعده أحداً ـ إلى أن قال ـ فقلت: أنا أبو جعفر المنصور. فقال: اعذر فإنّ ابن عمّك محمّداً صلى الله عليه وآله قال «جبلت النفوس على حبّ من أحسن إليها وبغض من أساء إليها» فهممت به ثم تذكرت الصحبة فأطلقته[2].

وفي (الأغاني): في أبي الأسد: لما مات ابراهيم الموصلي قيل لأبي الأسد ـ وكان صديقه ـ ألا ترثيه فقال:

تولّى الموصلي فقد تولّت	بشاشات المزاهر والقيان
وأي فلاحة بقيت فتبقى	حياة الموصلي على الزمان
ستبكيه المزاهر والملاهي	ويسعدهن عاتقة الدنان

---

(١) المروج ٣: ٢٨٥.

(٢) مروج الذهب ٣: ٢٨٥.

وتــبكيه الغــوية اذ تــولّى ولا تــبكيه تــالية القــران

فقيل له: ويحك فضحته وقد كان صديقك. فقال: هذه فضيحة عند من لا يعقل، أمّا من يعقل فلا، وبأي شيء كنت أذكره وأرثيه أبالفقه أم بالزهد أم بالقراءة، وهل يرثى إلّا بهذا وشبهه[1].

٦
الحكمة (٢١٨)

وقال عليه السلام:

حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ الْمَوَدَّةِ.

في (الطرائف): قال بعض الحكماء لا ينفع العلاج في أربعة: العداوة إذا خالطها الحسد، والمرض إذا خالطه الهرم، والفقر إذا خالطه الكسل، والشحّ إذا خالطه الكبر[2].

وقال ابن أبي الحديد الإنسان لا يحسد نفسه. قيل لحكيم: ما الصديق؟ فقال: انسان هو أنت إلّا انّه غيرك[3].

ومن أدعية الحكماء: اللّهم اكفني بوائق الثقات، واحفظني من كيد الأصدقاء[4].

وللمثقب العبدي:

فــإمّا أن تكــون أخــي بـحقٍّ فأعرف منك غثّي من سميني
وإلّا فــاطّرحــني واتــركني عــدوّاً أتّــقيك وتــتقيني[5]

---

(١) الأغاني ١٤: ١٤٠ ـ ١٤١.

(٢) الظرائف والطرائف: ٧٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٩.

(٤) المصدر نفسه: ١٩: ٣٩.

(٥) المصدر نفسه ١٠: ١١٠، ذكره أيضاً ابن قتيبة: ٢٥٠، دار الكتب العلمية.

٧
الحكمة (٢٦٨)

وقال عليه السلام :

أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْماً، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْناً مَّا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْماً مَّا .

أقول : كون هذا كلامه عليه السلام رواه أبو هلال العسكري أيضاً في (أمثاله) جاعلاً ذلك مثلاً له عليه السلام[١]، لكن الخطيب في (تاريخه) في علي بن زكريا رواه عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله[٢]، وأمّا (أمالي الشيخ) فرواه فيما رواه عن أبي المفضل عنه عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله، ورواه فيما رواه عن الغضائري عن زيد بن علي عن أبيه هكذا: قال: قال علي عليه السلام : لايكن حبّك كلفاً ولا بغضك تلفاً، أحبب حبيبك هوناً ما وابغض بغيضك هوناً ما[٣].

رواه في (مجلسه) في ١٣ من شهر رمضان، فيمكن أن يكون لفظ العنوان للنبيّ صلى الله عليه وآله ولفظ الأخير له عليه السلام :

وعن الصادق عليه السلام : لا تطلع صديقك من سرّك إلّا على ما لو اطّلع عليه عدوّك ما يضرّك، فإنّ الصديق قد يكون عدوّاً يوماً ما[٤].

وفي (ديوان أبي الأسود): قال أبو الأسود لابنه ـ وكان له صديق من باهلة يكثر زيارته وغشيانه:

أحبب اذا أحببت حبّاً مقارباً فانّك لا تدري متى أنت نازع
وابغض اذا أبغضت غير مباعد فانّك لا تدري متى أنت راجع

---

(١) الأمثال، لأبي هلال العسكري: ١٣٢ .

(٢) التاريخ للخطيب ١١: ٤٢٨ .

(٣) الأمالي للشيخ: ٧٠٣ ح رقم (١٥٠٥) .

(٤) بحار الأنوار ٧٤: ١٧٧ ح ١٥ باب ١١ .

وكن معدناً للحلم واصفح عن الخنى فـانّك راءٍ مـا حـييت وسـامع[١].

وقال النمر بن تولب :

واحـبب حـبيبك حـبّاً رويـداً فـليس يـعولك ان تـصرما

وابغض بغيضك بغضاً رويداً إذا أنت حـاولت أن تـحكما[٢]

ـأي: تصير حكيماً ـ وفي (صداقة التوحيدي): قيل لديوجانس: ما الذي ينبغي للرجل أن يتحفّظ منه؟ قال: من حسد أصدقائه ومكر أعدائه[٣].

وفي (الأغاني): قال أبو عبيدة: مازال بشّار يهجو حمّاد عجرد ولا يرفث في هجائه حتى قال حماد: من كان مثل أبيك ـ يا أعمى ـ أبوه فلا أباً له، أنت ابن برد مثل برد في النذالة والرذالة ـ في أبيات، فلما بلغت بشّاراً أطرق طويلاً ثم قال: جزى الله ابن نهبى خيراً.

فقيل له: علامَ تجزيه الخير؟ فقال: والله لقد كنت أردّ على شيطاني أشياء من هجائه إبقاءً على المودة ولقد أطلق من لساني ما كان مقيّداً عنه واهدفني عورة ممكنة منه، فلم يزل بعد ذلك يذكر أُم حمّاد في هجائه حتى ماتت[٤].

وفي الطرائف :

احـــذر عـــدوّك مـــرة واحذر صديقك ألف مرّة

فـلربما انـقلب الصـديق فكان أخـبر بـالمضرّة[٥]

وقيل:

تـحذر مـن صـديقك كـلّ يـومٍ وبـــالأسرار لا تـــركن إليـــه

(١) ديوان أبي الأسود الدؤلي: ١٣٨ ـ ١٣٩.

(٢) الأغاني ٢٢: ٢٨١.

(٣) الصداقة للتوحيدي: ٧٠.

(٤) الأغاني ١٤: ٣٢٧.

(٥) الظرائف: ٧٨، وذكره ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٦: ٣٩.

سلمت من العدو فما دهاني ... سوى من كان معتمدي عليه[١]

وفي السير ان معاوية لما الحق زياداً به وولّاه البصرة ـ بعد ان كان واليها من قبل أمير المؤمنين عليه السلام ـ صعد المنبر وقال: قد رحلت عنكم وأنا أعرف صديقي من عدوّي ثم قدمت عليكم وقد صار العدوّ صديقاً مناصحاً والصديق عدوّاً مكاشحاً، فليشتمل كلّ امرئٍ على ما في صدره ولا يكونن لسانه شفرة تجري على أوداجه، وليعلم أحدكم إذا خلا بنفسه انّي قد حملت سيفي بيدي فان أشهره لم أغمده ـ ثم نزل.

٨
الحكمة (٢٩٥)

أَصْدِقَاؤُكَ ثَلاثَةٌ، فَأَصْدِقَاؤُكَ صَدِيقُكَ وَصَدِيقُ صَدِيقِكَ وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ، وَأَعْدَاؤُكَ عَدُوُّكَ، وَعَدُوُّ صَدِيقِكَ وَصَدِيقُ عَدُوِّكَ .

أقول: أمّا كون صديق الصديق صديقاً فلأن مناسب المناسب مناسب، وأمّا كون عدوّ العدوّ صديقاً فلأن ضد الضد مناسب، ولذا كان الحجاج يعجبه المختار مع اختلاف مذهبهما في حبّ أهل البيت عليهم السلام وبغضهم، وكان مصعب أمر بقطع كفّ المختار ودقها بمسمار على الجدار، فأمر الحجاج بإنزالها ودفنها، فكان المختار عدوّ عدوّ الحجاج ابن الزبير مع كونه من طائفته ثقيف.

قال البحتري:

وان أحقّ الناس مني بخلّة ... عدوّ عدوي أو صديق صديقي[٢]

---

(١) الظرائف: ٧٨ .

(٢) البحتري ٢: ١٢٠، يهجو فيه أحمد بن طولون .

وأمّا كون عدوّ الصديق عدوّاً فلأن ضد المناسب غير مناسب، وأما كون صديق العدوّ عدوّاً فلأن مناسب الضدّ غير مناسب.

وفي (العقد الفريد): وفد دحية الكلبي على علي عليه السلام، فما زال يذكر معاوية ويطريه في مجلسه، فقال له علي عليه السلام:

صديق عدوّي داخلٌ في عداوتي وانّي لمن ودّ الصديق ودود

فلا تقربن مني وأنت صديقه فانّ الذي بين القلوب بعيد[1]

وفي هذا المعنى قول العتابي:

تود عدوي ثم تزعم أنّني صديقك ان الرأي عنك لعازب[2]

هذا، وفي (الطبري): كان عبد الملك ومصعب وهما بالمدينة يتحدّثان إلى حبى، فقيل لها: قتل مصعب. فقالت: تعس قاتله. قيل: قتله عبد الملك. قالت بأبي القاتل والمقتول[3].

٩
الحكمة (٣٠٨)

وقال عليه السلام:

مَوَدَّةُ الْآبَاءِ قَرَابة بَيْنَ الأَبْنَاءِ.

وعن الرضا عليه السلام: مودة عشرين سنة قرابة، والعلم أجمع لأهله من الآباء[4].

وفي (المروج): كان من قبل سابور ذي الأكتاف من الساسانية يسكن

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٢: ٦٠٣.

(٢) هو كلثوم بن عمرو العتابي: لم نعثر على هذ البيت في ترجمته في معجم الادباء ٢٦: ١٩، لكنه ذكر ابياتاً من القصيدة.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ١٠.

(٤) بحار الأنوار: ٧٤: ١٧٥ ح ٨ الباب ١١.

بغربي المدائن، وسكن سابور الجانب الشرقي منها وبنى هناك الأيوان المعروف بأيوان كسرى، وقد كان أبرويز أتمّ مواضع من بناء هذا الأيوان. وكان الرشيد نازلاً على دجلة بالقرب من الأيوان، فسمع بعض الخدم من وراء الستر يقول لآخر: هذا الذي بنى هذا الأيوان أراد أن يصعد عليه إلى السماء.

فأمر الرشيد أن يضرب مائة عصا، وقال لمن حضره: ان الملك نسبة، والملوك به اخوة، وان الغيرة بعثتي على أدبه لصيانة الملك وما يلحق الملوك للملوك[1].

«والقرابة إلى المودة أحوج» هكذا في الطبعة (المصرية)[2] والصواب: «والقرابة أحوج إلى المودة» كما في (ابن أبي الحديد[3] وابن ميثم والنسخة الخطّية).

«من المودة إلى القرابة» في (أدب كاتب الصولي): قال ابراهيم بن العباس الصولي:

أميل مع الذمام على ابن عمي	واقضي للصديق على الشقيق
وإما تلفني حراً مطاعاً	فانّك واجدي عبد الصديق[4]

وقال ابن أبي الحديد قيل لرجل: أخوك أحبّ إليك أم صديقك؟ قال: انّما أحب أخي إذا كان صديقاً[5].

وفي (الأغاني) عن العتابي :

---

(١) المروج ١: ٢٨٤.

(٢) الطبعة المصرية: ٧٣٠ الحكمة (٣١٠).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢١٤ الحكمة (٣١٤)، كذلك شرح ابن ميثم ٥: ٣٩٧ الحكمة (٢٩٢). سقطت العبارة من النسخة الخطية المتوفرة عند المحقق.

(٤) أدب الكتاب للصولي: ١٠٠.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢١٤.

انّي بلوت الناس في حالاتهم وخبرت ما وصلوا من الأسباب
فاذا القرابة لا تقرب قاطعاً واذا المودة أقرب الأنساب[١]

١٠
الحكمة (٤١٥)

وقال عليه السلام:

زُهْدُكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانُ حَظٍّ، ورَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذُلُّ نَفْسٍ.

أقول: كان ابن الزبير راغباً في أهل الشام وكانوا زاهدين فيه، فقال يوما: وددت ان لي بكلّ عشرة من أهل العراق رجلاً من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم. فقال له أبو حاضر: مثلنا ومثلك كما قال الأعشى:

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً غيري وعلق أُخرى غيرها الرجل[٢]

أحبك أهل العراق وأحببت أهل الشام، وأحب أهل الشام عبد الملك.

وقال الشاعر:

كلانا يا معاذ يحبّ ليلى بفي وفيك من ليلى التراب
شركتك في هوى من كان حظّي وحظّك من تذكرها العذاب[٣]

أيضاً:

ان البلية ان تحب ولا يحبك من تحبه
ويصدّ عنك بوجهه وتلح أنت فلا تعبه

وقال أبو العيناء ـ كما في (تاريخ بغداد):

لعمرك ما حق امرئٍ لا يعد لي على نفسه حقاً عليّ بواجب

---

(١) الأغاني ١٣: ١١٧.

(٢) ديوان الأعشى: ١٣١.

(٣) البيان والتبيين ١: ٣٠١.

ومــــا أنــا للــنائي عــليّ بــوده وصــــــافي خـــلته بــــمقارب
ولكـــنّه ان مـــال يـــوماً بـــجانب من الصدّ والهجران ملت بجانبي[١]

وقال له أحمد بن أبي دؤاد ـ كما في (المعجم) ـ ما أشد ما أصابك في ذهاب بصرك؟ قال: ابتداء غيري بالسلام، وكنت أُحبّ أن أكون أنا المبتدئ، وان أُحدّث من لا يقبل على حديثي ولا أراه ولو رأيته لا يقبل لما حدثته.

وكان دعبل ـ كما فيه ـ يتعجّب من قول ابراهيم الصولي:

ان امــــرأً ضــن بــمعروفه عــــني لمــبذول له عــذري
مــا أنــا بــالراغب فــي خيره ان كان لا يرغب في شكري[٢]

وقال المثقب العبدي، كما في (الشعراء):

فــاني لو تـــخالفني شـــمالي بـــنصر لم تـصاحبها يـميني
إذن لقـــطعتها وقـــلت بـــيني كذلك أجتوي من يجتويني[٣]

ولبعضهم:

ولو ان بعضـي رابني لقـطعته وانـــي بـقطع الرائـبي لجـدير

أيضاً:

فلقد تدوم لذي الصفاء مودتي واذا لويت بـــتت ذا اللـــيان

١١
الحكمة (٤٧٩)

وقال عليه السلام:

شَرُّ ٱلْإِخْوانِ مَنْ تُكُلِّفَ لَهُ. قال الرضي لِأَنَّ التَكْلِيفَ مُسْتَلْزِمٌ لِلْمَشَقَّةِ

(١) تاريخ بغداد ٣: ١٧٧.

(٢) المعجم: ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٢٥٠، مع وجود اختلاف، دارالكتب العلمية.

وَهُوَ شَرٌّ لَازِمٌ عَنِ ٱلْأَخِ ٱلْمُتَكَلَّفِ لَهُ فَهُوَ شَرُّ ٱلْإِخْوانِ.

أقول: هكذا في (المصرية)، وهو تخليط منها، فان قوله «لأن التكليف ...» كان حاشية خلطته بالمتن[١]، فان (ابن أبي الحديد وابن ميثم والنسخة الخطية) لم تنقله[٢]، ولأنّه خارج عن موضوع كتابه، فان كتابه انّما هو مجرّد نقل كلماته عليه السلام لا شرح كما في مجازاته النبوية، وانما قد يفسّر بعض غريب لغاته أو يصف بلاغة بعض فقراته عليه السلام الزائدة مع ان أين مثل هذا الكلام المبتذل من كلمات الرضي وتعبيراته، بل قوله «لأن التكليف» غلط لأنّه لم يرد تكليف بل تكلّف، واما قوله «قال الرضي» فزيد بعد الخلط توضيحاً بزعمه.

هذا والأصل في كلامه عليه السلام «شرّ الاخوان من تكلّف له» ان بعض أصحابه عليه السلام دعاه إلى أن يصير ضيفه، فأجابه بشرط أن لا يتكلّف له.

قال ابن قتيبة في (عيونه): دعا رجل علياً عليه السلام إلى طعام فقال عليه السلام: نأتيك على أن لا تتكلّف ما ليس عندك ولا تدّخر عنّا ما عندك. وكان عليه السلام يقول «شرّ الاخوان من تكلّف له»[٣].

ورواه التوحيدي في (صداقته) أيضاً مرفوعاً عنه عليه السلام لكن مع زيادة وهي «وخيرهم من أحدثت لك رؤيته ثقة به وأهدت إليك غيبته طمأنينة إليه»[٤].

وفي (الكافي): عن مرازم بن حكيم ان حارثاً الأعور أتى أمير المؤمنين عليه السلام وقال: أحب أن تكرمني بأن تأكل عندي. فقال له: على ألّا تتكلّف

---

(١) الطبعة المصرية: ٧٦٧ الحكمة (٤٦٣).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٢٤٩ الحكمة (٤٨٤) كذلك ابن ميثم ٥: ٤٦٧ لا وجود للنص في النسخة الخطية المتوفرة لدىٰ المحقق.

(٣) العيون، لابن قتيبة ٣: ٢٣١.

(٤) الصداقة، للتوحيدي: ٥٣.

لي شيئاً. ودخل فأتاه الحارث بكسر، فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يأكل، فقال له الحارث: ان معي دراهم ـ وأظهرها فاذا هي في كمه ـ فان أذنت لي اشتريت لك شيئاً غيرها. فقال عليه السلام له: هذه ممّا في بيتك[١]، ورواه الكشي[٢].

وروى (الكافي): عن صفوان بن يحيى قال: جاءني عبدالله بن سنان فقال: هل عندك شيء؟ قلت: نعم، فبعثت ابني فأعطيته درهماً يشتري به لحماً وبيضاً فقال لي: أين أرسلت ابنك، فأخبرته فقال: ردّه عندك زيت. قلت: نعم. قال: هاته فانّي سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول «هلك امرؤ احتقر لأخيه ما يحضره وهلك امرؤ احتقر من أخيه ما قدم إليه»[٣].

وقال أبو الأسود في الحضين العنبري:

شنئت من الأصحاب من لست بارحاً ادامله دمل السقاء المخرق[٤]

وقال إسحاق الموصلي:

نعم الصديق صديق لا يكلّفني ذبح الدجاج ولا شي الفراريج[٥]

وفي (العيون): سئل أقرى أهل اليمامة كيف ضبطتم القرى؟ قال: بأنّا لا نتكلّف ما ليس عندنا[٦].

هذا، وفي (الحلية): جاء فتح الموصلي إلى صديق له فلم يجده في المنزل، فقال للخادم: اخرجي إليّ كيس أخي، فأخرجته فأخذ منه درهمين

---

(١) الكافي ٦: ٢٧٦ ح ٤.

(٢) الكشي: ٨٩ رواه بشكل آخر.

(٣) الكافي ٦: ٢٧٦ ح ٣.

(٤) ديوان أبي الأسود الدؤلي: ١٣٠، ذكر البيت هكذا:

سئمت من الصحبان من لست زائلا أُواصله وصل السقاء المخرق

(٥) عيون الأخبار ٣: ٢٣٣.

(٦) عيون الأخبار ١: ٢٣٤.

وجاء الصديق فأخبرته الجارية بمجيء فتح وأخذه الدرهمين فقال: ان كنت صادقة فأنت حرّة. فنظر فاذا هي صادقة، فعتقت[١].

١٢
الحكمة (٤٨)

وقال عليه السلام:

إِذَا ٱحْتَشَمَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَقَدْ فَارَقَهُ. يُقالُ حَشَمَهُ وَأحشمَهُ إِذَا أغْضبَهُ ـ وَقِيلَ أَخْجَلَهُ ـ وٱحْتَشَمَهُ طَلَبَ ذٰلِكَ لَهُ وَهُوَ مَظِنَّةُ مُفَارَقَتِهِ.

أقول: هو كسابقه، قوله «يقال حشمه ...» حاشية خلطت بالمتن لعدم وجوده في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والنسخة الخطّية)[٢] ولخروجه من موضوع النهج كما عرفت في سابقه، مع أن قوله «واحتشمه: طلب ذلك له» بلا معنى.

هذا، وقال ابن الأعرابي: الحشمة الاستحياء والغضب. وقال الأصمعي: الحشمة انّما هو بمعنى الغضب لا الاستحياء. نقل ذلك عنهما الجوهري؛ والصحيح ما قال الأول من مجيء الحشمة بمعنى الاستحياء والانقباض ايضاً كما يدلّ عليه موارد استعماله في الأخبار والأشعار[٣].

أما الأخبار ففي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: المؤمن لا يحتشم من أخيه، ولا أدري أيّهما أعجب الذي يكلّف أخاه اذا دخل ان يتكلّف له أو المتكلّف لأخيه[٤].

---

(١) الحلية ٨: ٢٩٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لبن ابي الحديد ٢٠: ٢٥١ الحكمة (٤٨٥)، ابن ميثم: شرح نهج البلاغة ٦: ٤٦٨، أما النسخة الخطية فقد سقط النص منها.

(٣) الصحاح للجوهري ٤: ١٩٠٠ مادة (حشم).

(٤) الكافي ٦: ٢٧٦ ح ٢.

وعن عنبسة بن مصعب: أتينا أبا عبدالله عليه السلام وهو يريد الخروج إلى مكّة، فأمر بسفرة فوضعت بين أيدينا فقال: كلوا. فأكلنا، فقال: أبيتم أبيتم انّه كان يقال: اعتبر حبّ القوم بأكلهم. فأكلنا وذهبت الحشمة[١].

وعن عبد الرحمن بن الحجاج: أكلنا مع أبي عبدالله عليه السلام فأتينا بقصعة من أرز فجعلنا نعذر فقال عليه السلام: ما صنعتم شيئاً، ان أشدّكم حبّاً لنا أحسنكم أكلاً عندنا. قال: فرفعت كشحة المائدة. فقال: نعم الآن. وأنشأ يحدّثنا ان النبيّ صلى الله عليه وآله أُهدي إليه قصعة أرز من ناحية الأنصار، فدعا سلمان والمقداد وأبا ذر فجعلوا يعذرون في الأكل فقال: ما صنعتم شيئاً أحسنكم حبّاً لنا أحسنكم أكلاً عندنا. فجعلوا يأكلون أكلاً جيّداً. ثم قال أبو عبدالله عليه السلام: رحمهم الله ورضي عنهم وصلّى عليهم[٢].

وأما الأشعار فقال شاعر في ابن الزبير:

لعمرك ان قرص أبي خبيب بطيء النضج محشوم الأكيل[٣]

ـ الأكيل: من يؤاكلك ـ وقال الكميت:

ورأيت الشريف في أعين الناس وضيعاً وقل منه احتشامي[٤]

ويؤيد ذلك قول نفطويه:

ما استمتع الناس بشيء كما يستمتع الناس بحسم الحشم

وبه صرّح ابن دريد، قال في (جمهرته): حشم الرجل أتباعه الذين يغضبون بغضبه ـ إلى أن قال ـ وليس تعرف العرب الحشمة إلّا الغضب أو

---

(١) الكافي للكليني ٦: ٢٧٩ ح ٥.

(٢) الكافي للكليني ٦: ٢٧٨ ح ٢.

(٣) الصحاح للجوهري ٤: ١٩٠٠ مادة (حشم).

(٤) المصدر نفسه ٤: ١٩٠٠ مادة (حشم).

الانقباض عن الشيء[١].

هذا، وفي (عيون ابن قتيبة): كتب رجل إلى صديق له: وجدت المودة منقطعة ما كانت الحشمة عليها متسلّطة، وليس يزيل سلطان الحشمة إلّا المؤانسة ولا تقع المؤانسة إلّا بالبر والملاطفة[٢].

وفي (المعجم): عن الشرمقاني: كان أحمد بن أبي خالد الضرير مثرياً ممسكاً لا يكسر رأس رغيف له، انّما يأكل عند من يختلف إليهم، لكنّه كان أديب النفس عاقلاً حضر يوماً مجلس عبدالله بن طاهر فقدّم إليه طبق عليه قصب السكر وقد قشر وقطع كاللقم، فأمره أن يتناول فقال: ان لهذا لفاظة ترتجع من الأفواه وأنا أكره ذلك في مجلس الأمير. فقال له: تناول فليس بصاحبك من احتشمك واحتشمته اما انّه لو قسم عقلك على مائة رجل لصار كلّ رجل منهم عاقلاً[٣].

وفي (أدب كاتب الصولي): قال هشام: قد مرّت لذّات الدّنيا كلّها على يدي وفعلي فما رأيت ألذّ من محادثة صديق أُلقي التحفّظ بيني وبينه[٤].

١٣
الحكمة (٤٣٤)

وقال عليه السلام:

أَخْبُرْ تَقْلِهْ.

قال الرضي: وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَرْوِى هذَا لِلرَّسُولِ صلى الله عليه وآله، وَمِمَّا يُقَوّي أَنَّهُ مِنْ كَلامِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنينَ عليه السلام مَا حَكَاهُ ثَعْلَبُ عَنِ ٱبْنِ ٱلْأَعْرَابِيِّ قَالَ

(١) الجمهرة لابن دريد ١: ٥٣٨ ـ ٥٣٩.

(٢) العيون لابن قتيبة ٣: ٤٣.

(٣) المعجم ٣: ٢١ ـ ٢٢.

(٤) أدب الكاتب: ٢٣٧.

المَأْمُونُ: لَوْلَا أَنَّ عَلِيّاً قَالَ «أَخْبُرْ تَقْلِهْ» لَقُلْتُ أَقْلِهْ تَخْبُرْ.

أقول: ذكره أبو هلال العسكري في أمثاله وقال: لفظه الأمر ومعناه الخبر يعني اذا اختبرتهم قليتهم[1]. والقلي: البغض. قال تعالى: ﴿... إِنّي لعملكم من القالين﴾[2].

وقال زهير:

لعمرك والأُمور مغيّرات ... وفي طول المعاشرة التقالي

لقد باليت مظعن أُم أوفى ... ولكن أُم أوفى لا تبالي[3]

والهاء في «تقله» مثلها في قولهم «يا زيد امشه» (لبيان الحركة) ونظم المصنف معنى كلامه عليه السلام فقال:

من كشف الناس لم يسلم له أحد ... والناس داء فخل الداء مستورا[4]

«اخبر تقله» قال سويد بن الصامت:

ألا رب من يدعى صديقاً ولو ترى ... مقالته بالغيب ساءك ما يفري

مقالته كالشحم مادام شاهداً ... وبالغيب مأثور على ثغرة النحر

وقال معن بن أوس:

ولقد بدا لي ان قلبك ذاهل ... عني وقلبي لو بدا لك أذهل

كلّ يجامل وهو يخفي بغضه ... ان الكريم على القلى يتجمّل

وقال أبو بكر الأرجاني قاضي تستر ـ كما في (كامل الجزري):

ولما بلوت الناس أطلب عندهم ... أخا ثقة عند اعتراض الشدائد

تطلعت في حالي رخاء وشدّة ... وناديت في الاحياء هل من مساعد

---

(١) الأمثال، لأبي هلال العسكري: ٦٩ الديوان (الخطوب).

(٢) الشعراء: ١٦٨.

(٣) ديوان زهير: ٥٧، ورد لفظ «الأمور» في الديوان بلفظ «الخطوب».

(٤) ديوان الشريف الرضي ١: ٥٢٥.

فلم أرَ فيما ساءني غير شامت ولم أرَ فيما سرّني غير حاسد[(١)]

وقال ابن الحريري ـ كما في (معجم الحموي):

لا تغترر ببني الزمان ولا تقل عند الشدائد لي أخ ونديم

جربتهم فاذا المعاقر عاقر والآل آل والحميم حميم[(٢)]

وقيل في الاختبار بسؤال المآل:

إذا شئت ان تلفى أخاك معبّساً وجداه في الماضين كعب وحاتم

فكشفه عمّا في يديه فانّما يكشف أخبار الرجال الدراهم

وقيل أيضاً:

ولو اني جعلت أمير جيش لما قاتلت إلّا بالسؤال

فان الناس ينهزمون منه وقد ثبتوا لأطراف العوالي

وقال ابن أبي الحديد: قال أبو العلاء:

جربت دهري وأهليه فما تركت لي التجارب في ود امرئٍ غرضا[(٣)]

وقال آخر:

وكنت أرى ان التجارب عدّة فخانت ثقات الناس حتى التجارب[(٤)]

وقال آخر:

عتبت على سلم فلما فقدته وجربت أقواماً رجعت إلى سلم

ذممتك أوّلاً حتى اذا ما بلوت سواك عاد الذم حمدا

ولم أحمدك من خير ولكن وجدت سواك شرّاً منك جدا

فعدت إليك مضطراً ذليلاً لأنني لم أجد من ذاك بدا

---

(١) الكامل للجزري ١١: ١٤٧.

(٢) المعجم ١٦: ٢٧١ وهو القاسم بن علي بن محمّد الحريري.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٨١.

(٤) شرح النهج ١٩: ٣٢٥.

كمجهود تحامى أكل ميت فلما اضطر عاد إليه شدا[١]

وقال عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر:

رأيت فضيلاً كان شيئاً ملففاً فأبرزه التمحيص حتى بدا ليا[٢]

قلت: نقل البيت الأخير من (كامل المبرد)[٣]، والصواب في المصراع الأول: «وان حسيناً كان شيئاً ملففاً».

روى (أغاني أبي الفرج) عن الجوهري عن النوفلي عن ابراهيم بن يزيد الخشاب قال: كان عبدالله بن معاوية صديقاً للحسين بن عبيدالله بن عبدالله بن العباس ـ وكانا يرميان بالزندقة ـ فقال الناس: انّما تصافيا على ذلك. ثم دخل بينهما شيء فتهاجرا، فقال له عبدالله:

وان حسيناً كان شيئاً ملففاً فمحصه التكشيف حتى بدا ليا

وعين الرضا عن كلّ عيبٍ كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

وأنت أخي مالم تكن لي حاجة فان عرضت أيقنت ان لا أخا ليا[٤]

وفي (مجالس ثعلب): يقال: ان بني فلان مثل بنات أوبر يظنّ ان فيهم خيراً فاذا خبروا لم يكن فيهم خير. قال: والواحد: ابن أوبر[٥].

«قال الرضي» هكذا في (المصرية)[٦]، وليس من النهج بدليل خلو النسخة الخطية عنه بل و (ابن ميثم) أيضاً[٧].

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٨١.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٠: ٨١.

(٣) الكامل للمبرّد ١: ١٨٣.

(٤) الأغاني لأبي الفرج ١٢: ٢٣٣.

(٥) المجالس لثعلب: ٣٠٢.

(٦) الطبعة المصرية: ٧٥٨ الحكمة (٤٢٠).

(٧) الخطية: ٣٢٨، لا وجود للعبارة أمّا ابن ميثم (شرح نهج البلاغة) ٥: ٤٥٢ فقد وردت العبارة.

«ومن الناس من يروي هذا للرسول» قلت: ومنهم من يرويه لأبي الدرداء كابن قتيبة[١] والجوهري[٢]، قال الثاني: واما قول أبي الدرداء «وجدت الناس أخبر تقلهم» فيريد انّك اذا أخبرتهم قليتهم. وفي (أمثال العسكري): والمثل لأبي الدرداء فيما زعم بعضهم، وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أيضاً[٣].

والصواب ما حقّقه المصنف، فان المأمون كان أعرف. وتكلّم أبي الدرداء بما نقل عنه (الصحاح) لا يدلّ على كونه الأصل في هذا، فاذا ثبت عنه عليه السلام كان هو الأصل ويكون أبو الدرداء كالمتمثل بكلامه عليه السلام كما هو شأن المتمثلين بالأمثال.

وروى (الروضة) عن الصادق عليه السلام قال: خالط الناس تخبرهم، ومتى تخبرهم تقلهم[٤].

هذا، وفي (ابن أبي الحديد)[٥] بدل ما في (المصرية)[٦] ـ للرسول ـ: «لرسول الله» كما ان في (ابن ميثم) «للنبي»[٧].

«ومما يقوّي انّه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما حكاه ثعلب» هو أبو العباس أحمد بن يحيى، قال في (المعجم): ولد سنة مائتين وتوفي سنة (٢٩١) وكان رأى أحد عشر خليفة أوّلهم المأمون وآخرهم المكتفي، وكان سبب وفاته انّه انصرف من الجامع وبيده دفتر ينظر فيه وقد شغله عمّا سواه، فصدمته دابة

---

(١) عيون الاخبار لابن قتيبة ٢: ١ .

(٢) الجوهري الصحاح ٢: ٦٤٢ مادة (خبر) .

(٣) الأمثال للعسكري: ٦٩ .

(٤) الروضة للكافي ٨: ١٧٦ ح١٩٦ .

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٨٠ الحكمة (٤٤٠) .

(٦) الطبعة المصرية: ٧٥٨ الحكمة (٤٢٠) .

(٧) في شرح ابن ميثم ٦: ٤٥٢ (للرسول).

فسقط على رأسه في هوّة من الطريق أخذ ترابها فلم يقدر على القيام فحمل إلى منزله فمات.

قال ثعلب: حفظت كتب الفراء ولي (٢٥) سنة، ولما أتقنت النحو أكببت على الشعر والمعاني والغريب ولزمت ابن الاعرابي بضع عشرة سنة[١].

«عن ابن الاعرابي» هكذا في (المصرية)[٢] ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) قال: حدّثنا ابن الاعرابي. وابن الاعرابي هو محمد بن زياد، قال ثعلب: انتهى علم اللغة والحفظ إليه، وكان يزعم ان الأصمعي وأبا عبيدة لا يحسنان قليلاً ولا كثيراً، توفي في خلافة الواثق.

«قال المأمون» هكذا في (المصرية)[٣] ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والنسخة الخطية): «قال قال المأمون»[٤].

في (الأغاني): كان ابراهيم بن المهدي شديد الانحراف عن عليّ عليه السلام فحدث يوماً للمأمون أنّه رأى عليّاً في النوم فقال له: من أنت؟ فأخبره أنّه علي بن أبي طالب فمشينا حتى جئنا قنطرة، فذهب يتقدّمني لعبورها، فأمسكته وقلت له: انّما أنت رجل تدّعي هذا الأمر بامرأة، ونحن أحقّ به منك، فما رأيت له في الجواب بلاغة كما يوصف عنه. فقال له المأمون: وأي شيء قال لك؟ فقال: ما زادني على ان قال: «سلاماً سلاماً» فقال له المأمون: قد والله أجابك أبلغ جواب. قال: وكيف؟ قال : عرفك انّك جاهل لا يجاوب مثلك، قال تعالى

---

(١) معجم الأُدباء ٥: ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٢) الطبعة المصرية: ٧٥٨ الحكمة (٤٢٠).

(٣) الطبعة المصرية: ٧٥٨ الحكمة (٤٢٠).

(٤) ابن أبي الحديد ٢٠: ٨٠ الحكمة (٤٤٠)، نسخة ابن ميثم: ٥ / ٤٥٢ «قال المأمون» أمّا في الخطية: ٣٢٨ فقد وردت عبارة «قال قال».

﴿...واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾[١] فخجل ابراهيم وقال: ليتني لم أُحدّثك بهذا الحديث[٢].

وفي (المروج) : كان المأمون يظهر التشيع وابراهيم بن المهدي التسنن، فقال المأمون:

إذا المرجي سرّك أن تراه	يموت لحينه من قبل موته
فجدّد عنده ذكرى عليٍّ	وصلِّ على النبيّ وآل بيته

فقال ابراهيم :

إذا الشيعي جمجم في مقال	فسرّك أن يبوح بذات نفسه
فصلِّ على النبيّ وصاحبيه	وزيريه وجاريه برمسه

وذكروا ان المأمون أمر بإشخاص سليمان بن محمّد الخطابي من البصرة، فلما مثل بين يديه قال له: أنت القائل: العراق عين الدُّنيا، والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة، ومسجدي عين المربد، وأنا عين مسجدي. وأنت أعور فاذن عين الدُّنيا عوراء. قال: لم أقل ذلك وما أظن أحضرتني لذلك. قال: بلغني أنّك أصبحت فوجدت على سارية من سواري مسجدك «رحم الله علياً انّه كان تقياً» مرت بمحوه. قال : كان «لقد كان نبيّاً» فأمرت بإزالته. فقال له المأمون: كذبت كانت القاف أصح من عينك الصحيحة، والله لولا ان أُقيم لك سوقاً عند العامة لأحسنت تأديبك[٣].

وفي (غيبة الشيخ): عن محمد بن عبدالله بن الأفطس قال: كنت عند المأمون فصرف ندماءه واحتبسني، ثم أخرج جواريه وضربن وتغنين، فقال

---

(١) الفرقان: ٦٣.

(٢) الأغاني ١٠: ١٢٦.

(٣) المروج ٣: ٤١٧.

لبعضهنّ: لما رثيت من بطوس قطنا. فأنشأت تقول:

سقياً لطوس ومن أضحى بها قطنا   من عترة المصطفى أبقى لنا حزنا
أعـني أبـا حسـن المأمـون ان له   حقّاً على كلّ من أضحى بها شجنا

فجعل يبكي حتى أبكاني، ثم قال: ويلك أيلمزني أهل بيتي وأهل بيتك ان أنصب أبا الحسن علماً ـ إلى أن قال ـ قال والله لأحدّثنّك بحديث عجيب فاكتمه: لمّا حملت زاهرية ببدر أتيته فقلت له: جعلت فداك بلغني ان موسى بن جعفر وجعفر بن محمد ومحمد بن علي وعلي بن الحسين والحسين بن علي عليهم السلام كانوا يزجرون الطير ولا يخطئون، وأنت وصيّ القوم وعندك علم ما كان عندهم وزاهرية حظيتي وقد حملت غير مرّة كلّ ذلك تسقط. فقال عليه السلام: لا تخش من سقطها فستسلم وتلد غلاماً صحيحاً أشبه الناس بأُمّه قد زاد الله في يده اليمنى خنصراً وفي رجله اليمنى خنصراً ـ إلى أن قال ـ فما شعرت إلّا بالقيّمة وقد أتتني بالغلام ـ كما وصفه ـ زائد اليد والرجل كأنّه كوكبٌ دريّ، فأردت أن أخرج من الأمر يومئذ وأُسلّم ما في يدي إليه، فلم تطاوعني نفسي لكن دفعت إليه الخاتم فقلت: دبر الأمر فليس عليك مني خلاف[1].

وفي (العقد): قال الجاحظ: قال سهل بن هارون: لقد كانت البرامكة مع تهذيب أخلاقهم وكريم أعراقهم وسعة آفاقهم ورونق سياقهم ومعسول مذاقهم وبهاء أشراقهم ونقاوة أعراضهم وتهذيب أغراضهم واكتمال الخير فيهم في جنب محاسن المأمون كالنقطة في البحر والخردلة في المهمه القفر[2].

---

(١) الغيبة للشيخ: ٧٤.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٥: ٥٨. أورد عبارة «الرشيد» بدلاً من المأمون وعبارة «المأمون» وردت في الإمامة والسياسة لابن قتيبة وفي بعض الأصول.

«لولا أنّ عليّاًعليه السلام قال: اخبر تقله لقلت أقله تخبر» قال ابن أبي الحديد ليس مراده بقوله «أقله» حقيقة القلى والبغض بل الهجر والقطيعة، أي: قاطع أخاك محرباً له هل يبقى على عهدك[١].

ومن كلام عتبة بن أبي سفيان: طيروا الدّم في وجوه الشبّان، فان حلموا وأحسنوا الجواب فهم هم وإلّا فلا تطمعوا فيهم. أي: اغضبوهم لأن الغضبان يحمر وجهه.

قلت: فعلى ما قاله يكون معنى «أقله» أخبره فيرجع إلى الأول، فلم عكس فلابد انّه أراد بقوله «اقله» القلى حقيقة، وذلك لأن من لم يكن قالياً لا يرى عيباً حتى يصير مختبراً، فمر قول عبدالله بن معاوية:

وعين الرضا عن كلّ عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

وعن مخارق: أنشدت المأمون قول أبي العتاهية:

واني لمحتاج إلى ظلّ صاحب يروق ويصفو ان كدرت عليه[٢]

فقال لي: أعد. فأعدت سبع مرّات فقال: يا مخارق خذ مني الخلافة واعطني هذا الصاحب.

هذا، وفي (كامل المبرد): يروى ان بلال بن أبي بردة بن أبي موسى وفد على عمر بن عبد العزيز بخناصره فسدك بسارية من المسجد فجعل يصلّي إليها ويديم الصلاة، فقال عمر للعلاء بن المغيرة: ان يكن سرّ هذا كعلانيته فهو رجل أهل العراق غير مدافع. فقال العلاء: أنا آتيك بخبره. فأتاه وهو يصلّي بين المغرب والعشاء، فقال: اشفع صلاتك فان لي إليك حاجة ففعل، فقال له العلاء: قد عرفت حالي من الخليفة، فان أنا أشرت بك على ولاية العراق فما

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٨٠ الحكمة (٤٤٠).

(٢) ديوان أبي العتاهية: ٤٦٤ في الصديق الصادق.

تجعل لي؟ قال عمالتي سنة ـ والعمالة بالضم أُجرة العامل ـ وكان مبلغها عشرين ألف ألف درهم. قال: فاكتب لي بذلك. فأسرع إلى منزله وكتب له بذلك. فأتى عمر بالكتاب، فلما رآه كتب إلى والي الكوفة: ان بلالاً غرّنا بالله فكدنا نغتر، فسبكناه فوجدناه خبثاً كلّه، ولا تستعن على عملك بأحد من آل أبي موسى(١).

١٤
الحكمة (٣٩٣)

وقال عليه السلام:

لَا تَصْحَبِ ٱلْمَائِقَ فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ وَيَوَدُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ.

أقول: في (الكافي) عنه عليه السلام اذا صعد المنبر قال: ينبغي للمسلم ان يجتنب مواخاة الثلاثة: الماجن والأحمق والكذّاب، فأما الماجن فيزيّن لك فعله ويحبّ أن تكون مثله ولا يعينك على أمر دينك ومعادك، ومدخله ومخرجه عليك عار، وأمّا الأحمق فانّه لا يشير عليك بخير ولا يرجى لصرف السوء عنك، ولو أجهد نفسه، وربما أراد منفعتك فضرّك، فموته خير من حياته، وسكوته خير من نطقه، وبعده خيرٌ من قربه، وامّا الكذّاب فانّه لا يهنيك معه عيش، ينقل إليك الحديث وينقل حديثك حتى انّه يحدّث بالصدق فلا يصدّق ويغري بين الناس بالعداوة...(٢).

وفي خبر آخر عنه عليه السلام: لا عليك أن تصحب ذا العقل وان لم تحمد كرمه، ولكن انتفع بعقله واحترس من سيئ أخلاقه، ولا تدعن صحبة الكريم فان لم تنتفع بعقله، ولكن انتفع بكرمه بعقلك وافرر الفرار كلّه

---

(١) الكامل للمبرّد ١: ٣٩٠.

(٢) الكافي ٢: ٣٧٦ ح٦.

من اللئيم الأحمق[١].

هذا، ونقل الكراجكي في (كنزه) عنه عليه السلام في الأصدقاء غير ما نقله المصنف فقرات منها: الناس اخوان، فمن كانت أُخوته في غير ذات الله فهي عداوة، وذلك قوله عزوجل: ﴿الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوّ إلّا المتّقين﴾[٢]، ابذل لصديقك كلّ المودة ولا تبذل له كلّ الطمأنينة، واعطه كلّ المواساة ولا تفض إليه بكلّ الأسرار، توفي الحكمة حقّها والصديق واجبه، احتمل زلّة وليّك لوقت وثبة عدوّك، من وعظ أخاه سرّاً فقد زانه ومن وعظه علانية فقد شانه، من كرم المرء بكاؤه على ما مضى من زمانه وحنينه إلى أوطانه وحفظه قديم اخوانه. اذا كان للمخالطة موضعاً لا تكثرن العتاب فانّه يورث الضغينة ويجر إلى البغيضة[٣].

وعن (التحف) عنه عليه السلام: ابذل لأخيك مالك ودمك، ولعدوّك عدلك وإنصافك، وللعامّة بشرك واحسانك، تسلم على الناس ويسلموا عليك[٤].

هذا، وقال عبدالله بن طاهر:

أميل مع الذمام على ابن عمي وآخذ للصديق من الشفيق
وان الفيتني ملكاً مطاعاً فانّك واجدي عبد الصديق[٥]

---

(١) الكافي ٢: ٣٧٥ ح٥.

(٢) الزخرف: ٦٧.

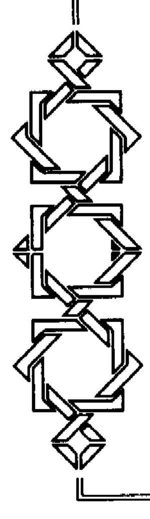
(٣) الكنز، للكراجكي: ٩٣ ـ ٩٤.

(٤) التحف: ٢١٢.

(٥) الأغاني ١٢: ١١٠.

الفصل السابع والاربعون

في التعازي والتهاني





١
الحكمة (٢٩١)

وَقَالَ عليه السلام وَقَدْ عَزَّى ٱلْأَشْعَثَ عَنَ ٱبْنٍ لَهُ:

يَا أَشْعَثُ إِنْ تَحْزَنْ عَلَى ٱبْنِكَ فَقَدِ اسْتَحَقَّتْ مِنْكَ ذَلِكَ ٱلرَّحِمُ، وإِنْ تَصْبِرْ فَفِي ٱللهِ عَنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلَفٌ. يَا أَشْعَثُ إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ ٱلْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْجُورٌ، وإِنْ جَزِعْتَ جَرَى عَلَيْكَ ٱلقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ، سَرَّكَ وَهُوَ بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ وَحَزَنَكَ وَهُوَ ثَوَابٌ وَرَحْمَةٌ.

أقول: قول المصنف: «وقد عزّى الأشعث عن ابن له» انّما روى الكليني[١] وابن أبي شعبة أنّه عليه السلام عزّاه عن أخ له بهذا الكلام بدون فقرة «سرك ...»، وبدون كلمة «على ابنك»، ففي (الكافي): علي بن محمد عن صالح بن أبي حمّاد رفعه قال: جاء أمير المؤمنين عليه السلام إلى الأشعث يعزّيه بأخ له يُقال له عبد الرحمن، فقال له: ان جزعت فحقّ الرحم أتيت، وان صبرت فحقّ الله

(١) الكافي ٣: ٢٦١ ح ٤٠ والتحف لابن أبي شعبة الحراني: ١٤٥.

أديت، على انّك ان صبرت جرى عليك القضاء وأنت محمود وان جزعت جرى عليك القضاء وأنت مذموم. فقال له الأشعث: انّا لله وإنّا إليه راجعون. فقال عليه السلام له: أتدري ما تأويلها؟ قال: لا، أنت غاية العلم ومنتهاه. فقال عليه السلام: اما قولك[١] «إنّا لله» فإقرار منك بالملك، واما قولك «إنّا لله وإنّا إليه راجعون» فإقرار منك بالهلك.

ومثله الثاني في (تحفه)[٢]، ورواه المبرد في (كامله) من قوله «ان صبرت -إلى - وأنت مأزور»[٣].

وكيف كان، فالتعزية مندوب إليها، ففي الخبر: قال داود عليه السلام: إلهي ما جزاء من يعزّي الحزين والمصاب ابتغاء مرضاتك؟ قال: أن أكسوه رداء من أردية الايمان أستره به من النار وأُدخله به الجنّة[٤].

وفي الخبر: قال موسى عليه السلام: ياربّ ما لمن عزّى الثكلى؟ قال: أُظلّه في ظلّي يوم لا ظلّ إلّا ظلّي[٥].

أيضاً قال النبيّ صلى الله عليه وآله: من عزّى مصاباً كان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر المصاب شيء[٦].

هذا، وروى الخطيب في محمد بن بشر البغدادي ان النبيّ صلى الله عليه وآله عزّى معاذ بن جبل - وهو والٍ باليمن - عن ابن له، فكتب إليه: أعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر ورزقك الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء، أنفسنا وأموالنا

---

(١) الكافي ٣: ٢٦١ ح ٢٠.

(٢) التحف: ١٤٥.

(٣) الكامل للمبرّد ٣: ١١٧٤.

(٤) بحار الأنوار ٨٣: ٩٥ ح٤٦ الباب ١٦.

(٥) بحار الأنوار ٨٢: ١١٣، ح٥٧ الباب ١٦.

(٦) الكافي ٣: ٢٠٥ ح ٢.

وأهلونا من مواهب الله الهنيّة وعواريه المستودعة، يمتّعنا بها إلى أجلٍ معدود ويقضيها لوقت معلوم، وحقّه علينا هناك اذا أبلانا الصبر، فعليك بتقوى الله وحسن العزاء، فان الحزن لا يردّ ميتاً ولا يؤخّر أجلاً، وان الأسف لا يرد ما هو نازل بالعباد[١].

«يا أشعث إنْ تحزن على ابنك فقد استحقت منك ذلك» هكذا في (المصرية)[٢] والصواب: «ذلك منك» كما في (ابن أبي الحديد[٣] وابن ميثم والنسخة الخطية).

«الرحم» لشاعر:

وسميته يحيى ليحيا ولم يكن	إلى رد أمر الله فيه سبيل
تيمنت فيه الفال حين رزقته	ولم أدر ان الفال فيه يفيل[٤]

في (الجزري) في وقائع سنة (٦١٢): توفي ولد الخليفة ـ وكان يلقّب الملك المعظّم ـ وحزن عليه الخليفة حزناً لم يسمع بمثله حتى انّه أرسل إلى أطراف الأصحاب ينهاهم عن إنفاذ رسول إليه يعزّيه بولده، ولم يقرأ كتاباً ولا سمع رسالة وانقطع وخلا بهمومه وأحزانه، ورؤي عليه من الحزن والجزع ما لم يسمع بمثله، ومشى جميع الناس بين يدي التابوت إلى تربة جدّته عند قبر معروف الكرخي، ولما أُدخل التابوت أُغلقت الأبواب وسمع الصراخ العظيم من داخل التربة، فقيل ان ذلك صوت الخليفة، واما العامة ببغداد فانّهم وجدوا عليه وجداً شديداً، ودامت المناجاة عليه في أقطار بغداد ليلاً ونهاراً، ولم يبق

---

(١) الخطيب ٢: ٨٩.

(٢) في الطبعة المصححة «ذلك منك» : ٧٢٧ الحكمة (٢٩٣).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٩٢، وردت عبارة «منك ذلك» في شرح ابن ميثم ٥: ٣٩١ ح ٢٧٥ أمّا لنسخة الخطية فقد سقط النص منها.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٩٤.

ببغداد محلّة إلّا وفيها النوح، ولم تبق امرأة إلّا وأظهرت الحزن[١].

وعن الزبير بن بكار: ان ابن الزبير خطب بعد قتل المصعب أخيه: أتانا من العراق خبر أحزننا وأفرحنا، فأما الذي أحزننا فإن لفراق الحميم لذعة يجدها حميمه عند المصيبة[٢].

«وان تصبر ففي الله» أي: في ثوابه

«من كلّ مصيبة خلف».

قال الجاحظ : كان عليّ عليه السلام اذا عزّى قوماً قال: ان تجزعوا فأهل ذلك الرحم، وان تصبروا ففي ثواب الله عوض من كلّ فائت، وان أعظم مصيبة أُصيب بها المسلمون محمّد صلى الله عليه وآله.

وقال سهل بن هارون: التهنئة بآجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة.

«يا أشعث ان صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور».

خطوب المنايا صرحت عن مواهب   مواهب أجر من نتاج المصائب

روي ان داود عليه السلام مات له ولد فحزن عليه، فأوحى إليه: ما كان يعدل هذا الولد عندك؟ قال: ملء الأرض ذهباً. قال تعالى فلك عندي ملء الأرض ثواباً[٣].

«وان جزعت جرى عليك القضاء وأنت مأزور» ماضي مأزور «وزر» من باب علم وحسب وشرف، وأصله موزور، وانّما قيل مأزور في قِبال مأجور ولو أفرد عنه يقال موزور.

---

(١) الكامل للجزري ١٢: ٣٠٨.

(٢) الموفقيات: ٥٤٠.

(٣) بحار الأنوار ٨٢: ١٢١ ح ١٤ ب ١٧.

وفي (المعجم): عن الصولي قال: لما مات غلام أبي الجهم ـ من عمّال ابن الزيّات ـ خاطب ملك الموت وقال:

تـــركت عـــبيد بـني طـاهر ... وقد ملأوا الأرض عرضاً وطـولا

وأقـــبلت تسـعى إلى واحـدي ... ضـراراً كأنّـي قـتلت الرسـولا

فسـوف اديـن بـترك الصـلاة ... واصطبح الخمر صرفاً شمولا[1]

وقالوا: كان رجل من عاد مسمّى بحمار، فمات أولاد له بصاعقة فكفر كفراً عظيماً، فلا يمرّ بأرضه أحد إلّا دعاه إلى الكفر، فان أجابه وإلّا قتله، وبه يضرب المثل في قولهم «أكفر من حمار».

وقيل: المصيبة واحدة إن صبرت، وإلّا فمصيبتان، والمصيبة بالأجر أعظم من المعصية بالاخر.

ان يكـن مـا أصـبت بـه جـليلاً ... فـذهاب العـزاء فـيه أجـلّ

كـــل آت لا شك آت وذو الـ ... جهل معنى والهم والحزن فضل

ولما مات ابنا الفرزدق قال:

فما ابناك إلّا من بني الناس فاصبري ... فلن يـرجـع المـوتى حـنين المآتـم

وفي (الجزري): مات ابن للسلطان ملك شاه في سنة (٤٧٤) فجزع عليه جزعاً شديداً وحزن عليه حزناً عظيماً ومنع من أخذه وغسله حتى تـغيّرت رائحته وأراد قتل نفسه مرّات[2].

«يا أشعث ابنك» هكذا في (المصرية)[3] ولكن كلمة «ابنك» زائدة قطعاً لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)، وأما «يا أشعث» فإنّما

---

(١) المعجم ١: ١٦٩.

(٢) الكامل في التاريخ لبن الاثير ١٠: ١٢٢.

(٣) الطبعة المصححة لا وجود لها: ٧٢٧.

هي في الأول[١].

«سَرُّك وهو بلاء وفتنة» ﴿إنّما أموالكم وأولادكم فتنة ...﴾[٢].

«وحزنك وهو ثواب ورحمة» عزّى رجلٌ الهادي بن المهدي العباسي عن ابن له فقال:

كــان لك مـن زيـنة الحـياة الدُّنـيا ... وهو اليوم من الباقيات الصالحات

وقال الطائي:

عليك بثوب الصــبر إذ فـيه مـلبس ... فإن ابنك المحمود بعد ابنك الصبر

وفي (الطبري): قدم المهدي البصرة فمر فـي سكـة قـريش ـ وكـانوا يتشأمون بها ـ وصاحب شرطته أمامه وابنته البانوقة بينه وبـين صـاحب الشرطة في هيئة الفتيان عليها قباء أسود ومنطقة وشـاشة مـتقلّدة السـيف وكان ثدياها قد رفعا القباء، ثم ماتت ببغداد فأظهر عـليها المـهدي جـزعاً لم يسمع بمثله، فجلس للناس يعزونه، فأكـثر النـاس وأجـمعوا عـلى أنّـهم لم يسمعوا تعزية أوجز وأبلغ من تعزية شبيبٍ ابنَ شيبة، فقال له: الله خير لهـا منك، وثواب الله خير لك منها، وأنا أسأل ألا يحزنك ولا يفتنك[٣].

وروى (الاستيعاب) عن ابراهيم بن الأشتر عن أبيه عن أم ذر زوجة أبي ذر قالت: بكيت. فقال أبو ذر: ما يبكيك؟ فقلت: ما لي لا أبكي وأنت تموت بفلاة ـ إلى أن قال ـ فقال: فابشري ولا تبكي، فانّي سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: لا يموت بين امرئين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبـداً، وقد مات لنا ثلاثة من الولد ـ ...[٤].

---

(١) شرح نهج البلغة لابن ميثم ٥: ٣٩١ح ٧٥.

(٢) التغابن: ١٥.

(٣) تاريخ الطبري ٦: ١٦٩.

(٤) الاستيعاب ١: ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

وفي (كامل المبرد): قالت الخنساء ترثي أخاها معاوية بن عمرو من أبيها وأمّها:

أريقي من دموعك واستفيقي وصبراً ان أطقت ولن تطيقي

إلى أن قالت:

فلا والله لا تسلاك نفسي لفاحشة أتيت ولا عقوق

ولكنّي رأيت الصبر خيراً من النعلين والرأس الحليق

وقال في معنى البيت الأخير: ان المرأة اذا كانت أُصيبت بحميم جعلت في يديها نعلين تصفق بهما صدرها ووجهها[1].

ونظرت أعرابية إلى امرأة حولها عشرة من بنيها كأنّهم الصقور، فقالت: لقد ولدت لكم حزناً طويلاً.

وقيل لاعرابية مات ابنها: ما أحسن عزاءك. فقالت: ان فقدي إيّاه آمنني من المصيبة بعده[2].

هذا، وقيل لأعرابي: كيف حزنك اليوم على ولدك؟ فقال: ما ترك حب الغداء والعشاء لي حزناً.

٢
الحكمة (٤١٣)

وقال عليه السلام:

مَنْ صَبَرَ صَبْرَ ٱلْاَحْرارِ وَإِلَّا سَلَا سُلُوَّ ٱلْأَغْمَارِ.

وَفِي خَبَرٍ آخَرَ أَنَّهُ عليه السلام قَالَ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ مُعَزِّياً: إِنْ صَبَرْتَ صَبْرَ ٱلْأَكَارِمِ وَإِلَّا سَلَوْتَ سُلُوَّ ٱلْبَهَائِمِ.

---

(١) الكامل للمبرّد ٣: ١٢١٧.

(٢) نهاية الارب ٥: ١٦٤.

«من صبر صبر الأحرار وإلّا سلا سلوّ الأغمار».

الأصل في سلا «سلا سلواً» مثل قعد قعوداً، وأما «سلى سلياً» فلغة. قال أبو زيد: السلو: طيب نفس الألف عن ألفه، كما أنّ الأصل في الغمر الصبي الذي لا عقل له، ويقال لكلّ من لا خير فيه ولا غناء عنده.

وفي (المروج): اعتلّت حبابة مغنية يزيد بن عبد الملك وكانت ذات يوم غنّته فطرب طرباً ثم قال: أُريد أن أطير.

فقالت: فعلى من تدع الأُمة؟ قال: إليك. وأقام أياماً لا يظهر للناس، ثمّ ماتت فأقام أياماً لا يدفنها جزعاً عليها حتى جيفت، فقيل: ان الناس يتحدّثون بجزعك وان الخلافة تجلّ عن ذلك، فدفنها وأقام على قبرها فقال:

فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى ... فباليأس تسلو النفس لا بالتجلّد

وقالوا أيضاً: لمّا توفيت أكبّ عليها يتشممها أياماً حتى أنتنت ـ إلى أن قال ـ وطعن في جنازتها فدفنوه إلى سبعة عشر يوماً[1].

«وفي خبر آخر أنّه قال للأشعث بن قيس معزّياً: إنْ صبرت صبر الأكارم وإلّا سلوت سلوّ البهائم»[2].

قال ابن أبي الحديد: حكاه أبو تمام فقال:

وقال علي في التعازي لأشعث ... وخاف عليه بعض تلك المآثم

أتصبر للبلوى عزاء وحسبة ... فتوجر أم تسلو سلو البهائم[3]

قلت: وقد أخذه آخر فقال:

إذا أنت لم تسل اصطباراً وحسبة ... سلوت على الأيام مثل البهائم

---

(١) المروج ٣: ١٩٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٥٠.

(٣) المصدر نفسه ٢٠: ٥٠.

وفي خبر آخر رواه المبرّد في (كامله): كان علي عليه السلام يقول عند التعزية: «عليكم بالصبر فإنّ به يأخذ الحازم وإليه يعود الجازع»[١] وفي خبر آخر رواه ابن أبي شعبة في (تحفه) أنّه عليه السلام عزّى ابن عباس عن مولود صغير له مات فقال: لمصيبة في غيرك لك أجرها أحبّ إليّ من مصيبة فيك لغيرك ثوابها، فكان لك الأجر لا بك وحسن لك العزاء لا عنك وعوّضك الله عنه مثل الذي عوّضه منك[٢].

وفي (تنبيه القالي) عن حذيفة : ما خلق الله تعالى شيئاً إلّا صغيراً ثم يكبر إلّا المصيبة فانّه خلقها كبيرة ثم تصغر[٣].

وفي (الأغاني): كثر بكاء غيلان بن سلمة الثقفي على ابنه نافع لما قتل مع خالد بن الوليد بدومة الجندل، فعوتب في ذلك فقال: والله لا تسمح عيني بمائها فأضنّ به على نافع، فلما تطاول العهد انقطع ذلك فقال: بلى نافع وبلى الجزع وفنيت الدموع واللحاق به قريب[٤].

هذا، وفي (كامل المبرد): قال ابن عياش: نزلت بي مصيبة أوجعتني فذكرت قول ذي الرمة :

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفي نجي البلابل

فخلوت فبكيت فسلوت[٥].

---

(١) الكامل لأبي العباس المبرد ٣: ١١٧٤.

(٢) تحف العقول لأبي شعبة: ١٤٥.

(٣) ذكره في النوادر وليس في التنبيه: ١٩٦.

(٤) الأغاني ١٣: ٢٠٨.

(٥) الكامل في الأدب ١: ٨٠.

٣
الحكمة (٤٤٨)

وقال عليه السلام:

مَنْ عَظَّمَ صِغارَ المَصَائِبِ ٱبْتَلَاهُ ٱللهُ بِكِبَارِهَا.

أقول: في (كامل المبرد): قال علي بن الحسين عليه السلام حين مات ابنه فلم ير منه جزع، فسُئِلَ عن ذلك فقال: أمرٌ كنّا نتوقعه فلما وقع لم ننكره[١].

وقيل: ان حارث بن عبدالله الباهلي كان له بنون سبعة حلب لهم في علبة فمج فيها أفعى فبعث بها إليهم فشربوها فماتوا جميعاً، وهلكت لجارٍ له شاة فجعل يعلن بالبكاء عليها، فقال قائل:

يا أيها الباكي على شاته	يبكي جهاراً غير اسرار
ان الرزيئات وأمثالها	ما لقي الحارث في الدار[٢]

وقالوا: دخل كعب البقر الهاشمي على محمد بن عبدالله بن طاهر يعزّيه بأخيه فقال: أعظم الله مصيبة الأمير. فقال: أما فيك فقد فعل[٣].

٤
الحكمة (١٨٩)

وقال عليه السلام:

مَنْ لَمْ يُنجِهِ ٱلصَّبْرُ أَهْلَكَهُ ٱلْجَزَعُ.

أقول: كما في يزيد بن عبد الملك في جاريته حبابة أهلكه الجزع لما لم يصبر فمات بعدها بأيام[٤].

---

(١) الكامل للمبرّد ٣: ١٢٠٤.

(٢) الكامل للمبرّد ٣: ١٢٠٤.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ١٦١.

(٤) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢٠٩.

وروى (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال: ان الصبر والبلاء يستبقان إلى المؤمن فيأتيه البلاء وهو صبور، وان الجزع والبلاء يستبقان إلى الكافر فيأتيه البلاء وهو جزوع[١].

وعنه عليه السلام قال: لا تعدّن مصيبة أُعطيت عليها الصبر واستوجبت من الله تعالى عليها الثواب، انّما المصيبة التي يحرم صاحبها أجرها وثوابها اذا لم يصبر عند نزولها[٢].

هذا، وفي (الحلية) مات للشبلي ابن كان اسمه غالباً فجزت أُمه شعرها عليه، وكان للشبلي لحية كبيرة فأمر بحلق الجميع، فقيل له: يا استاذ ما حملك على هذا؟ فقال: جزّت هذه شعرها على مفقود فكيف لا أحلق لحيتي أنا على موجود[٣].

قلت: ومن العجب، هذا أحد معروفي مشائخ الصوفية وهذه أعماله، مع انّه نقل عن خير النساج قال: جاءنا الشبلي وهو سكران فنظرنا ولم يكلّمنا، فانهجم على الجنيد في بيته وهو جالس مع امرأته مكشوفة الرأس.فهمّت أن تُغطي رأسها فقال لها الجنيد: لا عليك ليس هو هناك. قال: فصفق على رأس الجنيد وأنشأ يقول: «عودوني الوصال والوصال عذب ...»[٤].

وقال: قال رجل: نراك جسيماً بديناً والمحبة تضني. فأنشأ:

أحب قلبي وما درى بدني ولو درى ما أقام في السمن[٥]

ونقل ان أبا بكر بن مجاهد قال له: أُخبرت انّك تحرق الثياب والخبز

---

(١) الكافي ٣: ٢٢٣ ح٣.

(٢) الكافي ٣: ٢٢٤ ح٧.

(٣) الحلية ١٠: ٣٧٠.

(٤) الحلية ١٠: ٣٦٧.

(٥) الحلية ١٠: ٣٧١.

والأطعمة وما ينتفع به الناس من منافعهم ومصالحهم، أين هذا من العلم والشرع؟ فقال له: قول الله ﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾[١] أين هذا من العلم؟ فسكت ابن مجاهد وقال: كأنّي لم أقرأها قط[٢].

قلت: وكفاهما خزياً استدلالاً واقتناعاً.

٥
الحكمة (٣٥٧)

وَعَزَّى قَوْماً عَنْ مَيِّتٍ مَاتَ لَهُمْ فَقَالَ:

إِنَّ هَذَا ٱلْأَمْرَ لَيْسَ لَكُمْ بَدَأَ وَلَا إِلَيْكُمْ ٱنْتَهَى، وَقَدْ كَانَ صَاحِبُكُمْ هَـذَا يُسَافِرُ فَعُدُّوهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وَإِلَّا قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ.

«إنّ هذا الأمر» أي: الموت الذي نزل بصاحبهم.

«ليس لكم بدأ» هكذا في النسخ، ولكن الظاهر ان الأصل «ليس بكم بدأ».

«ولا إليكم انتهى» أخذ المعنى الفرزدق فقال لمّا مات ابناه مخاطباً لامرأته:

وقد رزئ الأقوام قبلي بابنهم … واخوانهم فاقني حياء الكرائم

ومات أبي والمنذران كلاهما … وعمرو بن كلثوم شهاب الأراقم

وقد كان مات الأقرعان وحاجب … وعمرو أبو عمرو وقيس بن عاصم

وقد مات بسطام بن قيس بن خالد … ومات أبو غسان شيخ اللهازم

وقد مات خيراهم فلم يهلكاهم … عشية بانا رهط كعب وحاتم

فما ابناك إلّا من بني الناس فاصبري … فلن يرجع الموتى حنين المآتم[٣]

---

(١) ص ٣٣.

(٢) الحلية ١٠: ٣٧٤.

(٣) ديوان الفرزدق ٢: ٢٠٦.

وعزّى رجل آخر فقال: والعجب كيف يعزّي ميت ميتاً عن ميت.

وفي (عيون الصدوق): نعي إلى الصادق عليه السلام اسماعيل بن جعفر وهو أكبر أولاده ـ وهو يريد أن يأكل وقد اجتمع ندماؤه ـ فتبسّم ثم دعا بطعامه وقعد معهم وجعل يأكل أحسن من أكله سائر الأيام ويحثّهم على الأكل ويضع بين أيديهم ويعجبون منه ألا يرون للحزن أثراً، فلما فرغوا قالوا: يابن رسول الله لقد رأينا عجباً، أُصبت بمثل هذا الابن وأنت كما ترى. قال: وما لي لا أكون كما ترون وقد جاءني خبر أصدق الصادقين أنّي ميّت وإيّاكم، ان قوماً عرفوا الموت فجعلوه نصب أعينهم لم ينكروا من يخطفه الموت منهم وسلموا لأمر خالقهم عزّوجل[١].

«وقد كان صاحبكم هذا يسافر فعدوه في بعض أسفاره» هكذا في (المصرية)[٢] والصواب: «سفراته» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٣].

«فإن قدم عليكم وإلّا فأنتم قدمتم عليه» أخذ كلامه عليه السلام هذا الحجاج، فكتب إلى الوليد في جواب تعزيته له بأخيه محمّد: ما التقيت أنا ومحمد منذ كذا وكذا سنة إلّا عاماً واحداً، وما غاب عنّي غيبة، أنا لقرب اللقاء فيها أرجى من غيبته هذه في دار لا يفترق فيها.

وقال البحتري للذفافي في أخيه:

نودي كما أودي ونشرب كأسه الملأى ونسلك نهجه المسلوكا[٤]

وقال أخو لبيد:

---

(١) العيون للصدوق ٢: ٢، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٤٧: ١٨ ح ٧.

(٢) الطبعة المصرية المصححة: ٧٤٠ الحكمة (٣٥٧).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٧٤.

(٤) ديوان البحتري ٢: ٩٠.

وانا واخوان لنا قد تـتابعوا لكالمغتدي والرائح المتهجر

وفي (أمالي القالي): قال رجل من محارب يعزّي ابن عم له على ولده:

وان أخــاك الكـاره الورد وارد وانّك مرأى مـن أخـيك ومسـمع

وانّك لا تــــدري بأيّـــة بـــلدة صداك ولا عن أي جنبيك تصرع

أتـــجزع ان نـفسٌ أتـاها حـمامها فهلا التي عن بين جنبيك تدفع[١]

وقالوا : مات ابنٌ لسليمان بن علي فجزع عليه جزعاً شديداً حتى امتنع من الطعام والشراب وجعل الناس يعزّونه فلا يحفل بذلك، فدخل عليه يحيى بن منصور فقال: عليكم نزل كتاب الله فأنتم أعلم بفرائضه، ومنكم كان رسول الله صلى الله عليه وآله فأنتم أعلم بسنّته، ولست ممّن يعلم من جهل ولا يقوّم من عوج، ولكن أُعزّيك ببيت شعر . قال: هاته . قال:

وهون ما ألقى من الوجد أنّـني أُساكنه في داره اليوم أو غـد[٢]

قال : أعد. فأعاد. فقال: يا غلام الغداء.

وقال ابن أبي الحديد قال ابراهيم بن المهدي في ولد له:

يـؤوب إلى أوطـانه كـلّ غـائب وأحمد في الغياب ليس يـؤوب

تــبدل داراً غـير داري وجـيرة سواي وأحداث الزمـان تـنوب

أقـــام بـهـا مسـتوطناً غـير انّـه على طـول أيـام المـقام غـريب

واني ـ وان قدّمت قـبلي ـ عـالم بأني ـ وإن أبطأت عنك ـ قريب

وان صباحاً نلتقي فـي مسـائه صباح إلى قلبي الغداة حبيب[٣]

وقال وضّاح اليمن في رثاء أبيه وأخيه لما أتاه نعيهما :

---

(١) الأمالي للقالي: ١٠٥، ذيل الأمالي.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ٣: ٩٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٧٤.

سأصبر للقضاء فكلّ حي	سيلقى سكرة الموت المذوق
فما الدُّنيا بقائمة وفيها	من الأحياء ذو عين رموق
وللأحياء أيام تقضى	يلف ختامها سوقاً بسوق
كذلك يبعثون وهم فرادى	ليوم فيه توفية الحقوق[1]

هذا وفي (كامل المبرّد): قال رجل من أصحابنا: شهدت رجلاً في طريق مكّة معتكفاً على قبر وهو يردّد شيئاً ودموعه تكفّ من لحيته، فدنوت لأسمع ما يقول، فجعلت العبرة تحول بينه وبين الإبانة، فقلت له: يا هذا. فرفع رأسه إليّ وكأنّما هب من رقدة فقال: ما تشاء. فقلت: أعلى أبيك تبكي؟ قال: لا. قلت. فعلى ابنك؟ قال: لا، ولا على نسيب ولا صديق ولكن على من هو أخصّ منهم. قلت: أو يكون أحد أخص ممّن ذكرت؟ قال: نعم من أخبرك عنه، ان هذا المدفون كان عدوّاً لي من كلّ باب، يسعى عليّ في نفسي وفي مالي وفي ولدي، فخرج إلى الصيد أيأس ما كنت من عطبه وأكمل ما كان من صحته، فرمى ظبياً فأقصده فذهب ليأخذه فإذا هو قد أنفذه حتى نجم سهمه من صفحة الظبي، فعثر فتلقى بفؤاده ظبة السهم فلحقه أولياؤه فانتزعوا السهم وهو والظبي ميتان، فنمى إليّ خبره فأسرعت إلى قبره مغتبطاً بفقده، فانّي لضاحك السن إذ وقعت عيني على صخرة فرأيت عليها كتاباً فهلم فاقرأه ـ وأومأ إلى الصخرة ـ فاذا عليها:

وما نحن إلّا مثلهم غير اننا	أقمنا قليلاً بعدهم وتقدّموا

قلت: اشهد انّك تبكي على من بكاؤك عليه أحقّ من النسيب[2].

قلت: لأنّه بكاء على نفسه ولا أعزّ من نفسه.

---

(١) الأغاني ٦: ٢٢٩.

(٢) الكامل للمبرّد ٣: ١٢٥٥.

هذا، وقالوا: مات ابن لصالح بن عبد القدوس المرمي بالزندقة، فجزع عليه فقال له أبو الهذيل: لا أعرف لحزنك وجهاً اذا كان الناس عندك كالزرع. قال: انّما أتوجع عليه لأنّه لم يقرأ كتاب الشكوك. قال: ماهو؟ قال: كتاب وضعته من قرأه يشكّ فيما كان حتى يتوهّم انّه لم يكن، وفيما لم يكن حتى يتوهم انّه قد كان. فقال له أبو الهذيل: فشك أنت في موت ابنك واعمل على انّه لم يمت وان كان قد مات، وشك أيضاً في انّه قد قرأ كتاب الشكوك وان كان لم يقرأه.

هذا، وله عليه السلام كلام آخر لم ينقله المصنّف ذكره المبرّد في (كامله) فقال في باب اختصار الخطب: كان علي بن أبي طالب عليه السلام يقول عند التعزية: «عليكم بالصبر فانّ به يأخذ الحازم وإليه يعود الجازع»[1].

٦
الحكمة (٣٥٤)

وَهَنَّأَ بِحَضْرَتِهِ رَجُلٌ رَجُلاً بِغُلامٍ وُلِدَ لَـهُ فَـقَالَ: لِـيَهْنِئْكَ ٱلْـفَارِسُ فَقَالَ عليه السلام:

لَا تَقُلْ ذَلِكَ وَلَكِنْ قُلْ: شَكَرْتَ ٱلْوَاهِبَ وَبُورِكَ لَكَ فِي ٱلْمَوْهُوبِ وَبَلَغَ أَشُدَّهُ وَرُزِقْتَ بِرَّه.

قول المصنّف: «وهنّأ بحضرته رجل رجلاً فقال ليهنئك الفارس» في (عيون القتيبي): قال الناجي: كنت عند الحسن البصري فقال رجل: ليهنئك الفارس. فقال الحسن: لعلّه يكون بغالاً[2].

«فقال عليه السلام لا تقل ذلك». وكما نهى عن «ليهنئك الفارس» في الولادة نهى

---

(١) الكامل للمبرّد ٣: ١١٧٤، مرّ في صفحة ١٢١.

(٢) العيون للقتيبي ٣: ٦٨.

عن «بالرفاء والبنين» في التزويج، ففي (تاريخ بغداد): قدم عقيل البصرة فتزوج امرأة فقالوا: بالرفاء والبنين. فقال: لا تقولوا ذلك، فانّ النبيّ ﷺ نهانا عن ذلك وأمرنا أن نقول: «بارك الله لك وبارك عليك»[1].

هذا وفي (فتوح البلاذري): دمون الذي تزوج أبو موسى الأشعري ابنته فولدت له أبا بردة خطة بالبصرة وفيه قالوا: الرفاء والبنون وخبز وكمون في بيت الدمون[2].

وقالوا: فارق شقيق بن مسليل امرأة وقال لها:

فـامّا نكـحت فـلا بـالرفا	اذا ما فـعلت ولا بـالبنينا
اذا حـــــــملت إلى داره	اعد لظهرك سوطاً مـتينا

وكذلك نهى عن قول «استأثر الله بفلان» في التكنية عن موته، ففي (صفين نصر): لما قدم علي عليه السلام الكوفة نزل على باب المسجد، فدخل وصلّى ثم تحوّل وجلس إليه الناس، فسأل عن رجل من أصحابه كان ينزل الكوفة فقال قائل «استأثر الله به» فقال عليه السلام: ان الله لا يستأثر بأحد من خلقه، انما أراد الله بالموت اعزاز نفسه وإذلال خلقه[3]. وقرأ ﴿... وَكُنْتُم أَمْوَاتاً فأَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ...﴾[4].

وكذلك نهى عن قولهم «طاب استحمامك».

ففي (الكافي): قال أبو مريم الأنصاري: ان الحسن بن علي عليه السلام خرج من الحمام فلقيه انسان فقال: طاب استحمامك. فقال يالكع وما تصنع بالاست هھنا، فقال: «طاب حميمك». فقال: أما تعلم ان الحميم العرق. قال «طاب

---

(١) تاريخ بغداد ١١: ٤٢.

(٢) الفتوح للبلاذري: ٤٩٢.

(٣) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٥.

(٤) البقرة: ٢٨.

حمامك» قال: فاذا طاب حمامي فأي شيء لي؟ قال: طهر ما طاب منك وطاب ما طهر منك[١].

هذا، وفي (الصحاح): كانت العرب تقول في الجاهلية اذا ولد لأحدهم بنت: «هنيئاً لك النافجة» أي المعظمة لمالك لانّك تأخذ مهرها فتضمّه إلى مالك فينفج[٢].

وقال ابن أبي الحديد كانت تحية الجاهلية: «أبيت اللعن» فنهى عنها وجعل عوضها «سلام عليكم»[٣].

قلت: انما كان «أبيت اللعن» عندهم تحية الملوك، والسلام تحية لجميع الناس فكيف يكون بدلاً عنه؟

«ولكن قل شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب وبلغ أشدّه ورزقت برّه»

في حديث الأربعمائة، عنه عليه السلام في أمر الدين والدُّنيا: اذا هنّأتم الرجل عن مولود ذكر فقولوا: بارك الله لك في هبته وبلغ أشده ورزقت بره[٤].

وفي (كامل المبرّد): يروى عن علي عليه السلام أنّه افتقد عبدالله بن عباس فقال: ما باله لم يحضر؟ فقالوا: ولد له مولود. فأتاه فهنأه فقال: «شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب» ما سمّيته؟ قال: أويجوز أن أُسميه حتى تسميه؟ فأمر به فأُخرج إليه فأخذه وحنكه ودعا له ثم ردّه إليه وقال له: «خذ إليك أبا الأملاك، قد سمّيته علياً وكنيته أبا الحسن». فلما قام معاوية قال لابن عباس ليس لكم اسمه وكنيته قد كنيته أبا محمد فجرت عليه[٥] هذا، وفي (اليتيمة):

---

(١) الكافي ٦: ٥٠٠ ح ٢١.

(٢) الصحاح ١: ٣٤٥.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٧٠.

(٤) حديث الأربعمائة:

(٥) الكامل، للمبرّد ٢: ٥٧٢ ـ ٥٧٣.

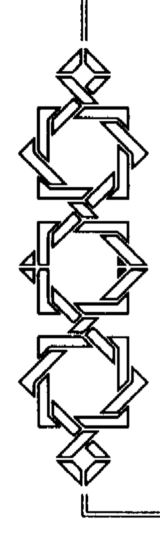
كتب بعض العلوية إلى الصاحب: رزقت مولوداً فسمّه وكنّه. فوقع في رقعته «أسعدك الله بالفارس الجديد والطالع السعيد، فقد والله ملأ العين قرّة والنفس مسرة والاسم علي ليعلي الله ذكره والكنية أبو الحسن ليحسن الله أمره، فانّي ارجو له فضل جدّه وسعادة جدّه، وقد بعثت لتعويذه ديناراً من مائة مثقال قصدت به مقصد الفال رجاء أن يعيش مائة عام ويخلص خلاص الذهب الأبزر من نوب الأيام، والسلام»[1].

وقيل لأعرابي ولد له ولد: جعله الله برّاً تقيّاً. فقال: لا بل جبّاراً عصيّاً يخافه أعداؤه ويؤمله أصدقاؤه.

(١) يتيمة الدهر ٣: ٢٣١.

الفصل الثامن والاربعون

في آداب الحرب





١
الخطبة (١١)

وَمِنْ كَلَام لَهُ عليه السلام لِابْنه مُحَمَّدِ بْنَ الْحَنَفِيَّةِ لَمَّا أعْطَاهُ الرَّايَةَ يَوْمَ الْجَمَل:

تَزُولُ الجِبالُ وَلا تَزُلْ، عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ، أَعِرِ اللهَ جُمْجُمَتَكَ، تِدْ فِي الأرْضِ قَدَمَكَ، ارمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ، وَغُضَّ بَصَرَكَ وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ.

قول المصنّف: «ومن كلام له عليه السلام» وفي نسخة (ابن ميثم) «ومن كلامه عليه السلام»[١].

«لابنه محمد بن الحنفية» اشتهر بالنسبة إلى أُمّه خولة الحنفية. قال ابن أبي الحديد هي بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة. قال قوم: إنّها من سبايا الردة في أيام أبي بكر على

---

(١) في شرح نهج البلاغة لبن ميثم ١: ٢٨٦، «ومن كلام له».

يد خالد بن الوليد في ارتداد بني حنيفة وادّعاء مسيلمة النبوّة[1].

وقال المدائني: إنّها من سبايا اليمن في أيام النبيّ ﷺ في ارتداد زبيد مع عمرو بن معد يكرب، وكانت زبيد سبتها من بني حنيفة فصارت في سهم علي عليه السلام، فقال له النبيّ ﷺ: إن ولدت منك غلاماً فسمّه باسمي وكنّه بكنيتي[2].

وقال البلاذري في (تاريخ أشرافه): ان بني أسد أغارت على بني حنيفة في أيام أبي بكر فسبوها وقدموا بها المدينة فباعوها من علي عليه السلام، وبلغ قومها خبرها فقدموا على علي وأخبروه بموضعها منهم فأعتقها وتزوجها[3].

قلت: وفي (المروج): عن كتاب أخبار النوفلي: قال الوليد بن هشام المخزومي: خطب ابن الزبير فنال من علي عليه السلام، فبلغ ذلك ابنه محمّد بن الحنفية فجاء ووضع له كرسي قدامه فعلاه وقال: يا معشر قريش شاهت الوجوه أينتقص عليّ عليه السلام وأنتم حضور، ان علياً كان سهماً صائباً أحد مرامي الله على أعدائه، يقتلهم لكفرهم ويهوعهم مآكلهم، فثقل عليهم فرموه بصرفة الأباطيل فان تكن لنا في الأيام دولة ننثر عظامهم ونحسر عن أجسادهم والأبدان يومئذ بالية، ﴿... وسيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون﴾. فعاد ابن الزبير إلى خطبته وقال: عذرت بني الفواطم يتكلّمون، فما بال ابن الحنفية؟ فقال محمد: يا ابن أُم رومان وما لي لا أتكلّم، أليست فاطمة بنت محمّد ﷺ حليلة أبي وأُم اخوتي، أوليست فاطمة بنت أسد بن هاشم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٤٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٤٤.

(٣) تاريخ الاشراف، للبلاذري ٢: ٢٠١.

جدّتي، أوليست فاطمة بنت عمرو بن عائذ جدّة أبي، أما والله لولا خديجة بنت خويلد ما تركت في بني أسد عظماً إلّا هشّمته[1].

«لما أعطاه الراية يوم الجمل» قال ابن أبي الحديد لما تقاعس محمد يوم الجمل عن الحملة وحمل علي عليه السلام بالراية فضعضع أركان عسكر الجمل، دفع إليه الراية وقال له: امح الأُولى بالأُخرى وهذه الأنصار معك. وضمّ إليه خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين في جمع منهم من أهل بدر، فحمل حملات كثيرة أزال بها القوم عن مواقفهم وأبلى بلاءً حسناً، فقال خزيمة لعليّ عليه السلام: أما إنّه لو كان غير محمد اليوم لافتضح، ولئن كنت خفت عليه الجبن وهو بينك وبين حمزة وجعفر لما خفناه عليه، وان كنت أردت أن تعلمه الطعان فطالما علّمته الرجال. وقالت الأنصار: يا أمير المؤمنين لولا ما جعل الله تعالى للحسن والحسين عليهما السلام لما قدمنا على محمّد أحداً من العرب. فقال علي عليه السلام : أين النجم من الشمس والقمر، أما إنّه قد أغنى وأبلى وله فضله ولا ينقصه فضل صاحبيه عليه، وحسب صاحبكم ما انتهت به نعمة الله تعالى إليه فقالوا: انّا والله ما نجعلها كالحسن والحسين عليهما السلام ولا نظلمهما له ولا نظلمه ـ لفضلهما عليه ـ حقه. فقال علي عليه السلام : اين يقع ابني من ابني النبي؟ فقال خزيمة :

محمّد ما في عودك اليوم وصمة
ولا كنت في الحرب الضروس معرداً

أبوك الذي لم يركب الخيل مثله
علي وسمّاك النبيّ محمّدا

فلو كان حقّاً من أبيك خليفة
لكنت ولكن ذاك ما لايرى بدا

---

(١) المروج ٣: ٨٩ دار المعرفة والآية (٢٢٧) من سورة الشعراء.

وأنت بـــحمد الله أطـــول غـــالب
لســـاناً وانـــداهـــا بـمـا مـلـكت يـدا
وأقـــربها مــــن كـــلّ خـير تـريده
قـــريش وأوفـــاها بـما قـال مـوعدا
وأطـــعنهم صـــدر الكـمي بـرمحه
وأكســـاهم للـــهام عـــضباً مـهندا
ســـوى أخـــويك السـيدين كـلاهما
امـــام الورى والداعـــيان إلى الهـدى
أبــى الله أن يـــعطي عـــدوّك مـقعداً
من الأرض أو في اللوح مرقىً ومصعدا[١]

قلت: وفي (المروج): جاء ذو الشهادتين إلى علي عليه السلام فقال له: لا تنكس اليوم رأس محمّد واردد إليه رايته. فدعا به وردّ عليه الراية وقال:

اطـعنهم طـعن أبـيك تـحمد لا خير في الحرب اذا لم توقد
بالمشرفي والقنا المشرد[٢]

قوله عليه السلام «تزول الجبال ولا تزل» الأصل في كلامه عليه السلام قوله تعالى: ﴿إنّ الله يُحِبُّ الّذينَ يُقاتِلُونَ في سَبيلِهِ صَفّاً كأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مرصوص﴾[٣].

قال ابن أبي الحديد في أخبار صفين: ان بني عك ـ وكانوا مع أهل الشام ـ حملوا في يوم حجراً وعقلوا أنفسهم بعمائمهم وتحالفوا أنّا لا نفرّ حتى يفرّ هذا الحكر ـ أي الحجر ـ تبدل عك الجيم كافاً[٤].

(١) نهج ١: ٢٤٥.
(٢) المروج ٢: ٣٦٧.
(٣) الصف: ٤.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٨٤، وكذلك وقعة صفين: ٣٢٩، لنصر بن مزاحم.

قلت: وفي (الأغاني): كان عوف بن مالك عمّ المرقش الأكبر من فرسان بكر ابن وائل وهو القائل يوم قصة: يا لبكر بن وائل أفي كلّ يوم فراراً، محلوفي لا يمرّ بي رجل من بكر منهزماً إلّا ضربته بسيفي. وبرك يقاتل فسمي يومئذ المبرك.

«عض على ناجذك» في (الصحاح): الناجذ: آخر الأضراس، وللإنسان أربعة نواجذ في أقصى الأسنان بعد الارحاء، ويسمّى ضرس الحلم لأنّه ينبت بعد البلوغ وكمال العقل، يقال «ضحك حتى بدت نواجذه»: اذا استغرب فيه[1]. وفي (الأساس): أبدى ناجذه اذا بالغ في ضحكه أو غضبه. قال بشر:

اذا ما الحرب أبدت ناجذيها ... غداة الروع والتقت الجموع[2]

وبين عليه السلام وجه أمره بالعض على الناجذ في موضع آخر بكونه أنبى للسيوف عن الهام. قالوا: لأن عظام الرأس تصلب حينئذٍ.

«أعر الله جمجمتك» في (الصحاح): الجمجمة عظم الرأس المشتمل على الدماغ[3].

قال ابن أبي الحديد يمكن أن يكون في كلامه عليه السلام اشعار انّه لا يقتل في تلك الحرب، لأن العارية مردودة، ولو قال له «بع الله جمجمتك» لكان ذلك اشعاراً له بالشهادة[4].

قلت: بل أعلمه ببقاء أجله، ففي المروج بعث عليه السلام إلى ابنه محمد ـ وكان صاحب رايته ـ احمل على القوم، فأبطأ كان بإزائه قوم من الرماة ينتظر نفاد سهامهم، فأتاه عليه السلام فقال له: هلّا حملت؟ فقال: لا أجد متقدّماً إلّا على سهم أو

---

(١) الصحاح للجوهري ٢: ٥٧١، مادة (نَجَذَ).

(٢) الأغاني، راجع ترجمة هاشم الفند الزماني ٢٤: ٩٣ ـ ٩٥.

(٣) الصحاح للجوهري ٤: ١٨٩١.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٤٢.

سنان، وانّي لمنتظر نفاد سهامهم ثم أحمل. فقال عليه السلام : احمل بين الأسنة فان للموت عليك جنة[١].

«تد» من وتد يتد.

«في الأرض قدمك» أي: اجعل قدمك ثابتة كالوتد. قال الشاعر:

لاقت على الماء جذيلاً واتداً وكـان لا يـخلفها المـواعدا

قال تعالى ﴿يا أَيُّها الّذينَ آمَنُوا إذا لَقِيْتُم فِئَةً فاثبتوا وَاْذْكُروا الله كثيراً لَعلَّكُمْ تُفْلِحُوْن﴾[٢].

«ارم ببصرك أقصى القوم» في (العقد): قال علي عليه السلام : من أكثر النظر في العواقب لم يشجع[٣].

«وغض بصرك» في (العقد): كان قتيبة بن مسلم يقول لأصحابه: اذا غزوتم فأطيلوا الأظفار وقصّوا الشعر، والحظوا الناس شزراً وكلّموهم رمزاً واطعنوهم وخزاً[٤].

وكان ابو مسلم يقول لقواده: اشعروا قلوبكم الجرأة، فأنا من اسباب الظفر[٥].

«واعلم أنّ النصر من عند الله سبحانه» في (العقد):[٦] كتب أنوشروان إلى مرازبته: عليكم بأهل السخاء والشجاعة فإنّهم أهل حسن الظنّ بالله[٧].

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٦٦.

(٢) الأنفال: ٤٥.

(٣) العقد الفريد ابن عبد ربه ١: ٩٧.

(٤) المصدر نفسه ١: ١٣٤.

(٥) المصدر نفسه ١: ١٣٤.

(٦) المصدر نفسه ١: ١٣٤.

(٧) المصدر نفسه ١: ١٠٠.

في (المروج): حمل محمد بن الحنفية فسكن بين الرماح والنشاب، فوقف فأتاه علي عليه السلام فضربه بقائم سيفه وقال: أدركك عرق من أُمك ـ وأخذ الراية وحمل وحمل الناس معه، فما كان القوم إلّا كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف[١].

وفي (جمل المفيد): قال محمد بن عبدالله بن عمر بن دينار: قال علي عليه السلام لابنه محمد: خذا الراية وامض ـ وهو خلفه ـ فناداه يا أبا القاسم. فقال: يابنيّ لا يستفزنك ما ترى قد حملت الراية وأنا أصغر منك فما استفزني عدوّي، وذلك أنّني لم أُبارز أحداً إلّا حدثتني نفسي بقتله، فحدّث نفسك بعون الله تعالى بظهورك، ولا يخذلك ضعف النفس فان ذلك أشدّ الخذلان. قال: يا أبه أرجو أن أكون كما تحب. قال: فالزم رايتك، فان اختلفت الصفوف فقف مكانك وبين أصحابك، فان لم تبن من أصحابك فاعلم أنّهم سيرونك. قال محمد: ووالله اني لفي وسط أصحابي وصاروا كلّهم خلفي وما بيني وبين القوم أحد يردّهم عني وأنا أُريد أن أتقدّم في وجوه القوم، فما شعرت إلّا بأبي خلفي قد جرّد سيفه وهو يقول: لا تقدم حتى أكون أمامك. فتقدّم بين يدي يهرول ومعه طائفة من أصحابه، فضرب الذين في وجهه فنظرت إليه يفرج الناس يميناً وشمالاً ويسوقهم أمامه، فأردت أن أجول فكرهت خلافه حتى انتهى إلى الجمل وحوله أربعة آلاف مقاتل من بني ضبة والأزد وتميم وغيرهم وصاح: اقطعوا البطان. فأسرع محمد بن أبي بكر فقطعه واطلع الهودج[٢].

وقال ابن جريح: لمّا ردّ علي عليه السلام الراية إلى ابنه محمد قال له: احسن حملها وتوسّط أصحابك ولا تخفض عاليها واجعلها مستشرفة يراها

---

(١) المروج ٢: ٣٦٦.

(٢) الجمل للمفيد: ١٩٦.

أصحابك. ففعل. فقال عمّار لمحمّد: ما أحسن ما حملت الراية اليوم. فقال له علي عليه السلام: بعد ماذا. فقال عمّار: ما العلم إلّا بالتعلّم[1].

وعن المدائني والواقدي: زحف علي عليه السلام بنفسه نحو الجمل ودفع الراية إلى ابنه محمد وقال: أقدم بها حتى تركزها في عين الجمل ولا تقفن دونه، فتقدّم فرشقته السهام، فأنفذ إليه علي عليه السلام يستحثه، فلما أبطأ عليه جاء بنفسه من خلفه فوضع يده اليسرى على منكبه الأيمن وقال له: اقدم لا أُمّ لك. فكان محمّد اذا ذكر ذلك يبكي ويقول: لكأني أجد ريح نفسه في قفاي، والله لا أنسى ذلك أبداً. فتناول الراية منه بيده اليسرى وذو الفقار مشهور في يده اليمنى، ثم حمل فغاص في عسكر الجمل ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته. فقال له بنوه وأصحابه والأشتر وعمّار: نحن نكفيك، فلم يجب أحداً منهم ولا ردّ إليهم بصره وظلّ ينحط ويزأر زئير الأسد حتى فرّقه من حوله وتبادروه وانّه لطامح بصره نحو عسكر البصرة لا يبصر من حوله ولا يردّ حواراً ثم دفع الراية إلى محمّد، ثم حمل حملة ثانية وحده فدخل وسطهم فضربهم بالسيف قدماً قدماً والرجال تفرّ من بين يديه وتنحاز عنه يمنة وشامة، حتى خضّب الأرض بدماء القتلى، ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته فأعصوصب به أصحابه وناشدوه الله في نفسه وفي الإسلام وقالوا: انّك ان تصب يذهب الدين. فقال: والله ما أُريد بما ترون إلّا وجه الله والدّار الآخرة. ثم قال لمحمّد: هكذا اصنع يابن الحنفية. فقال الناس: من الذي يستطيع يا أمير المؤمنين ما تستطيعه.

وروى الواقدي ـ كما في (جمل المفيد) ـ عن ابن الحنفية قال: فالتقينا وأبي خلفي بين كتفي يقول: يا بُني تقدّم. فقلت: ما أجد متقدّماً إلّا على الأسنة،

---

(١) الجمل للمفيد: ١٩٢.

فغضب وقال: أقول لك تقدّم وتقول هكذا، ثق بالله وتقدّم بين يدي على الأسنة. وتناول الراية مني، وتقدّم يهرول بها فأخذتني حدّة فلحقته وقلت: أعطنيها. فأعطانيها وقد عرفت ما وصف لي، ثم تقدّم بين يدي وجرّد سيفه فرمقت لضربه واذا يورد السيف ويصدره ولا أرى فيه دماً يسرع اصداره فيسبق الدم ـ إلى أن قال ـ وصاح: يا ابن أبي بكر اقطع البطان. فقطعه وتلقوا الهودج ـ فكأن والله الحرب جمرة صبّ عليها الماء[1].

٢
الحكمة (٢٣٣)

وقال عليه السلام لابنه الحسن:

لَاتَدْعُوَنَّ إلى مُبارَزَةٍ، وإنْ دُعِيتَ إلَـيْها فأجِبْ، فَـإنَّ الدَّاعـيَ بَـاغٍ وَالبَاغِيَ مَصْرُوعٌ.

أقول: رواه المبرد في (كامله)[2]، وروى (الكافي) نظيره، روى في باب (طلب مبارزته) أنّ رجلاً دعا بعض بني هاشم إلى البراز، فأبى أن يبارزه، فقال له علي عليه السلام: ما منعك أن تبارزه. قال: كان فارس العرب وخشيت أن يغلبني. فقال عليه السلام: انّه بغى عليك، ولو بارزته لغلبته، ولو بغى جبل على جبل لهد الباغي[3].

وفي (صفين نصر) ـ بعد ذكر قتل جمع كثير من أهل الشام ـ أنّ أُبرهة بن الصباح الحميري ـ وكان من رؤساء أصحاب معاوية ـ قام فقال: ويلكم يا معشر أهل اليمن والله اني لأظن ان الله قد اذن لفنائكم، ويحكم خلوا بين هذين

---

(١) الجمل للمفيد: ١٩١.

(٢) لم نعثر عليه في الكامل في الأدب لكنّه موجود في العقد الفريد ١: ١٠٢.

(٣) الكافي في الكليني ٥: ٣٤ ح ٢.

الرجلين فليقتتلا فأيّهما قتل صاحبه ملنا معه جميعاً. فبلغ ذلك علياً عليه السلام. فقال: صدق ابرهة، والله ما سمعت بخطبة منذ وردت أهل الشام أنا بها أشدّ سروراً منّي بهذه. وبلغ معاوية كلام ابرهة فتأخّر آخر الصفوف وقال لمن حوله: انّي لأظن ابرهة مصاباً في عقله. فأقبل أهل الشام يقولون: والله ان ابرهة لأفضلنا ديناً ورأياً وبأساً، ولكن معاوية كره مبارزة علي.

فبرز عروة بن داود الدمشقي فقال: يا أبا الحسن ان كان معاوية كره مبارزتك فهلم إليّ، فتقدّم إليه علي عليه السلام، فقال له أصحابه: ذر هذا الكلب فانّه ليس لك بخطر. فقال عليه السلام: والله ما معاوية اليوم بأغيظ لي منه دعوني وإيّاه. ثم حمل عليه فضربه فقطعه قطعتين سقطت إحداهما يمنة والأُخرى يسرة فارتجّ العسكران لهول الضربة ثم قال عليه السلام «ياعروة اذهب فأخبر قومك، أما والذي بعث محمّداً بالحقّ لقد عاينت النار وأصبحت من النادمين» وقال عبدالله ابن عبد الرحمن الأنصاري:

عرو يا عرو قد لقيت حماماً	إذ تقحمت في حما اللهوات
أعلياً ـ لك الهوان ـ تنادي	ضيغماً في أباطل الحومات
ليس لله فارس كأبي الشبلين	ما أن يهوله المقلقات
مؤمناً بالقضاء محتسباً	بالخير يرجو الثواب بالسابقات
ليس يخشى كريهة في لقاه	لا ولا ما يجيء بالآفات
فلقد ذقت في الجحيم نكالاً	وضراب المقامع المحميات
يابن داود قد وقيت ابن هند	ان يكون القتيل بالمقفرات

وحمل ابن عم لعروة على علي عليه السلام فألحقه بعروة ومعاوية واقف على التلّ يبصر ويشاهد، فقال: تباً لهذه الرجال وقبحاً، أما فيهم من يقتل هذا مبارزة أو غيلة أو في اختلاط الفيلق وثوران النقع. فقال له الوليد بن عقبة:

ابرز إليه أنت فإنّك أولى الناس بمبارزته. فقال: والله لقد دعاني إلى البراز حتى استحييت من قريش، وإنّي والله لا أبرز إليه وما جعل العسكر إلّا وقاية للرئيس. وقال معاوية لبسر بن أرطاة: أتقوم لمبارزته؟ فقال: ما أحد أحقّ بها منك، وإذ أبيتموه فأنا له، وكان أتى بسراً من الحجاز ابن عم له يخطب ابنته فقال له: اني سمعت أنّك وعدت من نفسك أن تبارز علياً فما يدعوك إلى ذلك؟ قال: الحياء خرج مني شيء فأنا أستحي أن أرجع عنه.

فغدا علي عليه السلام منقطعاً من خيله ومعه الأشتر، فاستقبله بسر وناداه: ابرز إلي أبا حسن، فانحدر إليه علي عليه السلام على تؤدة غير مكترث به حتى اذا قاربه طعنه وهو دارع، فألقاه إلى الأرض فقصد بسر أن يكشفها ليستدفع بأسته، فانصرف عنه علي عليه السلام مستدبراً له، فعرفه الأشتر حين سقط فقال له عليه السلام: هذا بسر عدوّ الله وعدوّك. فقال عليه السلام دعه عليه لعنة الله أبعد أن فعلها ـ وكان قبله عمرو بن العاص فعل ذلك ـ فقال النضر بن الحارث:

أفي كلّ يومٍ فارس تندبونه	له عورة وسط العجاجة بادية
يكفّ بها عنه علي سنانه	ويضحك منها في الخلاء معاوية
بدت أمس من عمرو فقنع رأسه	وعورة بسر مثلها حذو حاذية
فقولا لعمرو وابن ارطاة أبصرا	سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية
ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما	هما كانتا والله للنفس واقية[1]

هذا، وفي (الطبري) في غزوة أُحد: قال طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين: يامعشر أصحاب محمّد انكم تزعمون أنّ الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنّة، فهل منكم أحد يعجله الله بسيفي إلى الجنّة أو يعجّلني بسيفه إلى النار. فقام إليه علي عليه السلام فقال: والذي نفسي بيده لا

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٤٥٧.

أُفارقك حتى أُعجلك أو تعجّلني. فضربه فقطع رجله فسقط فانكشفت عورته فقال: أنشدك الله والرحم يابن عم. فتركه فكبّر النبيّ صلى الله عليه وآله وقال له: ما منعك أن تجهز عليه؟ قال: ان ابن عمّي ناشدني حين انكشفت عورته فاستحييت منه[1].

ثم مورد كلامه عليه السلام فيمن دعا شخصاً خالصاً إلى المبارزة بكونه باغياً مصروعاً دون من دعا إلى المبارزة عاماً فيمكن ألا يكون بمصروع.

وفي (صفين نصر): ذكر صعصعة ان كريب بن الصباح من آل ذي يزن ـ ولم يكن في أهل الشام أشهر منه شدّة بالبأس ـ برز ونادى من يبارز، فبرز إليه المرتفع بن وضاح الزبيدي فقتل المرتفع ثم نادى من يبارز، فبرز إليه الحارث بن جلاح فقتله، ثم نادى من يبارز فبرز إليه عائذ بن مسروق الهمداني فقتل عائذاً، ثم رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض ثم قام عليها بغياً واعتداء، ثم نادى هل من مبارز، فبدر إليه عليّ عليه السلام ثم ناداه: ويحك يا كريب إنّي أُحذّرك وأدعوك إلى سنّة الله وسنّة رسوله، ويحك لا يدخلك ابن آكلة الأكباد النار. فأجاب: ما أكثر ما سمعنا هذه المقالة منك فلا حاجة لنا فيها، أقدم اذا شئت من يشتري سيفي وهذا أثره. فقال علي عليه السلام: لا حول ولا قوّة إلّا بالله. ثم مشى إليه، فلم يمهله ان ضربه ضربة خر منها قتيلاً يتشحط في دمه.

ثم نادى عليه السلام من يبارز. فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميري فقتله. ثم نادى من يبارز، فبرز إليه المطاع بن المطلب العبسي فقتله. ثم نادى من يبارز، فلم يبرز إليه أحد. فنادى: يا معشر المسلمين ﴿الشَّهْرُ الْحَرامُ بِالشَّهْرِ الْحَرامِ وَالْحُرُماتُ قِصاصٌ فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[2].

---

(١) تاريخ الملوك للطبري ٢: ١٩٤.

(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٣١٥ والآية (١٩٤) من سورة البقرة.

هذا، وفي (صفين نصر): مرّ علي عليه السلام ـ ومعه بنوه ـ نحو الميسرة والنبل يمرّ بين عاتقه ومنكبيه، وما من بنيه أحد إلّا يقيه بنفسه ويكره عليٌّ ذلك ـ إلى أن قال ـ فبصر به أحمر مولى أبي سفيان أو بعض بني أُميّة فقال عليٌّ: وربّ الكعبة قتلني الله إن لم أقتلك. فأقبل نحوه عليه السلام، فخرج إليه كيسان مولى علي علي فقتله مولى بني أُمية، ثم خالط علياً ليضربه بالسيف فانتهزه علي عليه السلام، فوقع يده في جيب درعه فجذبه ثم حمله على عاتقه ورجلاه تختلفان على عنقه ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه وعضده وشد ابناه الحسين ومحمد عليه فضرباه وعلي عليه السلام ينظر إليهما حتى قتلاه، ثم أقبلا إلى أبيهما والحسن عليه السلام معه قائم قال: يا بني ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك؟ قال: كفياني يا أمير المؤمنين[1].

وفي (الطبري): لمّا لحق الحر بالحسين عليه السلام قال يزيد بن سفيان التميمي: لو أنّي رأيته حين خرج لأتبعته السنان. ثم لما حمل الحر عليهم قال الحصين بن تميم ليزيد: هذا الحر الذي كنت تتمنى؟ قال: نعم. فخرج إليه وقال له: هل لك يا حر في المبارزة؟ قال: نعم. فبرز له فكأنّما كانت نفسه في يده فما لبثه حين خرج إليه أن قتله[2].

وفي (الأغاني) ـ في وقعة دولاب ـ قال سلامة الباهلي: لمّا قتلت نافع بن الأزرق رئيس الأزارقة فإذا أنا برجل ينادي وأنا واقف في خميس بني تميم يعرض عليَّ المبارزة، وجعل يطلبني وأنا أنتقل من خميس إلى خميس وليس يزايلني، فصرت إلى رحلي ثم رجعت فدعاني، فلما أكثر خرجت إليه فاختلفنا ضربتين فضربته فصرعته ونزلت فأخذت رأسه وسلبته، فإذا هي امرأته قد

---

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٤٩.

(٢) تاريخ الملوك والأمم للطبري: ٤: ٣٣٠.

رأتني حين قتلته فخرجت لتثأر به[١].

وفي (عيون القتيبي) وغيره: قال أبو الأغر التميمي: اني لواقف يوم صفين إذ نظرت إلى العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وهو على فرس أدهم وكأن عينيه عينا أفعى، فبينا هو يلين من عريكته إذ هتف به هاتف من أهل الشام يقال له عرّار بن أدهم: يا عباس هلم إلى البراز فبرز إليه العباس فقتله ـ إلى أن قال ـ فقال له علي عليه السلام: ألم أنهك وحسناً وحسيناً وعبدالله بن جعفر أن تخلوا مراكزكم وتبارزوا أحداً. قال: ان ذلك لكذلك. قال فما عدا مما بدأ. قال: أفأُدعى إلى البراز فلا أُجيب جعلني الله فداك؟ قال: نعم طاعة إمامك أولى بك من إجابة عدوّك، ودّ معاوية أن لايبقى من بني هاشم نافخ ضرمة إلّا طعن في نيطه إطفاءً لنور الله. ثم رفع يديه وقال: اللّهم اشكر للعباس مقامه واغفر ذنبه فاني قد غفرت له[٢].

ومما ينخرط في هذا الباب من ان من دعا غيره إلى المبارزة يكون باغياً والباغي مصروع هالك، قصّة عمرو بن الليث الصفار مع اسماعيل بن أحمد الساماني، ففي (الكامل): سار عمرو في سنة (٢٨٧) إلى إسماعيل فأرسل إليه إسماعيل أنّك وليت دنياً عريضة وانّما في يدي ما وراء النهر وأنا في ثغر فاقنع بما في يدك واتركني في هذا الثغر. فأبى فذكر له شدّة العبور بنهر بلخ فقال: لو شئت أن أُسكره ببدر الأموال لفعلت. فنزل بلخ فسار اسماعيل نحوه وأخذ عليه النواحي، فصار عمرو كالمحاصر فندم على ما فعل، فاقتتلوا فلم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم عمرو فولّى هارباً ومر في طريقه بأجمة فقال لعامّة من معه: امضوا في الطريق. وسار هو ونفر يسير في الأجمة، فوحلت به

---

(١) الأغاني ٦: ١٤٤.

(٢) العيون للقتيبي ١: ١٨٠.

دابته فمضى من معه وجاء أصحاب اسماعيل فأخذوه أسيراً، فسيّره اسماعيل إلى المعتضد فحبس حتى قتل[1].

٣
الخطبة (١٢١)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عليه السلام قَالَهُ لِأَصْحَابِهِ فِي سَاعَةِ الحَرْبِ:

وَأَيُّ آمْرِئٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رَبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلاً فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ، فَلَوْ شَاءَ ٱللهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ، إِنَّ المَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ لَا يَفُوتُهُ ٱلْمُقِيمُ وَلَا يُعْجِزُهُ ٱلْهَارِبُ، إِنَّ أَكْرَمَ ٱلْمَوْتِ ٱلْقَتْلُ، وَٱلَّذِي نَفْسُ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى ٱلْفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ ٱللهِ.

أقول: رواه الواقدي مع تأخير وتقديم وزيادات، ففي (جمل المفيد): روى الواقدي عن عبدالله بن عمر بن علي عليه السلام عن أبيه قال: لمّا سمع أبي أصوات الناس يوم الجمل ـ وقد ارتفعت ـ قال لابنه محمد: ما يقولون؟ قال: يقولون يا ثارات عثمان. فشدّ عليه، وأصحابه يقولون له: ارتفعت الشمس. وهو يقول لهم: الصبر أبلغ حجّة. ثم قام خطيباً يتوكأ على قوس عربية وقال بعد الحمد والصلاة: أما بعد، فان الموت طالب حثيث لا يفوته الهارب ولا يعجزه فأقدموا ولا تنكلوا، وهذه الأصوات التي تسمعونها من عدوّكم فشل واختلاف، إنّا كنّا نؤمر في الحرب بالصمت، فعضّوا على الناجذ واصبروا لوقع السيوف، فوالذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من موتة على فراشي، فقاتلوهم صابرين محتسبين، فان الكتاب معكم والسنّة معكم ومن كانا معه

---

(١) الكامل لابن الأثير ٧: ٥٠١ ـ ٥٠٢.

فهو القوي أصدقوهم، فأي امرئ أحسّ من نفسه شجاعة واقداماً وصبراً عند اللقاء فلا يبطرنه ولا يرى ان له فضلاً على من دونه، وان رأى من أخيه فشلاً وضعفاً فليذبّ عنه كما يذبّ عن نفسه، فان الله لو شاء لجعله مثله ...[١].

وروى صدره (إرشاد المفيد) مع زيادات فقال: لمّا دخل عليه السلام البصرة حرّض أصحابه على الجهاد وقال في جملة كلامه: انهدّوا إليهم وكونوا أشدّاء عليهم والقوهم صابرين تعلمون أنكم منازلوهم ومقاتلوهم ولقد وطّنتم أنفسكم على الطعن الدعسي والضرب الطلحفي ومبارزة الأقران وأي امرئ منكم -إلى قوله «فلو شاء الله لجعله مثله» مع اختلاف يسير[٢].

وروى ذيله (الكافي) مع زيادات فقال: علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن محبوب رفعه انّه عليه السلام خطب يوم الجمل -إلى أن قال -أيّها الناس ان الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب، ليس عن الموت محيص ومن لم يقتل يمت ان أكرم الموت القتل[٣].

قول المصنف: «ومن كلام له عليه السلام» لو كان قال «ومن خطبة له عليه السلام» كان أيضاً صحيحاً لما عرفت من رواية الكليني والواقدي من كون كلامه عليه السلام خطبة.

«قال لأصحابه في ساعة الحرب» هكذا في (المصرية)[٤] ومثله (ابن أبي الحديد)[٥] لكن في (ابن ميثم): «قال لأصحابه وقت الحرب» وهو الأصح حيث ان نسخته بخط مصنّفه مع انّه يصدقه (الخطية). وكيف كان فلو كان قال «قبل

---

(١) الجمل للمفيد: ١٥٠ ـ ١٥١ وهي رواية الواقدي.

(٢) الارشاد، للمفيد: ١٣٤ .

(٣) الكافي للكليني ٥: ٥٣ ح ٤.

(٤) الطبعة المصرية: ٢٨٩ .

(٥) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ٧: ٣٠٠ رواية (١٢٢) .

الحرب» أو «لمّا أراد الحرب» حيث ان في رواية الواقدي بعد ذكر الخطبة «ثم دعا عليه السلام بدرعه فلبسه» كان أحسن[١].

وكيف كان فقد عرفت أن المراد حرب الجمل ولم يتفطّن له الشّراح حتى قال الخوئي: لم أظفر بعد على انّه أيّ حرب.

قوله عليه السلام «وأي امرئ منكم أحسّ» أي: وجد. والأصل فيه سمع حسّه.

«من نفسه رباطة جأش» الأصل في الجأش الهمز[٢]، وفي (الصحاح): يقال «فلان رابط الجأش» والجأش الرواع إذا اضطرب عند الفزع، أي يربط نفسه عن الفرار لشجاعته.

«عند اللقاء» أي: لقاء العدو في الحرب.

«ورأى من أحد من اخوانه فشلاً» أي: جبناً.

«فليذب» أي: يدفع العدو.

«عن أخيه بفضل نجدته» أي: زيادة شجاعته.

«كما يذبّ عن نفسه» العدوّ لأن مقصد الكلّ واحد إقامة الدين وتقويته.

وفي (الطبري) في وقعة الطف: قاتل عمرو بن خالد الصيداوي وجابر بن الحارث السلماني وسعد مولى عمر بن خالد ومجمع بن عبدالله العائذي في أوّل القتال، فشدّوا مقدمين بأسيافهم على عسكر ابن سعد، فلما وغلوا عطفوا عليهم فأخذوا يحوزونهم وقطعوهم من أصحابهم غير بعيد، فحمل عليهم العباس بن علي فاستنقذهم، فجاؤوا قد جرحوا، فلما دنا منهم عدوّهم شدّوا بأسيافهم فقتلوا في أوّل الأمر في مكان واحد[٣].

---

(١) الجمل: ١٥٠ ـ ١٥١ وهي رواية الواقدي.

(٢) شرح منهاج البراعة لحبيب الله الخوئي ٨: ١٥١.

(٣) تاريخ الملوك والأمم للطبري ٤: ٣٤٠.

«فلو شاء الله لجعله» أي: المحس من نفسه رباطة جأش.

«مثله» أي: مثل أخيه الذي رأى منه فشلاً، فيجب عليه الذبّ عنه شكراً.

«إنّ الموت طالب حثيث» أي: سريع.

«لا يفوته المقيم» ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروجٍ مشيّدة...﴾[1].

«ولا يعجزه الهارب» ﴿قل ان الموت الذي تفرّون منه فإنّه ملاقيكم ...﴾[2].

«ان أكرم الموت القتل» فلم لا يذبّ عن أخيه خوف القتل. وزاد في (ابن ميثم) «بالسيف»[3].

«والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي» هكذا في (المصرية)[4] وكلمة «علي» زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)[5].

«من ميتة على الفراش في غير طاعة الله» هكذا في (المصرية) أخذاً من (ابن أبي الحديد) في قوله «في غير طاعة الله» حيث جعله بين قوسين كما هو دأبه في ما يأخذ منه، وليس في (ابن ميثم)، والظاهر زيادته لصحّة نسخة ابن ميثم ولعدم وجوده في رواية الواقدي ورواية الكليني المتقدّمتين، ولأنّ المقام لا يقتضيه[6].

هذا، وقد عرفت أن رواية الواقدي «والذي نفسي بيده لألف ضربة

---

(١) النساء: ٧٨.

(٢) الجمعة: ٨.

(٣) ابن ميثم ٣: ٥٥.

(٤) في الطبعة المصرية: العبارة هي «ابن ابي طالب» راجع: ٢٨٩.

(٥) ابن ابي الحديد شرح نهج البلاغة لم ترد العبارة، ٧: ٣٠٠ اما ابن ميثم شرح نهج البلاغة ٣: ٥٥.

(٦) راجع المصادر المتقدمة في الهوامش ٥، ٦.

بالسيف أهون عليّ من موتة على فراشي».

في (العقد): كانوا يتمادحون بالموت قتلاً ويتهاجون بالموت على الفراش ويقولون فيه: مات حتف أنفه، وأوّل من قاله النبيّ ﷺ.

وخطب ابن الزبير لمّا بلغه قتل أخيه مصعب فقال: ان يقتل فقد قُتل أبوه وأخوه وعمّه، إنّا والله لا نموت حتفاً ولكن تحت ظلال السيوف[1].

وقال ابن أبي الحديد روي أنّه قيل لأبي مسلم الخراساني: ان في بعض الكتب المنزلة: «من قتل بالسيف فبالسيف يُقتل» فقال: القتل أحبّ إليّ من اختلاف الأطباء والنظر في الماء ومقاساة الدواء. فذكر ذلك للمنصور فقال: قد أبلغناه محبته. قلت: وقال المنصور له وقت قتله:

زعمت أن الدين لا يقتضى فاستوف بالكيل أبا مجرم
سقيت كأساً كنت تسقي بها أمرُّ في الحلق من العلقم[2]

وفي (الطبري): كان أبو مسلم قَتل في دولته وحروبه ستمائة ألف صبراً[3].

٤
الكتاب (١٦)

وكان يقول عليه السلام لأصحابه عند الحرب:

لَا تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ وَلَا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمْلَةٌ، وَأَعْطُوا ٱلسُّيُوفَ حُقُوقَهَا وَوَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا، وَٱذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ ٱلدَّعْسِيِّ وَٱلضَّرْبِ ٱلطِّلَحْفِيِّ، وَأَمِيتُوا ٱلْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ١: ١٠١.

(٢) شرح نهج البلاغة لبن ابي الحديد ٧: ٣٠٣.

(٣) تاريخ الطبري ٦: ١٣٧.

لِلفَشَلِ، هوَ ٱلَّذِي فَلَقَ ٱلْحَبَّةَ وَبَرَأَ ٱلنَّسَمَةَ مَا أَسْلَمُوا وَلكِنِ ٱسْتَسْلَمُوا وَأَسَرُّوا ٱلْكُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ.

أقول: انّما ذكره في باب الكتب والملحق بها من العهود والوصايا لأنّه عطفه كسابقه على قوله في (١٤) «ومن وصية له عليه السلام لعسكره»، ولو كان ذكره في الأوّل أو الثالث كان له وجه أيضاً.

قول المصنف: «وكان يقول عليه السلام» هكذا في (المصرية)[١] ومثله ابن أبي الحديد ولكن في (ابن ميثم): «وكان عليه السلام يقول»[٢].

«لأصحابه عند الحرب» ظاهر ذيل العنوان «فوالذي ...» دليل على أنّه عليه السلام قاله في صفين، لأنّ معاوية هو الذي ما أسلم ولكن استسلم، إلّا أنّ الظاهر أنّ المصنّف التقط من مواضع، فرواه (الكافي) بدون ذيله، فروى في باب ما يوصي عليه السلام عند القتال أنّه عليه السلام قال: وإذا حملتم فاحملوا فعل رجل واحد، وعليكم بالتحامي، فان الحرب سجال، لا يشتدن عليكم كرّة بعد فرّة، ولا حملة بعد جولة، ومن ألقى إليكم السلم فاقبلوا منه، واستعينوا بالصبر فان بعد الصبر النصر من الله عزوجل ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين[٣].

قوله عليه السلام **«لا يشتدن عليكم فرّة بعدها كرّة ولا جولة بعدها حملة»** لانجبار الأُولى بالثانية، وانّما يجب أن يشتدّ عليهم فرّة بدون كرّة وجولة بدون حملة، ثم قد عرفت ان (الكافي) رواه بلفظ آخر.

«واعطوا السيوف حقوقها» فان المقصود من حملها الضرب بها، قال:

---

(١) راجع الطبعة المصرية: شرح محمد عبده: ٥٣٢، وكذا ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٥: ١١٤ الرواية: ١٦.

(٢) ابن ميثم ٤: ٣٨٦ الرواية ١٦.

(٣) الكافي للكليني ٥: ٤١.

بأيدي رجال لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سلت[1]

أي اذا سلّوها لم يشيموها إلّا بعد كثرة القتلى بها، ومن لا يعطي السيف حقّه يكون كمن قيل فيه:

وما تصنع بالسيف وضع سيفك خلخالا

«ووطئوا» هكذا في (المصرية)[2] ونقله ابن ميثم «ووطنوا» ونسب «وطئوا» إلى رواية[3].

«للجنوب مصارعها» فسّره بعضهم بأن المراد جنوبهم، فيكون كناية عن أمرهم بالعزم على القتل في سبيل الله، وفسّره بعضهم بأن المراد جنوب الأعداء فيكون كناية عن إحكام الضرب ليحصل هلاكهم.

«واذ مروا» أي حثّوا، وفي (الصحاح): تذامر القوم أي حثّ بعضهم بعضاً، وذلك في الحرب[4].

«أنفسكم على الطعن الدعسي» أي: الشديد، فعن أبي عبيد: المداعس الصمّ من الرياح.

«والضرب الطلخفي» بالكسر فالفتح أي: الشديد، ومر في سابقه عن (الإرشاد) أنّه عليه السلام قال في الجمل: «ولقد وطنتم أنفسكم على الطعن الدعسي والضرب الطلخفي»[5].

وفي (الجمهرة) ضرب طلخف وطلحف شديد وطلحفي وطلخفي

---

(١) لسان العرب ٤: ٥٧.

(٢) الطبعة المصرية: ٥٣٢.

(٣) ابن ميثم: ٤: ٣٨٨ والرواية ٤: ٣٨٦.

(٤) الصحاح للجوهري: ٦٦٥.

(٥) الارشاد للمفيد: ١٣٤ مر صفحة ١٦٣.

بالحاء والخاء، والطلخف رباعي ذكره ابن دريد في الرباعي[١].

وقول ابن أبي الحديد: «اللام زائدة» غلط، ومنشأ وهمه أنّ (الصحاح) عنون طخف ثم قال وبزيادة اللام وهو أعم[٢].

«وأميتوا الأصوات» أي: اخفوها أو اعدموها بالصمت.

«فانّه أطرد» أي: أدفع.

«للفشل» أي الجبن .

سمع أبو طاهر الجنابي ضوضاء عسكر المقتدر ودبادبهم وبوقاتهم وهم عشرون ألفاً وأبو طاهر في مائة وخمسين رجلاً ما كان يسمع لهم صوت حتى كأنّ الخيل ليس لها حمحمة، فقال أبو طاهر لبعض أصحابه: ما هذا الزّجل؟ قال: فشل. قال: أجل[٣].

«فوالذي» هكذا في (المصرية)[٤] والصواب: «والذي» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[٥]، ولأنّه لا معنى للتفريع له على ما قبله.

«فلق الحبّة وبرأ» أي خلق.

«النسمة» أي: الإنسان.

«ما أسلموا» لله.

«ولكن استسلموا» للنبيّ ﷺ لمّا قهرهم يوم فتح مكّة .

«وأسرّوا الكفر فلما وجدوا أعواناً عليه» هكذا في (المصرية)[٦] ومثله ابن

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد ٤: ١١٤٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لبن ابي الحديد: ١٥: ١١٤.

(٣) لم نعثر عليه في كتب التاريخ والتراجم.

(٤) الطبعة المصرية: ٥٣٢.

(٥) انظر ابن ابي الحديد ١٥: ١١٤.

(٦) الطبعة المصرية: ٥٣٢.

أبي الحديد ولكن في (ابن ميثم والخطية): «عليه أعواناً».

«أظهروه»[١]. في (صفين نصر): قال شيخ من بكر بن وائل: كنّا مع علي عليه السلام بصفين فرفع عمرو بن العاص شقة خميصة سوداء في رأس رمح، فقال ناس: هذا لواء عقده له النبيّ صلى الله عليه وآله. فبلغ علياً عليه السلام فقال: ان النبيّ أخرج هذه الشقّة وقال: من يأخذها بما فيها؟ فقال عدوّ الله عمرو: وما فيها؟ قال: ألا تقاتل بها مسلماً ولا تفر بها من كافر. فأخذها وقد والله فرّ بها من المشركين وقاتل بها اليوم المسلمين، والذي فلق الحبّة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر فلما وجدوا أعواناً رجعوا إلى عداوتهم منّا إلّا انّهم لم يدعوا الصلاة[٢].

وفيه قال منذر العلوي: قال محمّد بن الحنفية لمّا أتاهم الله من أعلى الوادي ومن أسفله وملأوا الأودية كتائب: استسلموا حتى وجدوا أعواناً[٣].

وفيه: قال حبيب بن أبي ثابت: قال رجل في صفين لعمّار: ألم يقل النبيّ صلى الله عليه وآله: قاتلوا الناس حتى يسلموا فاذا أسلموا عصموا مني دماءهم وأموالهم. قال: بلى ولكن والله ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر حتى وجدوا عليه أعواناً[٤].

وممّا يدلّ على كفر معاوية ما رواه نصر مسنداً عن رجل شامي قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: شرّ خلق الله خمسة: إبليس، وابن آدم الذي قتل أخاه، وفرعون ذو الأوتاد، ورجل من بني اسرائيل ردّهم عن دينهم ورجل من هذه الأمة يبايع على كفره عند باب له قال الرجل: فلما رأيت معاوية يبايع عند باب

(١) انظر ابن ابي الحديد ١٥: ١١٤.

(٢) وقعة صفين، لنصر ابن مزاحم: ٢٤١ ـ ٢٤٢ طبعة مصر.

(٣) المصدر نفسه: ٢٤٢ طبعة مصر وهو منذر الثوري.

(٤) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٤٣ طبع مصر.

له ذكرت قول النبيّ صلى الله عليه وآله فلحقت بعلي عليه السلام فكنت معه[١].

وما رواه مسنداً عن جابر الأنصاري قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله : يموت معاوية على غير ملّتي[٢].

وما رواه مسنداً عن الحسن البصري قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: اذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه[٣].

قال الحسن : قال أبو سعيد الخدري: فلم نفعل ولم نفلح[٤].

٥
الكتاب (١١)

ومن وصية له عليه السلام وَصَّى بها جيشاً بعَثَهُ إلى العَدُوّ:

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِي قُبُلِ ٱلْأَشْرَافِ أَوْ سِفَاحِ ٱلْجِبَالِ أَوْ أَثْنَاءِ الأَنْهَارِ كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِدْءًا وَدُونَكُمْ مَرَدًّا، وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ أَو ٱثْنَيْنِ، وَٱجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي ٱلْجِبَالِ وَمَنَاكِبِ ٱلْهِضَابِ لِئَلاَّ يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ، وَٱعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ ٱلْقَوْمِ عُيُونُهُمْ وَعُيُونَ المقَدِّمَةِ طَلاَئِعُهُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ، فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً وَإِذَا ٱرْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا غَشِيَكُمُ ٱللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً، وَلَا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً.

أقول: رواه نصر بن مزاحم في (صفينه)[٥] وابن أبي شعبة في (تحفه)[٦]

---

(١) المصدر نفسه: ٢١٧.

(٢) بحار الأنوار ٣٣: ١٨٧ ح ٤٦٥ ب ١٧ .

(٣) بحار الأنوار ٣٣: ١٨٦، ح ٤٦١ ـ ٤٦٢ ب ١٧ .

(٤) المصدر نفسه.

(٥) وقعة صفين لنصر ابن مزاحم: ١٢٢ .

والدينوري في (طواله)[٧]. ففي الأول: عمرو بن سعد عن يزيد بن خالد قال: ان علياً عليه السلام حين أراد المسير من النخيلة دعا زياد بن النضر وشريح بن هاني ـ وكانا على مذحج والأشعريين ـ بعثهما في اثني عشر ألفاً على مقدّمته شريح على طائفة وزياد على جماعة، فأخذ شريح يعتزل بمن معه من أصحابه على حدة ولا يقرب بزياد، فكتب زياد إليه عليه السلام: أما بعد فانّك وليتني أمر الناس وان شريحاً لا يرى لي عليه طاعة ولا حقاً، وذلك من فعله بي استخفافاً بأمرك وتركاً لعهدك. وكتب إليه شريح: أما بعد فان زياداً حين اشتركته في أمرك وولّيته جنداً من جنودك تنكّر واستكبر ومال به العجب والخيلاء والزهو إلى ما لا يرضاه الربّ تعالى، فان رأى أمير المؤمنين أن يعزله عنّا ويبعث مكانه من يحب فليفعل فانّا له كارهون.

فكتب عليه السلام إليهما: أما بعد فاني قد ولّيت مقدّمتي زياد بن النضر وأمّرته عليها وشريح على طائفة منها أمير، فان انتما جمعكما بأس فزياد على الناس وان افترقتما فكلّ واحد منكما أمير على الطائفة التي وليناه أمرها، واعلما ان مقدّمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم، فاذا انتما خرجتما من بلادكما فلا تساما من توجيه الطلائع ومن نقض الشعاب والشجر والخمر في كلّ جانب كيلا يغيركما عدو أو يكون لهم كمين، ولا تسيرن الكتائب من لدن الصباح إلى المساء إلّا على تعبئة، فان دهمكم دهم أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدّمتم في التعبئة، واذا نزلتم بعدوّ أو نزل بكم فليكن معسكركم في قبل الاشراف أو سفاح الجبال أو أثناء الأنهار كيما يكون ذلك ردءاً وتكون مقاتلتكم من وجه أو اثنين، واجعلوا رقباءكم في صياصي الجبال وبأعالي

(٦) تحف العقول لابن أبي شعبة: ١٣٠ .

(٧) الطوال للدينوري: ١٥٦ .

الأشراف ومناكب الأنهار يرون لكم لئلا يأتيكم عدو من مكان مخافة أو أمن، وإيّاكم والتفرق، واذا نزلتم فانزلوا جميعاً واذا رحلتم فارحلوا جميعاً، واذا غشيكم ليل فنزلتم فحفوا عسكركم بالرماح والأترسة، ورماتكم يلون ترستكم ورماحكم، وما أقمتم فكذلك فافعلوا كيلا تصاب لكم غفلة ولا تلفى لكم غرّة، فما قوم حفوا عسكرهم برماحهم وترستهم من ليل أو نهار إلّا كانوا كأنّهم في حصون، واحرسا عسكركما بأنفسكما، وإيّاكما أن تذوقوا نوماً حتى تصبحا إلّا غراراً أو مضمضة، ثم ليكن ذلك شأنكما ودأبكما حتى تنتهيا إلى عدوّكما، وليكن عندي كلّ يوم خبركما ورسول من قبلكما، فاني ـ ولا شيء إلّا ما شاء الله ـ حثيث السير في آثاركما، وعليكما في حربكما بالتودة وإيّاكم والعجلة إلّا أن تمكّنكم فرصة بعد الإعذار والحجّة، وإيّاكما أن تقاتلا حتى أقدم عليكما إلّا أن تُبدآ أو يأتيكما أمري.

وفي الثاني ـ بعد ذكر وصيته إلى زياد بن النضر ـ ثم أردفه بكتاب يوصيه ويحذّره، وفيه: اعلم ان مقدّمة القوم عيونهم ....

وفي الثالث: لما اجتمع إلى عليّ عليه السلام قواصيه وانضمت إليه أطرافه تهيأ للمسير من النخيلة، فدعا زياد بن النضر وشريح بن هاني، فعقد لكلّ واحد منهما على ستة آلاف فارس وقال: ليس كلّ واحد منكما منفرداً عن صاحبه، فان جمعتكما حرب فأنت يا زياد الأمير، واعلما أن مقدّمة القوم عيونهم وعيون المقدّمة طلائعهم ...[1].

قول المصنف: «ومن وصيّة له عليه السلام وصّى بها جيشاً» قد عرفت من رواية نصر المتقدّمة انّه عليه السلام كتب بالعنوان إلى رئيسي جيشه زياد بن النضر وشريح بن هاني في جعلهم مقدّمة له إلى الشام. وكذا من رواية (التحف)

(١) الأخبار الطوال: ١٠٦.

المتقدّمة، واما رواية الدينوري المتقدّمة فالظاهر انّه أراد الاختصار وذكر المجمل.

«بعثه إلى العدوّ» وهو معاوية وأهل الشام.

قوله عليه السلام «فاذا نزلتم بعدوّ أو نزل بكم فليكن معسكركم» أي مكان عسكركم.

«في قبل» أي: استقبال.

«الاشراف» أي: الأمكنة العالية. قال شاعر:

كبر حتى لم يستطع ان يركب حماره إلّا من مكان عال

وأقود للشرف الرفيع حماري

«أو سفاح الجبال» في (الصحاح):[1] سفح الجبل أسفله حيث يسفح فيه الماء وهو مضطجعه.

«أو أثناء الأنهار» في (الصحاح): الثني من الوادي والجبل منعطفه[2].

«كيما يكون لكم ردءاً» أي: عوناً على الظفر.

«ودونكم مرداً» للعدو.

«ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين» لئلا يحاصركم العدو.

«واجعلوا لكم رقباء» أي رصداً. وقالوا: الاكليل رقيب الثريا اذا طلعت احداهما عشاء غابت الأُخرى.

«في صياصي الجبال» أي: حصونها.

«أو بمناكب الهضاب» جمع الهضبة: الجبل المنبسط على وجه الأرض، ومناكبها رؤوسها.

---

(١) الصحاح للجوهري ١: ٣٧٥ مادة (سفح).

(٢) الصحاح للجوهري ٤: ٢٢٩٤ مادة (ثنى).

«لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن» في (كامل المبرّد): كان المهلب يبثّ الاحراس في الأمن كما يبثّهم في الخوف، ويذكي العيون في الأمصار كما يذكيها في الصحاري، ويأمر أصحابه بالتحرّز ويخوّفهم البيات وان بعد منهم العدو ويقول: احذروا أن تكادوا كما تكيدون ولا تقولوا غلبنا فالضرورة تفتح باب الحيلة.

ولما اجتمعت الخوارج بأرجان فنفحهم المهلب نفحة رجعوا، فأكمن للمهلب في غمض من غموض الأرض يقرب من عسكره مائة فارس ليغتالوه، فسار المهلب يطوف بعسكره ويتفقّد سواده، فوقف على جبل فقال: ان من التدبير لهذه المارقة أن تكون قد أكمنت في سفح هذا الجبل كميناً، فبعث عشرة فوارس فاطلعوا على المكمنة، فلما علموا انّهم قد علموا بهم قطعوا القنطرة ويئسوا من ناحيته.

قال قطري بن الفجأة ـ وهو أحد رؤسائهم ـ لأصحابه: المهلب من قد عرفتموه ان أخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الآخر، يمده اذا أرسلتموه ويرسله اذا مددتموه لا يبدؤكم الا أن تبدؤوه الا أن يرى فرصة فينتهزها، فهو الليث المبر والثعلب الرواغ والبلاء المقيم[1].

«واعلموا ان مقدّمة القوم» في (الصحاح):[2] مقدّمة الجيش ـ بكسر الدال ـ أوّله.

«عيونهم» في (الصحاح): والعين الديدبان والجاسوس.

«وعيون المقدّمة طلائعهم» في (الصحاح)[3] طليعة الجيش من يبعث

(١) الكامل للمبرّد ٣: ١٠٨٢.

(٢) الصحاح للجوهري ٤: ٢٠٠٨ مادة (قَدِمَ).

(٣) الصحاح للجوهري ٤: ٢١٧٠ مادة (عين).

ليطلع طلع العدو.

«وإيّاكم والتفرّق فاذا نزلتم فانزلوا جميعاً واذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً» وفي (المروج): كانت سياسة يعقوب بن الليث الصفار انّه كان بأرض فارس وقد أباح الناس أن يرتعوا، ثم حدث أمر أراد الرحيل من تلك الكورة، فنادى مناديه بقطع الدواب عن الرتع، فرؤي رجل من أصحابه قد أسرع إلى دابته والحشيش في فمها فأخرجه من فيها مخافة أن تلوكه بعد سماعه النداء، وأقبل على الدابة مخاطباً لها بالفارسية «دواب را از تر بريدند» يعني قطعوا الدواب عن الرطبة.

ورؤي في عسكره في ذلك الوقت رجل من قواده ذو مرتبة والدرع الحديد على بدنه لا ثوب بينه وبين بشرته، فقيل له في ذلك، فقال: نادى منادي الأمير البسوا السلاح وكنت أغتسل من جنابة، فلم يسعني التشاغل بلبس الثياب[1].

«واذا عشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفّة» بالضم، فعن الأصمعي: كلّ ما استطال نحو كفة الثوب وكفّة الرمل فهو بالضمّ، وكلّ ما استدار نحو كفّة الميزان وكفّة الصائد وكفّة اللثة فهو بالكسر.

«ولا تذوقوا النوم إلّا غراراً» أي: قليلاً، والأصل فيه الغرور، وهو ما يتغرغر به من الأدوية. وعن الأصمعي: يقال غارت الناقة تغار غراراً قل لبنها، ومنه غرار النوم وهو قلته.

وقال اعرابي:

لا أذوق النوم إلّا غراراً   مثل حسو الطير ماء الثماد

«أو مضمضة» قال المروح السلمي:

لمّا اتكأن على النمارق مضمضت   بالنوم أعينهن غير غرار

(١) المروج للمسعودي ٤: ١١٤.

وقال آخر على نقل (الأساس):

يمسح بالكفين وجهاً أبيضا اذا الكرى في عينه تمضمضا[١]

وعلى نقل (الصحاح):

وصاحب نبهته لينهضا اذا الكرى في عينه تمضمضا[٢]

ولحسان على ما في (ديوانه):

ما بال عينك يا حسان لم تنم ما ان تغمض إلا مؤتم القسم[٣]

٦
الكتاب (١٢)

ومن وصية له عليه السلام لمعقل بن قيس الرياحيّ حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له:

ٱتَّقِ ٱللهَ ٱلَّذِي لَابُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ وَلَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ، وَلَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ، وَسِرِ ٱلْبَرْدَيْنِ وَغَوِّرْ بِالنَّاسِ وَرَفِّهْ فِي ٱلسَّيْرِ، وَلَا تَسِرْ أَوَّلَ ٱللَّيْلِ فَإِنَّ ٱللهَ جَعَلَهُ سَكَناً، وَقَدَّرَهُ مُقَاماً لَا ظَعْناً، فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ، فَإِذَا وَقَفتَ حِينَ يَنْبَطِحُ ٱلسَّحَرُ أَوْ يَنْفَجِرُ ٱلفَجْرُ فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ ٱللهِ، فَإِذَا لَقِيتَ ٱلْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطاً، وَلَا تَدْنُ مِنَ ٱلْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ ٱلْحَرْبَ، وَلَا تَباعَدْ مِنْهُمْ تَباعُدَ مَنْ يَهابُ ٱلْبَأْسَ، حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي، وَلَا يَحْمِلَنَّهُمْ شَنَآنُهُمْ عَلَى قِتالِهِمْ قَبْلَ دُعائِهِمْ وَٱلْاعْذَارِ إِلَيْهِمْ.

أقول: المفهوم من كتب السير أن وصيته عليه السلام إلى معقل إلى قوله «فسر

---

(١) أساس البلاغة للزمخشري: ٤٣١ مادة (مضض).

(٢) الصحاح للجوهري ٢: ١١٠٦ مادة (مضمض).

(٣) ديوان حسّان بن ثابت: ٣٠٠٩.

على بركة الله»، وأما ما بعده «فاذا لقيت العدو ...»، فانّما وصيته عليه السلام إلى الأشتر حين بعثه مدداً لزياد بن النضر وشريح بن هاني ـ وكان عليه السلام قدمهما من قرقيسا إلى معاوية.

اما الأول، ففي (صفين نصر) عن أبي الوداك قال: ان علياً عليه السلام بعث معقل بن قيس في ثلاثة آلاف وقال له: خذ على الموصل ثم نصيبين ثم القني بالرقة فإنّي موافيها. وسكّن الناس وآمنهم، ولا تقاتل إلّا من قاتلك، وسر البردين وغور الناس وأقم الليل ورفّه في السير، ولا تسر أول الليل فان الله جعله سكناً، أرح فيه بدنك وجندك وظهرك، فاذا كان السحر أو حين ينبطح الفجر فسر. فخرج حتى أتى الحديثة وهي اذ ذاك منزل الناس ـ انّما بنى مدينة الموصل بعد ذاك مروان بن محمد ـ فاذا هم بكبشين ينتطحان ومع معقل رجل من خثعم يقال له شداد بن أبي ربيعة قتل بعد ذلك مع الحرورية، فأخذ يقول ايه ايه. فقال معقل: ما تقول؟ فجاء رجلان نحو الكبشين فأخذ كلّ واحد كبشاً ثم انصرفا.

فقال الخثعمي لمعقل: لا تغلِبون ولا تُغلبون. قال له معقل: من أين علمت ذلك؟ قال: أما أبصرت الكبشين أحدهما مشرق والآخر مغرب التقيا فاقتتلا وانتطحا فلم يزل كلّ واحد منهما من صاحبه منتصفاً حتى أتى كلّ واحد منهما صاحبه فانطلق به.

ثم مضوا حتى أتوه عليه السلام بالرقّة[1].

وأمّا الثاني فروى نصر[2] والطبري[3] أن علياً عليه السلام أرسل إلى الأشتر ان

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ١٤٨.

(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ١٥٣.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٥٦٤.

زياداً وشريحاً ارسلا إليّ يعلماني انّهما لقيا أبا الأعور السلمي في جند من أهل الشام بسور الروم، فنبأني الرسول انّه تركهم متوافقين، فالنجا إلى أصحابك النجا، فاذا أتيتهم فأنت عليهم، وإيّاك أن تبدأ القوم بقتال إلّا أن يبدؤوك حتى تلقاهم وتسمع منهم، ولا يجرمنك شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار إليهم مرّة بعد مرّة، واجعل على ميمنتك زياداً وعلى ميسرتك شريحاً، وقف بين أصحابك وسطاً ولا تدن منهم دنو من يريد أن ينشب الحرب ولا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتى أُقدم إليك فاني حثيث السير إليك إن شاء الله[1].

قول المصنف: «ومن وصيّة له عليه السلام لمعقل بن قيس الرياحي» في (الطبري): خرج المستورد الخارجي على المغيرة لما كان والياً على الكوفة من قبل معاوية، فقال المغيرة لقبيصة رئيس شرطته: الصق لي بشيعة علي فأخرجهم مع معقل فان معقلاً كان من رؤساء أصحابه، فاذا بعث بشيعته الذين كانوا يعرفون فاجتمعوا جميعاً استأنس بعضهم إلى بعض وتناصحوا وهم أشد استحلالاً لدماء هذه المارقة وأجرأ عليهم من غيرهم، وقد قاتلوا معهم قبل هذه المرّة ـ إلى أن قال ـ فمشى المستورد ومعقل كلّ منهما إلى صاحبه وبيد المستورد الرمح وبيد معقل السيف، فأشرع المستورد الرمح في صدر معقل حتى خرج السنان من ظهره، فضربه معقل بالسيف على رأسه حتى خالط السيف أُمّ الدماغ فخرّا ميتين[2].

«حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف» قد عرفت من رواية نصر[3]

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ١٥٣، وتاريخ الطبري ٣: ٥٦٤.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٤: ١٤٤.

(٣) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ١٦٥ ـ طبع النجف.

أنّه عليه السلام أنفذه من الطريق في ثلاثة آلاف من المدائن وقال له: خذ على محل الموصل ثم نصيبين ثم القني بالرّقة، فأتاه عليه السلام بالرقة.

قوله عليه السلام «اتق الله الذي لابدّ لك من لقائه» ﴿يا أيها الإنسان إنّك كادح إلى ربّك كدحاً فملاقيه﴾[١].

«ولا منتهى لك دونه» ﴿ألّا تزر وازرة وزر أُخرى* وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى* وأنّ سعيه سوف يرى* ثم يُجزاه الجزاء الأوفى* وأَنّ إلى ربك المنتهى﴾[٢].

«وسر» أمر من السير.

«البردين» أي: الغداة والعشي.

«وغور بالناس» في (الجمهرة): غوَّروا اذا نزلوا في الهاجرة وأراحوا[٣].

«ورفّه بالسير» أي: وسّع به عليهم من (رفّه من خناقه).

«ولا تسر أوّل الليل فان الله جعله سكناً» ﴿فالق الإصباح وجعل الليل سكناً﴾[٤].

«وقدره مقاماً لا ظعناً» أي: حركة.

«فأرح» أي: اعط الراحة، قال النابغة:

وصدر أراح الليل عازب همّه.

«فيه بدنك وروّح ظهرك» قال ابن أبي الحديد: أمره عليه السلام أن يريح في الليل بدنه وظهره وهي الإبل. و (بنو فلان مظهرون) أي: لهم ظهر ينقلون عليه كما

---

(١) الانشقاق: ٦.

(٢) النجم: ٣٨ ـ ٤٢.

(٣) جمهرة اللغة لابن دريد ٣: ١٢٦٧.

(٤) الأنعام: ٩٦.

تقول منجبون أي لهم نجائب[١].

وقال الراوندي: «الظهور الخيول» وليس بصحيح[٢].

قلت: الأظهر كون الظهر أعم من الخيل والإبل، فالعسكر معهم خيل يركبون عليها وإبل يحملون عليها، فلو لم يكن الظهر هنا أعمّ لكان عليه السلام يقول «وروح ظهرك وخيلك». وأيضاً قال في (النهاية): في حديث الخيل: «ولم ينس حقّ الله في رقابها ولا ظهورها» حق الظهور ان يحمل عليها منقطعاً به أو يجاهد عليها، ومنه الحديث الآخر: «ومن حقّها إفقار ظهرها ...»[٣].

اللّهم إلّا أن يقال ان الحديثين أعم، لأن فيهما «ظهور الخيل» و «ظهر الخيل»، وهو غير الظهر المطلق، كما انّه يمكن أن يقال اقتصر عليه السلام في ترويح الإبل لأن أتعابها أكثر بحمل الأثقال بخلاف الخيل التي يركبها الرجال.

«فاذا وقفت حين ينبطح» أي: ينبسط.

«السحر أو حين ينفجر» أي: ينشق.

«الفجر فسر على بركة الله، فاذا لقيت العدوّ فقف من أصحابك وسطاً» في (عيون القتيبي)[٤]: قرأت في الائين: من سنّة الحرب أن يرتاد للقلب مكاناً مشرفاً، فان أصحاب الميمنة والميسرة لا يقهرون ولا يغلبون، وان زالتا بعض الزوال ما ثبت القلب.

«ولا تدنُ من القوم دنوّ من يريد أن ينشب» أي ينشئ.

الحرب، ولا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس» أي: يخاف الحرب.

«حتى يأتيك أمري» وقد عرفت ان في رواية نصر «حتى أُقدم عليك».

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥: ٩٤.

(٢) منهاج البراعة للقطب الراوندي: عنده ٣: ٢٥ «روح ظهرك».

(٣) النهاية لابن الأثير ٣: ١٦٦.

(٤) العيون للقتيبي ١: ١١٢.

«ولا يحملنّكم شنآنهم» أي: بغضهم.

«على قتالهم قبل دعائهم والاعذار إليهم» ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى...﴾[1] ﴿... ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدّوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا...﴾[2].

٧
الكتاب (١٤)

ومن وصية لهعليه السلام لعسكره قبل لقاء العدوّ بصفين:

لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ ٱللهِ عَلَى حُجَّةٍ وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ. فإِذَا كَانَتِ ٱلْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ ٱللهِ فَلاَ تَقْتُلُوا مُدبِراً وَلا تُصِيبُوا مُعوِراً وَلا تُجهِزُوا عَلى جَرِيح وَلا تُـهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذىً وإن شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ ٱلْقُوَى وَٱلْأَنْفُسِ وَٱلْعُقُولِ إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ المَرْأَةَ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ بِالْفِهْرِ أَوِ ٱلْهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرَ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ.

قول المصنف: «ومن وصيّة لهعليه السلام لعسكره قبل لقاء العدوّ بصفين» هكذا في (المصرية):[3] والصواب: «ومن وصية له عليه السلام لعسكره بصفين قبل لقاء العدو» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)[4].

---

(١) المائدة: ٨.

(٢) المائدة: ٢.

(٣) الطبعة المصرية: ٥٣٠.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ١٥: ١٠٤، لا نرىٰ أي اختلاف في المعنى بين العبارة التي أوردها محمد عبده والعبارة التي أوردها ابن ابي الحديد.

وكيف كان ففي (الطبري): أمر عليّ عليه السلام في انسلاخ المحرم من سنة (٣٧) مرثد بن حارث الجشمي فنادى عند غروب الشمس: ألا ان أمير المؤمنين يقول لكم: «اني قد استدمتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا إليه، واحتججت عليكم بكتاب الله عزوجل فدعوتكم إليه فلم تناهوا عن طغيان ولم تجيبوا إلى حق، واني قد نبذت إليكم على سواء ان الله لا يحبّ الخائنين» . ففزع أهل الشام إلى أمرائهم وخرج معاوية وعمرو بن العاص يكتّبان الكتائب وبات علي عليه السلام ليلته كلّها يعبئ الناس ويكتّب الكتائب ويدور في الناس يحرّضهم.

قال أبو مخنف: حدّثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي عن أبيه أن علياً عليه السلام كان يأمرنا في كلّ موطن لقينا فيه عدوّاً فيقول: لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم، فأنتم بحمد الله عزوجل على حجّة، وترككم إيّاهم حتى يبدأوكم حجّة أُخرى لكم، فاذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثّلوا بقتيل، فاذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً إلّا باذن ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلّا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأة بأذى وان شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم، فانّهنّ ضعاف القوى والأنفس[1].

ورواه نصر بن مزاحم مثله وزاد : والعقول ولقد كنّا لنؤمر بالكفّ عنهنّ وانهنّ لمشركات وان كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالهراوة أو الحديد فيعير بها عقبه من بعده[2].

وروى (الكافي) في باب ما يوصي عليه السلام عند القتال عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه أنّه عليه السلام كان يأمر في كلّ موطن لقينا فيه عدوّنا فيقول: لا

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤: ٦.

(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٠٣.

تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم، فانكم على حجّة وترككم إيّاهم حتى يبدأوكم حجّة لكم أُخرى. فاذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تمثّلوا بقتيل[١].

وفي حديث مالك بن أعين قال: حرّض علي عليه السلام الناس بصفين فقال: ان الله تعالى قد دلّكم على تجارة تنجيكم من عذابٍ أليم ـ إلى أن قال ـ واذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلّا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا المرأة بأذى وان شتمن أعراضكم وسببن أُمراءكم وصلحاءكم، فإنّهنّ ضعاف القوى والأنفس والعقول، وقد كنّا نؤمر بالكفّ عنهنّ وإنّهنّ مشركات، وان كان الرجل ليتناول المرأة فيعيّر بها وعقبه من بعده[٢].

قوله عليه السلام «لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم فانّكم بحمد الله على حجّة وترككم إيّاهم حتى يبدأوكم حجّة أُخرى لكم عليهم» وكذلك ابنه الحسين عليه السلام يوصي أصحابه يوم الطف، ففي (الطبري): بعد ذكر إرسال عبيد الله بن زياد للحرّ مع ألف لإدخاله الكوفة ثم إتباعه برسول أن ينزله عليه السلام على غير حصن ولا ماء: وأخذ الحر الحسين عليه السلام بالنزول فقال عليه السلام: دعنا ننزل في هذه القرية ـ يعني نينوى ـ أو هذه ـ يعني الغاضرية ـ أو هذه ـ يعني شفية ـ فقال: لا والله ما أستطيع ذلك، هذا رجل قد بعث عيناً عليّ. فقال له زهير: يابن رسول الله ان قتال هؤلاء أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم، فلعمري ليأتينا من بعدهم ما لا قبل لنا به. فقال الحسين عليه السلام: ما كنت لأبدأهم بالقتال[٣].

---

(١) الكافي ٥: ٣٨ ح٣.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه عن نصر بن مزاحم. بحار الأنوار ٣٣: ٣٦١.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك للطبري ٤: ٣٠٨.

وفيه ـ بعد ذكر أمر الحسين عليه السلام في صبيحة العاشر بجمع الحطب والقصب في خلف خيمة النساء وإلقاء النار فيها لئلا يحمل العدوّ عليهن ومشاهدة شمر ذلك فنادى شمر بأعلى صوته: يا حسين استعجلت النار في الدُّنيا قبل يوم القيامة فقال عليه السلام له يابن راعية المعزى أنت أولى بها صلياً ـ: فقال مسلم بن عوسجة للحسين عليه السلام :ألا أرميه يابن رسول الله بسهم، فإنّه قد أمكنني وليس يسقط مني سهم والفاسق من أعظم الجبّارين. فقال عليه السلام له : لا فإنّي أكره أن أبدأهم[1].

قال الجاحظ: ربما رأيت بعض من يظن بنفسه العقل والتحصيل والفهم والتميز وهو من العامة ويظن انّه من الخاصة، يزعم ان معاوية كان أبعد غوراً من علي عليه السلام وأصحّ فكراً وأجود رؤية وأبعد غاية وأدقّ مسلكاً، وليس الأمر كذلك، وسأرمي إليك بجملة تعرف بها موضع غلطه والمكان الذي دخل عليه الخطأ من قبله، كان علي عليه السلام لا يستعمل في حروبه إلّا ما وافق الكتاب والسّنة، وكان معاوية يستعمل خلاف الكتاب والسّنة ويستعمل جميع المكائد حلالها وحرامها، ويسير في حروبه بسيرة ملك الهند إذا لاقى كسرى وسيرة خاقان اذا لاقى رتبيل، وعلي عليه السلام يقول في حروبه «لا تبدأوهم بالقتال حتى يبدأوكم ولا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تفتحوا باباً مغلقاً» هذه سيرته في ذي الكلاع وأبي الأعور السلمي وعمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة، وفي جميع الرؤساء كسيرته في الحشو والاتباع والسفلة، وأصحاب الحروب ان قدروا على البيات بيتوا وان قدروا على رضخ الجميع بالجندل وهم نيام فعلوا، ولم يؤخروا الحرق إلى وقت الغرق، وان أمكن الهدم لم يتكلّفوا الحصار، ولم يدعوا أن يضعوا المجانيق والعرادات والنقب والشريب

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٣: ٣١٨ (دار الكتب العلمية).

والدبابات والكمين، ولم يدعوا دسّ السموم ولا التضريب بين الناس بالكذب وطرح الكتب في عساكرهم بالسعايات وتوهيم الأمور وايحاش بعض من بعض وقتلهم بكلّ آلة وحيلة كيف وقع القتل وكيف دارت بهم الحال، فمن اقتصر من التدبير على ما في الكتاب والسنّة كان قد منع نفسه الطويل والعريض من التدبير ومالا يتناهى من المكائد، والكذب أكثر من الصدق والحرام أكثر من الحلال.

فعلي عليه السلام كان ملجماً بالورع عن جميع القول إلّا ما هو لله رضى، وممنوع اليدين من كلّ بطش إلّا ما هو لله رضى، ولا يرضى الرضا إلّا فيما يرضاه الله ويحبّه، ولا يرى الرضا إلّا فيما دلّ عليه الكتاب والسنّة دون ما يقول أصحاب الدهاء والنكراء والمكائد والآراء. فلما أبصرت العوام كثرة غرائب معاوية في الخدع وما اتفق له وتهيأ على يده ولم يروا ذلك من علي عليه السلام ظنّوا بقصر عقولهم وقلّة علومهم أن ذلك من رجحان عند معاوية ونقصان عند علي عليه السلام[1].

«فإذا كانت الهزيمة» منكم للعدو باذن الله.

«فلا تقتلوا مدبراً» من ولّى عن الحرب.

«ولا تصيبوا معوراً» أي: معيوباً.

«ولا تجهزوا على جريح» قال الأصمعي: أجهزت على الجريح إذا اسرعت قتله وقد تممت عليه.

هذا، وقد عرفت من نقل المصنف ورواية (الكافي) والطبري أنّه عليه السلام قال ذلك (إذا كانت الهزيمة فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح) في صفين، لكن ينافيه ما رواه الكليني عن شريك قال: لما انهزم الناس يوم الجمل قال

---

(١) ذكره ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٠: ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

علي عليه السلام: لا تتبعوا مولّياً ولا تجهزوا على جريح، ولمّا كان يوم صفين قتل عليه السلام المقبل والمدبر وأجاز على جريح، فقال أبان بن تغلب لعبدالله بن شريك: هذه سيرتان مختلفتان. فقال: ان أهل الجمل قتل طلحة والزبير وان معاوية كان قائماً بعينه وكان قائدهم.

ويمكن الجمع بأنّه عليه السلام علّق النهي في الخبر في صفين أيضاً بحصول الهزيمة ولم تحصل وان كانوا أشرفوا على الانهزام، فان كان حصل بقتل معاوية أو فراره كان الحكم في صفين كالجمل بعدم قتل المدبر وترك الاجهاز على الجريح. وبالجملة الكلام صحيح في تعليقه.

وأما في (صفين نصر) عن الشعبي قال: أسر علي عليه السلام يوم صفين أسرى فخلى سبيلهم، فأتوا معاوية وقد كان عمرو بن العاص قال لمعاوية في اسرى أسرهم اقتلهم فما شعروا إلّا بأسراهم، فقال معاوية لعمرو: لو أطعناك لوقعنا في قبيح فأمر بتخلية من في يده[1].

وكان علي عليه السلام إذا أخذ أسيراً من أهل الشام خلّى سبيله إلّا أن يكون قد قتل من أصحابه أحداً فيقتله به، فإذا خلّى سبيله وعاد الثانية قتله.

وكان علي عليه السلام لا يجيز على الجرحى ولا على من أدبر بصفين لمكان معاوية فالظاهر كونه تصحيفاً والأصل يجيز على الجرحى وعلى من أدبر لما مر، ولما رواه (الكافي) أيضاً عن حفص بن غياث عن الصادق عليه السلام قال: ليس لأهل العدل أن يتبعوا مدبراً ولا يقتلوا أسيراً ولا يجهزوا على جريح إذا لم يبق من أهل البغي أحد، فإذا كان لهم فئة فان أسيرهم يقتل ومدبرهم يتبع وجريحهم يجهز عليه.

«ولا تهيجوا النساء بأذىً وان شتمن أعراضكم وسببن اُمراءكم» في

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٥١٨.

(الطبري) في روايات سيف انّه عليه السلام قال ذلك يوم الجمل أيضاً، فروى انّه عليه السلام لما ورد دار عبدالله بن خلف التي نزلتها عائشة قالت صفية امرأة عبدالله بن خلف ـ وكان زوجها قتل مع عائشة ـ له عليه السلام: يا قاتل الأحبة يا مفرّق الجمع، أيتم الله بنيك منك كما أيتمت ولد عبدالله. فقال عليه السلام: أما لهممت ان افتح هذا الباب ـ وأشار إلى باب من الدار ـ وأقتل من فيه، ثم أفتح هذا ـ وأشار إلى باب آخر ـ فأقتل من فيه، وكان أناس من الجرحى قد لجأوا إلى عائشة، فأُخبر علي عليه السلام بمكانهم عندها. فسكتت صفية. فخرج علي عليه السلام فقال رجل من الأزد: والله لا تفلتنا هذه المرأة، فغضب وقال: صه لا تهتكن ستراً ولا تدخلن داراً ولا تهيّجن امرأة بأذى وان شتمن أعراضكم وسفّهن أُمراءكم وصلحاءكم فانّهنّ ضعاف، ولقد كنّا نؤمر بالكفّ عنهنّ وإنّهن لمشركات، وان الرجل ليكافي المرأة ويتناولها بالضرب فيعيّر بها عقبه من بعده[1].

«فإنّهنّ ضعيفات القوى والأنفس والعقول» في (صفين نصر): لما قتل الأشتر الأجلح ابن منصور من فرسان الشام قالت أُخته:

شفانا الله من أهل العراق قد أبادونا اما يخشون ربّهم ولم يرعوا له دينا

فقال عليه السلام: أما انّهنّ ليس يملكن ما رأيتم من الجزع، أما انّهم قد أضروا بنسائهم فتركوهن خزايا من قبل ابن آكلة الأكباد، اللّهم حمله آثامهم وأوزارهم وأثقالاً مع أثقالهم. قالوا: وماتت حزناً على أخيها[2].

«ان» مخففة من المثقلة.

«كنّا لنؤمر بالكفّ عنهنّ وانّهن لمشركات» في (الطبري): مما صنع تعالى لنبيه ان الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع النبي تصاول الفحلين لا تصنع

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٣: ٥٤٣.

(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ١٧٨.

احداهما شيئاً إلّا صنعت الأُخرى مثلها، فلما أصابت الأوس كعب بن الأشرف اليهودي الذي كان عدوّ النبيّ صلى الله عليه وآله قالت الخزرج: لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً. فتذاكروا للنبيّ صلى الله عليه وآله أبا رافع بن أبي الحقيق الخيبري الذي كان في العداوة ككعب واستأذنوه في قتله فاذن لهم، فخرج منهم ثمانية فقال صلى الله عليه وآله لهم لا تقتلوا وليداً أو امرأة. فخرجوا حتى قدموا خيبر فأتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً فلم يدعوا بيتاً في الدار إلّا أغلقوه من خلفهم على أهله حتى قاموا على بابه في علية له، فاستأذنوا فخرجت إليهم امرأته فقالت: من أنتم؟ قالوا: نفر من العرب نلتمس الميرة. قالت: ذاك صاحبكم فادخلوا عليه فلما دخلوا أغلقوا عليها الباب، فصاحت بهم فجعل الرجل منهم يرفع عليها السيف ثم يذكر نهي النبي صلى الله عليه وآله فيكفّ يده ثم قتلوه[1].

وفي (الأسد) ـ في رباح أخي حنظلة ـ: خرج رباح مع النبيّ صلى الله عليه وآله في غزوة وكان على مقدّمته خالد بن الوليد، فمر هو وجمع على امرأة مقتولة ممّا أصاب المقدّمة، فوقفوا ينظرون إليها ويتعجبون من خلقها، حتى جاء النبي صلى الله عليه وآله فقال: ما كانت هذه تقاتل. ثم نظر في وجوه القوم فقال لرجل: أدرك خالداً وقل له لا يقتلن ذرية ولا عسيفاً[2].

وفي الخبر: سقطت الجزية عن النساء لعدم جواز قتلهن[3].

«وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر» في (الصحاح): الفهر الحجر ملء الكفّ يذكر ويؤنث[4].

وفي (الجمهرة): الفهر حجر يملأ الكف، وهي مؤنثة يدلك على ذلك تصغيرهم

---

(١) تاريخ الامم والملوك للطبري ٢: ١٨٤.

(٢) أُسد الغابة لابن الاثير ٢: ١٦٠.

(٣) التهذيب للطوسي: ٦: ١٥٦ رواية ١٧١ الباب ٢٢.

(٤) الصحاح للجوهري ٢: ٧٨٤ مادة (فهر).

إيّاها فهيرة[١].

«أو الهراوة» في (الصحاح): الهراوة العصا الضخمة والجمع الهراوي بفتح الواو.

«فيعيّر بها وعقبه من بعده» قال البحتري:

وانـــي لئـــيم ان تـــركت لاسـرتي
أوابد تبقى في القراطيس والصـحف[٢].

٨

الخـــــطبة (٢٠٤)

ومن كلام له عليه السلام وقد سمع قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام أيام حربهم بصفين:

إِنِّى أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصْوَبَ فِي ٱلْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي ٱلْعُذْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُم إِيَّاهُمْ: ٱللَّهُمَّ ٱحْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ، وَٱهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ ٱلْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ وَيَرْعَوِيَ عَنِ ٱلْغَيِّ وَٱلْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ.

قول المصنّف: «ومن كلام له عليه السلام وقد سمع» هكذا في (المصرية) ومثله ابن أبي الحديد ولكن ابن ميثم «وقال عليه السلام وقد رأى»[٣].

«قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام» القوم حجر بن عدي وعمرو بن الحمق.

---

(١) جمرة اللغة لابن دريد ٢: ٧٨٩ مادة (رفه).

(٢) البحتري: ٤١ في مدح محمد الطوسي ومعاتبته.

(٣) الطبعة المصرية: شرح محمد عبده: ٤٦٣ اما ابن أبي الحديد: ١١: ٢١ الرواية (١٩٩) وابن ميثم: ٤: ١٣ بلفظ: «سمع» كما المصرية.

«أيام حربهم بصفين» بل في الكوفة لما أرادوا الخروج إلى صفين ـ ففي (طوال الدينوري) ـ بعد ذكر عقده عليه السلام لواء بالكوفة لربيع بن خثيم على القراء لثغر قزوين والري: وبلغ علياً عليه السلام أنّ حجر بن عدي وعمرو بن الحمق يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام، فأرسل إليهما ان كفا عمّا بلغني عنكما، فأتياه فقالا: ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى وربّ الكعبة المسدنة. قالوا: فلِمَ تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا شتّامين لعّانين، ولكن قولوا «اللّهم احقن دماءنا ودماءهم، واصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي من لهج به» ولما عزم عليه السلام على الشخوص أمر منادياً فنادى الخروج إلى المعسكر بالنخيلة.

وفي (صفين نصر) ـ بعد ذكر طلب يزيد الأرحبي منه عليه السلام أمره الناس بالخروج من الكوفة إلى المعسكر ـ قال عبدالله بن شريك : وخرج حجر بن عدي وعمرو بن الحمق يظهران البراءة واللعن من أهل الشام، فأرسل إليهما علي عليه السلام ان كفّا عمّا يبلغني عنكما. فأتياه فقالا: ألسنا محقّين؟ قال: بلى. قالا: فلِمَ منعتنا من شتمهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعّانين شتّامين تشتمون وتتبرؤون ولكن لو وصفتم مساوي أعمالهم فقلتم من سيرتهم كذا وكذا ومن عملهم كذا وكذا كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان لعنكم اياهم وبراءتكم منهم «اللّهم احقن دماءنا ودماءهم واصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به» كان هذا أحبّ إليّ وخيراً لكم. فقالا: نقبل عظتك ونتأدّب بأدبك[1].

وقد نقل الثاني ابن أبي الحديد في موضع آخر بلا ربط، وغفل عنه هنا[2].

---

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم : ١٠٢ .

(٢) ذكر ابن ابي الحديد العبارة في الجزء ٣: ١٨١ في الرواية ٤٦ والتي تبدأ بـ «اللهم إني أعوذ بك ...».

قوله عليه السلام «اني أكره لكم أن تكونوا سبّابين» في (ذيل الطبري) مسنداً عن أبي جري قال: انتهيت إلى رجل والناس حوله يصدرون عن رأيه، ما قال لهم من شيء رضوا به، فقلت في نفسي ان هذا لرجل ـ من هذا؟ قالوا: رسول الله. قلت: عليك السلام. قال: «عليك السلام» تحية الميّت ولكن قل: السلام عليك. قلت: السلام عليك، أنت رسول الله؟ قال: نعم أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضرّ فدعوته استجاب لك، وإذا أصابك عام سنة فدعوته استجاب لك، وإذا كنت في قفر فضلّت راحلتك فدعوته ردّها عليك. قلت: بأبي أنت وأُمّي اعهد إليّ عهداً. قال: «لا تسبّن أحداً». فما سببت بعده حرّاً ولا عبداً ولا شاة ولا بعيراً[1].

وفي (كامل المبرد): قيل لصخر بن عمرو أخي الخنساء: اهج غطفان ـ وكانوا قتلوا أخاه معاوية بن عمر ـ فقال: ما بيني وبينهم أقذع، ولو لم أمسك عن هجائهم إلا صوناً لنفسي عن الخنا لفعلت. ثم قال:

وعاذلة هبّت بليل تلومني ... ألا لا تلومي كفى اللوم ما بيا

تقول الا تهجو فوارس هاشم ... ومالي اذ أهجوهم ثم ماليا

ابى الشتم اني قد أصابوا كريمتي ... وان ليس اهداء الخنا من شماليا[2]

وقالوا:

وشرّ عداوة المرء السباب.

ثم ان معاوية وأصحابه وان كانوا مستحقّين للّعن وللسب إلّا انّه لما كان مؤدّياً إلى معاملتهم بالمثل لم يكن مرضياً، قال تعالى: ﴿ولا تسبّوا الذين

---

(١) ذيل المذلل للطبري: ٦٥.

(٢) الكامل للمبرّد ٣: ١٢٢١ ـ ١٢٢٢.

يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم ...﴾[1].

وامّا قنوتهعليه السلام بعد صفين على معاوية وجمع آخر فانّما كان بعد اتمام الحجّة وتنكّبهم عن المحجّة، مع انّهعليه السلام لو لم يفعل ذلك لفعله معاوية ولم يختص به، ففعل ذلك جميع بني أُميّة سوى ابن عبد العزيز وكان ذلك سبباً عندهم لبقاء سلطنتهم ولم يكتفوا بذلك فوضعوا أحاديث في ذمهعليه السلام.

«ولكنّكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر» لأنّه لا يمكنهم انكار أعمالهم الشنيعة، وكان هوعليه السلام وعترته مع خصومهم كذلك.

ففي (مقاتل أبي الفرج): لما بويع معاوية خطب فذكر علياًعليه السلام فنال منه ونال من الحسنعليه السلام فقام الحسينعليه السلام ليردّ عليه، فأخذ الحسن بيده فأجلسه ثم قام فقال: ايّها الذاكر علياً أنا الحسن وأبي علي وأنت معاوية وأبوك صخر وأمّي فاطمة وأمّك هند وجدّي رسول الله وجدّك حرب وجدّتي خديجة وجدّتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً وألأمنا حسباً وشرّنا قدماً وأقدمنا كفراً ونفاقاً. فقال طوائف من أهل المسجد: آمين[2].

وفي (الإرشاد): وقف على علي بن الحسينعليه السلام رجل من أهل بيته فأسمعه وشتمه فلم يكلّمه، فلما انصرف قال لجلسائه: قد سمعتم ما قال هذا الرجل، وانا أحب أن تبلغوا معي إليه حتى تسمعوا مني ردّي عليه. فقالوا: نفعل ولقد كنّا نحب أن تقول له وتقول. فأخذعليه السلام نعليه ومشى وهو يقول ﴿... والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحبّ المحسنين﴾ فعلموا أنّه لا يقول له شيئاً. فخرج حتى أتى منزل الرجل فصرخ به فقالوا: هذا علي بن

---

(١) الأنعام: ١٠٨.

(٢) المقاتل لأبي الفرج: ٤٦.

الحسين فخرج متوثباً للشرّ ـ وهو لايشكّ انّه انّما جاء مكافئاً له ـ فقال عليه السلام له: يا أخي انّك قد وقفت علي آنفاً وقلت وقلت، فان كنت قلت ما فيّ فاستغفر الله منه، وان كنت قلت ماليس فيّ فغفر الله لك. فقبّل الرجل بين عينيه وقال: بل قلت ما ليس فيك وأنا أحقّ به[1].

«وقلتم مكان سبّكم إيّاهم اللّهم احقن» أي: امنع من السفك.

«دماءنا ودماءهم واصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحقّ من جهله» في (صفين نصر): مضى هاشم المرقال في عصابة من القرّاء، فقاتل قتالاً شديداً هو وأصحابه حتى رأى بعض ما يسرّون به، إذ خرج عليهم فتى شاب يقول:

أنا أرباب الملوك غسان	والدائن اليوم بدين عثمان
انبأنا أقوامنا بما كان	ان علياً قتل ابن عفان

ثم شدّ فلا ينثني يضرب بسيفه ثم يلعن ويشتم ويكثر الكلام، فقال له هاشم: ان هذا الكلام بعده الخصام وان هذا القتال بعده الحساب، فاتق الله ربّك فانّك راجع إلى ربك فسائلك عن هذا الموقف وما أردت به. قال: أُقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلّي كما ذكر لي وانّكم لا تصلّون، وأُقاتلكم ان صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم وازرتموه على قتله. فقال له هاشم : وما أنت وابن عفّان، انّما قتله أصحاب محمّد وقرّاء الناس حين أحدث أحداثاً احداثاً وخالف حكم الكتاب، وأصحاب محمّد هم أصحاب الدين وأولى بالنظر في أُمور المسلمين، واما قولك «ان صاحبنا لا يصلّي» فهو أوّل من صلّى لله مع رسوله وأفقههم في دين الله وأولى برسوله، واما من ترى معه فكلّهم قارئ الكتاب لا ينامون الليل تهجداً، فلا يغررك عن دينك هؤلاء الأشقياء المغرورون . فقال الفتى: انّي

---

(١) الإرشاد : ٢٥٧.

لأظنّك امرأً صالحاً هل تجد لي من توبة؟ قال: نعم تب إلى الله يتب عليك فانّه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويحبّ التوابين ويحبّ المتطهرين. فذهب الفتى بين الناس راجعاً، فقال له رجل من أهل الشام: خدعك العراقي. فقال: بل نصحني[1].

«ويرعوي» أي: يكفّ.

«عن الغي والعدوان من لهج به» أي: ولع به وحرص. وزاد ابن ميثم كما في نسخته: «وتبعه».

٩
الخطبة (٦٤)

ومن كلام له عليه السلام كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين:

مَعَاشِرَ المُسْلِمينَ ٱسْتَشْعِرُوا الخَشْيَةَ وتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الهَامِ وَأَكْمِلُوا اللَّأْمَةَ وَقَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْل سَلِّهَا وَٱلْحَظُوا الخزْرَ وَٱطْعَنُوا الشَّزْرَ وَنَافِحُوا بِالظُّبَى وَصِلُوا السُيُوفَ بِالخُطَى، وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ ٱللهِ وَمَعَ ابْن عَمِّ رَسُولِ ٱللهِ، فَعَاوِدُوا الكَرَّ وَٱسْتَحْيُوا مِنَ الفَرِّ، فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ وَنَارٌ يَوْمَ الحِسَابِ، وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْساً وَٱمْشُوا إِلَى المَوْتِ مَشْياً سُجُحاً، وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ ٱلْأَعْظَمِ وَالرِّوَاقِ المُطَنَّب، فاضْرِبُوا ثَبَجَهُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً وَأَخَّرَ لِلنُّكوصِ رِجْلاً، فَصَمْداً صَمْداً حَتَّى يَنْجَلِي لَكُمْ عَمُودُ الحَقّ، وَأَنْتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ.

---

(١) وقعة صفين ٣٥٤.

أقول: ورواه ابن قتيبة في (عيونه)[١] والمسعودي في (مروجه)[٢] والمصنف في (خصائصه)[٣] وفرات بن ابراهيم في (تفسيره)[٤] والطبرسي في (بشارته)[٥].

قال الأول: ذكر ابن عباس علياًعليه السلام فقال: ما رأيت رئيساً يوزن به لرأيته يوم صفين وكأن عينيه سراجا سليط وهو يحمس أصحابه إلى أن انتهى اليّ وأنا في كثف فقال: معشر المسلمين استشعروا الخشية، وغضوا الأصوات وتجلببوا السكينة واكملوا اللام واخفوا الخود وقلقلوا السيوف في أغمادها قبل السلمة والحظوا الشزر واطعنوا النتر ونافحوا بالظبى وصلوا السيوف بالخطى والرماح بالنبل وامشوا إلى الموت مشياً سجحاً، وعليكم بهذا السواد الأعظم والرواق المطنب، فاضربوا ثبجه فان الشيطان راكد في كسره، نافج حضينه مفترش ذراعيه قد قدم للوثبة يداً وأخّر للنكوص رجلاً.

وقال الثاني في (مروجه): وخرج عليعليه السلام بنفسه في البدريين والمهاجرين والأنصار وربيعة وهمدان في اليوم الثامن وهو يوم الأربعاء. قال ابن عباس: رأيت في هذا اليوم علياًعليه السلام وعليه عمامة بيضاء وكأن عينيه سراجا سليط وهو يقف على طوائف الناس في مراتبهم يحثّهم ويحرّضهم حتى انتهى اليّ وأنا في كثيف من الناس، فقال: يا معشر المسلمين غموا الأصوات واكملوا الملامة واستشعروا الخشية وأقلقوا السيوف في الأجفان قبل السلة والحظوا الشزر واطعنوا الهبر ...

(١) عيون الاخبار لابن قتيبة ١ : ١٣٣ .

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٢ : ٣٧٩.

(٣) خصائص الائمة للشريف الرضي: ٧٥ ـ ٧٦.

(٤) تفسير الفرات: ٤٢١.

(٥) أبو جعفر الطبري: بشارة المصطفى: ١٧٢ ـ ١٧٣.

وقال الثالث: حكي ان معاوية سأل ابن عباس عن أمير المؤمنين عليه السلام فقال: هيهات عقم النساء أن يأتين بمثله والله ما رأيت رئيساً مجرّباً يوزن به، لقد رأيته في بعض أيام صفين وعلى رأسه عمامة بيضاء تبرق وقد أرخى طرفيه على صدره وظهره، وكأن عينيه سراجاً وهاجاً من سليط، وهو يقف على كتيبة حتى انتهى إليّ وأنا في كثف من القوم وهو يقول: معاشر المسلمين استشعروا الخشية ... ولن يتركم أعمالهم. وزاد وأنشأ يقول:

إذا المشكلات تصدين لي	كشفت غوامضها بالنظر
وان برقت في مخيل الظنون	عمياء لا تجليها الفكر
مقنعة بغيوب الأمور	وضعت عليها حسام العبر
معي اصمعي كظبي المرهفات	اثرى به عن بنات السرر
لسان كشقشقة الأرحبي	أو كالحسام اليماني الذكر
ولست بأمعة في الرجال	السائل هذا وذا ما الخبر
ولكنني مدره الأصغرين	أقيس بما قد مضى ما غبر

ثم غاب عني ثم رأيته قد أقبل وسيفه ينطف دماً وهو يقرأ ﴿... فقاتلوا أئمة الكفر انّهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون﴾[1].

وروى الرابع مسنداً عن ضرار بن الأزور: ان رجلاً من الخوارج سأل ابن عباس عن علي عليه السلام، فأعرض عنه ثم سأله فقال: والله لكان أمير المؤمنين يشبه القمر الزاهر والأسد الخادر والفرات الزاخر والربيع الباكر فاشبه من القمر ضوؤه وبهاؤه ومن الأسد شجاعته ومضاؤه ومن الفرات جوده وسخاؤه ومن الربيع خصبه وحباؤه، عقمت النساء أن يأتين بمثله بعد النبي صلى الله عليه وآله، تالله ما سمعت ولا رأيت انساناً مثله، وقد رأيته يوم صفين وعليه

---

(١) التوبة: ١٢.

عمامة بيضاء، وكأن عينيه سراجان وهو يقف على شرذمة شرذمة، يحضّهم ويحثّهم إلى ان انتهى إليّ وأنا في كنف من المسلمين، فقال: معاشر الناس استشعروا الخشية وأميتوا الأصوات وتجلببوا بالسكينة وأكملوا اللامة واقلوا السيوف في الغمد قبل السلة والحظوا الشزر واطعنوا الخزر ونافحوا بالخطى وصلوا السيوف بالخطى والرماح بالبنان فانكم بعين الله ومع ابن عم نبيّكم عاودوا الكرّ واستحيوا من الفر، فانّه عار باق في الأعقاب ونار يوم الحساب، فطيبوا عن أنفسكم نفساً واطووا عن الحياة كشحاً وامشوا إلى الموت مشياً، عليكم بهذا السواد الأعظم والرواق المطنب فاضربوا ثبجه فان الشيطان راكد في كسره نافج حضنيه ومفترش ذراعيه، قد قدم للوثبة يداً وأخّر للنكوص رجلاً، فصبراً حتى ينجلي لكم عمد الحق وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم.

وأقبل معاوية في الكتيبة الشهباء وهي زهاء عشرة آلاف جيش شاكين في الحديد لا يرى منهم إلّا الحدق تحت اللثام، فقال عليه السلام: ما بالكم تنظرون فما تعجبون، انّما هي جثث ماثلة فيها قلوب طائرة مزخرفة بتمويه الخاسرين ورجل جراد زفت به ريح الصبا، ولفيف سداه الشيطان ولحمته الضلالة، وصرخ بهم ناعق البدعة وفيهم خور الباطل وضخضخة المكاثر، فلو قد مستها سيوف أهل الحق لتهافتت تهافت الفراش في النار، ألا فسووا بين الركب وعضوا على النواجذ واضربوا القوانص بالصوارم واشرعوا الرماح في الجوانح وشدّوا فإنّي شادّهم لا ينصرون.

فحملوا حملة ذي لبد، فأزالوهم عن أماكنهم ودفعوهم عن مراكزهم، وارتفع الرهج وخمدت الأصوات، فلا تسمع إلّا صلصلة الحديد وغمغمة الأبطال لا يرى إلّا رأس نادر أو يد طائحة وانا كذلك إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام

من موضع يريد أن ينجلي الغبار وينفض العلق عن ذراعيه وسيفه يقطر من الدماء قد انحنى كقوس النازع وهو يتلو ﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأُخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله...﴾[1].

وروى الخامس مسنداً عن عكرمة عن ابن عباس قال: عقم النساء أن يأتين بمثل أمير المؤمنين، وما كشفت النساء ذيولهن عن مثله، لا والله ما رأيت فارساً مجرّباً يوزن به، لرأيته يوماً ونحن معه بصفين وعلى رأسه عمامة سوداء وكأن عينيه سراجا سليط يتوقدان من تحتها يقف على شرذمة يحضهم حتى انتهى إلى نفر أنا فيهم، وطلعت خيل لمعاوية تدعى بالكتيبة الشهباء عشرة آلاف دارع على عشرة آلاف أشهب، فاقشعر الناس لها لما رأوها وانحاز بعضهم إلى بعض، فقال عليه السلام : فيم النخع والنخع يا أهل العراق، هل هي إلّا أشخاص ماثلة فيها قلوب طائرة، لو مسّها قلوب أهل الحق لرأيتموها كجراد بقيعة سفته الريح في يوم عاصف، ألا فاستشعروا الخشية وتجلببوا السكينة وادرعوا الصبر وخفضوا الأصوات وقلقلوا الأسياف في الأغماد قبل السلة، وانظروا الشزر واطعنوا الوجر وكافحوا بالظبى وصلوا السيوف بالخطى والنبال بالرماح وعاودوا الكر واستحيوا من الفر، فانّه عار في الأعقاب ونار يوم الحساب، وطيبوا عن أنفسكم نفساً وامشوا إلى الموت مشياً سجحاً، فانكم بعين الله ومع أخي رسول الله، وعليكم بهذا السرادق الأدلم والرواق المظلم فاضربوا ثبجه، فان الشيطان راقد في كسره نافش حضنيه مفترش ذراعيه قد قدّم للوثبة يداً وأخّر للنكوص رجلاً، فصمداً صمداً حتى ينجلي لكم عمود الحق وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم ها

---

(١) الحجرات : ٩.

أنا شاد فشدّوا بسم الله الرحمن الرحيم حم لا ينصرون.

ثم حمل عليه السلام عليهم وتبعهم خويلة لم تبلغ المائة فارس، فأجالهم فيها جولان الرحى المسرحة بثفالها، فارتفعت عجاجة منعتني النظر، ثم انجلت فأثبت النظر فلم نر إلّا رأساً نادراً ويداً طائحة، فما كان بأسرع أن ولّوا مدبرين كأنّهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة، فإذا أمير المؤمنين عليه السلام قد أقبل وسيفه ينطف ووجهه كشقّة القمر وهو يقول: ﴿... فقاتلوا أئمة الكفر انّهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون﴾[1].

وقال ابن أبي الحديد هذا الكلام خطب عليه السلام به في اليوم الذي كانت عشيته ليلة الهرير في كثير من الروايات، وفي رواية نصر انّه عليه السلام خطب به في أوّل أيام الحرب[2].

قلت: لم يذكر واحدة من روايات قال تضمّنت كون الخطبة في قرب ليلة الهرير وأما ما نسبه إلى (صفين نصر) من كونها في أوّل يوم من الحرب فلم نقف عليه فيه بل المفهوم مما نقله نفسه عنه وان لم نقف عليه فيه أيضاً كونها ليلة الثامن، فقال: قال نصر: فأما اليوم السابع فكان القتال فيه شديداً ـ إلى أن قال ـ قال نصر ان عليّاً عليه السلام خطب في ليلة هذا اليوم فقال: معاشر المسلمين استشعروا الخشية وتجلببوا السكينة وعضوا على النواجذ ... وكيف كان فالروايات الخمس التي نقلناها لم تتضمن احداها تاريخ الكلام سوى رواية المسعودي فانّها تضمنت كون الكلام يوم الثامن فهو المتعيّن.

قول المصنّف: «ومن كلام له عليه السلام كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين» قوله «يقوله» ينافر قوله «في بعض» وكان المناسب ان يقول «قاله» أو

---

(١) التوبة : ١٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٥ : ١٧٥.

يحذف قوله «كان يقوله» ولولا وجوده في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) لقلنا بزيادته، ففي (الخطية): «ومن كلام له عليه السلام في بعض أيام صفين»[١].

قوله عليه السلام «معاشر المسلمين استشعروا الخشية» قالوا: أي اجعلوا خشية الله تعالى وتقواه بمنزلة شعار لكم، والشعار من الثياب ما يلصق بالجسد، والدثار ما فوق الشعار.

«وتجلببوا السكينة» قالوا: أي اجعلوا السكون والوقار جلباباً لكم، والجلباب ثوب يشمل جميع البدن.

«وعضّوا على النواجذ» قالوا: للإنسان أربعة نواجذ، وهي أقصى الأضراس.

«فانّه أنبى للسيوف» قالوا: انّه من نبا السيف إذا لم يقطع، والمراد انّه إذا عضّ الانسان على نواجذه تصلبت الأعصاب والعضلات المتصلة بالدماغ، فكان تأثير السيف فيها أقل.

قال ابن أبي الحديد قال ذلك الراوندي[٢]، وهذا كلام ليس على حقيقته، بل هو كناية عن الأمر بتسكين القلب وترك اضطرابه، وذلك أشدّ إبعاداً لسيف العدو عن هاماتكم[٣].

قلت: بل على حقيقته، ويشهد له تصريح الأشتر به، ففي (صفين نصر): كان الأشتر يحرّض أصحابه ويقول: فدتكم نفسي، شدّوا شدّة المحرج الراجي الفرج فإذا نالتكم الرماح فالتووا فيها، وإذا عضتكم السيوف فليعضّ الرجل على نواجذه فانّه أشد لشؤون الرأس[٤].

---

(١) شرح نهج البلاغة ٥: ١٦٨ وابن ميثم ٢: ١٧٨ أما النسخة الخطية فكما قال العلامة التستري: ٤٢.

(٢) منهاج البلاغة للقطب الراوندي ١: ٢٨٧ لا وجود للعبارة المذكورة.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ٥: ١٦٩.

(٤) وقعة صفين لنصر بن مزاحم : ١٧٣ .

«وأكملوا اللأمة» بالهمز، أي: الدرع لتحول بين البدن وضرب العدو وطعنه وسهمه، قال تعالى في داود: ﴿وعلّمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾[1].

وفي (العيون): كان على النبيّ صلى الله عليه وآله يوم أُحد درعان[2].

واشترى يزيد بن حاتم أدرعاً وقال: اني لم أشتر أدرعاً انّما اشتريت أعماراً.

«وقلقلوا السيوف في أغمادها قبل سلها» لئلا يطول سلها وقت إرادة ضرب العدو.

«والحظوا الخزر» قال ابن أبي الحديد بالتحريك، قال «إذن تخازرت وما بي من خزر» فان جاء مسكناً والا فتسكينه جائز للسجعة الثانية «واطعنوا الشزر»[3].

قلت: بل بالسكون، قال الفيروز آبادي: الخزر بسكون الزاي النظر بلحظ العين، والبيت الذي ذكر الخزر فيه اسم المصدر وهنا مصدر[4].

هذا، وقال عمرو بن العاص: ما رأيت معاوية متكئاً قط واضعاً إحدى رجليه على الأُخرى كاسراً عينه يقول لرجل تكلّم إلّا رحمته.

«واطعنوا» قال ابن أبي الحديد: بضم العين يقال طعن بالرمح يطعن بالضم وطعن في النسب يطعن بالفتح[5].

قلت: بل يجوز في يطعن الضم والفتح مطلقاً، وانما الفرق بين الطعن

---

(١) الأنبياء : ٨٠.

(٢) عيون الاخبار لابن قتيبة ١ : ١٢٨.

(٣) شرح ابن ابي الحديد ٥: ١٦٩.

(٤) القاموس المحيط، للفيروز آبادي : ٤٩١ مادة (الخزر).

(٥) شرح ابن ابي الحديد ٥: ١٧٠.

بالرمح والطعن في النسب بالمصدر، ففي (الجمهرة) : طعن بالرمح يطعن ويطعن طعناً، وطعنت في الرجل طعناناً لا غير إذا ذكرته بقبيح، قال أبو زبيد الطائي:

وابى ظاهر الشناءة إلا طعناناً وقول ما لا يقال

قال الأصمعي : الطعن بالرمح والطعنان باللسان هذا كلام العرب[1].

ومنه يظهر ما في (الصحاح)[2] و(القاموس)[3] أيضاً طعن فيه طعناً وطعناناً.

«الشزر» وفي (الصحاح): الشزر ما طعنت عن يمينك وشمالك[4].

في (الطبري): خرج رجل من عك الشام يسأل المبارزة، فخرج إليه قيس ابن فهدان الكناني البدني من أهل العراق، فحمل على العكي فضربه واحتمله أصحابه، فقال قيس:

لقد علمت عك بصفين اننا إذا التقت الخيلان نطعنها شزرا
ونحمل رايات الطعان بحقّها فنوردها بيضاً ونصدرها حمرا[5]

هذا، وقد عرفت ان في رواية (المروج) «الهبر» وفي رواية (البشارة): «الوجر» والهبرة القطعة من اللحم، والوجر الطعن في الصدر.

«ونافحوا» في (الصحاح): نفحه بالسيف تناوله من بعيد.

«بالظبي» جمع ظبة كالظبات طرف السيف، قال الشاعر:

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد ٢ : ٩١٧.

(٢) الصحاح ٤: ٢١٥٧ مادة (طعن).

(٣) قاموس المحيط: ١٥٦٥ مادة (طعن).

(٤) الصحاح ٢: ٦٩٧ مادة (شزر).

(٥) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤: ٢١.

إذا الكماة تنحّوا أن ينالهم حد الظبات وصلناها بأيدينا[١]

«وصلوا السيوف بالخطى» جمع الخطوة بالضم ما بين القدمين.

قال ابن أبي الحديد روي ان رجلاً من الأزد رفع إلى المهلب سيفاً له، فقال له: يا عم كيف ترى سيفي هذا؟ فقال: انّه لجيّد لولا انّه قصير. قال: يا عم أطوله بخطوتي. فقال: والله يابن أخي ان المشي إلى الصين أو آذربيجان على أنياب الأفاعي أسهل من تلك الخطوة. ثم نقل أبياتاً في وصل السيوف بالخطى[٢].

قلت: وفي (صفين نصر): كانت طلائع أهل الشام وأهل العراق يلتقون ويتناشدون ويفخر بعضهم على بعض على أمان، فالتقوا يوماً وفيهم النجاشي فتذاكروا رجراجة عليّ عليه السلام ـ كان معه أربعة آلاف مجفجف من همدان مع سعيد بن قيس رجراجة، وكان عليهم البيض والسلاح والدروع ـ وخضرية معاوية ـ كانت مع عبيدالله بن عمر أربعة آلاف عليهم الخضر ـ فقال فتى من جذام ممّن كان في طليعة معاوية:

ألا قل لفجّار أهل العراق ولين الكلام لهم سيئه

متى ما تجيئوا برجراجة نجئكم بجأواء خضريه

فوارسها كأسود الضراب طوال الرماح يمانيه

قصار السيوف بأيديهم يطولها الخطو والنيه

يقول ابن هند إذا أقبلت جزى الله خيراً جذاميه

فقال القوم للنجاشي: أنت شاعر أهل العراق وفارسهم، فأجب الرجل فتنحى ساعة ثم أقبل يهدر ويقول:

---

(١) الصحاح ١: ٤١٢ (نفح).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٧١.

مـــعاوي ان تأتـــنا مـــزبداً بـخضرية تـلق رجـراجـه
أسـنتها مـن دمـاء الرجـال إذا جـالت الخـيل مـجاجه
فـوارسـها كأسـود الضـراب إلى الله فـي القـتل مـحتاجه
وليست لدى المـوت وقـافة وليست لدى الخـوف فـجاجه
وليس لهـم غـير جدّ اللـقاء إلى طـول أسـيافهم حـاجه
خـطاهم مـقدم أسـيافهم وأذرعـهم غـير اخـداجـه
وعندك مـن وقـعهم مـصدق وقد أخـرجت أمس اخـراجـه
فشنت عليهم ببيض السيوف بـهـا فـقع لجـاجه

فقال أهل الشام له: يا أخي بني الحارث اروناها فانّها جيدة فأعـادها عليهم حتى رووها[1].

«واعلموا أنّكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله» في (صفين نصر): قال قيس بن سعد بن عبادة لأصحابه في خطبته في صفين: أنتم مع هـذا اللـواء الذي كان يقاتل عن يمينه جبرئيل وعن يساره ميكائيل، والقوم مع لواء أبي جهل والأحزاب[2].

وفي (العقد): في وفود ام سنان المذحجية أنّها قالت في صفين:

يـا آل مـذحج لا مـقام فشـمّروا ان العـدو لآل أحـمد يـقصد
هـذا عـليّ كـالهلال تـحفّه وسط السماء من الكواكب أسعد
خـير الخـلائق وابـن عـم مـحمد ان يـهدكم بـالنور مـنه تـهتدوا
مازال مذ شـهد الحـروب مـظفّراً والنصر فـوق لوائـه مـا يـفقد[3]

(١) صفين، لنصر بن مزاحم: ٤٥٤.
(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٤٤٦.
(٣) العقد الفريد ٢: ١٠٩.

«فعاودوا الكر واستحيوا من الفر» في (العقد) في وفود أم الخير بنت حريش على معاوية، التفت معاوية إلى جلسائه فقال: أيّكم يحفظ كلامها يوم صفين لما قتل عمار؟ فقال رجل: أنا أحفظ بعض كلامها. قال: هات. قال: كأني بها بين بردين زئبرين كثيفي النسيج، وهي على جمل أرمك وبيدها سوط منتشر الضفيرة، وهي كالفحل يهدر في شقشقته تقول: أيّها الناس اتقوا ربّكم ـ إلى أن قال ـ فأين تريدون، أفراراً عن أمير المؤمنين أم رغبة عن الاسلام، هلموا إلى الامام العادل والوصي التقي والصديق الأكبر، انّها إحن بدرية وأحقاد جاهلية، فإلى أين تريدون عن ابن عم رسول الله وصهره وأبي سبطيه الذي خلق من طينته وتفرّع من نبعته وجعله باب دينه وأبان ببغضه المنافقين، وهاهو ذا مفلق الهام ومكسّر الأصنام صلّى والناس مشركون وأطاع والناس كارهون، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزيه وأفنى أهل أُحد وهزم الأحزاب وقتل الله به أهل خيبر وفرّق به جمع أهوائهم، فيالها من وقائع زرعت في قلوب نفاقاً وردة وشقاقاً وزادت المؤمنين ايماناً[1].

«فإنّه عار في الأعقاب فالناس يعيرون بفعال آبائهم وأُمهاتهم» ففي (مقاتل الطالبيين): أرسل معاوية إلى ابنة الأشعث، اني مزوّجك بيزيد ابني على أن تسمّي الحسن بن علي، وبعث إليها بمائة ألف درهم، فسوّغها المال ولم يزوّجها منه فخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها، فكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام عيّروهم وقالوا: يا بني مسمّة الأزواج[2].

وفي (الطبري) : قال هشام بن عمرو التغلبي للمنصور: انصرفت إلى منزلي فلقيتني أُختي فرأيت من جمالها وعقلها ودينها ما رضيتها للخليفة

---

(١) بن عبد ربه: العقد الفريد ٢ : ١١٦ .

(٢) أبو الفرج الاصفهاني: مقاتل الطالبيين : ٤٦ .

فجئت لأعرضها عليه، فأطرق المنصور وجعل ينكت الأرض بخيزرانة في يده وقال: اخرج يأتك أمري. فلما ولى قال: يا ربيع لولا بيت قاله جرير في بني تغلب لتزوّجت أخته، وهو قول جرير:

لا تطلبن خؤولة في تغلب فالزنج أكرم منهم أخوالا

فأخاف أن تلد لي ولداً فيعيّر بهذا البيت [1].

وفي (كامل المبرد): لمّا رأى أبو بلال مرداس ـ وكان لا يرى الخروج ـ جد ابن زياد في طلب الشراة عزم على الخروج، فقال لأصحابه: انّه والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين، تجري علينا أحكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفصل والله ان الصبر على هذا لعظيم وان تجريد السيف واخافة السبيل لعظيم، ولكنّا ننتبذ عنهم ولا نجرّد سيفاً ولا نقاتل إلّا من قاتلنا.

ثم مضى حتى نزل آسك ـ بين رامهرمز وارجان ـ فجهّز ابن زياد اسلم بن زرعة في ألفين ووجّهه إليه وقد تتام أصحاب مرداس أربعين رجلاً، فلما صار إليهم أسلم صاح به أبو بلال: انّا لا نريد قتالاً ولا نحتجن فيئاً، فما الذي تريد؟ قال: أُريد أن أردكم إلى ابن زياد. قال مرداس: اذن يقتلنا. قال: وان. ثم حملوا على أسلم حملة رجل واحد، فانهزم هو وأصحابه من غير قتال، فلما ورد أسلم على ابن زياد غضب عليه غضباً شديداً وقال: ويلك تمضي في ألفين فتنهزم لحمة أربعين [2].

وكان أسلم يقول: لأن يذمّني ابن زياد حيّاً أحبّ إليّ من أن يمدحني ميّتاً.

وكان إذا خرج إلى السوق أو مرّ بصبيان صاحوا به: أبو بلال وراك،

---

(١) تاريخ الطبري ٦ : ٢٩٠.

(٢) ابو العباس المبرد ٣: ٩٩١.

وربما صاحوا به: يا معبد خذه. كان معبد أحد أصحاب أبي بلال كاد أن يأخذه لما انهزم مبرّد فشكا ذلك إلى ابن زياد فأمر الشرط أن يكفّوا الناس عنه. ففي ذلك يقول عيسى بن فاتك من الشراة :

أألفا مؤمن فيما زعمتم ويهزمهم بآسك أربعونا
كذبتم ليس كما زعمتم ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة غير شك على الفئة الكثيرة ينصرونا[1]

«ونار يوم الحساب» قال ابن أبي الحديد والجهاد مع الإمام كالجهاد مع النبيّ صلى الله عليه وآله[2]، وقال تعالى في الفرار عن الجهاد مع النبي ﴿ومن يولهم يومئذٍ دبره الّا متحرّفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنّم...﴾[3].

قلت: وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله وآله مأموراً بجهاد الكفّار والمنافقين في قوله تعالى له ﴿يا أيها النبي جاهد الكفّار والمنافقين ...﴾[4] وتصدّى للجهاد مع الكفار بنفسه، وفوّض جهاد المنافقين إلى أمير المؤمنين عليه السلام لكونه كنفسه.

«وطيبوا عن أنفسكم نفساً» يعني: طيبوا نفساً في قتل نفوسكم في سبيل الله لأنّه يبدل بحياة طيبة، قال تعالى ﴿ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربّهم يرزقون﴾[5].

وفي (الطبري): لما خطب الحسين عليه السلام أصحابه بذي حسم بعد ورود الحر قام زهير بن القين وقال: والله لو كانت الدنيا لنا باقية وكنّا فيها مخلدين

---

(١) أبو العباس المبرد: الكامل ٣: ٩٩٥.

(٢) شرح ابن ابي الحديد ٥: ١٧٤.

(٣) الأنفال: ١٦.

(٤) التوبة: ٧٣.

(٥) آل عمران: ١٦٩.

الا ان فراقها في نصرك ومواساتك لآثرنا الخروج معك[١].

«وامشوا إلى الموت مشياً سجحاً» بتقديم الجيم على الحاء، أي: سهلاً.

وفي (صفين نصر): قال عتبة بن جويرية يوم صفين: ألا ان مرعى الدنيا قد أصبح شجرها هشيماً وأصبح زرعها حصيداً وجديدها سملاً وحلوها مرّ المذاق، ألا واني أنبئكم نبأ امرئ صادق. اني سئمت الدنيا وعزفت نفسي عنها وقد كنت أتمنى الشهادة وأتعرّض لها في كلّ حين فأبى الله إلّا أن يبلغني في هذا اليوم، ألا واني متعرّض ساعتي هذه لها وقد طمعت ان لا أحرمها، فما تنتظرون عباد الله من جهاد أعداء الله، أخوف الموت القادم عليكم الذاهب بأنفسكم لا محالة أو من ضربة كف أو جبين بالسيف، أتستبدلون الدنيا بالنظر إلى وجه الله عزوجل أو مرافقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في دار القرار؟ ما هذا بالرأي السديد، يا إخوتاه اني قد بعت هذه الدار بالتي امامها، وهذا وجهي إليه لا يبرح الله وجوهكم ولا يقطع الله أرحامكم.

فتبعه أخواه عبيدالله وعوف وقالا: لا نطلب رزق الدنيا بعدك، قبّح الله العيش بعدك، اللّهم انّا نحتسب أنفسنا عندك. فاستقدموا فقاتلوا حتى قتلوا[٢].

وفي خطبة الأشتر في صفين: ان هؤلاء القوم والله لن يقاتلوكم إلّا عن دينكم ليطفئوا السنّة ويحيوا البدعة، ويدخلوكم في أمر قد أخرجكم الله منه بحسن البصيرة، فطيبوا عباد الله نفساً بدمائكم دون دينكم ...[٣].

«وعليكم بهذا السواد الأعظم» وكان الأشتر أيضاً يحرّض ويقول: عليكم

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤: ٣٠٥.

(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٦٣.

(٣) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٥٠.

بهذا السواد الأعظم، فان الله عزوجل لو قد فضّه تبعه من بجانبيه كما يتبع مؤخر السيل مقدّمه[١].

«والرواق المطنب» في (صفين نصر): نصب لمعاوية منبر، فقعد عليه في قبّة ضربها ألقي عليها الثياب والأرائك وأحاط به أهل يمن وقال: لا يقربن أحد هذا المنبر لا تعرفونه إلا قتلتموه كائناً من كان، وكان على رأس معاوية رجل قائم معه ترس مذهّب يستره من الشمس[٢].

ولقد قصد رواق معاوية جمع من أصحابه عليه السلام كما أمرهم لكن لم يكن طيه مقدراً، فممن قصده أبو شداد قيس بن المكشوح، ففي (صفين نصر): قالت بجيلة له: خذ رايتنا. فقال: غيري خير لكم مني. قالوا: لا نريد غيرك. قال: فوالله لئن أعطيتمونيها لا أنتهي بكم دون صاحب الترس المذهب. فقالوا: اصنع ما شئت. فأخذها ثم زحف بها وهم حوله يضربون الناس حتى انتهى إلى صاحب الترس فاقتتلوا هنالك قتالاً شديداً وشدّ بسيفه نحو صاحب الترس، فعرض له رومي من دونه لمعاوية فضرب قدم أبي شدّاد فقطعها، وضرب أبو شداد ذلك الرومي فقتله، وأسرعت إلى أبي شداد الأسنّة فقتل. فأخذ الراية بعده عبدالله بن قلع الأحمسي وقال:

لا يبعد الله أبا شداد حيث أصاب دعوة المنادي
وشدّ بالسيف على الأعادي نعم الفتى كان له الطراد
وفي طعان الخيل والجلاد

ثم قاتل حتى قتل، فأخذها بعده أخوه عبد الرحمن بن قلع، فقاتل حتى قتل، ثم أخذها عفيف بن إياس الأحمسي، فلم تزل بيده حتى تحاجز الناس.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٥٨.

ومنهم عكبر بن جدير الأسدي ـ وكان فارس أهل الكوفة الذي لا يُنازع ـ فلما نادى عوف بن مجزأة المرادي ـ الذي كان فارس أهل الشام لا ينازع ـ هل من مبارز؟ خرج إليه عكبر فطعن عوفاً فصرعه ومعاوية على التل في اناس من قريش وغيرهم، فوجّه عكبر فرسه فملأ فروجه ركضاً يضربه بالسوط مسرعاً نحو التل، فنظر إليه معاوية فقال: ان هذا الرجل مغلوب على عقله أو مستأمن فاسألوه. فناداه رجل فلم يجبه حتى انتهى إلى معاوية وجعل يطعن في أعراض الخيل ورجا أن يفردوا له معاوية، فقتل رجالاً وقام القوم دون معاوية بالسيوف والرماح، فلما لم يصل إلى معاوية نادى:

أولى لك يابن هند   أنا الغلام الأسدي

فرجع إلى علي فقال عليه السلام: ماذا دعاك يا عكبر إلى ما صنعت؟ قال: أردت غرة ابن هند ـ وانكسر أهل الشام لقتل المرادي ـ وهدر معاوية دم عكبر فقال عكبر: يد الله فوق يد معاوية[1].

ومنهم عبدالله بن بديل الخزاعي، ففي (صفين نصر): قال الشعبي: كان على ابن بديل سيفان ودرعان، فجعل يضرب الناس بسيفه قدماً وهو يقول:

لم يبق إلّا الصبر والتوكل   وأخذك الترس وسيفاً مصقل

ثم التمشي في الرعيل الأول   مشي الجمال في حياض المنهل

والله يقضي ما يشا ويفعل

ولم يزل يضرب بسيفه حتى انتهى إلى معاوية، فأزاله عن موقفه وجعل ينادي: يا آل ثارات عثمان ـ يعني أخاً له كان قتل ـ فظن معاوية وأصحابه انّه يعني عثمان بن عفان ـ حتى أزال معاوية عن موقفه، فأقبل أصحابه على ابن بديل يرضخونه بالصخر حتى أثخنوه وقتل، وأقبل إليه

---

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ٢٥٨.

معاوية ومعه عبدالله بن عامر ـ وكان لابن بديل أخاً وصديقاً فألقى ابن عامر عمامته على وجهه وترحّم عليه، فقال له معاوية: اكشف عن وجهه. فقال له ابن عامر: والله لا يمثل به وفيّ الروح. فقال له معاوية: اكشف عن وجهه قد وهبته لك، فكشف فلما رآه معاوية قال: هذا كبش القوم وربّ الكعبة، وما مثله إلّا كما قال الشاعر:

أخو الحرب ان عضّت به عضّها ... وان شمّرت عن ساقها الحرب شمّرا

ويحمي إذا ما الموت كان لقاؤه ... لدى الشتر يحمي الأنف ان يتأخرا

كليث هزبر كان يحمى ذماره ... رمته المنايا قصدها فتفطرا

لو قدرت نساء خزاعة على أن يقاتلنني لفعلن فضلاً عن رجالها[1].

ومنهم أخوان من الأنصار، ففي (صفين نصر): حمل غلامان من الأنصار أخوان حتى انتهيا إلى سرادق معاوية فقتلا عنده[2].

ومنهم رجل آخر، ففيه قال رجل من أصحاب علي عليه السلام: أما والله لأحملن على معاوية حتى أقتله، فركب فرساً ثم ضربه حتى قام على سنابكه ثم دفعه فلم ينهنهه شيء عن الوقوف على رأس معاوية، فهرب معاوية ودخل خباء، فنزل الرجل عن فرسه ودخل عليه، فخرج معاوية من جانب الخباء الآخر، فخرج الرجل في أثره فاستصرخ معاوية بالناس، فأحاطوا به وحالوا بينهما، فقال معاوية: ويحكم ان السيوف لم يؤذن لها في هذا ولولا ذلك لم يصل إليكم فعليكم بالحجارة، فرضخوه حتى همد. فعاد معاوية إلى مجلسه[3].

ومنهم سبعة آلاف من ربيعة التي كان عليه السلام يمدحها ويقول فيهم

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٤٥.

(٢) المصدر نفسه: ٤٢٥ (طبعة القاهرة).

(٣) المصدر نفسه: ٢٧٠.

«ربيعة السامعة المطيعة» الّا انّهم لم يظفروا لغدر أميرهم خالد بن المعمر، أطمعه معاوية وخيّب الله رجاءه. ففي (صفين نصر): تبايع سبعة آلاف من ربيعة وتحالفت بالأيمان العظيمة على ألا ينظر رجل منهم خلفه حتى يردوا سرادق معاوية، فأقبلوا نحوه فلما نظر إليهم معاوية قال:

إذا قلت قد ولّت ربيعة أقبلت كتائب منها كالجبال تجالد

وقال لعمرو: ما ترى؟ قال: ان تخلّي سرادقك اليوم. فقام معاوية وخلّى لهم سرادقه ورحله، وخرج فاراً عنه ببعض مضارب أهل الشام في أُخريات الناس، فانتهت ربيعة إلى سرادقه ورحله وبعث معاوية إلى خالد بن المعمر انّك قد ظفرت ولك إمرة خراسان ان لم تتمّ، فقطع خالد القتال ولم يتمّه وقال لربيعة قد برّت أيمانكم فحسبكم، فلما كان عام الجماعة أمّره معاوية على خراسان فمات قبل أن يبلغها[1].

«فاضربوا ثبجه» بالفتح أي: وسطه.

«فان الشيطان» والمراد به معاوية.

«كامن» أي: مختفٍ.

«في كسره» بكسره أي أسفل شقة البيت التي تلي الأرض من حيث يكسر جانباه من عن يمينك ويسارك.

«قد قدم للوثبة» أي: المساورة إلى قدام.

«يداً وأخّر للنكوص» أي: الرجوع إلى العقب.

«رجلاً» قد عرفت ان من يقصد رواقه يهرب منه في خباء إلى خباء ويعمل حيلة لدفعه.

وبرز يوماً في قبال سعيد بن قيس ثم فر منه وركض فرسه،

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٠٦.

فقال سعيد:

يا لهف نفسي فاتني معاوية　　فوق طمر كالعقاب هاوية

وقال أيمن بن خريم ـ وكان أنسك رجل من أهل الشام وأشعره ـ وكان في ناحية معتزلاً:

وان سعيداً إذ برزت لرمحه　　لفارس همدان الذي يشعب الصدعا

مليء بضرب الدارعين بسيفه　　إذا الخيل أبدت من سنابكها نقعا

رجعت فلم تظفر بشيء أردته　　سوى فرس أعيت وأبت بها ظلعا

«فصمداً صمداً» بالتسكين أي: قصداً قصداً، واما بالتحريك فهو: السيد الذي يقصد إليه في الحوائج.

«حتى ينجلي عمود الحق وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم» في (الصحاح): «ولن يتركم أعمالكم» أي: لن ينتقصكم في أعمالكم كما تقول «دخلت البيت» وأنت تريد دخلت في البيت [1].

وقوله عليه السلام «وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم» لفظ القرآن، قال تعالى: ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾ [2].

في (صفين نصر): ركب علي عليه السلام بغلة النبي صلى الله عليه وآله الشهباء، ثم تعصّب بعمامة النبي السوداء، ثم نادى: أيها الناس من يشري نفسه لله بربح، هذا يوم له ما بعده، ان عدوّكم قد قرح كما قرحتم.

فانتدب له ما بين العشرة آلاف إلى اثني عشر ألفاً وضعوا سيوفهم على عواتقهم. وتقدّمهم علي عليه السلام منقطعاً على بغلة النبي وهو يقول:

---

(١) الصحاح للجوهري ٢: ٨٤٣.

(٢) محمّد: ٣٥.

دبّوا دبيب النمل لا تفوتوا وأصبحوا بحربكم وبيتوا
حتى تنالوا الثأر أو تموتوا أو لا فإنّي طالما عُصيت
قد قلتمُ لو جيتنا فجيت ليس لكم ما شيتم وشيت
بل ما يريد المحيي المميت

فتبعه عدي بن حاتم بلوائه وهو يقول:

أبعد عمار وبعد هاشم وابن بديل فارس الملاحم
نرجو البقاء مثل حلم الحالم وقد عضضنا أمس بالأباهم
فاليوم لا نقرع سن نادم ليس امرؤ من يومه بسالم

وتقدّم الأشتر وهو يقول:

حرب بأسباب الردى تأجج يهلك فيها البطل المدجّج
يكفيك همدانها ومذحج قوم إذا ما أحمشوها أنفجوا
روحوا إلى الله ولا تعرجوا دين قويم وسبيل منهج

وحمل الناس حملة واحدة، فلم يبق لأهل الشام صف إلّا انتقض واهمدوا ما أتوا عليه حتى أفضى الأمر إلى مضرب معاوية، وعلي عليه السلام يضربهم بسيفه وهو يقول:

أضربهم ولا أرى معاوية الأخزر العين العظيم الحاوية
هوت به في النار أُم هاوية

فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه، فلما وضع رجله في الركاب تمثّل بأبيات عمرو بن الأطنابة:

أبت لي عفّتي وأبى بلائي وأخذي الحمد بالثمن الربيح
واعزامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلّما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

فثنى رجله من الركاب ونزل واستصرخ بعك والأشعريين، فجالدوا عنه ... وانتهى إلى مكيدة عمرو في رفع المصاحف[١].

١٠
الخطبة (٢٣٩)

ومن كلام له عليه السلام يحثّ أصحابه على الجهاد:

وَٱللهُ مُسْتأْدِيكُمْ شُكْرَهُ، وَمُورِّثُكُمْ أَمْرَهُ، وَمُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمارٍ مَمْدُودٍ لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ، فَشُدُّوا عَقَدَ المَآزِرِ وَاطْوُوا فُضُولَ الخَوَاصِرِ، لَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ وَأَمْحَى الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ ٱلْهِمَمِ، وَصَلّى ٱللهُ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وَعَلَى آلِهِ مَصَابِيحِ الدُّجَى وَالعُرْوَةِ الْوُثْقَى وسَلَّمَ تَسلِيماً كَثِيراً.

أقول: هذا العنوان في نسخنا وفي (ابن ميثم) آخر الخطب (٢٣٦)[٢] ولكن ابن أبي الحديد نقله بعد عنوان «قد أحيى عقله» (٢١٥)[٣].

قول المصنّف: «ومن كلام له عليه السلام يحثّ أصحابه على الجهاد» هكذا في (المصرية)[٤] وفيه سقط، ففي (ابن ميثم): (يحثّ فيه)[٥].

قوله عليه السلام «والله مستأديكم» أي: طالب أدائكم.

«شكره» استأدى شكر عباده في آيات كثيرة ﴿... واشكروا لي ولا تكفرون﴾[٦]، ﴿... واشكروا لله إن كنتم إيّاه تعبدون﴾[٧]، ﴿... ان اشكر لي

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٤٠٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٣٣٤.

(٣) شرح ابن ابي الحديد ١١: ١٤٢.

(٤) الطبعة المصرية: ٥١٠ هكذا الاصل ص ١٨٧.

(٥) في ابن ميثم: ٤: ٣٣٤ ذكره في خطبة: ٢٤٠ وليس ٢٣٦.

(٦) البقرة: ١٥٢.

ولوالديك إليّ المصير﴾[٨]، ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانّما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد﴾[٩].

وعن الصادق عليه السلام: أوحى تعالى إلى موسى عليه السلام ان اشكر لي حقّ شكري. قال: كيف وليس شكر أشكرك به إلّا وأنت أنعمت به علي؟ قال: الآن شكرتني حين قلت ان ذلك مني[١٠].

«ومورثكم أمره» ﴿وَعَدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أَمنا ...﴾[١١].

«ويمهلكم في مضمار» في (القاموس): تضمير الفرس أن تعلفه حتى يسمن ثم ترده إلى القوت وذلك أربعين يوماً، وهذه المدّة تسمّى المضمار، والموضع الذي يضمر فيه الخيل أيضاً مضمار[١٢].

«محدود» هكذا في (المصرية)[١٣] والصواب: «ممدود» كما في (ابن ميثم والخطية)[١٤].

«لتتنازعوا سبقه» أي: سبق المضمار ﴿... فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً ...﴾[١٥]، ﴿... فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم

---

(٧) البقرة: ١٧٢.

(٨) لقمان: ١٤.

(٩) لقمان: ١٢.

(١٠) الكافي للكليني ٢: ٩٨ رواية ٢٧.

(١١) النور: ٥٥.

(١٢) الفيروز آبادي القاموس المحيط: ٥٥١.

(١٣) الطبعة المصرية: ٥١٠.

(١٤) ابن ميثم ٤: ٣٣٤ بلفظ (محدود) اما النسخة الخطية: ٢٢٨ بلفظ (محدود).

(١٥) البقرة: ١٤٨.

جميعاً ...﴾[1]، ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربّكم وجنّة عرضها كعرض السماء والأرض أُعدّت للذين آمنوا بالله ورسله ...﴾[2].

«فشدوا عقد المآزر».

قوم إذا ما حاربوا شدّوا مآزرهم دون النســاء ولو بـاتت بأطـهار

وفي السير: لما بلغ المهلب خلع ابن الأشعث للحجاج لما أرسله إلى رتبيل في أهل العراق ورجوعهم إلى حربه، كتب إليه ان أهل العراق قد أقبلوا إليك وهم مثل السيل ليس يردّهم شيء حتى ينتهي إلى قراره، وان لأهل العراق شدّة في أوّل مخرجهم وصبابة إلى أبنائهم ونسائهم، فاتركهم حتى يسقطوا إلى أهاليهم ويشمّوا أولادهم ثم واقعهم فإنّك منصور. فلما قرأ كتابه سبّه وقال: ما الي نظر بل لابن عمه ـ يعني ابن الأشعث حيث ان كلّا منهما كان يمنياً ـ ثم سار الحجاج من البصرة ليلقي ابن الأشعث، فنزل تستر وقدم بين يديه مقدمة إلى دجيل، فلقوا عنده خيلاً لابن الأشعث فانهزم أصحاب الحجاج وقتل جمع كثير منهم، فرجع إلى البصرة فتبعه ابن الأشعث فقتل منهم وأصاب بعض أثقالهم، فترك الحجاج البصرة لأهل العراق وأقبل حتى نزل الزاوية، ولما رجع نظر في كتاب المهلب فقال: لله درّه أي صاحب حرب هو[3].

هذا وفي (الأغاني) عن حمّاد الراوية دخلت يوماً على الوليد ـ وكان آخر يوم لقيته ـ فاستنشدني فأنشدته كلّ ضرب من شعر الجاهلية والاسلام فما هشّ لشيء منه حتى أخذت في السخف، فأنشدته لعماد بن كناذ:

اشتهى منك منك مكاناً بجنب ذا فأجي فيه فيه فيه بأير كمثل ذا

---

(١) المائدة : ٤٨.

(٢) الحديد : ٢١.

(٣) الكامل في التاريخ لبن الأثير ٤: ٤٦٤ ـ ٤٦٥.

ليت أيري وحرك يوماً جميعاً تجابذا   فأخذ ذا بشعر ذا وأخذ ذا بقعر ذا

فضحك حتى استلقى وشرب حتى سكر، فعلمت ان أمره قد أدبر، ثم أدخلت على أبي مسلم فاستنشدني فأنشدته قول الأفوه إلى قوله:

تهدى الأمور بأهل الرشد ما صلحت   وان تولّت فبالأشرار تنقاد

فقال: انا ذاك الذي تنقاد به الناس، فأيقنت حينئذ أن أمره مقبل[١]

وفيه: لما ظهرت المسودة بخراسان كتب نصر بن سيار إلى الوليد يستمدّه، فتشاغل عنه فكتب نصر إليه:

أرى خلل الرماد وميض جمر   وأحر بأن يكون له ضرام

فان النار بالعودين تذكى   وان الحرب مبدؤها الكلام

فقلت من التعجب ليت شعري   أأيقاظ أُميّة أم نيام

فكتب إليه الوليد: قد أقطعتك خراسان فاعمل لنفسك أو دع، فانّي مشغول عنك بابن سريج ومعبد والغريض[٢].

وفيه قال أبو سفيان في غزوة سويق بعد بدر يحرّض قريشاً:

ان يك يوم القليب كان لهم   فان ما بعده لكم دول

آليت لا أقرب النساء ولا   يمس رأسي وجلدي الغسل

حتى تبيدوا قبائل الأوس   والخزرج ان الفؤاد مشتعل[٣]

وفي (الجزري): وقد بلغ من حزم عضد الدولة انّه تدلّه بفتاة، فلما خشي على ملكه من تدلّهه بها أمر بتغريقها.

ولبعضهم:

---

(١) الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني ٧: ٥٦ ـ ٥٧.

(٢) الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ٧: ٥٦.

(٣) الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ٦: ٣٥٨.

ومن كان بالبيض الكواعب مغرماً   فما زلت بالبيض القواطع مغرما
ومن تيمت سمر الحسان فؤاده   فما زلت بالسمر العوالي متيما[١]

«واطووا فضول الخواصر» جمع الخصر، أي وسط الإنسان، وطي فضول الخواصر كناية عن عدم اهتمامهم بطعامهم وعدم كونهم عبيد بطونهم.

وفي (الكامل): لما ولّى المعتز يعقوب الصفار وعلي بن شبل كرمان ليغلب أحدهما الآخر، أقبل يعقوب نفسه وطوق بن المغلس من قبل علي بن شبل إليها ولم يقاتلا، وارتحل يعقوب بعد شهرين وأظهر الارتحال إلى سجستان، فقعد طوق للأكل والشرب والملاهي وإذا هو بيعقوب قد طوى مرحلتين في يوم ورجع، ففرّ أصحاب طوق وأُسر طوق، فنزع يعقوب خفّه فتساقط منه كسر خبز يابسة، فقال: يا طوق هذا خفي لم أنتزعه منذ شهرين من رجلي وخبزي فيه آكل منه وأنت جالس في الشراب[٢].

«ولا» هكذا في (المصرية)[٣] والصواب: «لا» كما في (ابن ميثم) لأنّه مستأنفة كالمثل لا عطف[٤].

«تجتمع عزيمة» ما صممت على فعله.

«ووليمة» في (الجمهرة): الوليمة: طعام العرس، والوضيمة: طعام المأتم[٥].

في (الكامل): مات يعقوب الصفار بجنديسابور من قولنج ـ وكان

---

(١) ابن الاثير الكامل في التاريخ لم نعثر عليه.

(٢) الكامل ٧: ١٩١.

(٣) الطبعة المصرية: ٥١٠.

(٤) ابن ميثم ٤: ٣٣٤ بلفظ «لا».

(٥) ابن دريد ضمهرة اللغة ٢: ٩٨٧.

المعتمد قد أرسل إليه رسولاً يستميله ويقلّده أعمال فارس ـ فجعل عنده سيفاً ورغيفاً من الخبز الخشكار وبصلاً، فقال لرسوله: قل له اني عليل، فان متّ استرحت أنا وأنت وان عوفيت فليس بيني وبينك إلّا هذا السيف، اما آخذ ثاري واما أرجع إلى هذا الخبز والبصل[1].

«**ما أنقض النوم لعزائم اليوم**» كرّره المصنف في (٤٤٠ / ٣). وكيف كان فهو كالمثل لحال كثير من الناس يمنعهم الكسل عن كثير من مقاصدهم، ومن أمثالهم «أحزم لو أعزم».

وقال الشاعر:

لست بليلي ولكني نهر لا أدلج الليل ولكن ابتكر

قال سيبويه معنى «نهر» نهاريّ في مقابل الليلي[2].

«**وأمحى الظلم**» جمع الظلمة.

«**لتذاكير الهمم**» هو في معنى الأول لبيان حال ناس ليسوا بذوي جدّ في الأمور، قال الشاعر:

فلا تقربن أمر الصريمة بامرئ إذا رام أمراً عوّقته عواذله

وقل للفؤاد ان نزا بك نزوة من الروع أفرغ أكثر الروع باطله

وقريب منه وان كان لفظه بالعكس قولهم «كلام الليل يمحوه النهار».

«**وصلّى الله على سيّدنا محمّد النبيّ الأمّي**» زادت (الخطية) قبل الكلام: «والحمد لله كثيراً»[3].

«**وعلى آله مصابيح الدجى**» أي: سرج الظلم.

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٧: ٣٢٥.

(٢) كتاب سيبويه ٣: ٣٨٤.

(٣) النسخة الخطية، لا وجود للعبارة: ٢٢٩.

«والعروة الوثقى» لأن ولايتهم شرط قبول الايمان بالله الذي قال ﴿... فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ...﴾[١].

قال الرضا عليه السلام لأهل نيسابور - بعد روايته لهم عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله عن الله تعالى كون «لا إله إلّا الله» حصنه الذي من دخل فيه أمن من عذابه: بشروطها وأنا من شروطها[٢].

«وسلّم تسليماً كثيراً» ليس قوله «وصلّى الله» إلى هنا في (ابن ميثم) ولعلّه ترك نقله لعدم تعلّق غرض به[٣]، لكن فيه بعد شرح العنوان: «وهذا آخر الخطب والأوامر ويتلوه المختار من الكتب والرسائل إن شاء الله تعالى بعونه وعصمته وتوفيقه وهدايته» فان لم يكن من إنشائه فكذا كان كلام المصنّف، وقد عرفت ان ابن أبي الحديد نقله في الوسط فلا مجال لأن يكون فيه شيء غير العنوان[٤].

١١
الخطبة (١٢٢)

ومن كلام له عليه السلام في حثّ أصحابه على القتال:

فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ وَأَخِّرُوا ٱلْحَاسِرَ وَعَضُّوا عَلَى ٱلْأَضْرَاسِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ ٱلْهَامِ، وَٱلْتَوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَمْوَرُ لِلْأَسِنَّةِ، وَغُضُّوا ٱلْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ، وَأَمِيتُوا ٱلْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ، وَرَايَتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا وَلَا تُخِلُّوهَا وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ وَالمَانِعِينَ الذِّمَارَ مِنْكُمْ، فَإِنَّ الصَّابِرِينَ

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) المجلسي بحار الأنوار ٣: ٥ الرواية ١٤ الباب ١.

(٣) ابن ميثم لم ترد العبارة انظر ٤: ٣٣٥.

(٤) شرح ابن ابي الحديد ذكر بعده (٢٧) خطبة أو كلام للامام أمير المؤمنين عليه السلام.

عَلَى نُزُولِ ٱلْحَقَائِقِ هُمُ ٱلَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ وَيَكْتَنِفُونَهَا حِفَافَيْهَا وَوَرَاءَهَا وَأَمَامَهَا، لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا. أَجْزَأَ ٱمْرُؤٌ قِرْنَهُ وَآسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ.

وَٱيْمُ ٱللهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ ٱلْعَاجِلَةِ لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ ٱلْآخِرَةِ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ ٱلْعَرَبِ وَالسَّنَامُ ٱلْأَعْظَمُ. إِنَّ فِي ٱلْفِرَارِ مَوْجِدَةَ ٱللهِ وَٱلذُّلَّ اللَّازِمَ وَٱلْعَارَ ٱلْبَاقِيَ، وَإِنَّ ٱلْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ وَلَا مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ. الرائِحُ إِلَى ٱللهِ كَالظَّمْآنِ يَرِدُ الَماءَ. ٱلْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ ٱلْعَوَالِي ٱلْيَوْمَ تُبْلَى ٱلْأَخْبَارُ، وَٱللهِ لَأَنا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ.

ٱللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا ٱلْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ وَأَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِيمُ وضَرْبٍ يَفْلِقُ ٱلْهَامَ وَيُطِيحُ ٱلْعِظَامَ وَيُنْدِرُ السَّوَاعِدَ وَٱلْأَقْدَامَ، وَحَتَّى يُرْمَوْا بِالْمَناسِرِ تَتْبَعُهَا المَنَاسِرُ وَيُرْجَمُوا بِالْكَتَائِبِ تَقْفُوهَا ٱلحَلَائِبُ، وَحَتَّى يُجَرَّ بِبِلَادِهِمُ ٱلخَمِيسُ يَتْلُوهُ ٱلخَمِيسُ وَحَتَّى تَدْعَقَ ٱلْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ وَبِأَعْنَانِ مَسَارِبِهِمْ وَمَسَارِحِهِمْ.

أقول: الدَّعْق الدَّقُّ، أَيْ تدقُّ الخيولُ بِحَوَافِرِهَا أَرْضَهُمْ. وَنَوَاحِرُ أَرْضِهِمْ مُتَقَابِلَاتُهَا، يُقَالُ مَنَازِلُ بَنِي فُلَانٍ تَتَنَاحَرُ أَيْ تَتَقَابَلُ.

أقول: العنوان جمع بين روايات، فصدره إلى قوله «لا تسلموا من سيف الآخرة» رواية مع زيادة ونقيصة، ففي (الطبري): قال أبو مخنف: حدّثني عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري عن أبيه ومولى له ان علياًعليه السلام حرّض الناس يوم صفين فقال: ان الله عزوجل قد دلّكم على تجارة تنجيكم من عذابٍ أليم،

تشفي بكم على الخير والإيمان بالله عزوجل وبرسوله والجهاد في سبيله، وجعل ثوابه مغفرة الذنب ومساكن طيبة في جنّات عدن، ثم أُخبركم انّه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنّهم بنيان مرصوص، فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدّموا الدارع وأخّروا الحاسر، وعضّوا على الأضراس فانّه أنبى للسيوف عن الهام، والتووا في أطراف الرماح فانّه أصون للأسنة، وغضوا الأبصار فانّه أربط للجأش واسكن للقلوب، وأميتوا الأصوات فانّه أطرد للفشل وأولى بالوقار، راياتكم فلا تميلوها ولا تجعلوها إلّا بأيدي شجعانكم، فان المانع للذمار والصابر عند نزول الحقائق هم أهل الحفاظ الذين يحفون براياتهم ويكنفونها يضربون حفافيها خلفها وأمامها ولا يضيعونها. أجزأ أمرء قذقرنه وآسى أخاه بنفسه ولم يكل قرنه إلى أخيه فيكسب بذلك لائمة ويأتي به دناءة، وانى لا يكون هذا هكذا وهذا يقاتل اثنين وهذا ممسك بيده يدخل قرنه على أخيه هارباً منه أو قائماً ينظر إليه، من يفعل هذا يمقته الله عزوجل، فلا تعرضوا لمقت الله سبحانه فانّما مردّكم إلى الله، قال الله عز من قائل لقوم ﴿... لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تُمتَّعون إلّا قليلاً﴾[١] وايم الله لئن سلمتم من سيف العاجلة لا تسلمون من سيف الآخرة، استعينوا بالصدق والصبر، فان بعد الصبر يُنزل الله النصر.[٢]

ورواه نصر في (صفينه) عن عمر عن عبد الرحيم بن عبد الرحمن عن أبيه مثله[٣].

ورواه (الكافي) في باب ما يوصي عليه السلام عند القتال عن مالك بن أعين

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤: ١٦.

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ١١.

(٣) وقعة صفين لنصر بن مزاحم : ٢٣٥.

مثله مع أدنى اختلاف، زائداً بين قوله «هم أهل الحفّاظ» وقوله «الذين يحفون براياتهم»: «ولا تمثلوا بقتيل»[١] ومثله في (الإرشاد) في (فصل في كلامه عليه السلام في هذا المعنى) بدون زيادة[٢].

واما قوله **«فإن رَدُّوا الحق فافضض جماعتهم وشتّت كلمتهم وأبسلهم بخطاياهم»** فجزء رواية أُخرى، ففي (الطبري) عن زيد بن وهب: أنّ علياًعليه السلام مرّ على جماعة من أهل الشام فيها الوليد بن عقبة وهم يشتمونه، فخبر بذلك فوقف فيمن يليهم من أصحابه وقال: «انهدّوا إليهم وعليكم السكينة والوقار - وقار الإسلام - وسيماء الصالحين، فوالله لأقرب قوم من الجهل قائدهم ومؤدبهم معاوية وابن النابغة وأبو الأعور السلمي وابن أبي معيط شارب الخمر المجلود حدّاً في الاسلام، وهم أولى يقومون فينقصونني ويشتمونني وأنا إذا ذاك أدعوهم إلى الاسلام وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام، الحمد لله، قديماً عاداني الفاسقون فعبدهم الله، ألم تعجبوا أن هذا لهو الخطب الجليل، ان فسّاقاً كانوا غير مرضيين وعلى الاسلام وأهله متخوّفين خدعوا شطر هذه الأمة وأشربوا قلوبهم حبّ الفتنة واستمالوا أهواءهم بالإفك والبهتان، قد نصبوا لنا الحرب في إطفاء نور الله عزوجل. اللّهم فافضض خدمتهم وشتّت كلمتهم وأبسلهم بخطاياهم، فإنّه لا يذلّ من واليت ولا يعزّ من عاديت»[٣]. ورواه (صفين نصر)[٤]، وكذا رواه (الإرشاد)[٥].

وأمّا قوله **«إنّهم لن يزولوا عن مواقفهم - إلى - ويندر السواعد والأقدام»**

---

(١) الكافي للكليني ٥: ٣٩ ح ٤.

(٢) الإرشاد للمفيد: ١٤١.

(٣) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤: ٣١.

(٤) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٣٩١.

(٥) الإرشاد للمفيد: ١٤٢.

فجزء رواية أُخرى رواها (الكافي)[١] و(الإرشاد)[٢] و(المروج)[٣] و(الطبري)[٤]، ففي الأول: ومرّ عليه السلام براية لأهل الشام لا يزولون، فقال: إنّهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطيح العظام وتسقط منه المعاصم والأكف، وحتى تصدع جباههم بعمد الحديد وتنشر حواجبهم على الصدور والأذقان، أين أهل الصبر وطلّاب الأجر.

ومثله (الإرشاد)، وكذا (المروج) و(الطبري)، وفيهما مر عليه السلام بغسّان لايزولون.

وأما قوله «إنّ في الفرار موجدة الله ـ إلى ـ ولا محجوز بينه وبين يومه» فذيل العنوان ١٠٣ «وقد رأيت جولتكم ...».

وأما قوله «وحتى يرموا بالمناسر ـ إلى ـ ومسارحهم» فرواية أُخرى رواها (صفين نصر)[٥] و(كتاب سليم)[٦] و(إرشاد المفيد)[٧]، وفي الأخير: إنّ هؤلاء القوم لم يكونوا لينيبوا إلى الحق ولا ليجيبوا إلى كلمة السواء حتى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر، وحتى يرجموا بالكتائب تقفوها الجلائب، وحتى يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس، وحتى تدعق الخيول في نواحي أرضهم وبأعنان مساربهم ومسارحهم وحتى تشنّ الغارات عليهم في كلّ فج

---

(١) الكافي للكليني ٥ : ٤٠ .

(٢) الارشاد للمفيد: ٢٦٧ ، مؤسسة أهل البيت .

(٣) المروج للمسعودي ٢ : ٣٨٨ .

(٤) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤ : ٣٢ .

(٥) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٥٢٠ .

(٦) كتاب سليم بن قيس ٢٢٠ مع فارق عما ذكره العلامة .

(٧) الارشاد للمفيد : ٢٦٧ .

وتخفق عليهم الرايات ويلقاهم قوم صبر لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم وموتاهم في سبيل الله إلّا جدّاً في طاعة الله وحرصاً على لقاء الله.

وأما قوله «الرائح إلى الله - إلى - إلى ديارهم» فلم أقف على سنده وليس في تلك الروايات.

قول المصنّف: «ومن كلام له عليه السلام في حث» هكذا في (المصرية)[1] و (ابن أبي الحديد)[2] ولكن في (ابن ميثم) والنسخة الخطية «حض»[3].

«أصحابه على القتال» قد عرفت من أسانيده أنّ ذاك الحثّ كان في صفين.

«فقدموا الدراع» هكذا في (المصرية)[4]، والصواب: «الدارع» أي: لابس الدرع كما في غيرها.

«وأخّروا الحاسر» أي: الذي لا درع عليه ولا مغفر، ووجه تقديم الدارع وتأخير الحاسر أن سورة حملة الخصم تصل المتقدّم.

«وعضوا على الأضراس فإنّه أنبا للسيوف عن الهام» هو نظير قوله عليه السلام في الأول «عضّ على ناجذك» وفي التاسع «وعضّوا على النواجذ فانّه أنبا للسيوف عن الهام» ولا تنافي، فإنّ النواجذ آخر الأضراس، وفي (الصحاح): الأسنان كلّها إناث إلّا الأضراس والأنياب.

وكان الأشتر يقول في صفين: إذا عضّتكم السيوف فليعضّ الرجل على ناجذه فإنّه أشدّ لشؤون الرأس[5].

---

(١) الطبعة المصرية: ٢٩٠ النسخة الخطية ١٠٤.

(٢) ابن ابي الحديد ٨: ٣ رواية (١٢٤).

(٣) شرح ابن ميثم ٣: ١٢٤.

(٤) الطبعة المصرية المصححة ورد لفظ الدارع: ٢٩٠.

(٥) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ١٧٤.

«والتووا» من لويت الحبل فتلته في أطراف الرمام.

«فانّه أمْوَر» أي: أكثر تحرّكاً واضطراباً.

«للأسنّة» أي: أسنّة الخصم كالسيوف في قوله قبله «أنبا للسيوف عن الهام». ويوضّحه قول الأشتر في أول الأمر لما غلب الخصم على الماء: فإذا نالتكم الرماح فالتووا فيها.

وقال ابن ميثم أمرَهم عليه السلام بالالتواء عند طعنهم الخصم، بأن يميل صدره ويده، فان ذلك أنفذ. وهو كما ترى، وإنّما المراد أن يلتووا لئلا تؤثر طعنة الخصم[1].

«وغضّوا الأبصار فإنّه أربط» أي: أكثر شدّاً.

«للجأش» أي: القلب ، والأصل في معناه: الاضطراب، سمّي جأشاً لاضطرابه كما سمّي قلباً لتقلبه كثيراً.

«وأسكن للقلب» من تزلزله .

«وأميتوا الأصوات فإنّه أطرد» أي: أدفع.

«للفشل» أي: الخوف.

في (عيون ابن قتيبة): قال عتبة يوم بدر لأصحابه: ألا ترون أصحاب محمّد جثياً على الركب كأنّهم خرس يتلمظون تلمظ الحيّات[2].

وفي (العقد): كان أبو مسلم يقول لقواده إذا أخرجهم: لا تكلّموا الناس إلّا رمزاً ولا تكلموهم إلّا شرزاً لتمتلئ صدورهم من هيبتكم[3].

«ورايتكم فلا تميلوها» بل اجعلوها مستقيمة.

---

(١) شرح ابن ميثم ٣ : ١٢٤ .

(٢) عيون الاخبار لابن قتيبة ١ : ١٠٨ .

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ٤ : ٤٨٢ .

«**ولا تخلوها**» لأنّها كالقائمة للمحاربين.

«**ولا تجعلوها إلّا بأيدي شجعانكم**» فليس كلّ الناس أهلاً لحمل الراية بل الشجاع منهم.

«**والمانعين الذمار منكم**» في (الصحاح): فلان حامي الذمار، أي إذا ذمر وغضب حمى، ويقال: الذمار ما وراء الرجل مما يحق عليه أن يحميه، لأنّهم قالوا «حامي الذمار» كما قالوا «حامي الحقيقة»، وسمّي ذماراً لأنّه يجب على أهله التذمّر له، وتذامر القوم حثّ بعضهم بعضاً في الحرب[1]، وسميت حقيقة لأنّه يحق على أهلها الدفع عنها، قال: «نحمي الحقيقة عند كلّ مصاع».

في (صفين نصر) قال أبو زبيد الطائي فيه عليه السلام: إنّ علياً سار بالتكرّم ـ إلى أن قال ـ حامي الذمار وهو لما يكدم.

وفيه دعا الأشتر الحارث بن همام النخعي ثم الصهباني فأعطاه لواءه ثم قال: يا حارث لولا أعلم أنّك تصبر عند الموت لأخذت لوائي منك ولم أحبك بكرامتي. قال: والله يا مالك لأسرّنك اليوم أو لأموتن فاتبعني، فتقدّم وهو يقول:

يا أشتر الخير ويا خير النخع　　　وصاحب النصر إذا عمّ الفزع

وكاشف الأمر إذا الأمر وقع　　　ما أنت في الحرب العوان بالجذع

قد جزع القوم وعمّوا بالجزع　　　وجرّعوا الغيظ وغصّوا بالجرع

إلى أن قال: فقال الأشتر: ادن مني يا حارث. فدنا منه فقبّل رأسه[2].

في (تنبيه البكري): قال عمر للحطيئة: كيف كنتم في حربكم؟ قال: كنّا ألف حازم. قال: وكيف ذلك؟ قال: كان منّا قيس بن زهير وكان حازماً لا

---

(١) الصحاح ٢: ٦٦٥.

(٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٨٩.

نعصيه فكأنّا ألف حازم، وكنّا نأتمّ بشعر عروة ونقدم بإقدام عنترة[١].

«فان الصابرين على نزول الحقائق» أي: الشدائد، قال أبو حبة الأنصاري:

ان يـصدقوك يـخبروك بأنّـنا نحمي الحقيقة عند كلّ مصاع[٢]

«هم الذين يحفون» أي: يحيطون.

«براياتهم» في (الطبري): واثب عائذ بن قيس الحرمزي في صفين على عدي بن حاتم في الراية ـ وكانت حرمز أكثر من بني عدي رهط حاتم ـ فوثب عبدالله بن خليفة الطائي البولاني على حرمز وقال: على عدي تتوثبون؟ هل فيكم مثل عدي أو في آبائكم مثل أبيه؟ أليس عدي بحامي القرية ومانع الماء يوم روية؟ أليس بابن ذي المرباع وابن جواد العرب؟ أليس بابن المنهب ماله ومانع جاره؟ أليس من لم يغدر ولم يفجر ولم يجهل ولم يبخل ولم يمنن ولم يجبن؟ هاتوا في آبائكم مثل أبيه أو هاتوا فيكم مثله، أوليس أفضلكم في الاسلام؟ أو ليس وافدكم إلى النبي صلى الله عليه وآله؟ أليس برأسكم يوم النخيلة ويوم القادسية ويوم المدائن ويوم جلولاء الوقيعة ويوم نهاوند ويوم تستر؟ فمالكم وله؟ والله ما من قومكم أحد يطلب مثل الذي تطلبون. فقال له علي عليه السلام: حسبك يابن خليفة، هلمّ أيّها القوم إليّ وعليّ بجماعة طي. فأتوه جميعاً فقال عليه السلام لهم: من كان رأسكم في هذه المواطن؟ قالوا: عدي. فقال ابن خليفة له عليه السلام سلهم أليسوا راضين مسلمين لعدي الرئاسة؟ ففعل فقالوا: نعم. فقال لهم: عدي أحقّكم بالراية. فسلّموها له فضجّت بنو حرمز، فقال لهم علي عليه السلام: اني أراه رأسكم قبل اليوم، ولا أرى قومه كلّهم إلّا مسلمين

---

(١) التنبيه للبكري: ١١٣.

(٢) التنبيه على أوهام القالي: ١١٣.

له غيركم. فأخذها عدي[١].

وفي (صفين نصر): أخذ مسروق بن الهيثم راية بني نهد العراق فقتل، ثم أخذها صخر بن سمي فارتث، ثم أخذها علي بن عمير فقاتل حتى ارتث، ثم أخذها عبدالله بن كعب فقتل، ثم أخذها سلمة بن خذيم فارتث وصرع، ثم أخذها عبدالله بن عمرو بن كبشة فارتث، ثم أخذها أبو مسيح بن عمرو فقتل، ثم أخذها عبدالله بن النوال فقتل، ثم أخذها مولاه مخارق فقتل حتى صارت إلى عبد الرحمان بن مخنف الأزدي[٢].

وفي (الطبري) : صبرت همدان في ميمنة علي عليه السلام حتى أُصيب منهم ثمانون ومائة رجل، وقتل منهم أحد عشر رئيساً، كلّما قتل منهم رجل أخذ الراية آخر، فكان الأول كريب بن شريح ثم مرثد بن شريح ثم هبيرة بن شريح ثم يريم بن شريح ثم سمير بن شريح، فقتل هؤلاء الإخوة جميعاً. ثم أخذ الراية عمير بن بشير، ثم الحارث بن بشير فقتلا، ثم أخذ الراية وهب بن كريب فأراد أن يستقتل فقال له رجل من قومه: انصرف بهذه الراية فقد قتل أشراف قومك حولها فلا تقتل نفسك ولا من بقي من قومك. فانصرفوا وهم يقولون: ليت لنا عدتنا من العرب يحالفوننا على الموت ثم نستقدم نحن وهم فلا ننصرف حتى نقتل أو نظفر.

فمروا بالأشتر وهم يقولون هذا القول، فقال لهم الأشتر: إليّ أنا أُحالفكم وأُعاقدكم على ألّا نرجع أبداً حتى نظفر أو نهلك. فأتوه فوقفوا معه، ففي هذا قال كعب بن جعيل شاعر الشام: «وهمدان زرق تبتغي من تحالف». وزحف الأشتر نحو الميمنة وثاب إليه ناس تراجعوا من أهل الصبر والحياء والوفاء،

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٥ .

(٢) صفين، لنصر بن مزاحم : ٢٦١ .

فأخذ لا يصمد لكتيبة إلّا كشفها إذ مر بزياد بن النضر يحمل إلى العسكر، فقال: من هذا؟ فقيل: زياد، استلحم عبدالله بن بديل وأصحابه في الميمنة، فتقدّم فرفع لأهل الميمنة رايته وقاتل حتى صرع، ثم لم يمكث إلّا كلا شيء حتى مر بيزيد ابن قيس الأرحبي محمولاً نحو العسكر، فقال: من هذا؟ قالوا: يزيد، لما صرع زياد دفع لأهل الميمنة رايته فقاتل حتى صرع. فقال الأشتر: هذا والله الصبر الجميل والفعل الكريم، ألا يستحي الرجل أن ينصرف لا يقتل ولا يقتل أو يشفى به على القتل[١].

وفيه أيضاً: قالت بجيلة لأبي شداد قيس بن المكشوح: خذ رايتنا. قال: غيري خير لكم مني. قالوا: ما نريد غيرك. قال: والله لئن أعطيتمونيها لا أنتهي بكم دون صاحب الترس المذهب ـ أي الذي كان على رأس معاوية ـ قالوا: اصنع ما شئت. فأخذها ثم زحف حتى انتهى بهم إلى صاحب الترس ـ وأُشرعت إليه الأسنة فقتل ـ فأخذ الراية عبدالله بن قلع الأحمسي وهو يقول:

لا يبعد الله أبا شداد حيث أجاب دعوة المنادي

وشدّ بالسيف على الأعادي

فقاتل حتى قتل، ثم أخذها عبد الرحمن بن قلع فقاتل حتى قتل، ثم أخذها عفيف بن إياس فلم تزل في يده حتى تحاجز الناس[٢].

وفي (كامل الجزري): لما وصل علي عليه السلام إلى ربيعة نادى بصوت عال ـ كفير المكترث لما فيه الناس ـ لمن هذه الرايات؟ قالوا: رايات ربيعة. قال عليه السلام: بل رايات عصم الله أهلها فصبرهم وثبّت أقدامهم. وقال للحضين بن المنذر: يا فتى ألا تدني رايتك هذه ذراعاً. قال: بلى والله وعشرة أذرع. فأدناها.

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٤.

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٣: ٩، دار الكتب العلمية.

قال: حسبك مكانك[1].

وفي (صفين نصر): انتهى عليعليه السلام إلى رايات ربيعة فقال: لمن هذه؟ فقيل: رايات ربيعة. فقال: بل هي رايات الله. وأقبل الحضين بن المنذر ـ وهو يومئذٍ غلام ـ يزحف براتيه ـ وكانت حمراء ـ فأعجب علياًعليه السلام زحفه وثباته فقال:

لمن راية سوداء يخفق ظلّها	إذا قيل قدمها حضين تقدما
ويقدمها في الموت حتى يزيرها	حياض الموت تقطر الموت والدما
أذقنا ابن حرب طعننا وضرابنا	بأسيافنا حتى تولى واحجما
جزى الله قوماً صابروا في لقائهم	لدى الموت قوماً ما أعف وأكرما
وأطيب أخباراً وأكرم شيمة	إذا كان أصوات الرجال تغمغما
ربيعة أعني انّهم أهل نجدة	وبأس إذا لاقوا خميساً عرمرما[2]

«ويكتنفوها» أي: يحيطوها.

«حفافيها» بدل بعض من (ها) أي جانبيها، قال طرفة:

كان جناحي مضر حي تكنفا	حفافيه شكا في العسيب بمسرد[3]

«ووراءها وأمامها» عطفان على (حفافيها).

«لا يتأخرون عنها فيسلموها ولا يتقدّمون عليها فيفردوها» في (صفين نصر): دفع عليعليه السلام الراية إلى هاشم المرقال ـ وكان عليه درعان ـ فقال عليه السلام كهيئة المازح: أبا هاشم أما تخشى من نفسك أن تكون أعور جباناً. قال: ستعلم يا أمير المؤمنين والله لألفن بين جماجم القوم لفّ رجل ينوي الآخرة.

---

(١) الكامل لابن الاثير ٣: ٢٩٩.

(٢) صفين، لنصر بن مزاحم: ٢٨٨.

(٣) لسان العرب ٣: ٢٣٥.

فأخذ رمحاً فهزّه فانكسر، ثم أخذ آخر فوجده حاسياً فألقاه، ثم دعا برمح لين فشدّ به لواه، ثم قال لأصحابه: شدّوا شسـاع نـعالكم وشـدّوا أزركـم، فـإذا رأيتموني قد هززت الراية ثلاثاً فاعلموا ان أحداً منكم لا يسبقني بها.

إلى أن قال: وجعل عمّار يتناول هاشماً بالرمح ويقول: أقدم يا أعور، لا خير في أعور لا يأتي الفزع. فجعل عمرو بن العاص يقول: اني لأرى لصاحب الراية السوداء عملاً لئن دام على هذا لتفنين العرب اليوم ـ إلى أن قال ـ ولم يزل عمّار بهاشم ينخسه حتى شبّ القتال وزحف هاشم بالراية يرقل بها إرقـالاً وزحف الناس بعضهم إلى بعض، والتقى الزحـفان فـاقتتلوا قـتالاً لم يـسـمع بمثله ـ إلى أن قال ـ فلما أصبح أهل الشام لم يجدوا حول لوائهم إلّا ألف رجل، فاقتلعوه وركزوه من وراء موضعه الأول وأحاطوا به، ووجـد أهـل العـراق لواءهم مركوزاً وليس حوله إلّا ربيعة، وعلي عليه السلام بينهم، وهـم يـحيطون بـه وهو لا يعلم من هم ويظنّهم غيرهم، فلما صلّى علي عليه السلام الفجر أبصر وجوهاً ليس بوجوه أصحابه بالأمس، فقال: من القوم؟ قالوا: ربيعة وقد بتّ فيهم تلك الليلة. فقال: فخر طويل لك يا ربيعة[1].

وفي (صفين نصر): أقبل عبد الرحمن بن خالد بـن الوليـد ومـعه لواء معاوية الأعظم، ومن بعده عمرو بن العاص في خيل، وقـال له: اقـحم يـابن سيف الله فانّه الظفر. فأقبل الناس على الأشتر فقالوا: يوم من أيامك الأول وقد بلغ لواء معاوية حيث ترى. فأخذ الأشتر لواءه ثم حمل وهو يقول:

اني أنا الأشتر معروف الشتر ... اني أنا الأفعى العراقي الذكـر
لستُ من الحي ربيعة ومضر ... لكنني من مذحج الغـر الغـرر

فضارب القوم حتى ردّهم على أعقابهم ورجعت خيل عمرو.

---

(١) صفين، لنصر بن مزاحم: ٣٢٦.

«أجزأ امرؤ قرنه» بالكسر: من جاء لحربه، قال أبو محلم السعدي:

ألست أرُدّ القرن يـركب روعـه وفيه سنان ذو عراقيب يابس[١]

وقال عمرو بن معد يكرب:

يســـامى القـرن ان قرن تـيمه فـيعتضده

فــــيأخذه فــــيرديه فـيخفضه فـيقتصده

فــــيدنو فــــيحطمه فيحمضه فيزدرده[٢]

«وآسى» وفي (ابن ميثم): «آسى».

«أخاه بنفسه» أي: واساه وعاضده.

«ولم يكل قرنه إلى أخيه» ان لم يؤاسيه.

«فيجتمع عليه قرنه» أي: قرن نفسه.

«وقرن أخيه» وذلك خلاف الانصاف والمروة[٣].

«وايم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآخرة» وهو أشدّ بمراتب.

«وأنتم» هكذا في (المصرية)[٤] والصواب: «أنـتم» كـما فـي (ابـن أبـي الحديد وابن ميثم والخطية).

«لهاميم العرب»[٥] في (الصحاح): اللهموم: الجواد مـن النـاس والخـيل، قال:

(١) صفين، لنصر بن مزاحم: ٣٩٥.

(٢) ذكر أبو الفرج بعض الأبيات ١٥: ٢٠٩ ـ ٢١٠.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ١٢٣.

(٤) الطبعة المصرية: ٢٩٠.

(٥) في نسخة ابن ابي الحديد الواو موجودة انظر ٨: ٥، من شرح نهج البلاغة، النسخة الخطية: ١٠٥.

لا تحسبن بياضاً في منقصة   ان اللهاميم في أقرابها بلق[1]

قلت: وهم الجوهري، وانما قال ابن دريد : فرس لهم ولهيم ولهموم إذا كان جواداً غزير الجري. ومعنى جواد غزير الجري جيد أصيل كثير العدو لا جود الإنسان كما توهم[2]، وحينئذ فقوله عليه السلام «لهاميم العرب» استعارة من ذاك الفرس وإلا فالجود لا يناسب الحرب، وحينئذٍ فالمراد أنكم مقدّمون في الحروب كالأفراس اللهاميم لا ما قاله ابن أبي الحديد: انّهم السادات الأجواد[3].

«والسنام الأعظم» هو أيضاً استعارة من سنام الإبل لأنّه أعلى أعضائه.

«ان في الفرار موجدة الله» فقد قال تعالى ﴿ومن يولهم يومئذٍ دبره إلا متحرّفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ...﴾[4].

«والذل اللازم والعار الباقي» حض الأشتر الناس بصفين فقال: ان الفرار من الزحف فيه سلب العزّ وذلّ المحيا والممات وعار الدنيا والآخرة.

وقال قيس بن سعد بن عبادة :

ليس فراري في الوغى بعادة   ان الفرار للفتى قلادة[5]

وفي (صفين نصر): في التقاء جعدة بن هبيرة ابن أخت أمير المؤمنين عليه السلام وعتبة بن أبي سفيان أخي معاوية: باشر جعدة القتال بنفسه وجزع عتبة فأسلم خيله وأسرع هارباً إلى معاوية، فقال له: هزمك جعدة وفضحك فضيحة لا تغسل رأسك منها أبداً[6].

---

(١) الصحاح ٤ : ٢٠٣٧ مادة (لهم).

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد: ٩٨٧، مادة (لهم).

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ٧.

(٤) الأنفال: ١٦.

(٥) شرح ابن ابي الحديد ١٤: ١٩٠.

(٦) وقعة صفين لنصر بن مزاحم : ٤٦٣ .

وفيه ـ في خبر ـ فغاداهم علي عليه السلام القتال، فانهزمت صفوف أهل الشام من بين يديه ذلك اليوم حتى فرّ عتبة بن أبي سفيان عشرين فرسخاً عن موضع المعركة، فقال النجاشي فيه:

لقد أمعنت يا عتب الفرارا وأورثك الوغى خزياً وعارا
فلا يحمد خصاك سوى طمر إذا أجريته انهمر انهمارا[١]

قلت: لا غرو أن يفرّ عتبة عشرين فرسخاً من صفين، فقد اقتدى بابن عمه عثمان ففرّ في غزوة أُحد وغاب ثلاثة أيام حتى قال النبي صلى الله عليه وآله له: لقد ذهبت فيها عريضة طويلة. ومع كون كعب بن جعيل من شيعة معاوية وشاعره هجا عتبة بالفرار تحريضاً له، فأجابه عتبة:

سميت كعباً بشر العظام وكان أبوك سمي الجعل
وان مكانك من وائل مكان القراد من است الجمل[٢]

هذا، وروى محمد بن إسحاق غزوة موتة وقال ـ بعد ذكر هلاك جعفر وزيد ابن رواحة وأخذ خالد بن الوليد الراية وانكشف خالد بالناس حتى عيّروا بالفرار وتشأم الناس به. وروى عن أبي سعيد الخدري قال: أقبل خالد بالناس منهزمين، فلما سمع أهل المدينة بهم تلقوهم بالجرف، فجعلوا يحثّون في وجوههم التراب ويقولون: يا فرار[٣].

وقال الواقدي: قال عبيدالله بن عبدالله بن عتبة: ما لقي جيش بعثوا مبعثاً ما لقي أصحاب موتة من أهل المدينة من الشرّ، حتى أن الرجل ينصرف إلى بيته وأهله فيدقّ عليهم فيأبون أن يفتحوا له، يقولون: ألا تقدمت مع أصحابك

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٤٠٩، طبع القاهرة.

(٢) وقعة صفين: ٤١٣ ـ طبع القاهرة.

(٣) المغازي للواقدي ٢: ٧٦٤ ـ ٧٦٥.

فقتلت. وجلس الكبراء منهم في بيوتهم استحياء من الناس، حتى أرسل النبيﷺ رجلاً يقول لهم: أنتم الكرار في سبيل الله فخرجوا[١].

قلت: لابد ان النبيﷺ أراد بما قال: انكم تكرّون إلى الجهاد الذي هو سبيل الله. وإلّا فالنبي لا يقول للفرار: أنتم الكرار. وكيف كان فمن المضحك أنّهم قالوا ان النبيّﷺ لقّب ذاك اليوم خالد بن الوليد سيف الله، فكيف يحثي أهل المدينة التراب في وجهه ووجه أصحابه ويقولون له ولهم: يا فرار ثم يلقبه النبي سيف الله، فلو كان لقب سيف اللات كان أقرب إلى الواقع.

«وإنّ الفارّ لغير مزيد في عمره ولا محجوز بينه وبين يومه» قال حصين بن الحمام:

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد ... لنفسي حياة مثل أن أتقدّما

وأنشد جرير قصيدة في مدح الحجاج إلى أن بلغ إلى هذا البيت:

قل للجبان إذا تأخّر سرجه ... هل أنت من شرك المنية ناج

قال له الحجاج: يابن اللخناء جرّأت عليّ الناس. قال: أيّها الأمير ما ألفيت لها بالأ إلّا وقتي هذا. وقال عنترة:

بكرت تخوفني الحتوف فإنّني ... أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل

فأجبتها ان المنيّة منهل ... لابد أن أسقى بكأس المنهل

فاقنى حياء لا أبا لك واعلمي ... أنّي امرؤ سأموت ان لم أُقتل[٢]

والأصل في كلامهعليه السلام قوله تعالى: ﴿قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل ...﴾[٣].

---

(١) ذكره الواقدي في المغازي ٢: ٧٦٥، مسنداً إلى أبي بكر بن عبد الله بن عتبة.

(٢) الشعر والشعراء: ١٥١ ـ دار الكتب العلمية.

(٣) الأحزاب: ١٦.

«**الرائح**» هكذا في (المصرية)[١] والصواب: «من رائح» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم).

«**إلى الله كالظمآن**» أي: فيكون كالظمآن.

«**يرد الماء**» ولا شيء فوقه لأن به يحيا.

«**الجنّة تحت أطراف العوالي**» جمع العالية، والمراد بها السنان وان كان الأصل فيها الأعلى منه، وهو ما دخل في السنان إلى ثلثه[٢].

وقال ابن أبي الحديد كلامه عليه السلام من قول النبي صلى الله عليه وآله «الجنّة تحت ظلال السيوف» وسمعه بعض الأنصار منه صلى الله عليه وآله يوم أُحد وفي يده تمرات يلوكها، فقال: بخ بخ ليس بيني وبين الجنّة إلّا هذه التميرات فقذفها وحمل حتى قُتل[٣].

فإن أراد أنّه نظير قول النبي صلى الله عليه وآله فصحيح، وإن أراد أنّ المراد بالعوالي السيوف فلا.

ونظير قوله عليه السلام قول عمّار «الجنّة تحت ظلال السيوف والموت في أطراف الأسل» ففي (الطبري): جاء عمّار إلى هاشم المرقال صاحب راية علي عليه السلام وهاشم يقول:

أعور يبغي أهله محلّا قد عالج الحياة حتى ملّا

لابد أن يفلّ أو يفلّا

وعمار يقول: يا هاشم الجنّة تحت ظلال السيوف والموت في أطراف الأسل وقد فتحت أبواب السماء وتزيّنت الحور العين ـ «اليوم ألقى الأحبة محمّداً وحزبه». فلم يرجعا عن القتال حتى قتلا[٤].

---

(١) الطبعة المصرية: ٢٩١.

(٢) ابن ابي الحديد: ليس فيه «رائح» بل اكتفى بـ «من» انظر ٨: ٥.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٨ : ٦.

(٤) تاريخ الطبري ٤ : ٢٨.

«**اليوم تبلى الأخبار**» أي: تمتحن أحوال الناس. والظاهر أنّه عليه السلام قال ذلك قرب وقوع التحكيم كما يشهد له السياق.

وفي (صفين نصر): أنّ علياً عليه السلام أرسل إلى الناس أن احملوا، فحمل الناس على راياتهم كلّ قوم بحيالهم، فتجالدوا بالسيوف وعمد الحديد لا يسمع ألّا صوت الحديد، ومرّت الصلوات كلّها ولم يصلّوا إلّا تكبيراً عند مواقيت الصلوات حتى تفانوا ورق الناس. فخرج رجل بين الناس لا يعلم من هو فقال: أخرج فيكم المحلقون؟ قالوا: لا. قال: أما إنّهم سيخرجون ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمرّ من الصبر، لهم حمة كحمة الحيات. ثم غاب الرجل ولم يعلم مَن هو[1].

«**والله لأنا أشوق إلى لقائهم منهم إلى ديارهم**» ليس هذا الكلام في (ابن ميثم)[2] وإنما هو في (المصرية وابن أبي الحديد والخطية)[3].

وفي (الطبري): قال أبو عبد الرحمن السلمي: كنّا مع عليّ عليه السلام بصفين فكنّا قد وكّلنا بفرسه رجلين يحفظانه ويمنعانه من أن يحمل، فكان إذا حانت منهما غفلة يحمل فلا يرجع حتى يخضب سيفه، وانّه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى انثنى سيفه فألقاه إليهم وقال: لو لا أنّه انثنى ما رجعت[4] ... .

«**اللّهم فان**» وفي (ابن ميثم): «إن».

«**ردوا الحق فافضض جماعتهم وشتّت كلمتهم**» في (الطبري): قال عمار يومئذ: أين من يبتغي رضوان الله عنه ولا يؤوب إلى مال ولا ولد؟ فأتته عصابة، فقال لهم: اقصدوا بنا نحو هؤلاء الذين يبغون دم ابن عفان ويزعمون

---

(١) صفين لنصر بن مزاحم : ٣٩٣ طبع القاهرة.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ١٢٣.

(٣) الطبعة المصرية: ٢٩١، وابن أبي الحديد ٨: ٥، غير موجودة في الخطية: ١٠٥.

(٤) تاريخ الطبري ٣: ٩٩، دار الكتب العلمية.

انّه قتل مظلوماً، والله ما طلبتهم بدمه ولكن القوم ذاقوا الدُّنيا فاستحبوها واستمرؤوها وعلموا أنّ الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرغون فيه من دنياهم، ولم تكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقّون بها طاعة الناس والولاية عليهم، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا قُتل إمامنا مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة ملوكاً، وتلك مكيدة بلغوا بها ما ترون. ولولا هي ما تبعهم من الناس رجلان، اللّهم ان تنصرنا فطالما نصرت وان تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا في عبادك العذاب الأليم. ثم مضى حتى دنا من عمرو بن العاص فقال له: تباً لك بعت دينك بمصر تباً لك تباً، طالما بغيت الإسلام عوجاً. وقال لعبيدالله بن عمر: بعت دينك من عدو الإسلام وابن عدوّه. قال: لا ولكن أطلب بدم عثمان. قال له: أشهد على علمي فيك أنّك لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله عزوجل، وأنّك إن لم تقتل اليوم تمت غداً، فانظر إذا أُعطي الناس على قدر نيّاتهم ما نيّتك[١].

«وأبسلهم» بفتح الهمزة ، أي: أسلمهم للهلكة.

«بخطاياهم» هذا، وكان عوف بن الأحوص حمل عن غنى لبني قشير دم ابني السحيفة فقالوا: لا نرضى بك، فرهنهم بنيه طلباً للصلح وقال:

وإبسالي بني بغير جرم ... بغوناه ولا بدم مراق[٢]

«إنّهم» قد عرفت أن المراد بهم غسان.

«لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك» أي: متتابع يتلو بعضه بعضاً ويدرك الآخر الأول.

«يخرج منه» أي: من محل الطعن.

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٢٨ .

(٢) الجمهرة ١ : ٣٣٩ .

«**النسيم**» أي: الهواء.

«**وضرب يفلق**» أي: يشقق.

«**الهام**» أي: الرأس.

«**ويطيح**» أي: يهلك ويسقط.

«**العظام ويندر**» بالضم أي: يسقط.

«**السواعد**» أي: الأعضاد.

«**والأقدام وحتى يرموا بالمناسر**» جمع المنسر بالكسر وجوز الفتح؛ وفي (الجمهرة): المنسر ما بين الأربعين إلى الخمسين من الخيل.

«**ويرجموا**» أي: يرموا.

«**بالكتائب**» أي: الجيوش.

«**تقفوها**» أي: تتبعها.

«**الحلائب**» في (الجمهرة): حلائب الرجل: أنصاره من بني عمه خاصة، هكذا يقول الأصمعي، فإذا كانوا من غير بني عمّه فليسوا بحلائب، قال ابن حلزة اليشكري:

ونحن عداة العين لما دعوتنا   منعناك اذ ثابت عليك الحلائب[1]

«**وحتى يجر ببلادهم الخميس**» أي: الجيش.

«**يتلوه الخميس**» سمّي الجيش خميساً لأنّهم خمس فرق: القلب والميمنة والميسرة والمقدّمة والساق.

«**وحتى تدعق**» قال ابن أبي الحديد: يجوز أن يفسر الدعق بغير الدق الذي قال الرضي، أي الهيج والتنفير[2].

---

(١) الجمهرة ١ : ٢٨٤ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ٩.

قلت: لا مناسبة للهيج والتنفير، فيتعيّن المعنى الذي قال المصنف أو ما هو بمعناه، ففي (الجمهرة): الدعق الوطوء الشديد، قال بعضهم في كلام له:

حوب حوب إنّه يوم دعق وشوب لا لعا لبني الصوب[1]

وقال الجوهري: خيل مداعيق تدوس القوم في الغارات[2].

«الخيول في نواحر أرضهم» قد عرفت أنّ (نصر بن مزاحم) و(الإرشاد) و(سليماً) زوّده «فيى نواحي أرضهم» وهو الصحيح وتوهّم المصنف فقرأ «في نواحر» بالراء لتشابهها خطأ، وأيضاً المناسب وطئوا الخيل نواحي أرضهم لا مقابلها.

«وأعنان» أي: أطراف.

«مساربهم» في (الجمهرة): المسرب المرعى والجمع المسارب، وخل سرب فلان أي: وجهته. وكان الرجل في الجاهلية يقول لامرأته: اذهبي فلا أنده سربك، فتطلق بهذه الكلمة.

«ومسارحهم» جمع المسرح، وفي (الجمهرة): سرحت الماشية إذا غدوت بها إلى المرعى، وربما قيل: «سرحت الماشية» فيجعل الفعل لها، وقالوا: المال سارح ومراح. لا يقال إلّا كذلك قال الأعشى :

أم على العهد فعلمي خير من روح مالا وسرح[3]

وفي (صفين نصر): لمّا أراد عبدالله بن بديل الشخوص إلى صفين التفت إلى الناس وقال: كيف يبايع معاوية عليّاً عليه السلام وقد قتل أخاه حنظلة وخاله

(١) الجمهرة لابن دريد ٢ : ٦٦٠ مادة (دعق).

(٢) الجوهري ٣ : ١٤٧٤ مادة (دعق).

(٣) الجمهرة ١ : ٥١٢.

الوليد وجدّه عتبة في موقف واحد، والله ما أظن أن يفعلوا ولن يستقيموا دون أن تقصد فيهم المران وتقطع على هامهم السيوف وتنثر حواجبهم بعمد الحديد وتكون أُمور جمّة بين الفريقين(١).

«قال الشريف أقول» هكذا في (المصرية)(٢)، وكلّه لم يكن كلام المصنف وانما «قال الشريف» كلام الشراح.

«الدعق: الدق، أي تدقّ الخيول بحوافرها أرضهم» قد عرفت تحقيقه. ووهم ابن أبي الحديد في معناه(٣).

«ونواحر أرضهم متقابلاتها» قد عرفت وهم المصنف في قراءة «نواحر» بالراء وانّه «نواحي»، ولو فرضت صحته فقد عرفت عدم مناسبة معناه. ويمكن أن يفسّر بأن المراد في عروق أرضهم. ففي (الجمهرة): النواحر عروق تقطع من نحر الدابة كالفصد، الواحد ناحر، وقالوا ناحرة ونواحر.

«يقال منازل بني فلان تتناحر أي تتقابل» والأُصل فيه نحر البعير، كأن كلاً منهما تنحر الأُخرى، ففي (الجمهرة): كانت دار بني فلان تنحر الطريق أي تقابله(٤).

هذا وقال الجوهري: النحيرة آخر يوم من الشهر، قال الكميت يصف فعل الأمطار بالديار:

والغيث بالمتالفات ... من الأهلّة والنواحر(٥)

---

(١) صفين، لنصر بن مواحم : ١٠٢ .

(٢) الطبعة المصرية المصححة: لا وجود لهذه العبارة، انظر: ٢٩١.

(٣) انظر ابن ابي الحديد ٨: ٩.

(٤) الجمهرة ١ : ٥٢٥ مادة (نحر) .

(٥) الصحاح للجوهري ٢ : ٨٢٤ مادة (نحر) .

وقال أبو الغوث: النحيرة آخر ليلة من الشهر مع يومها، لأنّها تنحر الشهر الذي بعدها، أي تصير في نحره أو تصيب نحره، فهي ناحرة والجمع النواحر، واحتجّ بقول ابن أحمر الباهلي:

ثم استمر عليها واكف همع في ليلة نحرت شعبان أو رجبا[١]

وقال ابن دريد: أقبل فلان في نحر الجيش، أي في أوّله، والليلة تنحر شهر كذا وكذا أي هي أوّله. ثم ذكر البيت الأخير، فترى الأوّل جعله الآخر بلا خلاف لكن تردّد في أنّه آخر يوم فقط أو مع ليلة، والثاني جعله أول ليلة بلا خلاف ثم قال: والنحيرة والمنحورة واحد، وقال: قيل في قوله تعالى ﴿فصلِّ لربك وانحر﴾[٢] أي استقبل نحر النهار أي أوّله، وقيل يعني ضع يدك على نحرك[٣].

والصواب قول ابن دريد لأخذه عن الخليل ولكثرة أوهام الجوهري ولأن (الأساس) وافقه فقال: قال الكميت:

والغيث بالمتالفات من الأهلّة في النواحر[٤]

إذا وقع الغيث في أوّل الشهر كان غزيراً ...

ومنه يظهر ان الجوهري صحّف البيت الأول وأنّه كان بلفظ «في النواحر» لا «والنواحر». وبالجملة هو أيضاً لم يشر إلى خلاف في كونه بمعنى الأول.

---

(١) الجمهرة لابن دريد ١ : ٥٢٥.

(٢) الكوثر : ٢.

(٣) جمهرة اللغة لابن دريد ١: ٥٢٥.

(٤) أساس البلاغة : ٤٤٩.

١٢
من غريب كلامه رقم (٧)

وَفي حديثه عليه السلام أنهُ شَيَّع جيشاً يُغْزِيه فقال:

اغْذِبُوا عَنِ النِّسَاءِ مَا اسْتَطَعْتُم. وَمَعْنَاهُ اصْدِفُوا عَنْ ذِكْرِ النِّسَاء وَشَغْلِ الْقلبِ بِهِنَّ، وَامْتَنِعُوا مِنَ الْمُقارَبَةِ لَهُنَ، لأَنَّ ذَلِكَ يَفُتُّ فِي عَضُدِ الْحَمِيَّةِ وَيَقْدَحُ فِي مَعَاقِدِ الْعَزِيمَةِ وَيَكْسِرُ عَنِ الْعَدُوِّ وَيَلْفِتُ عَنِ الاْبْعَادِ فِي الْغَزْوِ وَكُلُّ مَنِ امْتَنَعَ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ أَعْذَبَ عَنْهُ، وَالْعَاذِبُ والْعَذُوبُ الْمُمْتَنِعُ مِنَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ.

أقول: قال في النهاية: وفي حديث علي عليه السلام أنّه شيّع سرية فقال: اعذبوا عن ذكر النساء أنفسكم، فإنّ ذلكم يكسركم عن الغزو[1].

قوله عليه السلام «اعذبوا عن النساء ما استطعتم» في (كامل المبرّد): كتب صاحب اليمن إلى عبد الملك ـ في وقت محاربة ابن الأشعث معه ـ إنّي قد وجهت إليك بجارية اشتريتها بمال عظيم ولم ير مثلها قط، فلما دخل بها عليه رأى وجهاً جميلاً وخلقاً نبيلاً فألقى إليها قضيباً كان في يده فنكست لتأخذه فرأى منها جسماً بهره، فلما همّ بها أعلمه الإذن أنّ رسول الحجاج بالباب، فأذن له ونحى الجارية فأعطاه كتاباً من عبد الرحمن فيه سطور أربعة يقول فيها:

سائل مجاور جرم هل جنيت لها	حرباً يزيل بين الجيرة الخلط
وهل سموت بجرار له لجب	جم الصواهل بين الجم والفرط
وهل تركت نساء الحي ضاحية	في ساحة الدار يستوقدن بالغبط

وتحتها بيت آخر على غير الروي وهو:

---

(١) النهاية ٣: ١٩٥ مادة (عذب).

قتل الملوك وصار تحت لوائه شجر العرى وعراعر الأقوام

فكتب جوابه ـ وجعل في طيّه جواباً لابن الأشعث :

ما بال من أسعى لأجبر عظمه حفاظاً وينوي من سفاهته كسري

أظن خطوب الدهر بيني وبينهم ستحملهم مني على مركب وعر

وإنّي وإيّاهم كمن نبّه القطا ولو لم تنبه باتت الطير لا تسري

أناة وحلماً وانتظاراً بهم غداً فما أنا بالواني ولا الضرع الغمر

ثم بات يقلّب كفّ الجارية ويقول: ما أخذت فائدة أحبّ إليّ منك. فتقول: فما بالك وما يمنعك؟ فقال: يمنعني قول الأخطل وإن خرجت منه كنت ألأم العرب فإنّه قال:

قوم إذا حاربوا شدّوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار[1]

فما إليكِ سبيل أو يحكم الله بيني وبين ابن الأشعث، فلم يقربها حتى قتل عبد الرحمن[2].

قول المصنّف: «ومعناه اصدفوا عن ذكر النساء» أي: اعرضوا عن ذكرهن «وشغل القلب بهن» ولا تكونوا كما قال الشاعر :

ذكرتك والخطي يخطر بيننا وقد نهلت منّا المثقفة السمر

«وامتنعوا من المقاربة لهن» وكان المهلب لما خرج ابن الأشعث على الحجاج في أهل العراق كتب إلى الحجاج أنّ أهل العراق أقبلوا إليك وهم مثل السيل المنحدر من عل ليس شيء يرده حتى ينتهي إلى قراره، وإنّ لأهل العراق شرة في أوّل مخرجهم وصبابة إلى ابنائهم ونسائهم فليس شيء يردّهم حتى يسقطوا إلى أهليهم ويشمّوا أولادهم، ثم واقعهم عندها فتغلب

(١) ديوان الأخطل : ١٤٤ .

(٢) الكامل ١ : ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

عليهم. فلم يقبل ذلك فاستقبلهم إلى تستر فهزموه بها، فتركهم حتى دخلوا الكوفة على نسائهم ثم حاربهم فهزم[١].

«فإن ذلك يفتّ» أي يضعف ويوهن.

«في عضد الحمية ويقدح» من «قدح الدود في الأسنان والشجر قدحاً» وهو تأكل يقع فيه، والقادحة: الدودة.

«في معاقد العزيمة» فيحلها.

«ويكسر عن العدو» بالفتح فالسكون في الحرب، وقد عرفت أنّ الجزري جعل كلامه عليه السلام تعليلاً للإعذاب بلفظ «فان ذلكم يكسركم عن الغزو»[٢].

«ويلفت» أي: يصرف.

«عن الإبعاد في الغزو» ولما بلغ ابن الزبير قتل أخيه مصعب، قال: قدم أيره وأخّر خيره، وتشاغل بنكاح فلانة وفلانة وترك جلبة أهل الشام حتى غشيته في داره.

«وكل من امتنع من شيء فقد أعذب عنه» اعترض ابن أبي الحديد على المصنف[٣] لما رأى أنّ الجوهري قال «أعذبته عن الأمر إذا منعته عنه، يقال أعذب نفسك عن كذا أي اظلفها» ـ بأنّ قوله «وكلّ من امتنع من شيء فقد أعذب عنه» غير صحيح وان الصواب ان يقال «وكل من منعته من شيء فقد أعذب عنه» وان كلامه عليه السلام بلفظ «اعذبوا» بكسر الهمزة لا «اعذبوا» بفتحها، واستدل بأن الممتنع من الأكل والشرب يقال له العاذب والعذوب لا المعذب.

إلّا أن اعتراضه ساقط، كما ان اقتصار الجوهري على ان «اعذب»

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٤: ٤٦٤ ـ ٤٦٥، وقد مر ذلك في صفحة ١٨٨.

(٢) النهاية لابن الاثير ٣: ١٩٥، مادة (عذب).

(٣) ذكر انه ليس بجيد، شرح نهج البلاغة ١٩: ١١٤ ح ٢٦٤.

بمعنى منع خطأ، فقد قال الفيروزآبادي: العذب المنع كالإعذاب والكف والترك كالإعذاب. وقال الجزري: اعذب، لازم ومتعد. بل اقتصر ابن دريد على أن (أعذب) بمعنى (امتنع) فقال: أعذب عن الشيء إذا امتنع عنه، وفي الحديث «فأعذبوا عن النساء» أي امتنعوا عن ذكرهن[١].

والظاهر أنّ المصنف استند إليه حيث نقل العنوان مثله وجعله من أعذب وكون معنى «اعذب» امتنع.

ومثله الزمخشري، ففي (الأساس) في حديث علي عليه السلام لسرية «اعذبوا عن النساء» اعذب عن الشيء واستعذب عنه إذا امتنع، لكن إن صح نقل الجزري لكلامه عليه السلام بلفظ «اعذبوا عن ذكر النساء أنفسكم» يكون «اعذبوا» بمعنى امنعوا[٢].

«**والعاذب والعذوب الممتنع من الأكل والشرب**» وفي (الجمهرة): بات لرجل عاذباً وعذوباً إذا كان ممتنعاً عن النوم جائعاً، وقول عبيد بن الأبرص الأسدي:

باتت على ارم عذوباً كأنّها شيخة رقوب[٣]

أي جائعة ممتنعة من المأكل والمشرب، وفي (الصحاح): العذوب من الدوابّ وغيرها القائم الذي لا يأكل ولا يشرب، وكذلك العاذب. وفي (القاموس): العذب ترك الأكل من شدّة العطش، وهو عاذب وعذوب، والعاذب والعذوب الذي ليس بينه وبين السماء ستر[٤].

---

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادي: ١٤٤.

(٢) أساس البلاغة للزمخشري: ٢٩٥ مادة (عذب).

(٣) الجمهرة لابن دريد ١ : ٣٠٤.

(٤) راجع المصدرين السابقين الصحاح ١: ١٨٧، والقموس: ١٤٤.

١٣
الكتاب (٦١)

ومن كتاب له عليه السلام إلى كميل بن زياد النخعيّ وهو عامله على هِيت ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدوّ طالباً للغارة:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ تَضْيِيعَ الْمَرْءِ مَا وُلِّيَ وَتَكَلُّفَهُ مَا كُفِيَ لَعَجْزٌ حَاضِرٌ وَرَأْيٌ مُتَبَّرٌ، وَإِنَّ تَعَاطِيَكَ الْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ قَرْقِيسِيَا وَتَعْطِيلَكَ مَسَالِحَكَ الَّتِي وَلَّيْنَاكَ لَيْسَ بِهَا مَنْ يَمْنَعُهَا وَلَا يَرُدُّ الْجَيْشَ عَنْهَا لَرَأْيٌ شَعَاعٌ، فَقَدْ صِرْتَ جِسْراً لِمَنْ أَرَادَ الْغَارَةَ مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَى أَوْلِيَائِكَ غَيْرَ شَدِيدِ الْمَنْكِبِ وَلَا مَهِيبِ الْجَانِبِ وَلَا سَادٍّ ثَغْرَةً وَلَا كَاسِرٍ لِعَدُوٍّ شَوْكَةً وَلَا مُغْنٍ عَنْ أَهْلِ مِصْرِهِ وَلَا مُجْزٍ عَنْ أَمِيرِهِ.

قول المصنّف: «إلى كميل بن زياد النخعي» في (ذيل الطبري): هو كميل بن زياد بن نهيك بن هيثم بن سعد بن مالك بن الحارث بن صهبان بن سعد بن مالك بن النخع.

وروى أنّه جاء كميل إلى الحجاج يأخذ عطاءه فقال له: أنت الذي فعلت بعثمان ـ وكلّمه بشيء ـ فقال له كميل: لا تكثر عليّ اللوم ولا تهل عليّ الكثيب وما ذاك رجل لطمني فاصبرني فعفوت عنه، فأيّنا كان المسيء؟ فأمر بضرب عنقه[1].

وفي (الإرشاد): روى جرير عن المغيرة قال: لما ولّي الحجاج طلب كميلاً فهرب منه فحرم قومه عطاءهم، فلما رأى كميل ذلك قال: أنا شيخ كبير وقد نفد عمري ولا ينبغي أن أحرم قومي عطاءهم، فخرج فدفع بيده إلى الحجاج، فلما رآه قال: لقد كنت أحب أن أجد عليك سبيلاً. فقال له: لا تصرف

---

(١) ذيل الطبري : ١٤٧ مؤسسة الاعلمي.

علي أنيابك ولا تهدم عليّ، فوالله ما بقي من عمري إلّا كمثل كواسل الغبار فاقض ما أنت قاض فإنّ الموعد الله وبعد القتل الحساب، ولقد أخبرني أمير المؤمنين عليه السلام أنّك قاتلي. فقال له الحجاج: الحجّة عليك إذن. فقال له كميل: إذا كان القضاء إليك. قال: بلى كنت فيمن قتل عثمان اضربوا عنقه. فضربت. وهذا خبر رواه ونقله العامّة عن ثقاتهم[١].

«وهو عامله على هيت» في (المعجم): هيت بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخيل كثير وخيرات واسعة [٢].

«ينكر عليه دفع من يجتاز به» أي: يمر عليه.

«من جيش العدو طالباً» حال من كميل.

«الغارة» في (الطبري): وجّه معاوية في سنة (٣٩) سفيان بن عوف في ستة آلاف رجل وأمره أن يأتي هيت فيقطعها وأن يغير عليها ثم يمضي حتى يأتي الأنبار والمدائن فيوقع بأهلها، فسار حتى أتى هيت فلم يجد بها أحداً...[٣].

قوله عليه السلام «فإنّ تضييع المرء ما وُلّي» فكان عليه السلام ولّاه هيتاً فضيعه.

«وتكفله ما كفي» من إرادة الاستيلاء على بلد آخر لم يكلف به.

«لعجز حاضر ورأي متبر» أي: هالك مهلك.

ونظير فعل كميل أنّ خالد بن عبدالله بن أسيد ولّاه عبد الملك الكوفة فعزل مهلباً عن حرب الخوارج وولّاه الجباية وولّى أخاه عبد العزيز حربهم، فانهزم فكتب إليه عبد الملك: إنّي كنت قد حدّدت لك حدّاً في أمر المهلب فلما ملكت أمرك نبذت طاعتي واستبددت برأيك فولّيت المهلب الجباية ووليت

---

(١) الإرشاد للمفيد: ١٧٢.

(٢) معجم البلدان ٥: ٤٢١.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ١٠٣.

أخاك حرب الأزارقة، فقبّح الله هذا رأياً أتبعث غلاماً غرّاً لم يجرّب الحروب وتترك سيّداً شجاعاً مدبراً حازماً قد مارس الحروب تشغله بجبايتك، أما لو كافأتك على قدر ذنبك لأتاك من نكيري ما لا بقية لك معه، ولكن تذكرت رحمك فلفتتني عنك فجعلت عقوبتك عزلك[1].

«وإنّ تعاطيك» أي: تناولك.

«الغارة على أهل قرقيسيا» في (المعجم): قرقيسيا بلد على نهر خابور قرب رحبة مالك بن طوق على ستة فراسخ، وعندها مصبّ الخابور في الفرات، فهي مثلث بين الخابور والفرات. قال حمزة: هو معرب كركيسيا من كركيس اسم لإرسال الخيل المسمّى بالعربية الحلبة[2].

«وتعطيلك مسالحك» جمع المسلحة، وفي (الصحاح): المسلحة قوم ذوو سلاح، والمسلحة كالثغر والمرقب، وفي الحديث «كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العريب»[3].

«التي ولّيناك ليس بها من يمنعها ولا يردّ الجيش عنها لرأي شعاع» بالفتح أي: متفرّق.

في (فتوح البلاذري): أقام يزيد بن المهلب بخراسان شتوة ثم غزا جرجان وكان عليها حائط من آجر قد تحصنوا به من الترك وأحد طرفيه في البحر ثم غلبت الترك عليه وسمّوا ملكهم الصول، فقال يزيد: قبّح الله قتيبة ترك هؤلاء وهم في بيضة العرب وأراد غزو الصين[4].

وفي (الطبري): ولّى المنصور رجلاً من العرب حضرموت، فكتب إليه

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ١٧٨.

(٢) معجم البلدان ٤ : ٣٢٨.

(٣) الصحاح ١ : ٣٧٦ مادة (سلح).

(٤) الفتوح للبلاذري : ٤٦٩ ـ ٤٧٠.

والي البريد انّه يكثر الخروج في طلب الصيد ببزاة وكلاب قد أعدّها، فعزله وكتب إليه: ثكلتك أُمّك وعدمتك عشيرتك ما هذه العدّة التي أعددتها للنكاية في الوحش، انّما استكفيناك أُمور المسلمين ولم نستكفك أُمور الوحش، سلم ما كنت تلي من عملنا إلى فلان بن فلان والْحق بأهلك ملوماً مدحوراً[١].

«فقد صرت جسراً لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك» أي كما أنّ الجسر وسيلة لعبور اليم كذلك تعطيل المسلحة وسيلة لعبور العدو إلى البلاد ونيله المراد. وقال ابن أبي الحديد: أي كما أنّ الجسر لا يمنع من يعبر به فكذلك أنت وهو كما ترى[٢]. ونظير تشبيهه عليه السلام قول ذي الرمة:

فــلا وصــل إلّا أن تـقارب بـيننا　　　قلائص يجسرن الفلاة بنا جسرا

«غير شديد المنكب ولا مهيب الجانب» كنايتان عن الضعف، كما أنّ شدّة المنكب وشدّة العضد كنايتان عن القوة.

«ولا سادّ» من سداد الثغر بالكسر، قال العرجي:

أضاعوني وأيّ فتىً أضــاعوا　　　ليــوم كــريهة وســداد ثــغر[٣]

«ثغرة» المراد به هنا موضع المخافة في فروج البلدان ومما يتصل ببلاد العدو، ويأتي الثغرلمقدّم الأسنان.

«ولا كاسر لعدو» هكذا في (المصرية)[٤] أخذاً من ابن أبي الحديد وليس «لعدو» في (ابن ميثم).

«شوكة»[٥] الأصل فيه شوك الشجر.

---

(١) تاريخ الطبري ٦ : ٣١٣.

(٢) شرح نهج البلغة لابن ابي الحديد ١٧: ١٠٥.

(٣) ديوان المعاني ١: ٨١.

(٤) الطبعة المصرية المصححة «كاسر شوكة» بخلاف ابن ابي الحديد انظر المصرية: ٦٣٢ وابن ابي الحديد ١٧: ١٤٩.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ٢٠٠.

«ولا مغنٍ عن أهل مصر ولا مجز» أي: كاف.

«عن أميره» قال بعضهم:

وليس فتى الفتيان من راح واغتدى لشرب صبوح أو لشرب غبوق
ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى لضرّ عدو أو لنفع صديق

١٤
الكتاب (٣٣)

ومن كتاب له عليه السلام إلى قُثم بن العباس وهو عامله على مكة:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى الْمَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ الْعُمْيِ الْقُلُوبِ الصُّمِّ الأَسْمَاعِ الْكُمْهِ الأَبْصَارِ الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَيُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ وَيَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالدِّينِ وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ الأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ وَلَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلَّا عَامِلُهُ وَلَا يُجْزَى جَزَاءَ الشَّرِّ إِلَّا فَاعِلُهُ، فَأَقِمْ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ وَالنَّاصِحِ اللَّبِيبِ والتَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ الْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ، وَلَا تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطِراً وَلَا عِنْدَ الْبَأْسَاءِ فَشِلاً ـ والسلامُ.

قول المصنّف: «ومن كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس» قال ابن أبي الحديد: روى (الاستيعاب) عن عبدالله بن جعفر قال: كنت أنا وعبيدالله وقثم نلعب، فمرّ بنا النبيّ صلى الله عليه وآله راكباً فقال: ارفعوا إليّ هذا الفتى ـ يعني قثم ـ فرفع إليه فأردفه خلفه ثم جعلني بين يديه ودعا لنا فاستشهد قثم بسمرقند[1].

قلت: انما في (الاستيعاب): «استشهد ...» ـ إنشاء منه لا جزء الخبر كلام عبدالله بن جعفر كما يفهم من ابن أبي الحديد، قال ابن أبي الحديد: قال أبو

(١) الاستيعاب ٢: ٥٥١ ترجمة قثم بن العباس ـ طبع حيدر آباد، كذلك نظر ابن ابي الحديد ١٦: ١٤٠.

عمر: كان قثم يشبه النبيّ صلى الله عليه وآله، وفيه يقول داود بن مسلم:

عتقت من حل ومن رحله يا ناق إن أدنيتني من قثم

إنّك إن أدنيت منه غداً حالفني اليسر ومات العدم

في كفّه بحر وفي وجهه بدر وفي العرنين منه شمم

أصمّ عن قيل الخنا سمعه وما عن الخير به من صمم

لم يدر مالا وبلى قد درى فعافها واعتاض منها نعم[1]

قلت: ونقل أيضاً عن الزبير بن بكار أنّ الشعر الذي أوّله:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

أيضاً قيل في قثم. وقال هو بل هو شعر آخر في عروضه وقافيته. والأمر كما ذكر أبو عمر، فإن تلك الأبيات إنّما هي في علي بن الحسين عليهما السلام كما رواه جمع من أهل السير.

«وهو عامله على مكّة» قال ابن أبي الحديد: قال أبو عمر: قال خليفة: استعمل علي عليه السلام قثماً على مكّة بعد أبي قتادة، وكان عليها حتى قتل علي. وقال الزبير: استعمله على المدينة[2].

قلت: لم ينقل الطبري خلافاً في كون قثم عامله عليه السلام على مكّة في سنة (٣٨ ـ ٣٩) وإنّما نقل الخلاف في من حج سنة (٣٩)[3].

قوله عليه السلام **«أما بعد فإنّ عيني»** ذكر أهل اللغة للعين معاني كثيرة، والمراد بها هنا الجاسوس.

«بالمغرب» أي: الشام.

---

(١) نهج ١٦: ١٤١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٤٠.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٢١٨.

«كتب إليّ يعلمني أنّه وجّه إلى الموسم» أي: مجمع الحاج.

«أُناس من أهل الشام» في (الطبري): قال أبو زيد: يقال ان علياًعليه السلام وجّه في سنة (٣٩) ابن عباس ليشهد الموسم، وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي. وزعم المدائني ان ذلك باطل وان الذي نازعه يزيد بن شجرة هو قثم حتى اصطلحا على شيبة بن عثمان، ومثله أبو معشر[1].

وقال الواقدي: بعث عليعليه السلام على الموسم في سنة (٣٩) عبيدالله بن عباس وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي ليقيم للناس الحجّ، فلما اجتمعا بمكة تنازعا فاصطلحا على شيبة[2].

وقال ابن أبي الحديد كان معاوية بعث إلى مكّة دعاة في السر يدعون إلى طاعته ويثبطون العرب عن نصرتهعليه السلام ويوقعون في أنفسهم أنّه إمّا قاتل عثمان أو خاذله والخلافة لا تصلح فيمن قتله أو خذله، وينشرون عندهم محاسن معاوية بزعمهم، وفي قولهعليه السلام «ويحتلبون الدنيا درها بالدين» دلالة على ما قلنا أنّهم كانوا دعاة يظهرون سمت الدين وناموس العبادة، وفيه إبطال قول من ظنّ أن المراد بذلك السرايا التي كان معاوية يبعثها فتغير على عمّالهعليه السلام[3].

قلت: بل المراد ما نقلناه عن الطبري عن أبي زيد والمدائني وأبي معشر والواقدي من بعث معاوية في سنة (٣٩) يزيد بن شجرة الرهاوي في جمع وقت الموسم لإقامة الحج، إلا أنّ الأول قال انّهعليه السلام بعث في قبال ابن شجرة عبدالله بن عُباس والأخير عبيدالله بن العباس والأوسطان قثماً نفسه، وهو

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٠٤.

(٢) الكامل لابن الاثير ٣: ٣٧٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٣٨.

الأوسط بشهادة العنوان. وأما استشهاد ابن أبي الحديد لاجتهاده بقوله عليه السلام «ويحتلبون...» فأعمّ فيكفي في صدق الكلام بعث معاوية ابن شجرة لإقامة الحج وجزؤه الصلاة. هذا، وفي (كامل المبرد): خرجت طائفة من الخوارج بعد قتل علي عليه السلام لهم بالنهروان ثم النخيلة نحو مكّة، فوجّه معاوية من يقيم للناس حجّهم فناوشه هؤلاء الخوارج، فبلغ ذلك معاوية فوجّه بسر بن أرطاة فتوافقوا وتراضوا بعد الحرب بأن يصلّي بالناس رجل من بني شيبة لئلا يفوت الناس الحج، فلما انقضى الحجّ قالت الخوارج إنّ علياً ومعاوية أفسدا الأمر[1].

والأصل في الجميع واحد، ولا تنافي فمكة لا ريب أنّها كانت بيده عليه السلام وعاملها من قبله، ولما بعث معاوية من يقيم للناس حجّهم وكان جمع من الخوارج شهدوا الموسم للحج لابدّ أنّهم يناوشون من جاء من قبل معاوية مع عامله عليه السلام وإن لم يكن لهم عقيدة به عليه السلام أيضاً.

«العمى القلوب» قال تعالى ﴿... فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾[2].

وفي (معارف ابن قتيبة): كان ابن عباس وأبوه وجدّه مكافيف، ولذلك قال له معاوية: أنتم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم. فقال له ابن عباس: وانتم يا بني أُمية تصابون في بصائركم[3].

«الصم الأسماع» وصمّ الأسماع أشدّ من صمّ الآذان كعمي القلوب والأعين.

---

(١) الكامل، للمبرّد ٣: ٩٢٥ ـ ٩٢٦.

(٢) الحج: ٤٦.

(٣) معارف ابن قتيبة: ٥٨٩.

«الكمه» جمع الأكمه الذي يولد أعمى.

«الأبصار» أرادعليه السلام عدم استعداد بصائرهم للحق كالأكمه، قال تعالى ﴿...لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعينٌ لا يبصرون بها ولهم آذانٌ لا يسمعون بها أُولئك كالأنعام بل هم أضل ...﴾[١].

«الذين يلتمسون» هكذا في (المصرية)[٢] والصواب: «يلبسون» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)[٣].

«الحق بالباطل» والأصل فيه قوله تعالى ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾[٤].

«ويطيعون المخلوق في معصية الخالق» في (المروج): سأل معاوية صعصعة عن قبائل مضر وربيعة، فأجابه ثم سكت معاوية فقال له صعصعة: سل وإلّا أخبرتك بما تحيد عنه. قال معاوية: وما ذاك؟ قال صعصعة: أهل الشام. قال، فأخبرني عنهم. فقال صعصعة: هم أطوع الناس للمخلوق وأعصاهم للخالق، عصاة الجبّار وخلفة الأشرار، فعليهم الدمار ولهم سوء الدار[٥].

«ويحتلبون الدُّنيا درّها بالدين» في (صفين نصر): أنّهعليه السلام لمّا أراد المسير إلى الشام استشار أصحابه، فقام هاشم المرقال وقال: إنّا بالقوم خبير، هم لك ولأشياعك أعداء، وهم لمن يطلب حرث الدّنيا أولياء، وهم مقاتلوك لا يبقون جهداً مشاحة على الدّنيا وضنّاً بما في أيديهم منها، وليس

---

(١) الاعراف: ١٧٩.

(٢) الطبعة المصرية: ٥٧٣، شرح محمد عبده.

(٣) شرح نهج البلغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٣٨، وذكر رواية يلتمسون أيضاً.

(٤) البقرة : ٤٢.

(٥) مروج الذهب ٣: ٤١.

لهم إربة غيرها الا ما يخدعون به الجهّال من الطلب بدم عثمان، كذبوا ليسوا بدمه يثأرون، ولكن الدّنيا يطلبون، وأين معاوية والدين[١].

وفي (مقاتل أبي الفرج): قال سعيد بن سويد: صلّى بنا معاوية بالنخيلة الجمعة ثم خطب فقال: إنّي والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزّكوا إنّكم لتفعلون ذلك، إنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون. قال شريك في حديثه هذا هو التهتك[٢].

«ويشترون عاجلها بآجل الأبرار والمتقين» هكذا في (المصرية)[٣] والصواب ما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم): «المتقين»[٤] في (صفين نصر) بعد ذكر قصّة معاهدة عمرو بن العاص مع معاوية في مساعدته له عليه عليه السلام على أن يعطيه مصر فقبل منه وأعطاه مصر، فغضب مروان وقال: ما بالي لا أشتري كما اشترى عمرو[٥].

وفي (الاستيعاب): أعطى معاوية في وفد تميم عليه الحتات المجاشعي وجارية بن قدامة والأحنف بن قيس وأعطاهما أكثر، فقال له الحتات: لِمَ فضّلتهما عليّ ـ وكانا شيعيين وكان أُموياً ـ قال: اشتريت منهما دينهما. قال: فاشتر مني ديني[٦].

«ولن يفوز بالخير إلّا عامله ولا يجزى جزاء الشرّ إلّا فاعله» ﴿فمن يعمل

---

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ١٠٣ طبع القاهرة.

(٢) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني: ٤٥.

(٣) الطبعة المصرية: ٥٧٣.

(٤) ابن ابي الحديد ١٦: ١٣٨، وابن ميثم ٥: ٧٢، الرواية ٣٣.

(٥) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٤٢.

(٦) الاستيعاب لابن عبد البر ١: ١٥٤، ترجمة حتات بن يزيد بن علقمة.

مثقال ذرّة خيراً يره* ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره﴾[١].

«**فأقم على ما في يديك قيام الحازم الصليب والناصح اللبيب والتابع**» هكذا في (المصرية)[٢] والصواب: «التابع» كما في (ابن أبي الحديد: و ابن ميثم).

«**لسلطانه والمطيع لإمامه**»[٣] قد عرفت أنّه نازع يزيد بن شجرة الذي بعثه معاوية حتى اصطلحا على شيبة، والظاهر أنّه لم يكن قادراً على إخراجه لضعف جنده.

«**وإيّاك وما يعتذر منه**» قال ابن أبي الحديد يقال: ما شيء أشدّ على الإنسان من حمل المروة، والمروة ألا يعمل الإنسان في غيبة صاحبه ما يعتذر منه عند حضوره[٤].

وفي (العقد): قال أبو عبيدة: ما اعتذر أحد من الفرارين بأحسن مما اعتذر به الحارث بن هشام حيث يقول:

والله يعلم ما تركت قتالهم ... حتى رموا مُهري بأشقر مزبد

فصدفتُ عنهم والأحبّة فيهم ... طمعاً لهم بعقاب يوم مُرصدِ

وهذا الذي سمعه صاحب رتبيل فقال: يا معشر العرب حسّنتم كلّ شيء فحش حتى الفرار[٥].

«**ولا تكن عند النعماء بطراً ولا عند البأساء فشلاً**» قال ابن أبي الحديد قال الشاعر:

فلست بمفراح إذا الدهر سرّني ... ولا جازع من صرفه المتقلّب

---

(١) الزلزلة : ٧ ـ ٨.

(٢) الطبعة المصرية: ٥٧٣.

(٣) ابن ابي الحديد ١٦: ١٣٨، وابن ميثم شرح نهج البلاغة ٥: ٧٢.

(٤) ابن ابي الحديد ١٦: ١٣٩.

(٥) العقد الفريد لابن عبد ربه ١ : ١٤٠.

ولا أتـمنى الشـرّ والشـرّ تـاركي ولكن متى أحمل على الشر أركب[١]

قلت: الأصل في قوله عليه السلام قوله تعالى ﴿إنّ الإنسـان خـلق هـلوعاً* إذا مسّه الشرّ جزوعاً* وإذا مسّه الخير منوعاً* إلّا المصلّين* الذيـن هـم عـلى صلاتهم دائمون﴾[٢].

١٥
الكتاب (٤)

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض أُمراء جيشه:

فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ ٱلطَّاعَةِ فَذَلكَ ٱلَّذِي نُحِبُّ، وَإِنْ تَـوَافَتِ ٱلْأُمُـورُ بِالْقَوْمِ إِلَى ٱلشِّقَاقِ وَٱلعِصْيَانِ فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَـاعَك إِلَـى مَـنْ عَـصَاكَ وَاسْتَغْنِ بِمَنِ ٱنْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ، فَإِنَّ ٱلمُتَكَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ.

أقول: قال ابن ميثم روي أنّ الأمير الذي كتب إليه عليه السلام هـو عـثمان بـن حنيف عامله على البصرة، وذلك حين انتهت أصحاب الجمل إليـها وعـزموا على الحرب، فكـتب عـثمان إليـه عليه السلام يـخبره بـحالهم، فكـتب عليه السلام إليـه هـذا الكتاب[٣].

قلت: لم يأت لما قال بمستند، فان رأى رواية وإن كان قاله حدساً فـهو كما ترى، فابن حنيف لم يكن من أُمراء جيشه حتى يقول المصنف «إلى بعض امراء جيشه» بل عامله على البصرة، ولم ينقل أنّه عليه السلام كتب إليه بحربهم قبل وصوله عليه السلام، وإنما ورد مضمونه في كتابه إلى قيس بن سـعد مـع عـثماني

(١) ابن ابي الحديد ١٦: ١٣٩.

(٢) المعارج: ١٩ ـ ٢٣.

(٣) شرح ابن ميثم ٥: ٣٤٩ الرواية (٤).

مصر، ففي (الطبري): أن قيساً كتب من مصر إليهعليه السلام : إنّ قبله رجالاً معتزلين سألوه أن يكفّ عنهم وأنّه رأى ألّا يتعجّل حربهم وأن يتألّفهم، فكتبعليه السلام إليه: سر إلى القوم الذين ذكرت، فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون وإلّا فناجزهم...[1].

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي): فصل: ومن كتاب كتبه إلى بعض أُمراء جيشه في قوم كانوا قد شردوا عن الطاعة وفارقوا الجماعة، رواه الشعبي عن ابن عباس: سلام عليك أما بعد، فإن عادت هذه الشرذمة إلى الطاعة فذلك الذي أوثره، وإن تمادى بهم العصيان إلى الشقاق فانهد بمن أطاعك إلى من عصاك واستعن بمن انقاد معك على من تقاعس عنك، فإنّ المتكاره مغيبه خير من حضوره وعدمه خير من وجوده وقعوده أغنى من نهوضه[2].

«فإن عادوا إلى ظلّ الطاعة فذاك الذي نحبّ» فإنّ الأنبياء والأوصياءعليهم السلام إنّما يحبّون هداية الخلق لنجاتهم، وقولهعليه السلام «ظل الطاعة» استعارة لطيفة، فطاعة الوالي كالظلّ توجب الراحة، ومخالفته كالحرور توجب المشقّة.

«وإن توافت الأُمور» أي: تتامت.

«بالقوم إلى الشقاق» والأصل في الشقاق نزول الخصم في شق غير شقّك.

«والعصيان فانهد» أي: انهض من (ينهد) بالفتح.

«بمن أطاعك إلى من عصاك واستعن بمن انقاد معك عمّن تقاعس» أي: تأخّر.

«عنك فإنّ المتكاره مغيبه خير من مشهده» قال تعالى في المنافقين الذين

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٥٤.

(٢) التذكرة لسبط بن الجوزي: ١٦٦.

كانوا متكارهين عن الخروج مع النبي صلّى الله عليه وآله إلى الجهاد ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلّا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة ...﴾[1].

«وقعوده أغنى من نهوضه» أي: قيامه، وأكثر انهزام العساكر في الأغلب من شهود المتكارهين.

١٦
الحكمة (٨٦)

وقال عليه السلام:

رأيُ الشيخِ أَحبُّ إِلَيَّ من جَلَدِ الغُلامِ.

وروي من مَشهَدِ الغُلامِ.

أقول: ورواه الجاحظ في (بيانه): «رأي الشيخ أحبّ إليّ من جلد الشاب»[2].

وفي (العقد الفريد): وقع علي عليه السلام في كتاب جاءه من الحسن بن علي عليهما السلام: رأي الشيخ خير من جلد الغلام[3].

«رأي الشيخ أحبّ إليّ من جلد» بفتحتين، أي الشدّة والضرب بالسيف.

«الغلام» فإنّ رأي الشيخ في الظفر يمكن أن يكون أشدّ تأثيراً من قوّة ألف غلام.

وفي (الطبري): حضر مع هوازن في غزوة حنين دريد بن الصمة وكان شيخاً كبيراً ليس فيه شيء إلّا معرفته بالحرب ولرأيه ـ إلى أن قال ـ فلما نزلوا بأوطاس قال لمالك بن عوف رئيس القوم: إنّك قد أصبحت رئيس قومك وإنّ

---

(١) التوبة: ٤٧.

(٢) البيان والتبيين ٢: ١٤.

(٣) العقد الفريد ٤: ٢٠٦، وفي بعض النسخ «مشهد» بدل «جلد» كذا في نسخة التحقيق.

هذا يوم له ما بعده، مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير ويعار الشاء وبكاء الصغير. قال: سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم. قال: لِمَ؟ قال: ليقاتل كلّ رجل عن أهله وماله. قال: هل يردّ المنهزم شيء، إنّها إن كانت لك لم ينفعك إلّا رجل بسيفه ورمحه وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك، ارفعهم إلى متمنع بلادهم وعليا قومهم ثم الق الشبّان على متون الخيل فإن كانت لك لَحِقَ بك من وراءك، وإن كانت عليك كفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك. قال: لا أفعل إنّك قد كبرت وكبر علمك وقال لقومه: لتطيعنني أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري.

وكره أن يكون لدريد فيها ذكر ورأي. فقال دريد: هذا يوم لم أشهده ولم يفتني ... وكان صواب الرأي ما قال دريد[1].

وفي (الكامل) للمبرد: قال المهلب ما يسرّني أنّ في عسكري ألف شجاع بدل بيهس بن صهيب، فيقال له: أيّها الأمير بيهس ليس بشجاع. فيقول: أجل ولكنّه سديد الرأي محكم العقل، وذو الرأي حذر سؤول، فأنا آمن أن يغتفل، فلو كان مكانه ألف شجاع قلت إنّهم يتشأمون حتى يحتاطون[2].

وكان المهلب شيخاً ذا رأي متين، فلولا تدابيره في حرب الخوارج لخربوا البصرة وقتلوا رجالها وسبوا نساءها ولمّا أرجفوا بأنّ المهلب قتل يوم سلى وسلبرى وهم أهل البصرة بالنقلة إلى البادية ثم ورد كتابه بظفره فأقام الناس وتراجع من ذهب منهم قال الأحنف: البصرة بصرة المهلب، بل لولاه لغلبوا على جميع العراق الكوفة وغيرها، ولذا قال الحجاج لأهل الكوفة بعد ظفر المهلب بالخوارج: أنتم عبيد المهلب.

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٣٤٤.

(٢) الكامل، للمبرّد ٣: ١١٣١.

وكانت الخوارج تسمّيه الساحر، لأنّهم كانوا يدبّرون أمراً فيجدونه سبقهم إلى نقضه، وتمثّل كل من قطري رئيس الخوارج والحجاج في شأن المهلب بأبيات لقيط الأيادي:

ما زال يحلب هذا الدهر أشطره يكون متبعاً طوراً ومتبعا
حتى استمرت على شزر سريرته مستحكم الرأي لا قحماً ولا ضرعا

ومن آرائه في التدبير على الخوارج: أنّ رجلاً حداداً من الأزارقة كان يعمل نصالاً مسمومة فيرمي بها أصحاب المهلب، فرفع ذلك إليه فقال: أنا أكفيكموه، فوجّه رجلاً من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكر قطري فقال: الق هذا الكتاب في عسكره واحذر على نفسك ففعل، وكان في الكتاب «أما بعد، فإنّ نصالك قد وصلت إليّ وقد وجهت إليك بألف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال» فوقع الكتاب والدراهم إلى قطري فدعا بالرجل فقال: ما هذا الكتاب؟ قال: لا أدري. قال: فهذه الدراهم؟ قال: ما أعلم. فأمر به فقتل، فجاءه عبد ربه الصغير مولى بني قيس بن ثعلبة فقال له: أقتلت رجلاً على غير ثقة ولا تبيّن. فقال له: ما حال هذه الدراهم؟ فقال: يجوز أن يكون أمرها كذباً ويجوز أن يكون حقّاً. فقال له قطري: قتل رجل في صلاح الناس غير منكر، وللامام أن يحكم بما رآه صالحاً، وليس للرعية أن تعترض عليه. فتنكر له عبد ربه وجماعة ولم يفارقوه.

فبلغ ذلك المهلب فدسّ إليه رجلاً نصرانياً فقال له: إذا رأيت قطرياً فاسجد له، فإذا نهاك فقل سجدت لك. ففعل فقال له قطري: إنّما السجود لله. فقال له: ما سجدت إلّا لك. فقال له رجل من الخوارج: ﴿إنّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنّم أنتم لها واردون﴾[1] فقال قطري: إنّ هؤلاء النصارى قد

---

(١) الأنبياء: ٩٨.

عبدوا عيسى ابن مريم فما ضرّ ذلك عيسى شيئاً. فقام رجل من الخوارج إلى النصراني، فقتله، فأنكر ذلك عليه قطري وقال: أقتلت ذمّياً؟ فاختلفت الكلمة، فبلغ ذلك المهلب. فوجّه إليهم رجلاً يسألهم عن شيء تقدم بـه إليـه، فأتـاهم الرجل فقال: أرأيتم رجلين خرجا مهاجرين إليكم فمات أحدهما في الطـريق وبلغكم الآخر فامتحنتموه فلم يجز المحنة. فقال بعضهم: أمّا الميت فمؤمن من أهل الجنّة وأمّا الآخر الذي لم يجز المحنة فكافر حتى يجيزها. وقال قوم آخرون: بل هما كافران حتى يجيزا المحنة، فكثر الاختلاف، فخرج قطري إلى حدود اصطخر فأقام شهراً والقوم في اختلافهم[١].

ومن أمثالهم «زاحم بعود أودع» والعود المسن من الإبل والشاء، قال الكرماني في (أمثاله)[٢]: أي لا تستعن إلّا بأهل السن والتجربة في الأُمور.

وقال الشاعر :

حنى الشيب ظهري فاستمرت عـزيمتي
ولولا انحناء القـوس لم يـنفذ السـهم[٣]

وقال ابن المعتز :

وما ينتقص من شباب الرجـال يـزد فـي نُـهاها وألبـابها[٤]

وقال البحتري في خضر بن أحمد :

ومصيب مفاصل الرأي ان حـارب كـانت آراؤه مـن جـنوده[٥]

وقال المتنبي كما في (ابن أبي الحديد):

(١) ذكر وقعة المهلب ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة ٤: ١٩٥ ـ ١٩٧.

(٢) الأمثال للميداني ١ : ٣٣٣.

(٣) نهج ٢٠ : ١٩١ .

(٤) ديوان ابن المعتز : ٣١ .

(٥) البحتري ٢ : ١٦٧ .

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أوّل وهي المحلّ الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفس مرّة بلغت من العلياء كلّ مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه بالرأي قبل تطاعن الأقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان[١]

قول المصنّف: «وروي» هكذا في (المصرية[٢] و ابن ميثم) ولكن في (ابن أبي الحديد)[٣] «ويروى».

«من مشهد الغلام» قد عرفت أنّ الجاحظ رواه «من جلد الشاب».

وكيف كان فنظير قوله عليه السلام هذا قوله «وصول مقل خير من جاف مكثر».

هذا، وكما أنّ رأي الشيخ خير من جلد الشاب، قالوا: قضاء الحوائج عند الشبّان أسرع منها عند الشيوخ.

وفي (عيون ابن قتيبة): قال عثمان بن عطا: قضاء الحوائج عند الشباب أسهل منها عند الشيوخ، ثم قرأ شاهداً قول يوسف لإخوته ﴿... لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ...﴾[٤] وقول يعقوب لهم ﴿... سوف استغفر لكم ربّي إنّه هو الغفور الرحيم﴾[٥] [٦].

قال البحتري في محمد بن يوسف:

علم الروم أنّ غزوك ما كان عقاباً لهم ولكن فناء

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ٢٣٧، و ٢٠: ٤٣.
(٢) الطبعة المصرية: ٦٧٥ رواية ٨٦، ابن ميثم شرح نهج البلاغة ٥: ٢٨٤ حكمة ٧٨.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ١٨: ٢٣٧ رواية ٧٣.
(٤) يوسف: ٩٢.
(٥) يوسف: ٩٨.
(٦) عيون الأخبار ٣: ١٣٤.

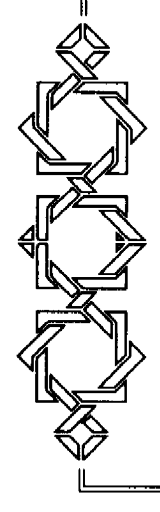
بسـبـاء سـقاهم البـين صـرفاً وبـقتل نسـوا لديـه السـباء
يـوم فـرّقت مـن كـتائب آرائك جـنداً لا يأخـذون عـطاء
بين حزب يـفلق الهـام انـصافاً وطـعن يـفرج الغـماء
وبود العدو لو تضعف الجـيش عـليهم وتـصرف الآراء[1]

(١) ديوان البحتري ٢ : ٣٠١.



الفصل التاسع والاربعون

في ذمّ أهل الشام
ومدح أهل الكوفة





ذكر في (١١) من فصل أخباره عليه السلام بالغيوب ذمّ البصرة وأهلها، وكذلك في ١٢ / منه وفي (١٤) منه مدح الكوفة وأهلها وفي (١٢) من فصل عثمان مدح أهلها.

١
الخطبة (٢٣٦)

ومن خطبة له عليه السلام في شأن الحكمين وذم أهل الشام:

جُفَاةٌ طَغَامٌ عَبِيدٌ أَقْزَامٌ، جُمِّعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّبَ وَيُوَلَّى عَلَيْهِ وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ، لَيْسُوا مِنَ المهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ تَبَوَّءُوا ٱلدَّارَ وَٱلْايمَانَ، أَلَا وَإِنَّ القَوْمَ ٱخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ ٱلْقَوْمِ مِمَّا يُحِبُّونَ، وَإِنَّكُمُ ٱخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَقْرَبَ ٱلْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ، وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ: إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ، فَإِنْ كَانَ صَادِقاً فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ، وَإِنْ كَانَ

كَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ ٱلتُّهْمَةُ، فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِو بنِ ٱلْعَاصِ بِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْعَبَّاسِ، وَخُذُوا مَهلَ ٱلْأَيَّامِ وَحُوطُوا قَوَاصِيَ ٱلْإِسْلاَمِ، أَلَا تَرَوْنَ إِلَى بِلاَدِكُمْ تُغْزَى وَإِلَى صَفَاتِكُمْ تُرْمَى.

أقول: روى صدره ابن قتيبة في (خلفائه)[١] والكليني في (رسائله)[٢] والثقفي في كتابه، ففي الأول: إنّ حجر بن عدي وعمرو بن الحمق وغيرهما قاموا إلى علي عليه السلام[٣] وقالوا: بيّن لنا قولك في أبي بكر وعمر وعثمان. فقال علي عليه السلام: أوقد تفرغتم لهذا وهذه مصر قد افتتحت وشيعتي فيها قد قتلت، إنّي مخرج إليكم كتاباً أُنبئكم فيه ما سألتموني عنه ـ إلى أن قال في كتابه عليه السلام بعد ذكر الثلاثة وطلحة والزبير ـ ثم نظرت بعد ذلك في أهل الشام فإذا هم أعراب وأحزاب، وأهل طمع جفاة تجمّعوا من كلّ أوب ممّن كان ينبغي أن يؤدَّب ويولّى عليه ويؤخذ على يديه، ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار والتابعين بإحسان.

وفي الثاني: نظرتُ إلى أهل الشام فإذا هم بقية الأحزاب وذئاب طمع ممن ينبغي له أن يؤدَّب ويُحْمَل على السنّة، ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار ولا التابعين بإحسان، فدعوتهم إلى الطاعة والجماعة فأبوا إلّا فراقي وشقاقي، ثم نهضوا في وجه المسلمين ينضحونهم بالنبل ويشجرونهم بالرماح ... .

وفي الثالث: ثم إنّي نظرت في أمر أهل الشام فإذا أعراب أحزاب وأهل طمع جفاة طغاة، يجتمعون من كلّ أوب ممّن كان ينبغي أن يؤدَّب ويولّى عليه ويؤخذ على يديه، ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار ولا التابعين بإحسان،

---

(١) الخلفاء لابن قتيبة: ١٥٤.

(٢) لا وجود لكتاب رسائل الائمة للكليني، وقد نقل العلامة الكليني رسائل للائمة سنداً لهذا الكتاب عن طريق السيد ابن طاووس في كتاب كشف المحجة: راجع ٥٠: ١٥٥ في بحار الأنوار.

(٣) كتاب الثقفي.

فسرت إليهم ... .

قول المصنّف: «ومن خطبة له عليه السلام» حكم بكون الكلام من خطبته عليه السلام الأخير، وأما الأوّلان وإن ذكرا تفصيلاً بأنّهم سألوه عن الثلاثة فكتب لهم كتاباً منه ما مر، إلّا أنّ في الثاني أنّ عبيدالله بن أبي رافع خطب بكتابه عليه السلام . وبالجملة هو من خطبة له عليه السلام إلّا أنّه كتبها ليقرأها على الناس بعض أصحابه لمقام ذمه للمتقدّمين.

«في شأن الحكمين وذمّ أهل الشام» ليس في تلك الخطبة ما نقله من قوله «ألا ...» في الحكمين، فلابدّ أنّه نقله من موضع آخر وجمعه مع ذاك الكلام بالمناسبة.

وفي (اشتقاق أبي بكر الأنباري): قال أهل الأثر: سميت الشام شاماً لأنّ قوماً من كنعان بن حام خرجوا عند التفريق فتشاموا إليها أي أخذوا ذات الشمال.

قوله عليه السلام «جفاة» أي: أهل الجفاء.

«طغام» أي: أوغاد ورذال.

«عبيد أقزام» أي: سفلة، قال الشاعر :

حصنوا أُمّهم من عبدهم   تلك أفعال القزام الوكعة[1]

«جُمعوا من كلّ أوب» أي: ناحية. لما استولى يزيد بن المهلب على البصرة في خلعه يزيد بن عبد الملك وجاءه مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد في جنود أهل الشام لحربه قال: أتياكم في برابرة وصقالبة وجرامقة وأقباط وأنباط وأخلاط، أقبل إليكم الفلاحون والأوباش كأشلاء اللحم.

وفي (لطائف الثعالبي): إنّ أهل الشام مخصوصون من جميع البلدان

---

(١) لسان العرب ١٥ : ٣٨٥.

طاعة السلطان، ويقال: إنّ «الطّائين» من خصائص الشام - يعني الطاعة والطاعون - ولم تزل الشام كثير الطواعين حتى صارت تواريخ، ومنها كانت تمتدّ إلى العراق وغيرها[١].

«وتلقطوا» أي: أُخذوا، وفي (الصحاح): تلقط فلان التمر أي التقطه من هنا وهنا، والألقاط من الناس: القليل المتفرقون[٢].

«من كل شوب» أي: خلط، قال الشاعر:

من معشر كحلت باللؤم أعينهم ... قفر الأكف لئام غير صياب

[وقال آخر:]

إن ينتسب ينسب إلى عرق ورب ... أهل خزومات وشحاح وصخب[٣]

وقال آخر:

أبيت أهوى في شياطين ترن ... مختلف نجراهم حن وجن

هذا، وفي (المعجم): طلب المنصور رجالاً يجعلهم بوّابين له، فقيل له: لا يضبطهم إلّا قوم لئام الأُصول أنذال النفوس صلّاب الوجوه ولا تجدهم إلّا في رقيق اليمامة. فاشتري له مائتا غلام[٤].

في (تفسير القمي): قيل لأمير المؤمنين عليه السلام معاوية في مائة ألف من أهل الشام. فقال عليه السلام: لا تقولوا من أهل الشام ولكن قولوا من الشؤم، هم من أبناء مصر لعنوا على لسان داود عليه السلام فجعل منهم القردة والخنازير[٥].

وفي (صفين نصر): حرّض علي عليه السلام الناس لقتال أهل الشام فقال:

---

(١) لا وجود له في الظرائف واللطائف ولا في مخطوطة اللطائف للثعالي.

(٢) الصحاح ٢: ١١٥٧ ـ ١١٥٨ مادة (لقط).

(٣) لسان العرب ١١: ٢٥٢.

(٤) لا وجود له في المعجم.

(٥) تفسير القمي ٢: ٢٦٨.

سيروا إلى أعداء السنن والقرآن، سيروا إلى بقية الأحزاب وقتلة المهاجرين والأنصار. فقام أربد الفزاري فقال: أتريد أن تسير بنا إلى إخواننا من أهل الشام فنقتلهم لك كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقتلناهم كلا. فقام الأشتر وقال: من لهذا؟ فهرب فلحق في مكان من السوق تباع فيه البراذين، فوطؤوه بأرجلهم وضربوه بأيديهم ونعالهم حتى قُتل. فقال علي عليه السلام: قتيل عمية، لا يُدرى من قتله، ديته من بيت المال. فقال علاقة التيمي:

أعوذ بربي أن تكون منيتي ... كما مات في سوق البراذين أربد

تعاوره همدان خفق نعالهم ... إذا رفعت عنه يد وُضعت يد[1]

وفي (صفين نصر): لما كتبت صحيفة الصلح في التحكيم بين علي عليه السلام ومعاوية وأهل الشام، قيل لعلي عليه السلام: أتقرّ أنّهم مؤمنون مسلمون؟ فقال: ما أقرّ لمعاوية ولا لأصحابه أنّهم مؤمنون ولا مسلمون ولكن يكتب معاوية ما شاء[2].

وفي (الاستيعاب): قام عبدالله بن بديل يوم صفين فقال: ألا إنّ معاوية ادّعى ما ليس له ونازع الأمر أهله وجادل بالباطل ليدحض به الحق وصال عليكم بالأحزاب والأعراب وزيّن لهم الضلالة وزرع في قلوبهم حبّ الفتنة ولبّس عليهم الأمر، وأنتم والله على الحق على نور من ربكم، فقاتلوا الطغاة الجفاة، قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم ويشف صدور قومٍ مؤمنين، قاتلوا الفئة الباغية الذين نازعوا الأمر أهله وقد قاتلتموهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فوالله ما هم في هذه بأزكى ولا أتقى ولا أبرّ[3].

---

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٩٤.

(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٥٠٩.

(٣) الاستيعاب، لابن عبد البر ١: ٣٥١ في ترجمة عبدالله بن بديل.

وفي (مروج المسعودي): دخل صعصعة على معاوية فقال له معاوية: يابن صوحان إنّك لذو معرفة بالعرب وبحالها. فسأله عن أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل الحجاز، ثم أمسك معاوية فقال له صعصعة: سل يا معاوية وإلّا أخبرتك بما تحيد عنه. قال: وما ذاك يابن صوحان؟ قال: أهل الشام. قال: فأخبرني عنهم. قال: أطوع الناس لمخلوق وأعصاهم للخالق، عصاة الجبّار وخلفة الأشرار، فعليهم الدمار ولهم سوء الدار. فقال معاوية: يابن صوحان إنّك لحامل مديتك منذ أزمان، ولكن حلم ابن أبي سفيان يردّ عنك. فقال صعصعة: بل أمر الله وقدره، إنّ أمر الله كان قدراً مقدوراً[١].

وفي (الطبري): لما خلع يزيد بن المهلب يزيد بن عبد الملك وخرج بالبصرة مرّ الحسن البصري على الناس وقد اصطفوا ونصبوا الرايات والرماح ينتظرون خروج ابن المهلب ويقولون إنّه يدعونا إلى سنّة العمرين. فقال الحسن: إنّما كان ابن المهلب بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون ثم يسرح بها إلى بني مروان يريد رضاهم، فلما غضب غضبة نصب قصباً ثم وضع عليها خرقاً وقال: إنّي خالفتهم فخالفوهم، فقال له ناس من أصحابه: والله لكأنّك راض عن أهل الشام. فقال: أنا راض عن أهل الشام قبّحهم الله وبرحهم، أليس هم الذين أحلّوا حرم الرسول، يقتلون أهله ثلاثة أيام وثلاث ليال، قد أباحوهم لأنباطهم وأقباطهم، يحملون الحرائر ذوات الدين، لا ينتهون عن انتهاك حرمه، ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام فهدموا الكعبة وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارها، عليهم لعنة الله وسوء الدار[٢].

«**ممّن ينبغي أن يُفقَّه**» في (رحلة ابن بطوطة): نزلت في خارج مدينة

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٤٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٨٠، نسخة دار الكتب العلمية.

(صور) من بلاد الشام على قرية معمورة على بعض المياه أُريد الوضوء، فأتى بعض أهل تلك القرية فبدأ يغسل رجليه ثم غسل وجهه، فأخذت عليه في فعله فقال: إنّ البناء انما ابتدأه من الأساس(١).

«**ويؤدَّب ويعلم ويدرب**» أي: يعوَّد.

«**ويولَّى عليه ويؤخذ على يديه**» في (المروج): دخل رجل من أهل الكوفة في منصرفهم عن صفين على بعير له إلى دمشق، فتعلّق به رجل منهم فقال: هذه ناقتي أُخذت مني بصفين. فارتفع أمرهما إلى معاوية، فأقام الدمشقي خمسين رجلاً بيّنة يشهدون أنّها ناقته، فقضى معاوية على الكوفي وأمره بتسليم البعير إليه. فقال الكوفي: إنّه جمل وليس بناقة. فقال معاوية: هذا حكم قد مضى. ودسّ إلى الكوفي بعد تفرّقهم فأحضره وسأله عن ثمن بعيره، فدفع إليه ضعفه وبرّه وأحسن إليه وقال له: أبلغ علياً أنّي أُقابله بمائة ألف ما فيهم من يفرّق بين الناقة والجمل.

ولقد بلغ من طاعتهم له أنّه صلّى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة في يوم الأربعاء، وأعاروه رؤوسهم عند القتال وحملوه بها، وركنوا إلى قول عمرو بن العاص أنّ علياً هو الذي قتل عمّار بن ياسر حين أخرجه لنصرته ثم ارتقى بهم الأمر في طاعته إلى أن جعلوا لعن علي عليه السلام سنّة ينشأ عليها الصغير ويهلك الكبير(٢).

وذكر بعض الأخباريين أنّه قال لرجل من زعماء أهل الشام وأهل الرأي والعقل منهم: من أبو تراب هذا الذي يلعنه الإمام على المنبر؟ قال: أراه لصّاً

(١) رحلة ابن بطوطة: ٣٥.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٣١.

من لصوص الفتن(١).

وفيه : وقد كان عبدالله بن علي حين خرج في طلب مروان إلى الشام وجّه إلى السفاح أشياخاً من أهل الشام من أرباب النعم والرئاسة، فحلفوا للسفاح أنّهم ما علموا للنبيّ صلى الله عليه وآله قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بني أُمية حتى وُلّيتم الخلافة(٢).

وفيه: لما أرسل عبد الملك الحجاج لقتال ابن الزبير بمكّة أقام بالطائف شهوراً ثم زحف إلى مكّة فحاصر ابن الزبير بها وكتب إلى عبد الملك أنّي قد ظفرت بأبي قبيس، فلما ورد كتابه على عبد الملك كبر عبد الملك فكبّر من في داره واتصل التكبير بمن في جامع دمشق فكبّروا واتصل ذلك بأهل الأسواق، ثم سألوا عن الخبر فقيل لهم: إنّ الحجاج حاصر ابن الزبير بمكة وظفر بأبي قبيس. فقالوا: لا نرضى حتى يحمل أبا قبيس الترابي الملعون إلينا مكبّلاً على رأسه برنس على جمل يمرّ بنا في الأسواق(٣).

وفي (الطبري) ـ بعد ذكر قتل عمّار في صفين ـ قال أبو عبدالرحمن السلمي: فلما كان الليل قلت: لأدخلن إلى أهل الشام حتى أعلم هل بلغ منهم قتل عمّار ما بلغ منّا وكنّا إذا توادعنا من القتال تحدّثوا إلينا وتحدّثنا إليهم، فركبت فرسي ثم دخلت فإذا أنا بأربعة معاوية وأبو الأعور السلمي وعمرو بن العاص وابنه عبدالله بن عمرو ـ وهو خير الأربعة ـ يتسايرون، فأدخلت فرسي بينهم مخافة أن يفوتني ما يقول أحد الشقين. فقال عبدالله لأبيه: يا أبه قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا وقد قال فيه النبيّ صلى الله عليه وآله ما قال. قال: وما قال؟

(١) مروج الذهب ٣: ٤١ ـ ٤٢، دار المعرفة.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٣٣.

(٣) مروج الذهب ٣: ١٢٠، دار المعرفة.

قال: ألم تكن معنا ونحن نبني المسجد والناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة وعمّار ينقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين فغشي عليه فأتاه النبيّ ﷺ يمسح التراب عن وجهه ويقول: ويحك يابن سمية. الناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة وأنت تنقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين رغبة منك في الأجر، وأنت ويحك مع ذلك تقتلك الفئة الباغية، فدفع عمرو بن العاص صدر فرسه ثم جذب معاوية إليه فقال: يا معاوية أما تسمع ما يقول عبدالله؟ قال: وما يقول؟ فأخبره الخبر فقال معاوية: انّك شيخ أخرق ولا تزال تحدّث الحديث وأنت تدحض في قولك، أونحن قتلنا عمّاراً، انّما قتل عمّاراً من جاء به. قال أبو عبد الرحمن السلمي: فما أدري من كان أعجب هو أو هم[1].

وفي (المروج): قال المستكفي العباسي: ذكروا أنّ الحجاج كان قد اجتبى قوماً من أهل العراق وجد عندهم من الكفاية ما لم يجد عند مختصّيه من أهل الشام فشقّ ذلك عليهم وتكلّموا فيه، فبلغ إليه كلامهم فركب في جماعة من الفريقين وأوغل بهم في الصحراء، فلاح لهم من بعد قطار إبل، فدعا برجل من أهل الشام فقال له: امض فاعرف ما هذه الأشباح واستقص أمرها. فلم يلبث أن جاء وأخبره أنّها إبل، فقال: أمحمّلة هي أم غير محمّلة؟ قال: لا أدري ولكن أعود وأتعرّف ذلك ـ وقد كان الحجاج أتبعه برجل من أهل العراق وأمره بمثل ما كان أمر الشامي ـ فلما رجع العراقي أقبل عليه الحجاج ـ وأهل الشام يسمعون ـ فقال: ما هي؟ قال: إبل. قال: وكم عددها؟ قال: ثلاثون. قال: وما تحمل؟ قال: زيتاً. قال: ومن أين صدرت؟ قال: من موضع كذا. قال: ومن ربّها؟ قال: فلان. فالتفت إلى أهل الشام فقال:

---

(١) تاريخ الامم ٤: ٣٨.

ألأم على عمرو ولو مات أو نأى لقلّ الذي يُغني غناءك يا عمرو[1]

وفي (عيون ابن قتيبة): مات رجل من جند أهل الشام، فحضر الحجاج جنازته ـ وكان عظيم القدر فصلّى وجلس على قبره ـ وقال: لينزل قبره بعض إخوانه، فنزل نفر منهم فقال أحدهم ـ وهو يسوّي عليه ـ أرحمك الله أبا فلان إن كان ما علمتك لتجيد الغناء وتسرع إلى ربّ الكأس، ولقد وقعت موقع سوء لاتخرج منه إلى الدكة. فما تمالك الحجاج أن ضحك فأكثر ـ وكان لا يكثر الضحك في جد ولا هزل ـ ثم قال له: لا أُم لك هذا موضع هذا؟ قال: أصلح الله الأمير فرسي:

حبيس لو سمعه يتغنى يا لبيني أوقدي النارا

لانتشر الأمير على سعنه ـ وكان الميت يلقب سعنه وكان من أوحش خلق الله صورة ـ فقال الحجاج: إنّا لله، أخرجوه عن القبر. ثم قال: ما أبين حجّة أهل العراق في جهلكم يا أهل الشام، ولم يبق أحد حضر القبر إلّا استفرغ ضحكاً[2].

هذا، ووصف أبو أحمد العسكري رجلاً لئيماً فقال: حقير فقير نذل رذل غثّ رثّ لئيم زنيم، أشحّ من كلب وأذلّ من نقد وأجهل من بغل، سريع إلى الشرّ بطيء عن الخير، مغلول عن الحمد مكتوف عن البذل، جواد بشتم الأعراض سخي بضرب الأبشار، لجوج حقود خرق نزق عسر نكد شكس شرس دعيّ زنيم، يعتزى إلى أنباط سقاط أهل لؤم أعراق ودقة أخلاق، وينتمي إلى أخبث البقاع تراباً وأمرّها شراباً وأكمدها ثياباً، فهو كما قال تعالى ﴿... والذي خبث

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٤ : ٢٦٣ .

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢ : ٥ .

لا يخرج إلّا نكداً ...﴾[١] ثم كما قال الشاعر :

نــــبطي آبـــاؤه لم يـلده	ذو صلاح ولم يلد ذا صلاح
معشراً شبّهوا القرود ولكن	خالفوها في خفّة الأرواح

وفي (العقد): دخل عدي بن أرطاة الشامي على شريح القاضي، فقال له: أين أنت؟ قال: بينك وبين الجدار. قال: إنّي رجل من أهل الشام. قال: نائي المحل سحيق الدار. قال: قد تزوجت عندكم. قال: بالرفاء والبنين. قال: ولد لي غلام. قال: ليهنك الفارس. قال: وأردت أن أرحلها. قال: الرجل أحقّ بأهله. قال: وشرطت لها دارها. قال: الشرط أملك. قال: فاحكم الآن بيننا. قال: قد فعلت. قال: على من قضيت؟ قال: على ابن أُمّك. قال: بشهادة من؟ قال: بشهادة ابن أُخت خالتك ـ يريد إقراره[٢].

وفي (خلفاء القتيبي): بعث يزيد عبد الله بن مسعدة الفزاري إلى المدينة، فخطب الناس وقال: أهل الشام جند الله الأعظم وخير الخلق. فقام الحارث بن مالك وقال: لعمر الله لنحن خير من أهل الشام، ما نقمت من أهل المدينة إلّا لأنّهم قتلوا أباك وهو يسرق لقاح النبيّ صلى الله عليه وآله، أنسيت طعنة أبي قتادة است أبيك بالرمح فخرج منه جعموص مثل هذا ـ وأشار إلى ساعده ـ ثم جلس[٣].

«ليسوا من المهاجرين والأنصار ولا من الذين» هكذا في (المصرية) والصواب: «ولا الذين» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم).

«تبوؤا الدار والإيمان» هكذا في (المصرية) أخذاً من ابن أبي الحديد حيث جعل «والإيمان» بين قوسين كما هو دأبه فيما يأخذه منه، لكن الظاهر زيادته

---

(١) الأعراف : ٥٨ .

(٢) العقد الفريد ٣ : ١٠ .

(٣) لم نعثر عليه في تاريخ الخلفاء لابن قتيبة.

حيث قال ابن ميثم في نسخة الرضي «تبوؤا الدار» فقط وفي سائر النسخ «والإيمان»، ولا معنى لكلامه فإنّ النهج للرضي فلا معنى لجعل نسخه من خطه هكذا وفي نسخة غيره من خطه بطريق آخر، لكن ما لم تتحقق نسخ يكون المتبع ما في نسخة (ابن ميثم) التي بخط المصنف.

وفي (صفين نصر): برز عوف بن مجزأة المرادي فارس أهل الشام يوم صفين وقال:

بالشام أمْنٌ ليس فيه خوف بالشام عدْلٌ ليس فيه حيف

بالشام جود ليس فيه سوف

فخرج إليه عكبر الأسدي فارس أهل الكوفة وقال:

الشام محل والعراق ممطر بها إمام طاهر مطهر

والشام فيها أعور ومعور[1]

«ألا وإنّ القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم مما يحبّون، وإنّكم اخترتم لأنفسكم أقرب القوم مما تكرهون» في (صفين نصر): لمّا أراد الناس علياًعليه السلام على أن يضع حكمين قال لهم: إنّ معاوية لم يكن ليضع لهذا الأمر أحداً هو أوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص، وإنّه لا يصلح للقرشي إلّا مثله، فعليكم بعبدالله بن عباس فارموه، فإنّ عمراً لا يعقد عقدة إلّا حلّها عبدالله ولا يحلّ عقدة إلّا عقدها ولا يبرم أمراً إلّا نقضه ولا ينقض أمراً إلّا أبرمه. فقال الأشعث: لا والله لا يحكم فينا مضريان حتى تقوم الساعة، ولكن اجعله رجلاً من أهل اليمن إذ جعلوا رجلاً من مضر. فقال عليعليه السلام: إنّي أخاف أن يخدع يمنيكم، فان عمراً ليس من الله في شيء حتى إذا كان له في أمر هواه. فقال الأشعث: والله لأن يحكما ببعض ما نكره وأحدهما من أهل اليمن أحبّ إلينا من

---

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٤٥٠.

أن يكون ما نحبّ في حكمهما وهما مضريان. فقال عليه السلام: قد أبيتم إلّا أبا موسى؟ قالوا: نعم. قال: فاصنعوا ما أردتم. فبعثوا إلى أبي موسى وقد اعتزل بعرض من الشام ...[١].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): قال الأحنف لعلي عليه السلام: إنّ أبا موسى رجل يماني وقومه مع معاوية ـ إلى أن قال ـ فقال عليه السلام: إنّ الأشعث والقراء أتوني بأبي موسى فقالوا: ابعث هذا فقد رضيناه ولا نريد سواه والله بالغ أمره ...[٢].

ومنه يظهر أنّ جميع أفعالهم كان بمقتضى أغراضهم لا الديانة.

«**وإنّما عهدكم بعبدالله بن قيس**» قال ابن أبي الحديد: قال ابن عبد البر: لما قتل عثمان عزل علي عليه السلام أبا موسى عن الكوفة، فلم يزل واجداً لذلك على علي عليه السلام وحتى جاء منه ما قال حذيفة فيه، فقد روى لحذيفة فيه كلاماً كرهت ذكره[٣].

قال ابن أبي الحديد الكلام الذي أشار إليه ابن عبد البر أنّ أبا موسى ذكر عند حذيفة بالدين فقال حذيفة: أما أنتم فتقولون ذلك، وأمّا أنا فأشهد أنّه عدوّ لله ولرسوله وحرب لهما في الحياة الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار. وكان حذيفة عارفاً بالمنافقين أسرّ إليه النبيّ صلى الله عليه وآله أمرهم وأعلمه أسماءهم[٤].

وقال: وروي ان عمّاراً سئل عن أبي موسى فقال: لقد سمعت فيه من حذيفة قولاً عظيماً، سمعته يقول صاحب البرنس الأسود ـ ثم كلح كلوحاً

---

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٥٠٠.

(٢) خلفاء ابن قتيبة: ١٣١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣١٤.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣١٤.

علمت منه انّه كان ليلة العقبة بين ذلك الرهط[١].

وقال : وروي عن سويد بن غفلة قال: كنت مع أبي موسى على شاطئ الفرات في خلافة عثمان، فروى لي خبراً عن النبيﷺ قال سمعته يقول: إنّ بني اسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتى بعثوا حكمين ضالّين ضلّا وأضلّا من اتبعهما ولا ينفكّ أمر أُمتي حتى يبعثوا حكمين يضلّان ويضلّان من تبعهما. فقلت له : احذر يا أبا موسى أن تكون أحدهما، فخلع قميصه وقال: أبرأ إلى الله من ذلك كما أبرأ من قميصي هذا[٢].

قال : وقال أبو محمد بن متويه من المعتزلة في كتابه (الكفاية): أما أبو موسى فانّه عظم جرمه بما فعله وأدّى ذلك إلى الضرر الذي لم يخف حاله، وكان علي عليه السلام يقنت عليه وعلى غيره فيقول: «اللّهم العن معاوية أوّلاً وعمراً ثانياً وأبا أعور السلمي ثالثاً وأبا موسى الأشعري رابعاً»[٣].

قلت: صدق إنّ فعل أبي موسى أدّى إلى الضرر الذي لم يخف حاله، إلاّ ان فعل أبي موسى أيضاً كان من فعل أركان سقيفتهم وكان النبيّ ﷺ أيضاً قنت عليهم في تخلّفهم عن جيش أُسامة .

وفي (مسترشد محمد بن جرير بن رستم الطبري الإمامي) ـ مخاطباً للعامّة ـ: ومن علمائكم أبو موسى الأشعري وقد شهد عليه حذيفة بن اليمان أنّه منافق رواه جرير بن عبد الحميد العيني[٤].

وفي (المروج): كان أبو موسى الأشعري يحدّث قبل وقعة صفين ويقول: إنّ الفتن لم تزل في بني اسرائيل ترفعهم وتخفضهم حتى بعثوا

---

(١) المصدر نفسه ١٣: ٣١٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣ : ٣١٥.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المسترشد : ١١.

حكمين ـ إلى أن قال ـ فقال له سويد بن غفلة: إيّاك إن أدركت ذلك الزمان أن تكون أحد الحكمين قال: أنا؟ قال: نعم أنت. فكان يخلع قميصه ويقول: لا جعل الله لي اذن في السماء مصعداً ولا في الأرض مقعداً. فلقيه سويد بعد ذلك فقال: يا أبا موسى أتذكر مقالتك؟ قال: سل ربّك العافية[1].

وفي (أمالي المفيد) مسنداً عن سلمان قال: قال النبيّ ﷺ: تفترق أُمتي ثلاث فرق، فرقة على الحق لا ينقص الباطل منه شيئاً يحبوني ويحبون أهل بيتي، مثلهم كمثل الذهب الجيد كلّما أدخلته النار فأوقدت عليه لم يزده إلّا جودة ـ إلى أن قال ـ وفرقة مدهدة على ملّة السامري لا يقولون لا مساس لكنّهم يقولون لا قتال، إمامهم عبدالله بن قيس الأشعري[2].

«**بالأمس**» والمراد أيام الجمل.

«**يقول إنّها فتنة**» وقد كان عليه السلام في ذاك الوقت أخبره بعمله في هذا الوقت وهو حكمه الباطل عليه عليه السلام.

ففي (مروج المسعودي): كاتب علي عليه السلام لما أراد البصرة من الربذة أبا موسى الأشعري ليستنفر الناس، فثبطهم أبو موسى وقال: إنّما هي فتنة. فنمى ذلك إلى علي عليه السلام، فولّى على الكوفة قرضة بن كعب الأنصاري وكتب إلى أبي موسى: اعتزل عملنا يابن الحائك، فما هذا أوّل يومنا منك وإنّ لك فيها لهنات وهنيات[3].

«**فقطعوا أوتاركم**» جمع الوتر بفتحتين واحد أوتار القوس.

«**وشيموا سيوفكم**» والمراد بشيموا هنا الأغماد وإن قيل إنّه من الأضداد.

---

(١) مروج الذهب، للمسعودي ٢: ٣٩٢.

(٢) أمالي المفيد: ٣٠.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٥٨.

وفي (خلفاء ابن قتيبة): لما بعث علي عليه السلام في مسيره إلى الجمل عمّاراً ومحمد بن أبي بكر إلى أهل الكوفة ليستنفراهم قال أبو موسى للناس: ان هذه الفتنة النائم فيها خير من اليقظان والقاعد خير من القائم والقائم فيها خير من الساعي والساعي فيها خير من الراكب، فاغمدوا سيوفكم ـ.... فقام عمار وقال: أيها الناس إنّ أبا موسى ينهاكم عن الشخوص إلى هاتين الجماعتين وما صدق فيما قال وما رضي الله عن عباده بما قال، قال عزوجل ﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأُخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ...﴾[١] وقال تعالى ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كلّه لله ...﴾[٢] فلم يرض من عباده بما ذكر أبو موسى من أن يجلسوا في بيوتهم ويخلوا الناس فيسفك بعضهم دماء بعض، فسيروا معنا إلى هاتين الجماعتين واسمعوا من حججهم وانظروا من أولى بالنصرة فاتبعوه، فان أصلح الله أمرهم رجعتم مأجورين وقد قضيتم حق الله، وان بغى بعضهم على بعض نظرتم إلى الفئة الباغية فقاتلتموها حتى تفيء إلى أمر الله كما أمركم الله وافترض عليكم[٣].

«فإن كان صادقاً» في كون حروبه عليه السلام فتنة.

«فقد أخطأ بمسيره غير مستكره» في دخوله فيما زعمه فتنة.

«وإن كان كذباً فقد لزمته التهمة» فكيف يجعل حكماً.

ونظير كلامه عليه السلام في كون أبي موسى أتى بالتضادّ في فعله مع قوله

---

(١) الحجرات: ٩.

(٢) الانفال: ٣٩.

(٣) خلفاء ابن قتيبة ١ : ٦٨.

وخبطه في عمله، كلام ابنه الحسن عليه السلام. ففي (خلفاء ابن قتيبة) ـ بعد نقل أنّ أبا موسى قال: اخلع عليّاً وانصب عبدالله بن عمر ـ قال الحسن عليه السلام: وقد كان من خطأ أبي موسى أن جعلها لعبدالله بن عمر فأخطأ في ثلاث خصال خالف أبو موسى عمر إذ لم يرضه لها ولم يره أهلاً لها وكان أبوه أعلم به من غيره ولا أدخله في الشورى إلّا على أنْ لا شيء له شرطاً مشروطاً من عمر على أهل الشورى ـ إلى أن قال ـ ولم يستأمر الرجل في نفسه ولا علم ما عنده من ردّ أو قبول[1].

«**فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن العباس**» في (صفين نصر): قال أيمن بن خزيم الأسدي ـ وكان شامياً معتزلاً لمعاوية وكان هواه أن يكون الأمر لأهل العراق ـ مخاطباً لأهل الشام:

لو كان للقوم رأي يعظمون به ... بعد الخطا رموكم بابن عباس

لله درّ أبيه أيُّما رجل ... ما مثله لفصال الخطب في الناس

لكن رموكم بشيخ من ذوي يمن ... لم يدر ما ضرب اخماس لأسداس

ان يخل عمرو به يقذفه في لجج ... يهوي به النجم تيساً بين أتياس

فلما بلغ أهل العراق قول أيمن طارت أهواؤهم إلى عبدالله بن عباس وأبت القرّاء إلّا أبا موسى.

«**ألا ترون إلى بلادكم تغزى**» فكان معاوية في تلك الأيام يبعث جيشاً إلى مصر وجيشاً إلى البصرة وجيوشاً إلى الحجاز وإلى بلاد أُخر[2].

«**وإلى صفاتكم**» في (الصحاح): الصفا والصفاة صخرة ملساء، يقال في المثل: ما تندى صفاته.

---

(١) خلفاء ابن قتيبة ١: ١٣١.

(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٥٠٢.

«ترمى» والمراد قصد معاوية لمهمّات ما بيده عليه السلام كمصر ففتحها وقتل محمد بن أبي بكر، فرمي الصفاة كناية عن قصده لو هي ما اشتد منه، فالصفاة صخرة صلبة، ولذا قيل ما تندى صفاته أي من غاية صلبيته ويقال: أصلب من الصفا. وعن صعصعة: ما قارعت صفاة أشد عليّ من صفاة بني زرارة[1].

٢
الكتاب (٢)

ومن كتاب له عليه السلام إليهم بعد فتح البصرة:

وَجَزاكُمُ ٱللهُ مِن أهلِ مصرٍ عَنْ أهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أحْسَنَ ما يَجْزِي العَامِلِينَ بِطاعَتِه وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِه، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأطَعْتمْ وَدُعِيتم فَأجَبْتُمْ.

أقول : هذا كتاب كتبه عليه السلام إلى أهل الكوفة إلى قرضة بن كعب منهم خصوصاً وإلى باقيهم عموماً مع عمر بن سلمة الأرحبي ـ كما رواه المفيد في (جمله) ـ عن عمر بن سعد الذي يروي عنه نصر بن مزاحم عن يزيد بن الصلت عن عامر الأسدي، وقد اختصره الرضي رحمه الله وتمامه هذا :

«سلام عليكم، إنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو، أمّا بعد فإنّا لقينا القوم الناكثين لبيعتنا المفرّقين لجماعتنا الباغين علينا من أُمتنا، فحاججناهم إلى الله فنصرنا الله عليهم وقتل طلحة والزبير، وقد تقدّمت إليهما بالنذر وأشهدت عليهما صلحاء الأمّة ومكنتهما في البيعة، فما أطاعا المرشدين ولا أجابا الناصحين ولاذ أهل البغي بعائشة، فقتل حولها جمّ لا يحصي عددهم إلّا الله، ثم ضرب الله وجه بقيتهم فأدبروا، فما كانت ناقة الحجر

---

(١) الصحاح ٤ : ٢٤٠١ مادة (صفا).

بأشأم منها على أهل ذلك المصر مع ما جاءت به من الحوب الكبير في معصيتها لربّها ونبيّها من الحرب، واغترار من اغتر بها وما صنعته من التفرقة بين المؤمنين وسفك دماء المسلمين لا بيّنة ولا معذرة ولا حجّة لها، فلما هزمهم الله أمرت ألا يقتل مدبر ولا يجهز على جريح ولا يهتك ستر ولا يدخل دار إلّا بإذن أهلها، وقد آمنت الناس واستشهد منّا رجال صالحون ضاعف الله لهم الحسنات ورفع درجاتهم وأثابهم ثواب الصابرين وجزاكم الله من أهل مصر ـ إلى آخر ما في المتن ـ وزاد بعده: فنعم الاخوان والأعوان على الحق أنتم»(١).

وله عليه‌السلام كتاب آخر إلى أهل الكوفة بعد فتح البصرة، ففي (الإرشاد): كتب عليه‌السلام بالفتح إلى أهل الكوفة ـ إلى أن قال ـ أمّا بعد، فإنّ الله حكم عدل لا يغير ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم، وإذا أراد الله بقوم سوءً فلا مردّ له وما لهم دونه من وال، أُخبركم عنّا وعمّن سرنا إليه من جموع أهل البصرة ومن تأشب إليهم من قريش وغيرهم مع طلحة والزبير ونكثهم صفقة أيمانهم، فنهضت من المدينة حين انتهى إليّ خبر من سار إليها وجماعتهم وما فعلوا بعاملي عثمان بن حنيف حتى قدمت ذي قار، فبعثت الحسن بن علي وعمّار بن ياسر وقيس بن سعد، فاستنفرتكم لحقّ الله وحقّ رسوله وحقي، فأقبل إليّ إخوانكم سراعاً حتى قدموا عليّ، فسرت بهم حتى نزلت ظهر البصرة، فأعذرت بالدعاء وقمت بالحجّة وأقلت العثرة والزلّة من أهل الردة من قريش وغيرهم واستتبتهم من نكثهم بيعتي وأخذت عهد الله عليهم، فأبوا إلّا قتالي وقتال من معي والتمادي في الغي فناهضتهم بالجهاد فقتل الله من قتل منهم ناكثاً وولّى من ولى إلى مصرهم،

---

(١) وقعة الجمل، للمفيد: ٢١٥ ـ ٢١٦.

وقتل طلحة والزبير على نكثهما وشقاقهما، وكانت المرأة عليهم أشأم من ناقة الحجر، فخذلوا وأدبروا وتقطعت بهم الأسباب، فلما رأوا ما حلّ بهم سألوني العفو عنهم، فقبلت منهم وغمدت السيف عنهم وأجريت الحق والسنّة فيهم»[١].

وقد مدح عليه السلام أهل الكوفة أيضاً لما وردوا عليه بذي قار عند توجهه إلى البصرة، ففي (الإرشاد): روى عبد الحميد بن عمران العجلي عن سلمة بن كهيل قال: لما التقى أهل الكوفة علياً عليه السلام بذي قار رحبوا به ثم قالوا: الحمد لله الذي خصّنا بجوارك وأكرمنا بنصرتك. فقام عليه السلام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أهل الكوفة إنّكم من أكرم المسلمين وأقصدهم تقويماً وأعدلهم سنّة وأفضلهم سهماً في الإسلام وأجودهم في العرب مركباً ونصاباً، أنتم أشدّ العرب ودّاً للنبيّ وأهل بيته، وإنّما جئتكم ثقة ـ بعد الله ـ بكم للذي بذلتم من أنفسكم عند نقض طلحة والزبير وخلعهما طاعتي وإقبالهما بعائشة للفتنة وإخراجهما إيّاها من بيتها حتى أقدماها البصرة، فاستفزوا طغامها وغوغاءها، مع أنّه قد بلغني أنّ أهل الفضل منهم وخيارهم في الدين قد اعتزلوا وكرهوا ما صنع طلحة والزبير. فقال أهل الكوفة: نحن أنصارك وأعوانك على عدوّك ولو دعوتنا إلى أضعافهم من الناس احتسبنا في ذلك الخير ورجوناه ـ فدعا علي عليه السلام لهم وأثنى عليهم[٢].

ومدحهم عليه السلام لما ورد عليهم بعد فتح البصرة، ففي (صفين نصر): لما قدم علي عليه السلام من البصرة إلى الكوفة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من رجب سنة (٣٦) استقبله أهل الكوفة ـ وفيهم قراؤهم وأشرافهم ـ فدعوا له

---

(١) الإرشاد للمفيد: ١٣٧.

(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ١٣٣.

بالبركة وقالوا: يا أمير المؤمنين أين تنزل، أتنزل القصر؟ فقال: لا ولكنني أنزل الرحبة، فنزلها وأقبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلّى فيه ركعتين ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله وقال: أمّا بعد يا أهل الكوفة فإنّ لكم في الإسلام فضلاً ما لم تبدّلوا وتغيّروا، دعوتكم إلى الحق فأجبتم وبدأتم بالمنكر فغيّرتم، ألا إنّ فضلكم فيما بينكم وبين الله، فأمّا في الأحكام والقسم فأنتم أُسوة من أجابكم ودخل فيما دخلتم فيه، ألا إنّ أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى ـ إلى أن قال ـ الحمد لله الذي نصر وليّه وخذل عدوّه وأعزّ الصادق المحقّ وأذلّ الناكث المبطل، عليكم بتقوى الله وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيّكم الذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه من المنتحلين المدّعين المقابلين لنا يتفضلون بفضلنا ويجاحدوننا أمرنا وينازعوننا حقنا ويدافعونا عنه فقد ذاقوا وبال ما اجترحوا فسوف يلقون غيّاً، ألّا إنّه قد قعد عن نصرتي رجال أنا عليهم زار فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة.

فقام إليه مالك بن حبيب اليربوعي صاحب شرطته عليه السلام فقال: والله إنّي لأرى الهجر وسماع المكروه لهم قليلاً، والله لئن أمرتنا لنقتلنّهم. فقال علي عليه السلام: سبحان الله يا مال، جزت المدى وعدوت الحد وأغرقت في النزع. فقال لبعض الغشم: أبلغ في أُمور تنوبك من مهادنة الأعادي. فقال علي عليه السلام: ليس هكذا قضى الله يا مال، فقال تعالى ﴿... النفس بالنفس ...﴾[1] فما بال الغشم وقال تعالى ﴿... ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل ...﴾[2] والإسراف في القتل أن تقتل غير قاتلك، فقد نهى الله

---

(١) المائدة : ٤٥.

(٢) الإسراء : ٣٣.

عنه وذلك هو الغشم[١].

ومدحهم عليه السلام حين أراد العود إلى قتال معاوية قبل النهروان بالنخيلة. قال الطبري: جمع إليه رؤوس أهل الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل الكوفة أنتم إخواني وأنصاري وأعواني على الحق وصحابتي على جهاد عدوّي المحلين، بكم أضرب المدبر وأرجو تمام طاعة المقبل، وقد بعثت إلى أهل البصرة فاستنفرتهم إليكم فلم يأتني منهم إلّا ثلاثة آلاف ومائتا رجل، فأعينوني بمناصحة جلية خلية من الغش ـ إلى أن قال ـ وكان جميع أهل الكوفة خمسة وستين ألفاً ومن أهل البصرة ثلاثة آلاف ومائتي رجل، وكان جميع من معه ثمانية وستين ألفاً ومائتي رجل[٢].

وكان اشتياق أهل الكوفة إلى قدومه عليه السلام عليهم كما وصفه خفاف الطائي لمعاوية، قال نصر بن مزاحم: قال خفاف لمعاوية: قدم علي الكوفة فحمل إليه الصبي ودنت إليه العجوز وخرجت إليه العروس فرحاً به وشوقاً إليه[٣].

وروى الواحدي ـ كما في (جمل المفيد) ـ عن كليب في خبر وروده عليه السلام بذي قار يستعلم حاله، قال: فلم أبرح عن العسكر حتى قدم على علي عليه السلام أهل الكوفة، فجعلوا يقولون: نرى إخواننا من أهل البصرة يقاتلوننا. وجعلوا يضحكون ويعجبون ويقولون والله لو التقينا لتعاطينا الحق، كأنّهم يرون أنهم لا يقتلون[٤].

وفي (لطائف الثعالبي): كان الحجاج يقول: الكوفة جارية جميلة لا مال

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٥٨.

(٣) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٦٤.

(٤) الجمل للمفيد في خبر مطول: ١٥٦ ـ ١٥٧.

لها فهي تخطب لجمالها، والبصرة عجوز شوهاء موسرة فهي تخطب لمالها.
وكان زياد يقول: مثل الكوفة كمثل اللهاة يأتيها الماء ببرده وعذوبته، ومثل البصرة كالمثانة يأتيها الماء وقد تغيّر وفسد[1].

(١) لم نعثر عليه في لطائف الثعالبي، ولكن وجدنا في مروج الذهب للمسعودي ٣: ١٥٩ ما يشبه هذا المعنى.

فهرس المطالب

